السنة السادسة عشرة
العدد الثالث والستون

مجلة
مركز دراسات الكوفة

مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

اقرأ في هذا العدد

- أثر الموازنة التعاقدية على الأداء المالي للجامعات
- التركيب الفضائي للبنية الحضرية
- الحرية الاقتصادية وسبل النهوض بها في العراق
- الدين الحكومي الخارجي في العراق وآثاره الاقتصادية

مجلة مركز دراسات الكوفة

الترقيم الدولي ISSN :1993-7016

العدد ٦٣ السنة السادسة عشرة ٢٠٢١

جمهورية العراق النجف الأشرف – جامعة الكوفة



جميع الحقوق محفوظة © مركز دراسات الكوفة

أعضاء هيأة التحرير

أ.د. رضا صاحب أبو حمد/ كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

أ.د. عبد الصاحب البغدادي/ كلية التخطيط العمراني/ جامعة الكوفة

أ.د. رزاق كردي العابدي/ كلية الآثار/ جامعة الكوفة

أ.د. محمد علي آذرشب مدير مركز الحوار الفارسي/ إيران

أ.د. حسن جابر حسن/ الجامعة اللبنانية/ لبنان

أ.د. محسن خنياب الميالي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

أ.د. عامر عبد زيد البديري/ كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ.د. وهاب فهد الياسري/ كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ.د. حيدر ناجي الشاوي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

أ.د. حسين لفته حافظ/ مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

رئيس التحرير:

أ.د. عدي جواد الحجار

مدير التحرير:

أ.د. عقيل جاسم دهش

مسؤول الحسابات

السيدة ولاء فيصل محسن

الإخراج الفني:

المهندس أسامة عادل الشماع

شروط النشر

١. أن لا يكون البحث قد نشر أو قبل للنشر في مجلة أخرى.
٢. تقبل البحوث المكتوبة باللغة العربية فقط.
٣. يشترط في البحث المقدم للنشر أن يكون مراعيا لقواعد البحث العلمي وأن يكون مرتبا على النحو الآتي: عنوان البحث-اسم الباحث-درجته العلمية-خلاصة البحث باللغتين العربية والانجليزية -المقدمة-متن البحث-الخاتمة والنتائج -قائمة الهوامش-المصادر والمراجع.
٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية الموجزة للباحث التي تتضمن ما يأتي حصراً: اسم الباحث ومكان عمله، واختصاصه العلمي ونتاجاته البحثية وأهم مشاركاته العلمية ووسيلة الاتصال به.

٥. يلزم ألاّ تزيد عدد صفحات البحث عن ٢٠ صفحة، وإذا زاد عدد الصفحات عن ذلك يستحصل مبلغ قدره ٣٠٠٠ دينار عن كل صفحة إضافية.
٦. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصين لتحديد صلاحيته للنشر ولا يعاد البحث إلى صاحبه سواء قبل للنشر أم لم يقبل، ولهيأة التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسبا.
٧. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Transparent) للغة العربية بحجم (١٦) للعنوان الرئيس و(١٤) للبحث و(١٢) للهوامش، وبخط (Time New Roman) للغة الانكليزية.
٨. تكون فقرة المسافات البادئة والتباعد قبل النص وبعده صفراً وتباعد الأسطر يكون (واحد ونصف).
٩. تنسق الأبيات الشعرية باستخدام الجداول.
١٠. تترك مسافة بمقدار (٢،٥) على الجوانب الأربعة للصفحة.
١١. تقدم البحوث مطبوعة بنسختين على ورق قياس (A4) مع قرص صلب (CD) مسجل عليه البحث على وفق المتطلبات.

محتويات العدد ٦٣

١	الدين الحكومي الخارجي في العراق- المحتوى والآثار في الأداء الاقتصادي للمدة ٢٠٠٣ – ٢٠١٩	أ.د. عاطف لافي مرزوك الباحثة رجاء قاسم حمزة	١
٢	الحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي وسبل النهوض بها في العراق	أ.د. مايح شبيب الشمري الباحث أسامة نزار الحداد	٢٩
٣	العدالة التنظيميةً استراتيجية مؤثرة لمواجهة السلوكيات الانتقامية لدى العاملين	أ.د. ضرغام علي العميدي الباحث علي عبيد براك	٧٥
٤	الرؤية النقدية من المنظور الثقافي في مرحلتي الريادة والتجديد في قطر- دكتور محمد كافود ونورة آل سعد أنموذجا	أ.د. مراد عبد الرحمن مبروك	١٠١
٥	الأداتان (ما) و(الواو) في تفسير الميزان- دراسة نحوية	أ.د. عباس علي إسماعيل الباحث سيف عبد الكريم علي	١٤٥
٦	إدغام المتقاربين عند الحسن بن محمد النيسابوري	أ.د. محمد عبد الزهرة الشريفي الباحث قاسم علي أمين	١٧٥
٧	قضايا تربوية في فكر الأمام الصادق (ع)- دراسة تحليلية تاريخية	أ.د. صالح مهدي عباس أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجه	١٩٥
٨	ثورة البحارة في ألمانيا (٢٨ تشرين الاول ١٩١٨) دراسة تاريخية	أ.د. عماد هادي عبد علي م.م. حوراء رزاق حسن	٢٤٣
٩	آثار تأجيل الدعوى الجزائية في ضوء التشريعات الجزائية الإجرائية العربية	أ.د. إسراء محمد علي سالم الباحثة آلاء محمد صاحب	٢٧٣
١٠	الخصائص المكانية والزمانية لقيم التبخر- نتح الممكن في العراق وأثرها على الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس	أ.د. ناصر والي فريح الباحث ميثم عبد الكاظم حميدي	٣٠١
١١	أثر أسلوب الموازنة التعاقدية على الأداء المالي للجامعات- دراسة حالة/ جامعة الكوفة	أ.م.د. عقيل حمزة الحسناوي الباحث ليث مالك راضي	٣٢٩
١٢	دلالة ألفاظ الزيادة في القرآن الكريم	أ.م.د. مريم عبد الحسين التميمي	٣٧٩

١٣	التصنيف الائتماني لوكالة فيتش ودوره في منح القروض وجذب الودائع	أ.م.د. حيدر جواد المرشدي الباحث مصطفى عبدالوهاب محمد	٤٠١
١٤	النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣	أ.م.د. صبا قيس الياسري الباحثة نور مجبل عزيز	٤٣٧
١٥	أسلوب التعبير عن المنتظر في العهد القديم	أ.د. مناف مهدي الموسوي أ.م.د. فكري جواد عبد الباحثة زينة كاظم محسن	٤٦٣
١٦	رثاء الحسين بين الجواهري وعبد الرزاق عبد الواحد- دراسة في الأسلوب والصورة الشعرية	أ.م.د. حسين سيدي الباحث محمد عاد العبودي	٤٨٣
١٧	التحليل المكاني للسكن العشوائي في مدينة بغداد	أ.م.د. مهيب كامل فليح	٥٠٥
١٨	التركيب الفضائي للبنية الحضرية والسلوك الفضائي- حالة دراسية شارع المنصور الرئيسي	أ.م.د. عامر شاكر الكناني الباحثة تماره عبد الرزاق محمد	٥٢١
١٩	سياسة إيران المائية تجاه العراق وانعكاساتها على النشاط الاقتصادي- دراسة في الجغرافية السياسية	م.م. خالد جاسم الحجيمي	٥٤١
٢٠	أثر التدقيق المشترك على استقلالية مراقبي الحسابات- دراسة ميدانية لعيُنة من مكاتب مراقبي الحسابات في العراق	م.م. بكر أيوب صالح	٥٦٧

الدين الحكومي الخارجي في العراق– المحتوى والآثار في الأداء الاقتصادي للمدة ٢٠٠٣ – ٢٠١٩

أ.د. عاطف لافي مرزوك

الباحثة رجاء قاسم حمزة

كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تعد الديون واحدة من أهم المشاكل التي واكبت البلدان المتقدمة والاقل نموا على السواء، ولقد تأشر في النظرية كما في التجربة التاريخية أن الدين معوق اساس للتنمية، والحق أن ثمة اختناقات اقتصادية هي التي حملت البلدان على الاستدانة.

يعاني العراق كما غيرة من الدول النامية من مشكلة الديون الخارجية وازديادها سنويا، فعلى الرغم من ان الاقتراض الخارجي يساعد الدولة على سد العجز في ميزانيتها ودعم التنمية فيها الا ان الاقتراض والاستدانة دون وجود تحسن ملموس في الاقتصاد يزيد من أعباء الدولة، حيث تستنزف الدولة حصيلتها النقدية لسد الديون الخارجية مما يزيد من العجز في ميزانيها سنويا، وبذلك يتحول الدين الخارجي من عامل يساعد الدولة على النمو الى عامل يقيد الدولة.

فرضيات البحث:

تفترض هذه الدراسة فرضية أساسية مفادها أن هناك أثرا سلبي للدين الخارجي على النمو الاقتصادي في العراق.

حدود البحث:

الحد المكاني: جمهورية العراق. الحد الزماني: الفترة ٢٠٠٤–٢٠١٨م.

منهجية البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتحديد المراحل التي مر بها الاقتصاد العراقي، ولتحديد المراحل التي مرت بها ازمة "الدين العام" في العراق.

ولتوضيح مشكلة الدراسة قامت الباحثة باستخدام المنهج القياسي، وكانت متغيرات الدراسة هي الديون الخارجية ومعدل النمو في الإنتاج المحلي وخدمة الدين، باستخدام برنامج E-Views.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة لإرشاد ومساعدة صناع القرار في الحاضر والمستقبل، حيث تعطي هذه الدراسة صورة واضحة عن حجم الديون الخارجية للعراق وتطورها، وتبرز تأثير هذه الديون على الاقتصاد العراقي.

المبحث الاول: مفهوم ومضمون الدين الحكومي الخارجي:

اولا: التعريف بالدين الحكومي الخارجي:

"الدين العام" هو مقدار ما تدين به الدولة للمقرضين خارجها. يمكن أن تشمل هذه الأفراد والشركات وحتى الحكومات الأخرى. غالبًا ما يستخدم مصطلح ""الدين العام"" بالتبادل مع مصطلح الدين السيادي [1].

يشير "الدين العام" عادة فقط إلى الدين القومي. تشمل بعض الدول أيضًا الديون المستحقة على الولايات والمقاطعات والبلديات.

بغض النظر عما يطلق عليه، فإن "الدين العام" هو قيام الدولة بالاستدانة لأغراض تنموية أو طارئة، وفي ذلك تقوم وازرة المالية بإصدار سندات تختلف آجالها بحسب نوع الاستدانة العامة.

وعلى المدى القصير، يعتبر "الدين العام" طريقة جاهزة للحكومات تستهدف من خلالها الحصول على أموال إضافية من أجل سد العجز في الموازنة أو لسد لجهد الاستثماري في نشاط اقتصادي مرغوب. يعتبر "الدين العام" طريقة جيدة للبلدان للحصول على أموال إضافية للاستثمار في نموها الاقتصادي. "الدين العام" هو طريقة آمنة للأجانب للاستثمار في نمو البلد عن طريق شراء السندات الحكومي الخارجية.

ويعد هذا أكثر أمانًا من الاستثمار الأجنبي المباشر. وذلك عندما يقوم الأجانب بشراء ما لا يقل عن ١٠٪ من الشركات أو الشركات أو العقارات في البلاد. ٢ كما أنها أقل خطورة من الاستثمار في الشركات العامة للبلاد عبر سوق الأسهم. إن "الدين العام" جذاب للمستثمرين الذين يتجنبون المخاطرة لأنه مدعوم من الحكومة نفسها[٢].

عند استخدامه بشكل صحيح، يحسن "الدين العام" مستوى المعيشة في بلد ما. يسمح للحكومة ببناء طرق وجسور جديدة، وتحسين التعليم والتدريب المهني، وتوفير المعاشات التقاعدية. وهذا يحفز المواطنين على إنفاق المزيد الآن بدلاً من الادخار للتقاعد. ويعزز هذا الإنفاق من قبل المواطنين الأفراد النمو الاقتصادي[٣].

ثانيا: أنواع "الدين الحكومي الخارجي" ومؤشراته الأساسية:

الأشكال الرئيسية للدين الحكومي الخارجي هي: ١. الدين الداخلي والخارجي ٢. الدين الإنتاجي وغير المنتج ٣. الدين الإجباري والتطوعي ٤. الديون القابلة للاسترداد وغير القابلة للاسترداد ٥. القروض قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل ٦. التمويل الممول وغير الممول دين[٤].

يمثل الشكل (١) الأنواع الستة للدين العام.



الشكل (١) أنواع "الدين العام"

١. "الدين الحكومي الخارجي" الداخلي والخارجي:

تسمى القروض العامة داخل الدولة بالديون الداخلية. يشار إلى القروض العامة من الدول الأخرى بالديون الخارجية. و"الدين الخارجي" هو الاقتراض من بلدان أخرى ويتعين على البلد المقترض السداد في وقت الاستحقاق. يسمح "الدين العام" الخارجي باستيراد الموارد الحقيقية. [٥].

ولعل من السمات المهمة للديون الخارجية هي أن موارد البلد المقترض سوف تزداد عندما يتم استلام المبالغ وقت الاستحقاق مما يزيد من موارد البلد من العملات الأجنبية، ومع ذلك ففي حالات يتم سداد القروض الخارجية بالعملة المحلية للبلد المقترض وهو ما لا يحقق إيراداً مرغوبا بالعملة الأجنبية. [٦]

نظراً لأنه في ظل الديون الداخلية. يتم الاقتراض داخل البلد، فلا ينشأ توافر إجمالي الموارد. حيث يتم تحويل الموارد من أصحاب السندات – الأفراد والمؤسسات– إلى الخزانة العامة، ويمكن للحكومة أن تنفق هذه للأغراض العامة.[٧]

وبالمثل، فإن دفع الفائدة لسداد أصل القروض الداخلية سيحول الموارد من دافعي الضرائب إلى حاملي السندات. وبالتالي، فإن "الدين العام" المحتفظ به داخليًا يمثل فقط التزامًا بتحويل معين للقوة الشرائية بين الناس داخل البلد. وبالتالي، ليس لديها أعباء مالية صافية مباشرة على هذا النحو. إن ذلك يرقى فقط إلى إعادة توزيع الدخل في المجتمع من قسم إلى آخر.

من ناحية أخرى، يؤدي الدين الخارجي إلى تحويل الثروة من الدولة المقرضة إلى الدولة المقترضة. عندما يتم تقديم القرض من خلال القروض الخارجية، تزداد الموارد المتاحة للدولة المقترضة.

ومع ذلك، عندما يتم سداد قرض أجنبي أو دفع فائدة على هذه القروض، سيكون هناك تحويل للموارد من المدين إلى البلدان الدائنة، مما يتسبب في انخفاض إجمالي موارد البلد المدين[٨]. ولتغطية الفائدة وسداد أصل القرض الخارجي، يتعين على الحكومة المدينة تقليص نفقاتها في المستقبل أو تقليل الإنفاق الخاص عن طريق زيادة الضرائب، وبالتالي تقليل استخدام الموارد في المنزل[٩].

٢. الدين المنتج وغير المنتج:

يعرف الدين بأن منتجا متى ما تم استثماره في أصول أو مشاريع ذات ربحية في المستقبل كما هو الحال في الاستثمار في المشروعات ذات العوائد القصيرة الاجل أو حتى تلك المشروعات التنموية كالاستثمار في البنى التحتية كما في السكك الحديدية والري والمشاريع متعددة الأغراض للسلطة العامة لدفع الفوائد السنويةً كافياً والتي تدر دخلا، وما إلى ذلك ا للمساعدة في سداد رأس المال على المدى الطويل. [١٠].

وعلى هذا النحو، فإن "الدين العام" المنتج هو ذاتي التصفية؛ أي ذلك ليس بحاجة الى أعباء كبيرة في تحقيق سداده عند الاستحقاق.

أما الدين غير المنتج فهو الدين الذي لا يضيف إلى الأصول الإنتاجية للبلد. عندما تقترض الحكومة لأغراض غير منتجة مثل تمويل الحرب، أو الإنفاق الباهظ على الإدارة العامة، وما إلى ذلك، فإن هذه القروض العامة تعتبر غير منتجة.

٣ . ديون قابلة للاسترداد وغير قابلة للاسترداد:

وفقًا لمعيار الاستحقاق، يمكن تصنيف الديون العامة على أنها قابلة للاسترداد أو غير قابلة للاسترداد. تسمى القروض التي تعد الحكومة بسدادها في وقت ما في المستقبل ديون قابلة للاسترداد. بالنسبة للديون القابلة للاسترداد، يجب على الحكومة أن تتخذ بعض الترتيبات لسدادها. وبالتالي فهي قروض قابلة للانتهاء.

في حين أن القروض التي لم تقدم الحكومة وعدًا بشأن تاريخ استحقاقها بالضبط، وكل ما تفعله الحكومة هو الموافقة على دفع الفوائد بانتظام للسندات الصادرة، تسمى ديونًا غير قابلة للاسترداد[١١].

فترة استحقاق الديون الغير قابلة للاسترداد ليست ثابتة. وهي عادة لمدة طويلة. بموجب هذه القروض، فإن المجتمع مثقل بالديون الدائمة، حيث سيتعين على دافعي الضرائب دفع مبالغ كبيرة في النهاية. لذلك، تفضل الديون القابلة للاسترداد[١٢].

المبحث الثاني: تقسيم الدين العالمي وفقا للمناطق الرئيسية[١٣]:

وفقًا للأرقام في الجدول (١) والصادر عن البنك الدولي، يتركز أكثر من ٩٠٪ من الديون العالمية في أمريكا الشمالية وآسيا والمحيط الهادئ وأوروبا – وفي الوقت نفسه، تمثل مناطق مثل أفريقيا وأمريكا الجنوبية وغيرها أقل من ١٠٪. وهذا متوقع، نظرًا لأن الاقتصادات المتقدمة تحمل الجانب الأكبر من اجمالي الدين العالمي (حوالي ٧٥,٤ ٪ من مجموع الدين العالمي)، بينما تكون حصة الاقتصادات الناشئة أو النامية ما تبقى (حوالي ٢٤,٦% من مجموع الدين العالمي).

الجدول (١): الديون العالمية بحسب المنطقة الجغرافية في الحكومي الخارجي ٢٠١٩[١٤]

المنطقة	الدين إلى "الناتج المحلي الإجمالي"	إجمالي الدين (بملايين الدولارات الأمريكية)	٪ من إجمالي الديون العالمية
آسيا والمحيط الهادئ	%٧٩,٨	٢٤,١٢٠$	%٣٤,٨
أمريكا الشمالية	%١٠٠,٤	٢٣,٧١٠$	%٣٤,٢
أوروبا	%٧٤,٢	١٦,٢٢٥$	%٢٣,٤
امريكا الجنوبية	%٧٥,٠	٢,٦٩٩$	%٣,٩
أفريقيا	%٥٦,٩	١,٣١٣$	%١,٩
أخرى	%٣٧,١	١,٢٣١$	%١,٨
العالم	%٨١,٨	٦٩,٢٩٨$	%١٠٠,٠

١. الدين العالمي وفقا للبلدان مصنفة وفقاً لمستوى الدخل:

ازداد رصيد الديون الخارجية للبلدان منخفضة الدخل ومتوسطة الدخل بنسبة ٥,٢% في ٢٠١٨ إلى ٧,٨ تريليون دولار، بوتيرة تراكم أبطأ مما كان عليه الحال في ٢٠١٧. وماعدا أكبر عشرة بلدان مقترضة (الأرجنتين والبرازيل والصين والهند وإندونيسيا والمكسيك وروسيا وجنوب أفريقيا وتايلند وتركيا)، ارتفع رصيد الديون الخارجية للبلدان منخفضة الدخل ومتوسطة الدخل بنسبة ٤% [١٥].

وانخفض صافي تدفقات الدين المسدد (إجمالي المدفوعات مطروحا منها أقساط سداد أصل القروض) إلى البلدان منخفضة الدخل ومتوسطة الدخل بنسبة ٢٨% في ٢٠١٨ إلى ٥٢٩ مليار دولار. وفي الوقت نفسه، انخفض صافي التدفقات المالية (شاملة الديون وحقوق الملكية) إلى تلك البلدان بنسبة ١٩% في عام ٢٠١٨، وماعدا الصين بلغت نسبة الانخفاض ٢٩%.

وتُقدِّم مطبوعة إحصاءات الديون الدولية للمستخدمين مُلخَّصا للمستجدات الرئيسية على صعيد الديون الخارجية وغيرها من التدفقات المالية إلى تلك البلدان، وتبرز العوامل المُسبِّبة للتغيرات السنوية في البيانات. ويتضمن تقرير هذا الحكومي الخارجي سمات جديدة تهدف إلى تحسين الوصول إلى البيانات الأساسية.

وتشير مؤشرات الديون إلى أن أعباء الديون قد تساهم في التعرُّض لصدمات اقتصادية. فعلى سبيل المثال، ظلت نسبة الديون الخارجية إلى إجمالي الدخل القومي للبلدان منخفضة الدخل ومتوسطة الدخل في المتوسط مستقرة عند مستوى معتدل ٢٦%، ولكن ماعدا الصين التي سجلت مستوى منخفضا لنسبة الديون الخارجية إلى إجمالي الدخل القومي (١٤%)، بلغت نسبة الديون الخارجية إلى إجمالي الدخل القومي للبلدان منخفضة الدخل ومتوسطة الدخل في المتوسط نحو ٣٥%. وماعدا الصين أيضا التي سجَّلت مستوى منخفضا لنسبة الديون الخارجية إلى الصادرات (٦٨%)، فإن نسبة الديون إلى الصادرات لدى هذه البلدان بلغت ١٢٠%.

إضافة لما تقدم يلاحظ انه ومنذ مطلع عام ٢٠٠٩ فقد تزايد عدد البلدان التي ارتفعت فيها مستويات الديون – كنسبة من الدخل القومي–. وعلى مدى السنوات العشر الماضية، ارتفعت نسبة البلدان التي تزيد فيها نسب الديون إلى إجمالي الدخل القومي عن ٦٠% إلى ٣٠%، وقفزت نسبة البلدان التي تخطت فيها نسب الديون إلى إجمالي الدخل القومي ١٠٠% إلى ٩%.

وانطوت البيانات على رسالة أخرى مفادها أن تراجع عمليات الاقتراض الجديدة يُؤكِّد مخاوف المستثمرين بشأن القدرة على الاستمرار في تحمُّل أعباء الديون لدى بعض البلدان المؤهلة للاقتراض من المؤسسة الدولية للتنمية، ذراع مجموعة البنك لتمويل أشد بلدان العالم فقرا ("البلدان المؤهلة للاقتراض من المؤسسة فقط").

وزاد صافي تدفقات الديون إلى البلدان المؤهلة للاقتراض من المؤسسة الدولية للتنمية فقط بنسبة ٣٢% في ٢٠١٨، لترتفع مستويات الديون الخارجية لدى هذه البلدان بنسبة ٦% إلى ٣٨٨ مليار دولار. وقد تضاعف رصيد الديون الخارجية مجتمعة للبلدان المؤهلة للاقتراض من المؤسسة الدولية للتنمية فقط منذ عام ٢٠٠٩، لكن ارتباطات القروض الخارجية الجديدة لكيانات القطاع الحكومي الخارجي انخفضت نحو ٤% إلى ٤٥,٨ مليار دولار في ٢٠١٨.

ونلحظ ان هذه المدة شهدت تراجعا ملحوظا في عمليات الإقراض من الدائنين غير الأعضاء في نادي باريس إلى البلدان المؤهلة للاقتراض من المؤسسة فقط. وانخفضت نسبة ارتباطات الإقراض الجديدة من الجهات الدائنة الثنائية غير الأعضاء في نادي باريس إلى ١٧% (مواصلةً اتجاهها النزولي من ٤٣% في ٢٠١٠)، لكن نسبة ارتباطات الإقراض الجديدة من الجهات الدائنة الثنائية الأعضاء في نادي باريس ظلت مستقرة عند نسبة ١٢%.

المبحث الثالث: الدين الحكومي الخارجي في العراق في الفترة (٢٠٠٤-٢٠١٨):

أولا: المدخل الوصفي للدين الخارجي في العراق:

كغيره من الدول لجأ العراق للدين الخارجي لتحسين أوضاعه الاقتصادية، فبعد ان تلقى العراق العديد من الضربات التي أدت الى انهيار أسعار النفط واثارها المدمرة على اقتصاد، هذا غير ما لحق البلاد من عجز في الموازنة الاتحادية بسبب ارتفاع النفقات وانخفاض الإيرادات. ولتلبية الاحتياجات المتزايدة المترتبة على الحروب التي توالت على البلاد، اضطرت الحكومة للجوء إلى الاقتراض الخارجي لتمويل الإنفاق الحالي المتضخم (الأجور، والإعانات، ونظام الرعاية الاجتماعية).[١٦]

ويوضح الجدول (٦) الدين الخارجي وبيانات خدمة الدين الخارجي نسب خدمة الدين الخارجي الى الصادرات للعراق ابتداء من عام ٢٠٠٤ وحتى العام ٢٠١٨.

الجدول (٣): الدين الخارجي وبيانات خدمة الدين الخارجي ونسب خدمة الدين الخارجي الى الصادرات للعراق في الفترة (٢٠٠٤-٢٠١٨)

السنوات	الدين الخارجي	خدمة الدين الخارجي	خدمة الدين الخارجي (الصادرات%)
٢٠٠٤	١٢٢,٦	٠,٢	٣٠,٣
٢٠٠٥	١١١,٤	٠,٢	١٥,٥
٢٠٠٦	٩٩,٣	١,٢	٧,٣
٢٠٠٧	١٠٢,٢	٠,٨	٦,٥

٢٠٠٨	٣٣	٠,٩	٥,٩
٢٠٠٩	٣٣,٩	٠,٤	٥,٧
٢٠١٠	٦٠,٩	٠,٥	٥,٨
٢٠١١	٦١	٢,٦	٣,٩
٢٠١٢	٦٠,٣	١,٦	٣,٨
٢٠١٣	٥٩,٢	١,١	٣,٧
٢٠١٤	٥٧,٦	٠,٨	٣,٢
٢٠١٥	٦٦,١	١,٥	١,٦
٢٠١٦	٦٧,٥	١,٢	١,٤
٢٠١٧	٧٣,٧	١,١	١,١
٢٠١٨	٨٣	١,٩	١,٦

المصادر:

البنكً الدولي لنسبة النمو الاقتصادي

https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.KD.ZG

Iraq: First Review Under the Stand-By Arrangement, Request for Waiver of Nonobservance of a Performance Criterion, Waiver of Applicability, and Rephrasing of Acces, International onetary Fund, IMF Country Report No.١٠/٣١٦, Pag ١٩.

imf.org/external/pubs/ft/scr/٢٠١٠/cr١٠٣١٦.pdf

تتألف التقديرات للديون الخارجية من أربعة مجاميع أساسية، المجموعة الأولى جمعت من الدائنين غير المنتمين إلى نادي باريس وكانت معظم هذه الأموال على شكل قروض اتخذها نظام ما قبل عام ٢٠٠٣ خلال الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٨٠– ١٩٨٨، حيث قدمت دول مجلس التعاون الخليجي الدعم للعراق، وهي ما تزال معلقة وشبه مجمدة منذ عام ٢٠٠٣ إذ لم يدفع العراق تلك المبالغ ولم يطالب الدائنون بالسداد.

أما المجموعة الثانية من الديون فهي قادمة من نادي باريس، وهي ديون معاد هيكلتها، إذ كانت تبلغ ٤٠ مليار دولار في عام ٢٠٠٣ بيد أنه أعيد هيكلتها واستقطاعها في الحكومي الخارجي ٢٠١٧ بنسبة ٩٠ ٪. وتحمل هذه الديون معدل فائدة فعالا بلغ ٣,٢ ٪ يتم دفعه على مدار ٢٨ عاما.

وتتمثل المجموعة الثالثة من الديون في سندات اليورو وهي الديون الخارجية الوحيدة لدى العراق القائمة على أساس تجاري بحت. وتتكون من ٣ سندات أصدر السند الأول بقيمة ٢,٧ مليار دولار في عام ٢٠٠٩ بنسبة فائدة تبلغ ٥,٨ % على أن يكون الموعد النهائي للتسديد في عام ٢٠٢٨، أما السند الثاني فهو بقيمة ١ مليار دولار أصدر في عام ٢٠١٧ وبمعدل فائدة بلغ ٢,١ ٪ مدعومة من قبل الحكومة الأميركية على أن يكون الموعد النهائي للتسليم في سنة ٢٠٢٢ والسند الأخير بقيمة ١٠ مليار دولار الذي أصدر عام ٢٠١٧ فمن المقرر أن يكون الموعد النهائي للتسديد سنة ٢٠٢٣ وبمعدل فائدة ٦ ،٥ ٪.

وتكونت المجموعة الرابعة من ديون في شكل قروض معظمها من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والدائنين الثنائيين عام ٢٠١٤. وقد وقر معظم هذه الأموال على شكل مساعدات ودعم لتمويل العجز في الموازنة؛ وبالتالي فهي عند معدلات فائدة سخية وعند شروط سداد سهلة. وهنالك جزء من هذا المبلغ بقيمة ٣ مليارات دولار عبارة عن متأخرات للنظراء التجاريين بما في ذلك تلك الخاصة بشركات النفط الدولية (IOC) أو للدائنين التجاريين.

يفترض صندوق النقد الدولي إعادة هيكلة الديون للدائنين غير الأعضاء في نادي باريس واستقطاع ٩٠٪ منه أو يلغي كلية كجزء من عملية بناء علاقات أكثر تماسك مع دول مجلس التعاون الخليجي اعتمادا على طبيعة العلاقات المستقبلية. وكان هذا الموضوع محور النقاش على مدى عدة سنوات، حيث تنازلت الإمارات عن ديونها البالغة ٧ مليارات دولار في عام ٢٠٠٨ لكن الدول الأخرى احتفظت بالمتبقي من الديون بسبب العلاقات المضطربة بين العراق خلال المدة من عام ٢٠٠٩ إلى عام ٢٠١٤.

في عام بحسب ما أشار الية صندوق النقد الدولي ٢٠١٧ كانت الديون الخارجية المتبقية –باستثناء هذا الدين البالغ ٤١ مليار دولار – تتمتع بشروط تساهلية للغاية، إذ إن ما يزيد عن ٧٠٪ من هذه الديون كانت على شكل قروض رسمية وبمعدل فائدة بلغ ٣٪ في عام ٢٠١٧، في حين بلغ متوسط الفترة الزمنية لتأريخ الاستحقاق أو المدة التي يستحق فيها السداد الكامل هي ثمانية أعوام ونصف الحكومي الخارجي وأن الاستحقاق الفعلي هو ٣٠ عاما.

وفي الحكومي الخارجي ٢٠١٩ أظهرت بيانات الديون الخارجية للعراق ما يأتي : بلغت الديون الميسرة هذه (باستثناء ٤١ مليار دولار و ٤,٧ مليار دولار سندات اليورو) ٢٠٠٩ مليار دولار، وبلغت مدفوعات الفائدة هر. مليار دولار؛ في حين بلغت قيمة سداد الديون ١,٨ مليار دولار مقابل مجموع خدمة الديون البالغة ١,٣ مليار دولار؛ وهذا يعادل ٠,٨ ٪ من "الناتج المحلي الإجمالي" لعام ٢٠١٦ و١,٢ ٪ من صادرات العراق؛ والنتيجة هي أن خدمة الديون منخفضة للغاية بالنسبة لحجم "الناتج المحلي الإجمالي" للعراق وأن مدة الدفع متسامحة للغاية.[١٧]

ثانيا : بيان أثر الدين الحكومي الخارجي في النمو الاقتصادي في العراق : المدخل الاحصائي:

١- الاحصاء الوصفي لمتغيرات الدراسة Descriptive Statistics of the Study Variables:

تم استخدام برنامج الحزم الاحصائية للبيانات المالية E-views من أجل وصف البيانات وتوضيح معالم الدراسة باستخدام الاساليب الاكثر شيوعاً بين الباحثين وهي الوسط الحسابي والانحراف المعياري وأقل قيمة وأكبر قيمة،

والتي من خلالها يمكن أن نقيس الى اي مدى يمكن الاعتماد عليها من أجل الوصول لوصف معلومات المجتمع، وتساعد في اختبار المعنوية. حيث يوضح الجدول (١) نتائج الاحصاء الوصفي لمتغيرات الدراسة

الجدول (٤) الاحصاء الوصفي لمتغيرات الدراسة Descriptive Statistic

البيان	النمو الاقتصادي (% لتغير "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)	"الدين الخارجي المحلي (% "الناتج الإجمالي" GDP)	العام" خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات)
المتوسط الحسابي	٨,٨٣٦	٧٧,٣٧٢	٦,٤٨٧
الانحراف المعياري	٣,٤٩٢	٢٠,٠٣٦	١,٩٣٥
اقل قيمة	-٢,٤٩	٢١,٤٢	١,١
اكبر قيمة	٥٤,١٦	٢٥٢,٠٦	٣٠,٣٠

يظهر الجدول (٧) من اعداد الباحثة اعتماداً على مخرجات برنامج E-views

النتائج:

١. التحليل الوصفي لمتغير النمو الاقتصادي (% لتغير "الناتج المحلي الإجمالي" GDP): حيث تبين من الجدول أن المتوسط الحسابي لتغير "الناتج المحلي الإجمالي" بلغ (٨,٨٣٦) وبانحراف معياري (٣,٤٩٢) رغم

أن هذه النسب تدل على معدل نمو اقتصادي جيد الا انها متقلبة وتعاني من انخفاض النمو الاقتصادي العراقي نسبة الى بلد نفطي زراعي منتج بشكل كبير يمتلك قدرات وموارد كبيرة، وبلغت اقل قيمة للنمو الاقتصادي (% من "الناتج المحلي الإجمالي") (٢,٤٩-) وكان ذلك في عام (٢٠١٥) وتعزو الباحثة السبب كونه الحكومي الخارجي الذي عانى منه العراق من سيطرة داعش على مناطق واسعة بالعراق وبالتالي خسرت جزء من الاراضي الغنية بالثروات والتي كانت تعود على "الناتج المحلي الإجمالي" بعوائد خسرتها وازياد العلميات الارهابية التي ضربت العراق ادى الى جمود السوق العراقية وانخفاض النمو الاقتصادي في العراق، بينما بلغت اعلى قيمة (٥٤,١٦) في عام ٢٠٠٤م وتعزو الباحثة السبب كونه الحكومي الخارجي الذي تمت تسوية ازمة الديون الخارجية على العراق وتم خصم جزء كبير منها وهو الحكومي الخارجي الذي تيمز ب الحكومي الخارجي الذي يلي انتهاء الحرب العراقية واتفاق التسوية المالية التي وافق الكثير من الدائنين بخصم جز من دينها على العراق جراء الحرب وتبعيات النظام السياسي القديم وديونه، بالإضافة الى فتح ملف اعادة اعمار العراق الذي لاقى اقبال من الشركات الدولية للاستثمار في اعمار العراق.

- التحليل الوصفي لمتغير "الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP): حيث تبين من الجدول أن المتوسط الحسابي لتغير "الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP) بلغ (٧٧,٣٧٢) وبانحراف معياري (٢٠,٠٣٦) وهذا يعني ارتفاع الدين الخارجي العراقي كنسبة الى "الناتج المحلي الإجمالي" العراقي وتعزو الباحثة هذه القيمة كون السياسات العراقية الاقتصادية فشلت في ادارة ملف الدين الخارجي والى سنوات الصراع والحروب التي عصفت في العراق والحرب على الارهاب ادت الى اعتماد الموازنات العراقية على الدين الخارجي لتغطية العجز، وبلغت اقل قيمة للدين الخارجي العراقية كنسبة من "الناتج المحلي الإجمالي" (٢١,٤٢) وكان ذلك في عام (٢٠١٣) وتعزو الباحثة السبب الى التشاورات التي أجريت بين المسؤولين العراقيين وصندوق النقد الدولي حول تقوية السياسات العراقية بغية تحقيق امكانيات العراق الاقتصادية وجعل النمو اكثر شمولاً لكل فئات المواطنين وبالتالي تخفيض وتوجيه الدين الخارجي باتجاه تحسين القطاعات التي تعزز النمو الاقتصادي، وكون العامين ٢٠١٠ -٢٠١٢ شهدت ارتفاع في معدل النمو

الاقتصادي وزيادة في انتاج النفط وتوصل الخبراء الى أن انتاج النفط العراقي والذي يمثل العائد الأكبر للناتج المحلي العراقي ارتفع في عام ٢٠١٣ الى نحو ٣,٣ مليون برميل يوميا بالإضافة الى انتعاش القطاعات غير النفطية (صندوق النقد الدولي، ٢٠١٣)، بينما بلغت اعلى قيمة (٢٥٢,٠٦) في عام ٢٠٠٤م وتعزو الباحثة السبب وعلى الرغم من قيام عدد من الدائنين بخصم ديون كبيرة عن العراق الا انه الحكومي الخارجي الذي يلي خروج العراق من الحرب وهي مثقلة بالديون وبالإضافة الى تعويضات الكويت المترتبة على العراق وبدء برنامج النفط مقابل الغذاء أي ان "الناتج المحلي الإجمالي" لم يستعد عافيته وان الديون الخارجية هي الحل لبدء اعادة الاعمار وتنشيط الاقتصاد وسد العجز بالميزانية.

٢. التحليل الوصفي لمتغير خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات): حيث تبين من الجدول أن المتوسط الحسابي لتغير خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات) بلغ (٦,٤٨٧) وبانحراف معياري (١,٩٣٥) وهذا يعني ارتفاع خدمة الدين الخارجي العراقي كنسبة الى الصادرات العراقية وتعزو الباحثة هذه القيمة كون السياسات العراقية الاقتصادية لم توجد جهة مختصة تشرف على دراسة ملف الدين وتستطيع التفاوض مع الدائنين وتحاول جدولته وتستطيع التفاوض مع الجهات الدائنة للحصول على شروط ميسرة وبفائدة أقل، وبلغت اقل قيمة خدمة الدين الخارجي العراقية كنسبة من الصادرات (١,١) وكان ذلك في عام (٢٠١٧) وتعزو الباحثة السبب كونه الحكومي الخارجي الذي زادت فيه الصادرات النفطية للعراق وعلى الرغم من انخفاض اسعار النفط عالميا الا ان الزيادة لصادرات النفط للعراق قللت من نسبة خدمة الدين الى الصادرات، بينما بلغت اعلى قيمة (٣٠,٣٠) في عام ٢٠٠٤م وتعزو الباحثة السبب لتبعيات الحرب العراقية وقبلها حرب الكويت وكون النظام السابق لصدام حسين اخفى حجم ديونه عن العراقيين وظهرت هذه الديون في الحكومي الخارجي ٢٠٠٤ بعد الحرب وكانت بفوائد ومديونية متراكمة وبلغت قيمة الفوائد والاقساط المتراكمة وفوائدها المترتبة على كاهل الاقتصاد العراقي حوالي ٤٧ مليار دولار (البنك الدولي) وهو ما يشكل عبئ كبير كان لا بد من مخاطبة الدول والمنظمات الدائنة لتسوية هذه الديون وفوائدها كونها تبيعات نظام سابق ودخلت العراق في مفاوضات مع اعضاء نادي باريس وبعض الدول الخليجية وروسيا والبنك الدولي وامريكا وغيرها وتوصلت الى

خفض هذه المديونية ولكن في الحكومي الخارجي ٢٠٠٤ كانت خدمة الدين التي تعتبر الفوائد والاقساط المترتبة وفوائدها على العراق كبيرة بالنسبة لصادرات بلد نفطي ولكن خارج من حروب طويلة أثقلت كاهله.

٢- اختبار التوزيع الطبيعي (Normality Assumption in OLS):

تم اجراء اختبار (Jarque-Bera rised) للتأكد من اعتدالية التوزيع والتحقق من عدم وجود مشاكل احصائية في بيانات الدراسة التي قد تنعكس سلباً على اختبار فرضيات الدراسة مثل عدم اعتدالية التوزيع الطبيعي للبيانات.

(Jarque-Bera normality test = ٣,٢٢)

(Probility = ٠,١٩٩٩)

Jarque-Bera test for Ho: normality

يتضح من نتيجة الاختبار أن قيمة Jarque-Bera = ٣,٢٢ وبقيمة معنوية (٠,١٩٩٩>٠,٠٥) وبالتالي نقبل الفرضية Ho أي ان البواقي تتبع التوزيع الطبيعي.

٣- معاملات الارتباط (Correlation Coefficients):

جدول (٨) قيمة معاملات الارتباط بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع

المتغير	"الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)	خدمة الدين الخارجي (% من الصادرات السلع والخدمات)	النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)

"الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)	١,٠٠٠٠٠ -------	٠,٨٩٤١٤٣* ٠,٠٠٠٠	-٠,٥٧٥٠٦٤* ٠,٠٢٤٩
خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات)	٠,٨٩٤١٤٣* ٠,٠٠٠٠	١,٠٠٠٠٠ --------	-٠,٨٢٦٣٩٧* ٠,٠٠٠١
النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)	-٠,٥٧٥٠٦٤* ٠,٠٢٤٩	-٠,٨٢٦٣٩٧* ٠,٠٠٠١	١,٠٠٠٠٠ ------

*الارتباط دال احصائياً عند مستوى دلالة ٠,٠٥ ≥ α.

يتضح من نتائج الجدول لمعاملات الارتباط بين المتغيرات النتائج التالية:

٣. يوجد علاقة ارتباط بين متغير "الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP) والمتغير خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات) حيث بلغ نتيجة اختبار معامل ارتباط بيرسون (r = ٠,٨٩) وباحتمالية (٠,٠٠٠<٠,٠٥) وبالتالي فإن العلاقة بين المتغيرين علاقة طردية نظراً للاشارة الموجبة لقيمة r وهي علاقة طردية قوية نظرا أن (١> r >٠,٧٥) وهي علاقة طردية قوية أي أنه كلما ارتفعت نسبة الدين الخارجي العراقي الى "الناتج المحلي الإجمالي" فإن خدمة الدين (الفوائد والاقساط المستحقة الدفع) نسبة مئوية الى الصادرات ترتفع وفق علاقة طردية قوية.

٤. يوجد علاقة ارتباط بين متغير "الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP) والمتغير النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP) حيث بلغ نتيجة اختبار معامل ارتباط بيرسون (r = −٠,٥٨) وباحتمالية (٠,٠٢٤٩<٠,٠٥) وبالتالي فإن العلاقة بين المتغيرين علاقة عكسية نظراً للإشارة السالبة لقيمة r وهي علاقة عكسية متوسطة نظرا أن (−٠,٧٥ < r <−٠,٥) وهي علاقة عكسية متوسطة أي أنه كلما ارتفعت نسبة الدين الخارجي العراقي الى "الناتج المحلي الإجمالي" فإن النمو الاقتصادي (% للناتج المحلي الاجمالي) ينخفض تبعا لاثار الديون وثقلها وفق علاقة عكسية متوسطة.

٥. يوجد علاقة ارتباط بين متغير خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات) والمتغير النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP) حيث بلغ نتيجة اختبار معامل ارتباط بيرسون (r = −٠,٨٣) وباحتمالية (٠,٠٠٠١<٠,٠٥) وبالتالي فإن العلاقة بين المتغيرين علاقة عكسية نظراً للإشارة السالبة لقيمة r وهي علاقة عكسية قوية نظرا أن (−١ < r <−٠,٧٥) وهي علاقة عكسية قوية أي أنه كلما ارتفعت خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات) فإن النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP) تنخفض وفق علاقة عكسية قوية.

٤- اختبار الارتباط الذاتي Durbin–Watson:

تم استخدام اختبار Durbin–Watson الأكثر شيوعًا والمستخدم من أجل قياس اذا كان هنالك اي ارتباط ذاتي الذي ان وجد يسبب انحياز في قيم المعلمات المقدرة، والذ يعرف بانه الارتباط بين حدود الخطأ العشوائي لنموذج الانحدار، وتتراوح قيمة هذا الاختبار من (٠-٤) ويتم رفض وجود ارتباط تلقائي إذا كانت القيمة (٢<DW<٤-dL)، أو (dU<DW<٢) ومن جدول قيم Durbin–Watson الموضحة في الملحق رقم(٢) حيث أن n=١٥ مشاهدة، k=٢ عدد المتغيرات المستقلة باستثناء القاطع، جدنا أن منطقة قبول الفرضية العدمية التي تنص على عدم وجود ارتباط ذاتي حيث dL=٠,٩٥، dU=١,٥٤،

وبالتالي فإن منطقتي القبول للفرضية التي تدل على عدم وجود ارتباط ذاتي (٢<DW<٣,٠٥)، أو (١,٥٤<DW<٢).

Durbin-Watson d-statistic (٢, ١٥) = ٢,٤٢٥

وبالتالي لا توجد مشكلة ارتباط ذاتي بين حدود الخطأ العشوائي لنموذج الانحدار.

٥- اختبار عدم تجانس التباين Heteroscedasticity:

لاختبار تجانس التباين بين السلاسل الزمنية قامت الباحثة باختبار Heteroscedasticity Test: ARCH ومناقشة الفرضية الصفرية

H٠: تجانس التباين بين السلاسل الزمنية.

جدول ٩) نتائج اختبار F-test للتجانس

الاختبار	قيمة F-test	P_value
F-statistic	٠,٦٩١٠٢٦	٠,٤٢٢٠
Obs*R-squared	٠,٧٦٢٣٠٠	٠,٣٨٢٦

تبين من نتائج الجدول أن قيمة (Obs*R-squared =٠,٩٥٦١٠٥) وبمعنوية (Prob. Chi-square(١) =٠,٣٨٢٦ >٠,٠٥) وبالتالي فإن النموذج لا يعاني من شمكلة عدم تجانس التباين، كما ان قيمة (F-statistic= ٠,٦١٠٢٦) وبمعنوية (٠,٤٢٢٠>٠,٠٥) وبالتالي فإن F المحسوبة أكبر من (F= ٠,٤٣٣٦٣) الجدولية وبالتالي نرفض الفرضية الصفرية ويوجد تجانس بين المعاملات المتعلقة بالمتغيرات المفسرة (المستقلة)، وبالتالي فإنه يوجد تباين في الثابت ما بين الوحدات (أي أن الثابت بالنسبة لمتغير نسبة الدين الخارجي الى الناتج المحلي يختلف عن الثابت بالنسبة لخدة الدين الخارجي الى الصادرات)، وبالتالي فإن نموذج التأثيرات الفردية الثابتة أفضل من النموذج التجميعي لإيجاد معادلة الانحدار.

٦- اختبار سكون السلاسل الزمنية :

استخدمت الباحثة اختبار Augmented DICKEY-FULLER لاستقرار السلاسل الزمنية

حيث أن حجم عينة الدراسة ١٥ أقل من ٢٥ وتم تحديد درجة تأخير (١) لمركبة السلسلة الزمنية. كما أن قيمة t-Statistic الجدولية تساوي (-٣,٠٠) حسب جدول DICKEY-FULLER الملحق رقم (٣) وبالتالي اذا كانت قيمة t المحسوبة أقل من قيمة t الجدولية فإن السلسلة الزمنية تكون مستقرة وفي حال وجود اثر من خلال تطبيق اختبار الانحدار الخطي البسيط فإن هذا الأثر لا يكون اثر وهمي أو زائف، ومن خلال اختبار فرضية : Ho: وجود جذور للوحدة (عدم استقرارية السلسلة الزمنية).

جدول (١٠) نتائج اختبار جذر الوحدة (Unit Root Test) لمتغيرات الدراسة

المتغيرات	A			
	المستوى		الفرق الأول	
	t-Statistic	Prob.*	t-Statistic	Prob.*
النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)	-٩,٥٩١٣٦٧	٠,٠٠٠٠		

Y(-١)				
"الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP) X١(-١)	-٢,٤٦٩٨٣٩	٠,١٤٣٩	-٨,٣٨٥٣٨١	٠,٠٠٠٠
خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات) X٢(-١)	-٩,٧٣٩٦٢١	٠,٠٠٠٠		

*رفض عدم سكون (استقرارية) السلسلة عند مستوى (٠,٠٥).

يتضح من نتائج الجدول (١٠) قيمة (t-Statistic) المحسوبة لكل من السلسلتين النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)، وخدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات) جاءت أقل من (t-Statistic =-٣,٠٠) وبالتالي فإن السلسلتين مستقرتين في مستواها وما يعزز ذلك أن الاحتمالية (Prob. = ٠,٠٠٠ < ٠,٠٥) وبالتالي يتم رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة التي تدل على سكون (استقرارية) السلسلتين في مستواها.

من نتائج الجدول لسلسلة المتغير "الدين الحكومي الخارجي (% الناتج المحلي الإجمالي GDP)" يتضح أن السلسلة غير مستقرة وكون (t-Statistic) المحسوبة أقل من الجدولية وانها غير معنوية في مستوها، وباخذ الفرق الأول للحصول على استقرارية السلسلة الزمنية حيث أصبحت قيمة (t = -٣,٠٠ >-٨,٣٨٥) وبمعنوية (٠,٠٠٠<٠,٠٥) وبالتالي ترفض الفرضية الصفرية وتقبل فرضية سكون السلسلة بعد اخذ الفرق الاول. وبالتالي حصلنا على استقرارية السلاسل الزمنية وأنه في حال وجد أي اثر لأي من المتغيرين المستقلين على المتغير التابع يكون أثر حقيقي وخالي من المشاكل الاحصائية وغير زائف وهو أيضاً مؤشر جيد لاختبار التكامل المشترك بين السلاسل الزمنية.

٧- اختبار التكامل المشترك :

بعد التحقق من الشرط الاول وهو سكون السلاسل الزمنية، وتحديد درجة تكامل كل سلسة زمنية على حده، والتاكد من أن جميع السلاسل متكاملة من نفس الدرجة، قامت الباحثة باجراء اختبار جوهانسون للتكامل المشترك للتحقق من أن هنالك علاقة تكامل طويلة الامد بين متغيرات الدراسة، وبغية تحديد عدد متجهات التكامل تم استخدام الاختبار الاحصائي Trace test (λtrac) واختبار ومقارنة القيم Trace test مع اليقم الحرجة Critical Value وتم اجراء التكامل وفقاً للفرضيات:

Ho: r =٠ وهي تدل على عدم رصد اي تكامل مشترك لمتجهات السلسلة.

H١: r > ١ وهي تدل على رصد تكامل مشترك على الاقل لمتجهات السلسلة.

جدول (١١) نتائج اختبار التكامل المشترك بطريقة جوهانسون لمتغيرات الدراسة

الفرضيات	Rank Test (Trace)	
	Critical Value (Sig =٠,٠٥)	Trance Statistic
None*	٢٩,٧٩٧٠٧	٣٦,٣٨٩٣٢
At most ١*	١٥,٤٩٤٧١	١٨,٠٠٢٣٣
At most ٢	٣,٨١٤١٤٦٦	٢,٣٠٠٣٥٩

Trace test indicates ٢ cointegrating eqn(s) at the ٠,٠٥ level

* denotes rejection of the hypothesis at the ٠,٠٥ level

**MacKinnon-Haug-Michelis (١٩٩٩) p-values

تبين من نتائج الجدول أن قيم (Trance Staistic) أكبر من القيم الحرجة (Critical value) عند (r=٠, r=١) وجاءت معنويتها أقل من مستوى الدلالة (٠,٠٥)، وبالتالي فإننا نرفض الفرضية الصفرية

ويوجد تكامل مشترك وعدد متجهاته (r+١) أي أن متجهات التكامل المشترك وحسب نتائج الاختبار في الجدول (٢) تكامل مشرتك، وبناء على النتيجة يتضح وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين المتغيرات.

٨- الانحدار الخطي المتعدد:

بعد اجراء الاختبارات الاحصائية للسلاسل الزمنية (متغيرات الراسة) والتأكد من اعتدالية التوزيع وتجانس التباين وحساب معاملات الارتباط بين متغيرات الدراسة والتاكد من عدم وجود مشكلة ارتباط ذاتي بين متغيرات الدراسة وللتحقق من سكون السلاسل الزمنية ووجود تكامل مشترك بين السلاسل على الأمد الطويل وأن العلاقة خطية، قامت الباحثة باختبار الانحدار الخطي المتعدد باستخدام نموذج المربعات الصغرى (OLS)

جدول (١٢) يبين نتائج معاملات الانحدار القياسي المتعدد (أثر المتغيرات المستقلة على المتغير التابع)

المتغيرات	Standardized Coefficients Beta	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	١,٦١٩٨٣٣	٢,٣٢١٥٥٦	٠,٦٩٧٧٣٦	٠,٤٩٨٦
"الدين العام" الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي" GDP)	-٠,١٤٢٤١١	٠,٠٤٨٠٨٣	-٢,٩٦١٧٩	٠,٠١١٩
خدمة الدين الخارجي (% للصادرات من السلع والخدمات)	-٢,٨١١١٢٣	٠,٤٩٨١٢٣	- ٥,٦٤٣٤٣١	٠,٠٠٠١
R Square	٠,٨١٦٨٣٢			
Adjusted R Square	٠,٧٨٦٣٠٤			
F - statistic	٢٦,٧٥٦٧٩			
Prob(F-statistic)	٠,٠٠٠٠٣٨			

يمكن ملاحظة من الجدول (١٢) ما يلي:

٦. اختبار F: بلغت قيمة (F=٢٦,٧٦) بقيمة احتمالية (Prob. = ٠,٠٠٠) وهي اقل من (٠,٠٥) وبالتالي فإن هنالك علاقة تأثير بين المتغيرات المستقلة مجتمعة أو أحدها على المتغير التابع وبالتالي فإن النموذج المقدر جيد للتنبؤ ويمكنه بيان الاثر.

٧. اختبار T: وجدنا من نتائج الجدول أن القيم الناتجة من الاختبار T للمتغير المستقل الأول ("الدين العام" الخارجي % الى "الناتج المحلي الإجمالي") بلغت (-٢,٩٦٢) وهي معنوية بقيمة احتمالية (٠,٠١١٩) وهي أقل من (٠,٠٥) ولذلك فإن المتغير المستقل المدرج في النموذج هو دال احصائياً، وقيمة اختبار T للمتغير المستقل الثاني (خدمة الدين الخارجي % الى الصادرات) بلغت (-٥,٤٦٣) وهي معنوية بقيمة احتمالية (٠,٠٠٠١) وهي أقل من (٠,٠٥) ولذلك فإن المتغير المستقل المدرج في النموذج هو دال احصائياً، وبالتالي لإن المتغيرات المستقلة المدرجة في النموذج هي دالة إحصائياً.

٨. قيمة معامل التحديد (R-Square=٠,٨٢) وهي نسبة جيدة وبالتالي فغن النموذج المختار صالح لتحديد الانحدار والأثر، كما أن قيمة معامل التحديد المعدل (Adjusted R-square=٠,٧٨٦) وهذه القيمة تدل الى أن المتغيرات المستقلة في النموذج المقدر مجتمعة تفسر ما نسبته ٧٩% من التغير الحاصل في النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي")، وتعود النسبة المتبقية الى عوامل أخرى مثل الواردات والكساد وغيرها من العوامل المؤثرة.

٩. يوجد أثر ذو دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) للدين الخارجي (% "الناتج المحلي الإجمالي") على النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي") في العراق.

١٠. يوجد أثر ذو دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) لخدمة الدين الخارجي (% الصادرات) على النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي") في العراق.

١١. من خلال تطبيق النموذج واعتماداً على نتائج الجدول (٦) يمكن كتابة معادلة الانحدار :

$$Y = ١.٦١٩٨ - ٠.١٤٢ * X1 - ٢.٨١١١٢٣ * X2$$

١٢. يتضح من معادلة الانحدار الخطي المتعدد:

توجد علاقة عكسية بين الدين الخارجي (% الى "الناتج المحلي الإجمالي") والنمو الاقتصادي (% بـ "الناتج المحلي الإجمالي") في العراق : من خلال النتائج تبين معامل انحدار الدين الخارجي (٠,١٤٢-) وهذا يعني أنه كلما زاد الدين الخارجي بمقدار وحدة واحدة مئوية بالنسبة للناتج المحلي الاجمالي مع ثبات المتغير المستقل الاخر فإن النمو الاقتصادي (التغير في "الناتج المحلي الإجمالي") ينخفض بمقدار (٠,١٤٢) وحدة.

توجد علاقة عكسية بين خدمة الدين (% الى الصادرات) والنمو الاقتصادي (% بـ "الناتج المحلي الإجمالي") في العراق: من خلال النتائج تبين معامل انحدار الدين الخارجي (٢,٨-) وهذا يعني أنه كلما زادت خدمة الدين الى الصادرات بمقدار وحدة واحدة مئوية مع ثبات المتغير المستقل الاخر فإن النمو الاقتصادي (التغير في "الناتج المحلي الإجمالي") ينخفض بمقدار (٢,٨) وحدة.

وبالتالي فإن زيادة وحدة واحدة في الدين الخارجي (% للناتج المحلي الاجمالي) تؤدي الى انخفاض النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي") بمقدار (٠,١٤٢)، كما أن زيادة وحدة واحدة في نسبة خدمة الدين الخارجي (% الى الصادرات) يؤدي الى خفض النمو الاقتصادي (% "الناتج المحلي الإجمالي") بمقدار (٢,٨).

الهوامش:

١ محمد إسماعيل محمد؛ علي أحمد الأمين .أثر الديون الخارجية على أداء بعض مؤشرات الاقتصاد الكلي في السودان ١٩٩٣-٢٠١٧. PhD Thesis. ٢٠١٩. جامعة السودان للعلوم والتكولوجيا.

٢EICHENGREEN, Barry, et al. Public debt through the ages. National Bureau of Economic Research, ٢٠١٩.

٣ÉGERT, Balázs. Public debt, economic growth and nonlinear effects: Myth or reality?. Journal of Macroeconomics, ٢٠١٥, ٤٣: ٢٢٦-٢٣٨..

٤MOHANTY, Ranjan Kumar, et al. How does public debt affect the Indian macroeconomy? A structural VAR approach. ٢٠١٩..

٥ خالد المجالي؛ حذيفه القراله. (٢٠١١-أثر "الدين العام" الخارجي على الميزان التجاري الأردني خلال الفترة ١٩٨٠,٤,٣٠, ٢٠٢٠, Humanities and Social Sciences Series.)

٦KHAN, Lubna; ARIF, Imtiaz; WAQAR, Sundus. The Impact of Military Expenditure on External Debt: The Case of ٣٥ Arms Importing Countries. Defence and Peace Economics, ٢٠٢٠, ١-١٢..

٧ بن صابر؛ فتيحة .المديونية الخارجية وأثرها على التنمية. PhD Thesis. ٢٠١٩. بقنيش عثمان.

٨ آلاء الامين المهدي حاج؛ محمد. مشاكل السيولة النقدية وتأثيرها علي الاداء المالي بالبنوك (بالتطبيق على بنك فيصل الاسلامي). ٢٠٢٠.

٩RAO, Muhammad Waris. Impact of External Debt on Stock Market Performance and Economic Growth: Moderating Role of Capital Formation. Journal of Finance and Accounting Research, ٢٠٢٠, ٢,١: ١-١٠..

١٠ AMENDOLA, Mario; GAFFARD, Jean-Luc; PATRIARCA, Fabrizio. Inequality and growth: the perverse relation between the productive and the non-productive assets of the economy. Journal of Evolutionary Economics, ٢٠١٧, ٢٧,٣: ٥٣١-٥٥٤..

(١١) دواس، أمين .et al, شرح مبادئ الينيدروا لعقود التجارة الدولية. ٢٠١٦.

١٢LOTFALIEI, Babak. Zero leverage and the value in waiting to have debt. Journal of Banking & Finance, ٢٠١٨, ٩٧: ٣٣٥-٣٤٩..

١٣صندوق النقد الدولي ، تقرير آفاق الاقتصاد العالمي للعام ٢٠١٩

١٤ بيانات الديون العالمية الصادرة من البنك الدولي

١٥ مطبوعة إحصاءات الديون الدولية

http://www.iraq-businessnews.com/٢٠١٧/٠٧/١٧/economic-consequences-postmosul/.١٦

١٧ التقرير القُطري لصندوق النقد الدولي . ١٧ / ٢٥١ وزارة المالية «نشرة "الدين العام" الفصلية ٢، ٢٠١٧ نشرة "الدين العام" الفصلية٢.pdf http://www.mof.gov.iq/obs/ar/Documents/

وزارة المالية "اسرتاتيجية إدارة الدين على المدى المتوسط وزراة المالية " ٢٠١٦ عرب: https://goo.gl/Ty٦Kih

الحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي وسبل النهوض بها في العراق

أ.د. مايح شبيب الشمري

الباحث أسامة نزار الحداد

كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تعد الحرية الاقتصادية أحد أهم القواعد الاساسية لكل نظام اقتصادي مهما كانت فلسفته الاقتصادية، وباعتبار النظام الرأسمالي الليبرالي أحد هذه الانظمة الاقتصادية فأنه اهتم كثيراً بهذه القاعدة ووضع لها قوانين واحكامها كثيرة لترتيبها وتنظيمها، وان النظام الرأسمالي الليبرالي (السوق الحر) السائد حالياً في الغالبية العظمى من اقتصادات العالم، وبعيدة كل البعد عن النظم الاقتصادية ذات التخطيط المركزي وإن للحكومة أثراً رئيسياً في التوجيه والاشراف على كل مناحي الاقتصادات، إذ دار جدال علمي مطول خلال السنوات الاخيرة الماضية حول مدى تأثير كل من السياسات والمؤسسات الاقتصادية في مسار الاقتصاد ولاسيما فيما يتعلق بتحقيق الاهداف الاقتصادية الرئيسية ومن أهمها إتاحة الفرص الاقتصادية لجميع أفراد المجتمع وبصورة عادلة وتحقيق معدلات عالية من النمو والتشغيل.

وان العراق قد حظى بمواقع متأخرة ضمن مؤشر الحرية الاقتصادية على المستوى العربي والعالمي بمعنى (حرية اقتصادية ضعيفة أو حرية اقتصادية معدومة) وكان بترتيب غير جيد بسبب ضعف الكفاءة التنظيمية لحرية الأعمال (مؤشر سهولة ممارسة انشطة الاعمال)، وضعف حرية التجارة (التجارة عبر الحدود)، وضعف حماية الاستثمار وحريته (مؤشر حماية المستثمرين الاقلية)، وانعدام الشفافية (الفساد الاداري والمالي)، وعدم تنويع الصادرات وبقاء على الصادرات النفطية (مؤشر النشاط التجاري)، بالإضافة إلى ذلك ان القطاع العام هو المسيطر على النشاط الاقتصادي رغم الترويج لألية اقتصاد السوق وإقرارها في الدستور، ولكن في ظل غياب الضمانات والامتيازات والتسهيلات اللازمة لدعم القطاع الخاص المحلي والاجنبي منها، ولا يمكن أن يتحقق ويسير اقتصاد السوق الذي يعتمد عليه القطاع

الخاص بالشكل الصحيح في ظل غياب الحرية الاقتصادية، فضلاً عن التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي وفرض سيطرتها عليه، فهي من ينتج ويستهلك ويصدر ويستورد، وهذا ما يمنع ويقيد حركة القطاع الخاص، وحتى وإن كان حاضراً سيكون دوره ضعيفاً يعيش على هامش الدولة، وايضاً علينا الاقرار ان القطاع الخاص في العراق قطاعاً طفيلياً يميل إلى المضاربة والارباح السريعة والولوج بالأنشطة التوزيعية والخدمية أكثر من ولوجه في الانشطة الانتاجية الحقيقية ولذلك نلاحظ عليه علامات الضعف ناهيك عن انخفاض مساهمته في التنمية الاقتصادية.

أهمية البحث:

تنبع اهمية البحث من كونه يوضح العلاقة بين مؤشرات الحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي في العراق، وهذا يضع الباحث أمام ضرورة تبيان الدور الذي تؤديه أو تلعبه الحرية الاقتصادية بوصفها واحدة من المتغيرات ذات العلاقة بتطور وانفتاح القطاع الخارجي في العراق، وإلى أي مدى يمكن ان يتأثر القطاع الخارجي في الحرية الاقتصادية.

مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث من خلال التساؤل التالي، ما هو أثر مؤشرات الحرية الاقتصادية على اداء القطاع الخارجي متمثلاً بوضع التجارة الخارجية وميزان المدفوعات في العراق، فضلاً عن معرفة السياسات المقترحة لتطبيق وتفعيل الحرية الاقتصادية لتحفيز القطاع الخارجي في العراق.

هدف البحث:

يسعى البحث الى تحقيق عدة أهداف وهي كالآتي:

١. التعرف على واقع الحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي في العراق وأدائهما.

٢. التعرف على نقاط الضعف الاساسية للحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي في العراق.

٣. تحديد إمكانات وسبل النهوض في الحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي في العراق.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية عامة مفادها أن العلاقة بين الحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي (التجارة الخارجية وميزان المدفوعات) هي علاقة ايجابية في الدول ذات الحرية الاقتصادية العالية وعلاقة سلبية في الدول ذات الحرية الاقتصادية المنخفضة، ونفترض أن آثار تلك العلاقة متفاوتة حسب طبيعة وامكانية الاقتصاد ودرجة الاستجابة في البلدان المدروسة.

محتويات البحث.

تم تقسيم البحث إلى المطالب الآتية :-

المطلب الأول:- واقع أداء الحرية الاقتصادية في العراق

المطلب الثاني:- تحليل مؤشرات القطاع الخارجي في العراق

المطلب الثالث:- السياسات المقترحة لتطبيق وتفعيل الحرية الاقتصادية لتحفيز القطاع الخارجي في العراق

المطلب الأول: واقع أداء الحرية الاقتصادية في العراق:

أولاً: نبذه تاريخية عن القطاع الخاص (الحرية الاقتصادية) في العراق وتطويرها:

لم يشهد العراق ومنذ منتصف القرن الماضي استقراراً في توزيع النشاط الاقتصادي ما بين القطاع الخاص والعام، فمنذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٥٠، حيث أحتل القطاع الخاص مكانه متميزة في سلم اهتمامات الدولة والتي منحته كثيراً من اشكال الدعم والعون المادي وأخذ يمارس دوره الاقتصادي تحت مظلة الرعاية الابوية للدولة ولعل ضعف الامكانات المادية للدولة مقارنة بإمكانات النخب في القطاع الخاص والذين تصدرهم كبار ملاك الاراضي والتجار وكبار المستثمرين من اصحاب الملكيات الضخمة، وتعد من بين اقوى الاسباب تفسيراً لاتساع دور واهمية القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي خلال النصف الاول من القرن العشرين، الا ان هذا الدور آخذ بالانحسار بعد عام ١٩٥٠

لصالح القطاع العام على اثر توقيع الحكومة اتفاقية مناصفة الارباح مع الشركات النفطية الاجنبية التي كانت عاملة في العراق خلال تلك المرحلة، كما وازداد هذا الدور انحسارا في عام ١٩٦٤ عندما قامت الدولة بتأميم النشاط الخاص (البنوك)، تاركاً الساحة الاقتصادية للقطاع العام من خلال اتساع تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية مدفوعة بتنامي قدراتها التمويلية من الايرادات النفطية التي ساعدتها على تبني برامج انمائية كبيرة[١]، واستمر الوضع في السبعينات والثمانينات بريادة دور القطاع العام على الرغم من تقليص دوره في عقد الثمانينات من خلال ما يسمى بالإصلاح الاداري آنذاك الا أن القطاع العام بقي في المقدمة.

وبعد عام ٢٠٠٣ عانى القطاع الخاص من انتكاسة جديدة نتيجة توقف المشروعات الصناعية الخاصة، أمّا بسبب التدمير أو ارتفاع تكاليف الانتاج أو انعدام الطلب المحلي على منتجاتهُ بفعل إغراق السوق المحلية بالسلع المستوردة، ومما عزز من هذه الانتكاسة انعدام الأمن واستهداف رجال الأعمال، فكانت النتيجة هروب المنظمين ورؤوس الأموال إلى دول الجوار بحثاً عن الاستقرار والأمان واستثمار أموالهم[٢]، وأدى تغير النظام السياسي في العراق إلى ضعف الدولة المركزية المعتمدة في القطاع العام، وبدء نظام اقتصادي جديد على وفق رؤى اقتصادية جديدة تدعو إلى الابتعاد عن المركزية التي فشلت في إدارة الاقتصاد الوطني وتبني اقتصاد السوق، فضلاً عن فسح المجال إلى القطاع الخاص للقيام بعمل أكبر في الاقتصاد[٣].

وفي عام ٢٠٠٦ قامت الحكومة العراقية بإصدار قانون الاستثمار رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ الذي يسعى إلى تشجيع الاستثمارات ونقل التقنيات الحديثة للإسهام في عملية التنمية في العراق وتطويره وتوسيع قاعدته الانتاجية والخدمية وتنويعها، ويقوم هذا القانون بتشجيع القطاع الخاص العراقي والاجنبي للاستثمار في العراق عن طريق توفير التسهيلات اللازمة لتأسيس المشاريع الاستثمارية وتعزيز القدرة التنافسية للمشاريع المشمولة بأحكام هذا القانون في الأسواق المحلية والأجنبية وتنمية الموارد البشرية

حسب متطلبات السوق، وتوفير فرص العمل للعراقيين، وحماية حقوق ممتلكات المستثمرين، وتوسيع الصادرات، وتعزيز ميزان المدفوعات والميزان التجاري للعراق. وقد تم انجاز (٧٦) ملف استثماري حتى عام ٢٠١٠ والاعلان عن تأهيل (١٨) شركة صناعية حتى عام ٢٠١١، الا ان درجة الأقبال لازالت ضعيفة من قبل مستثمري القطاع الخاص بسبب قدم تلك الشركات، أما فيما يخص الخطة (٢٠١٣ – ٢٠١٧)، فقد افترضت الخطة ان القطاع الخاص يسهم بما قيمته (٨٨) ترليون دينار، أي ما يعادل (٧٥) مليار دولار والتي تشكل نسبة (٢١%) يتوقع انفاقها على مختلف المجالات والاستثمارات المحددة من قبل الخطة[٤].

ومع كل المحاولات التشجيعية للنهوض بالقطاع الخاص العراقي ولغاية الأن، إلا إن هذا القطاع شهد تراجعاً واضحاً، ولم يكن له دور فاعل في الخطط الاقتصادية للدولة، وبذلك بقي القطاع الخاص بعيداً عن الإسهام الحقيقي في أي جهد إنتاجي أو تنموي، وقد يعود السبب إلى أن طبيعة وتركيبة الدولة الريعية لم تعطي المجال المناسب والكافي للقطاع الخاص هذا من جانب، وكذلك ضعف القطاع الخاص وطبيعته الذي يميل إلى الانشطة الخدمية والتوزيعية أكثر من الانشطة الانتاجية، ناهيك عن كونه يرغب بأنشطة المضاربة وتحقيق الارباح السريعة من جانب آخر، كل ذلك جعل هناك محدودية لدور القطاع في العراق. إلا أن أهميته تبقى ملحة لأسباب عدة أبرزها :- التوجه نحو اقتصاد السوق ضرورة عالمية لا مناص منها، ولغرض استيعاب الأيدي العاطلة عن العمل، وسد حاجة السوق المحلية من السلع الضرورية ، ناهيك عن تحفيز العملية التنموية، .... الخ.

ثانياً: تحليل مؤشر الحرية الاقتصادية* في العراق للمدة (٢٠١٠– ٢٠١٨)

على الرغم من تحول العراق بعد عام ٢٠٠٣ نحو الانفتاح والعمل على إصلاح اقتصاده والاتجاه به نحو اقتصاد السوق والاستثمار حسب ما أشار إليه الدستور* ، إلا أنه لا يزال لم يحقق الحرية الاقتصادية بالشكل الحقيقي الذي يكفل بناء مناخ استثماري مشجع للقطاع الخاص وتنمية روح الإبداع والابتكار بناءً

على مبدأ تكافؤ الفرص، حيث لا تزال الدولة قائمة على الريع النفطي وهذا ما انسحب بشكل تلقائي على المجتمع فأصبح هو الآخر مجتمع ريعي، يعتمد على الحكومة في الاحتياجات الاساسية من (غذاءه ومسكنه ومشربه)، دون أن يبذل مجهوداً. وان تصنيف العراق ضمن مجموعة الدول الضعيفة أو المعدومة الحرية الاقتصادية أمر منطقي جداً بسبب السياسات والإجراءات الاقتصادية التي كانت تتبناها الحكومة السابقة قبل عام ٢٠٠٣، إذ عمدت الدولة في تلك المدة إلى التدخل إلى حد كبير في الحياة الاقتصادية (النظام المركزي هو المسيطر والقائد للإنتاج والتوزيع والاستهلاك والاستثمار).

ومن الجدول (١) يتضح أن مؤشر الحرية الاقتصادية في العراق ضمن (مؤشر الحرية الاقتصادية العربي). ففي عام ٢٠١٠ بلغ ترتيبه (١٦) أما الدرجة النهائية فكانت (٥,٦) وهذا يندرج ضمن الحرية الاقتصادية الضعيفة، أما الاعوام (٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣) فبلغ ترتيبه (١٧، ١٨، ١٧) لكل من الاعوام المذكورة على التوالي في حين بلغت الدرجة النهائية (٦,١، ٥,٩، ٦,١) على الترتيب وكان التوصيف (حرية اقتصادية متوسطة، حرية اقتصادية ضعيفة، حرية اقتصادية متوسطة) على الترتيب أيضاً. أما الاعوام (٢٠١٤، ٢٠١٥، ٢٠١٦، ٢٠١٧) فكان ترتيب العراق في تسلسل الحرية الاقتصادية العربي هو (١٩، ١٦، ١٦، ١٦) على التوالي أيضاً وبتوصيف (حرية اقتصادية ضعيفة) ونتيجة متشابهة لتلك الاعوام حسب ترتيبها. ويمكن توضيح مؤشر الحرية الاقتصادية للعراق في الجدول (١).

الجدول (١) مؤشر الحرية الاقتصادية في العراق (ضمن مؤشر الحرية الاقتصادية العربي)
للمدة (٢٠١٠- ٢٠١٨)

السنوات	الترتيب العالم العربي	حجم الحكومة والانفاق والضرائب والمشروعات		القانون التجاري والاقتصادي وتأمين حقوق الملكية		إمكانية الحصول على نقد مستمر		حرية التجارة الخارجية		تنظيم الائتمان وسوق العمل والنشاط التجاري		الدرجة النهائية	توصيف الحرية الاقتصادية
		التسلسل	التصنيف	التسلسل	التصنيف	التسلسل	التصنيف	التسلسل	التصنيف	التسلسل	التصنيف		
٢٠١٠	١٦	–	٤,٩	–	٣,٩	–	٤,٧	–	٨,٥	–	٥,٩	٥,٦	حرية اقتصادية ضعيفة
٢٠١١	١٧	١١	٦,٨	٢١	٤,٢	٢١	٦,٣	٤	٨,١	١٧	٥,١	٦,١	حرية اقتصادية متوسطة
٢٠١٢	١٨	١١	٦,٨	٢١	٤,٢	٢١	٤,٦	٤	٨,١	١٧	٥,٨	٥,٩	حرية اقتصادية ضعيفة
٢٠١٣	١٧	١١	٦,٨	٢١	٤,٢	٢٠	٦,٣	٤	٨,١	٢٠	٥,١	٦,١	حرية اقتصادية متوسطة
٢٠١٤	١٩	١٨	٥,٥	٢١	٤,٢	١٤	٧,٣	١٦	٥,٨	٢١	٥,٤	٥,٨	حرية اقتصادية ضعيفة
٢٠١٥	١٦	١٦	٥,١	٢١	٤,٢	١٠	٩,٢	١٥	٦,٣	١٨	٥,٤	٥,٦	حرية اقتصادية ضعيفة
٢٠١٦	١٦	–	٥,٢	–	٣,٠	–	٩,٧	–	٤,٨	–	٥,٦	٥,٧	حرية اقتصادية ضعيفة
٢٠١٧	١٦	–	٥,٢	–	٣,٠	–	٩,٨	–	٤,٩	–	٥,٤	٥,٧	حرية

اقتصادية ضعيفة													
–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٢٠١٨

المصدر:- الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على :-

- سالم بن ناصر الإسماعيلي، وآخرون، الحُرية الاقتصادية في العالم العربي- التقرير السنوي للمدة (٢٠١٢- ٢٠١٨)، مؤسسة فريدريش ناومان من أجل الحرية، مؤسسة البحوث الدولية في سلطنة عُمان، معهد فريزر.
- Salem Ben Nasser Al Ismaily, Economic Freedom of the Arab World ٢٠١٩ Annual Report, Friedrich Naumann Foundation for Freedom, International Research Foundation of Oman Fraser Institute, ٢٠١٩.

ومن الجدول في اعلاه، نلاحظ أن هناك تذبذب في مؤشر الحرية الاقتصادية في العراق الذي يتسم بالضعف بشكل عام، إذا كان التوصيف (حرية اقتصادية متوسطة) للأعوام (٢٠١١، ٢٠١٣) وما عداها لباقي السنوات المدروسة هو توصيف ضعيف لمؤشر الحرية الاقتصادية، وهذا يتطلب بذل اقصى الجهود لتنشيط دور الحرية الاقتصادية للنهوض بالاقتصاد العراقي.

وعليه يمكن القول إن العراق لا يتمتع بمستوى مقبول في الحرية الاقتصادية (حرية اقتصادية ضعيفة) وكان بترتيب غير جيد مقارنته مع بلدان المختارة (الامارات، مصر، والمغرب) ولابد من العمل الجاد لتحسين متطلبات النهوض بالمتغيرات الفرعية المكونة لمؤشر الحرية الاقتصادية للمدة (٢٠١٠-٢٠١٧)، فضلاً عن ذلك ان القطاع العام هو المسيطر على النشاط الاقتصادي رغم الترويج لألية اقتصاد السوق وإقرارها في الدستور ولكن في ظل غياب الضمانات والامتيازات والتسهيلات اللازمة لدعم القطاع الخاص المحلي والاجنبي، ولا يمكن أن يتحقق ويسير اقتصاد السوق الذي يعتمد عليه القطاع الخاص بالشكل

الصحيح في ظل غياب الحرية الاقتصادية، فضلاً عن التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي وفرض سيطرتها عليه، فهي من ينتج ويستهلك ويصدر ويستورد، وهذا ما يمنع ويقيد حركة القطاع الخاص، وحتى وإن كان حاضراً سيكون دوره ضعيف يعيش على هامش الدولة لأن الدولة ستكون منافس له من ناحية وتحاربه بالضرائب من ناحية أخرى، وايضاً علينا الاقرار ان القطاع الخاص في العراق قطاعاً طفيلياً، يميل إلى المضاربة والارباح السريعة والولوج بالأنشطة التوزيعية والخدمية أكثر من ولوجه في الانشطة الانتاجية الحقيقية ولذلك نلاحظ عليه علامات الضعف، ناهيك عن انخفاض مساهمته في التنمية الاقتصادية.

ثالثاً: نقاط الضعف الأساسية للحرية الاقتصادية في العراق:

بعد استعراض مؤشرات الحرية الاقتصادية في العراق ضمن مؤشر الحرية الاقتصادية العربي، يتضح بشكل واضح أن الحرية الاقتصادية ضعيفة جداً، وهذا بالتأكيد يتطلب وضع اليد على نقاط الخلل من أجل النهوض في هذا المضمار، وعليه سنستعرض نقاط الضعف الاساسية للحرية الاقتصادية في العراق وكالآتي:-

١- ضعف سيادة القانون، أن ضعف سيادة القانون ستؤدي إلى اضعاف إمكانات حماية حقوق الملكية بكل فروعها وأصنافها، وشيوع الفساد وعدم نزاهة الأجهزة الحكومية، ويعزى هذا الامر إلى ارتفاع مرتبة العراق ضمن مؤشر مدركات الفساد العالمي من (١١٣) عام ٢٠٠٣ من أصل (١٣٣) دولة إلى (١٦٨) عام ٢٠١٨ من أصل (١٨٠) دولة في مؤشر الذي تصدره منظمة الشفافية العالمية[٥].

٢- تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي بشكل كبير، حيث لا يزال الاقتصاد العراقي يعتمد على النفط الخام بشكل كبير، وما دام النفط هو بيد الدولة، فالإيرادات النفطية كبيرة، وهذا ما يشجع الدولة على التدخل من خلال آلية الإنفاق وخصوصاً الإنفاق الاستهلاكي لتحقق أهداف سياسية بالدرجة الأولى وليس

اقتصادية، وعندما تحتاج إلى الأموال ستلجأ إلى سياسة التقشف وفرض الضرائب، وهذا ما يزيد من صعوبة تنفيذ الحرية الاقتصادية.

٣- يعاني الاقتصاد العراقي من ضعف الكفاءة التنظيمية لحرية الأعمال التي تتمثل في مدى تقييد البيئات التنظيمية والبنية التحتية للتشغيل الفعال للأعمال التجارية، وان القطاع العام هو المسيطر على النشاط الاقتصادي رغم الترويج لألية اقتصاد السوق في ظل غياب الضمانات والامتيازات والتسهيلات اللازمة لدعم القطاع الخاص المحلي والاجنبي وغياب العمل بالنافذة الواحدة وخلو قوانين الاستثمار من ضمانات كبيرة للمستثمرين، وهذا واضح من خلال المراتب المتأخرة التي نالها العراق ضمن مؤشر ممارسة أنشطة الأعمال، ولم يكن بالمستوى المطلوب، إذ انخفضت مرتبة العراق ضمن مؤشر ممارسة أنشطة الأعمال من (١٤٠) عام ٢٠٠٦ من أصل (١٧٥) دولة إلى (١٦٨) عام ٢٠١٨ من أصل (١٩٠) دولة[٦]، وكذلك يعاني من ضعف سوق العمل، والدليل إن نسبة البطالة في العراق بلغت حوالي (١٠,٨%) عام ٢٠١٨.

٤- فوضى الانفتاح على العالم الخارجي تجارياً واستثمارياً ومالياً، فضلاً عن الأوضاع السياسية والأمنية، وما نتج عن الفوضى من ضعف حرية التجارة وخصوصاً التجارة الخارجية، حيث ارتفعت مرتبة العراق ضمن مؤشر التجارة عبر الحدود من (١٧٥) عام ٢٠٠٨ إلى (١٧٩) عام ٢٠١٨، وحصلت على تقييم (٢٥,٣٣) درجة عام ٢٠١٨[٧].

٥- يعاني العراق من ضعف حماية الاستثمار وحريته، حيث شكل العراق المرتبة (١٢٤) عالمياً عام ٢٠١٨ في مؤشر حماية المستثمرين الأقلية، وحصلت على تقييم بلغت (٤٦,٦٧) درجة عام ٢٠١٨، وكذلك فوضى الحرية المالية وما رافقها من غسيل أموال وغيرها[٨].

٦- يعاني العراق من افة الفساد الاداري والمالي بسبب تعثر اداء المؤسسات القضائية والتنفيذية وانكماش هيبة الدولة وخاصة بعد عمليات السلب والنهب والسرقة واستفحال الإرهاب بكل أشكاله[٩]، وهذا يضعف

من قدرته على اجتذاب الاستثمار، فاشتداد الفساد يضر سلباً في النمو الاقتصادي (عدم الاستقرار الاقتصادي)، حيث يعمل الفساد على وضع الحواجز في طريق تنفيذ الاعمال التجارية، ويزيد من حالة عدم التأكد (عدم اليقين) للمستثمرين حول قرارات الاستثمار التي يتخذونها ويؤدي ذلك إلى خفض تدفقات الاستثمار الاجنبي المباشر (خفض رأس المال الاجنبي المباشر)[١٠]، وهذا واضح من خلال المراتب المتأخرة التي نالها العراق ضمن مؤشر الشفافية، إذ انخفضت مرتبة العراق ضمن مؤشر مدركات الفساد العالمي من (١١٣) عالمياً عام ٢٠٠٣ إلى (١٦٨) عالمياً عام ٢٠١٨، وحصلت على تقييم بلغت (١٨) درجة عام ٢٠١٨[١١].

٧- تأخر العراق ضمن مؤشر النشاط التجاري (عدم تنويع الصادرات وبقاء على الصادرات النفطية)، حيث احتل المرتبة (١٥٤) عالمياً وحصل على تقييم بلغ (٧٥,٨٧) درجة عام ٢٠١٨[١٢].

٨- تأخر العراق ضمن مؤشر الحصول على الكهرباء، حيث احتل المرتبة (١١٦) عالمياً وحصل على تقييم بلغ (٦١,٦٤) درجة عام ٢٠١٨[١٣].

٩- تطبيق مبدأ الشفافية والرقابة (محاربة الفساد الاداري والمالي)، إذ يعد الفساد افة اقتصادية واجتماعية تعم القطاعات التي يتواجد فيها شخص أو مجموعة من الأشخاص لها قوة وسيطرة والتحكم في صنع القرار، ويؤثر الفساد اقتصادياً من خلال إساءة تخصيص الموارد الاقتصادية ورفع الكلف الاجتماعية والتضخم وتثبيط الأسعار والنمو الاقتصادي وخلق حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي، ولذلك يجب القضاء على الفساد الاداري والمالي من خلال الآتي[١٤]: إيجاد اتفاق اجتماعي على معيار القيم (يضع الأمانة كإحدى الفضائل السامية الجديرة بالتقدير والثناء، خلق كره عام واشمئزاز لدى المواطنين من الفساد بحيث يعتبرونه من كبريات الرذائل)، امانة ونزاهة وشفافية القيادات العليا، نشر التعليم وتوعية المواطنين، محاسبة موظفي الدولة، تبسيط إجراءات العمل والتخلص من المعوقات الإدارية، تقويم ومكافأة الموظف الامين (في ظل الفساد المتفشي في الاجهزة الحكومية نجد ان الموظف الامين والنزيه لا يلقى

التقدير والاحترام والدعم)، وإعادة النظر بمستويات الرواتب والأجور بين فترة وأخرى. ويمكن توضيح مؤشر الحرية الاقتصادية للعراق على المستوى العالمي في الجدول (٢).

نستنتج مما سبق ان هذه الاسباب أدت إلى انعدام أو تدهور الحرية الاقتصادية في العراق وهو ما جعله يتبوأ المراتب المتأخرة ضمن مؤشر الحرية الاقتصادية.

الجدول (٢) مؤشر الحرية الاقتصادية في العراق على المستوى العالمي للمدة (٢٠٠٠- ٢٠١٨)

السنوات (١)	الترتيب العالمي (٢)	حقوق الملكية (٣)	نزاهة الحكومة (٤)	الفعالية القضائية (٥)	الضرائب (٦)	الانفاق الحكومي (٧)	الصحة المالية (٨)	حرية تأسيس الأعمال (٩)	حرية العمل (١٠)	الحرية النقدية (١١)	الحرية التجارية (١٢)	الحرية الاستثمارية (١٣)	الحرية المالية (١٤)	الدرجة النهائية (١٥)	توصيف الحرية الاقتصادية (١٦)
٢٠٠٠	١٥٣	١٠	١٠	N/A	١٠	١٠,٢	N/A	٥٥	N/A	٠,٠	٤٠	١٠	١٠	١٧٢.٠	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠١	١٥٣	١٠	١٠	N/A	١٠	١٠,٢	N/A	٥٥	N/A	٠,٠	٤٠	١٠	١٠	١٧٢.٠	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠٢	١٥٥	١٠	١٠	N/A	١٠	١٠,٢	N/A	٤٠	N/A	٠,٠	٤٠	١٠	١٠	١٥٦.٠	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠٣	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠٤	Not Rated	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	N/A	حرية اقتصادية معدومة

٢٠٠٥	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠٦	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠٧	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠٨	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠٠٩	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١٠	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١١	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة

٢٠١٢	N /A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١٣	N / A	N / A	N / A	N / A	N / A	٧٠ ١٠.	٤٧	N / A	N / A	N / A	N / A	١٨	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١٤	N / A	N / A	N / A	N / A	٧٠	٧٣ ٤٠.	٥٦, ٩	N / A	٤٠, ٣	٩٥, ٥	N / A	١٣ ٧٠.	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١٥	N / A	N / A	N / A	N / A	٧٣ ٦٠.	٧٤ ٤٠.	٥٧, ٧	N / A	٤٣, ٨	N / A	N / A	١٦	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١٦	N / A	N / A	N / A	N / A	٧٥	٦٨ ٥٠.	٦٣, ٢	N / A	٢٩, ٧	N / A	N / A	١٦	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١٧	N / A	N / A	N / A	N / A	٧٦ ٩٠.	٦٨	٦١, ٢	١١ ٣٠.	٣٦, ١	N / A	١٥, ٩	١٩ ١٠.	٣٧, ٣	N / A	حرية اقتصادية معدومة
٢٠١٨	N / A	N / A	N / A	N / A	٧٩ ٢٠.	٦٩ ٨٠.	٥٩, ١	١١ ٩٠.	٤٥, ٤	N / A	١١, ٤	٢٣ ٤٠.	٣٦, ٧	N / A	حرية اقتصادية معدومة

Source:-

- http://www.heritage.org/index

- Jemes Gwartney, Robert Lawson, Economic Freedom of the World (٢٠٠٠–٢٠٠٧) ANNUAL REPORT, Florida State university, Southern Methodist university.

- Terry Miller, Anthony B. Kim, James M. Roberts, (٢٠٠٤, ٢٠٠٨– ٢٠١٩) Index of Economic Freedom, The Heritage Foundation.

- Not Rated Due To Economic and/or Political Instability (غير مصنف بسبب عدم الاستقرار الاقتصادي أو السياسي)

العمود (١٦) من إعداد الباحث.

رابعاً: سبل النهوض بالحرية الاقتصادية في العراق:

لعلَّ تعزيز دور الحرية الاقتصادية وتحفيزها على احتلال مكانه الريادية يمكن أن يسهم في تنشيط الاقتصاد الوطني، وفك الاختناق المالي، الذي يعاني منه البلد، ويمكن توضيح ذلك عن طريق حزمة من الاصلاحات متمثلةً بالآتي[١٥]:-

١- فرض سيادة القانون، حتى يتم الحفاظ على حقوق الملكية لكل فروعها وأصنافها، وإن فرض القانون سيحجم الفساد ويحد من انتشاره، بالإضافة إلى ذلك تفعيل السلطة القضائية بشكل حقيقي، سيكون لها الدور في ضمان الحقوق للجميع، فعند فرض سيادة القانون من أجل حماية الحقوق ومحاربة الفساد، سيخلق بيئة اقتصادية حرة تخدم التقدم الاقتصادي.

٢- تقليص تدخل الحكومة في الاقتصاد العراقي، وإيكال مهمة النشاط الاقتصادي إلى القطاع الخاص، وتحويل الثروات العامة لجانبين الأول الخدمات العامة، والجانب الثاني تحويلها كحقوق للأجيال الأخرى عبر أدوات مناسبة.

٣- بناء مناخ استثماري فعّال يستطيع جذب الاستثمارات، وذلك من خلال الاهتمام في البيئة التنظيمية ورفع كفاءة أداءها، والاهتمام بسوق العمل من حيث المدخلات والمخرجات، حتى تتلاءم المخرجات مع الاقتصاد وتلبي احتياجاته.

٤- العمل على الاهتمام بالتنسيق والاستثمار والتجارة والأسواق المالية، حيث إن الاهتمام بالاستثمار سيزيد من الإنتاج يفوق الحاجة المحلية فيحتاج إلى سياسة تجارية سليمة تعمل على تصديره نحو الخارج واستيراد قيمته بما يخدم عملية التنمية الاقتصادية، وإن الأسواق المالية المتطورة ستوفر الأموال اللازمة لذلك الاستثمار.

مما سبق يتضح لنا أن تحقيق النقاط الأربع في أعلاه سيفضي إلى خلق بيئة اقتصادية حرة تساعد على تقدم البلد وتجاوز الكثير من العقبات التي تواجه في ظل الاعتماد على الإيرادات النفطية، وإن تلك البيئة هي التي سترفع من دخول العراق ضمن مؤشر الحرية الاقتصادية وسترتفع من تصنيفه داخل هذا المؤشر.

المطلب الثاني: تحليل مؤشرات القطاع الخارجي في العراق:

اولاً: تحليل المؤشرات الاقتصادية للتجارة الخارجية في العراق:

يتميز الاقتصاد العراقي بمحدودية التنوع النسبي في نمط إنتاجه من المعروض السلعي في حين يتصف طلبه بالتنوع، مما استلزم تحليل مكونات التجارة الخارجية ودورها المنشود في استحداث النمو الاقتصادي لتكون القاطرة التي تقود المتغيرات الاقتصادية الأخرى. ان السمة الغالبة لطبيعة الصادرات العراقية هي صادرات من منتجات النفط الخام، إذ تشكل ما نسبته (٩٩%) من إجمالي الصادرات، والجزء المتبقي لا يتعدى (١%) هي صادرات سلعية غير نفطية[١٦]. أمّا في جانب الاستيرادات فإنَّه يسهم في تلبية الاحتياجات الأساسية للاقتصاد العراقي من السلع الاستهلاكية في جانبيها الغذائية وغير الغذائية، والسلع الوسيطة، والسلع الرأسمالية اللازمة لعملية التنمية[١٧].

من الجدول (٣) يتضح أن الصادرات الاجمالية في عام ٢٠٠٠ بلغت حوالي (١٨,٧٤٢,٦) مليون دولار، ثم أخذت بالانخفاض حتى عام ٢٠٠٣، إذ بلغت الصادرات الاجمالية حوالي (١١,٤٨٠,٥) مليون دولار لعام نفسه، بسبب الاحتلال الامريكي للعراق، وما نتج عنه من تدمير البنى التحتية والقاعدة الانتاجية النفطية وغير النفطية، وبعد عام ٢٠٠٣ أخذت الصادرات الاجمالية تتجه نحو الارتفاع حتى وصلت إلى (٦٣,٤٦٠,٥) مليون دولار عام ٢٠٠٨، يعود ذلك إلى رفع العقوبات الدولية عن صادرات العراق النفطية، فضلاً عن ذلك عملت السلطات المحتلة على دعم الانتاج النفطي وتصديره بهدف توفير ايرادات للدولة، وفي عام ٢٠٠٩ شهدت الصادرات الاجمالية انخفاضاً بلغت حوالي (٣٩,٤٣٠) مليون دولار بسبب تفاقم الاثار الاقتصادية للازمة المالية العالمية، إذ ادى هذا الامر إلى تقليل الدول الصناعية من استيراداتها النفطية نتيجة توقف بعض المصانع والشركات الانتاجية الكبيرة المعتمدة في انتاجها أو تشغيلها على النفط مما انعكس بصورة مباشرة على انخفاض الصادرات الاجمالية العراقية[١٨]، وبعد أن بدأت بوادر تجاوز آثار الازمة المالية في النظام الرأسمالي وعاودت قطاعاتها الانتاجية بشكل تدريجي أدى إلى حصول زيادة في الصادرات الاجمالية العراقية خلال المدة (٢٠١٠-٢٠١٢). ولكن بعد عام ٢٠١٢ بدأت الصادرات الاجمالية بالانخفاض تدريجياً حتى وصلت إلى (٢٨,٣٦٠) مليون دولار عام ٢٠١٦، بفعل انخفاض اسعار النفط الخام، التي أثرت بشكل مباشر على انخفاض الصادرات الاجمالية العراقية؛ لأن صادرات منتجات النفط الخام تشكل ما نسبته حوالي (٩٩%) من إجمالي الصادرات، إلا ان ارتفاع الصادرات الاجمالية إلى (٨٧,٢٦٠) مليون دولار عام ٢٠١٨، نتيجة تعافي أسعار النفط الخام وزيادة كميات انتاج النفط الخام إلى (٤,٤٥٨,٠) الف برميل يومياً، وكذلك الارتفاع النسبي في السلع الأولية.

وفيما يتعلق بالاستيرادات الاجمالية ففي عام ٢٠٠٠ بلغت حوالي (١٢,٣٢٩,٦) مليون دولار، ثم أخذت بالانخفاض حتى عام ٢٠٠٣، إذ بلغت الاستيرادات الاجمالية حوالي (٢,٩٦٦,٩) مليون دولار لعام

نفسه، ولكن بعد عام ٢٠٠٣ بدأت الاستيرادات الاجمالية بالارتفاع تدريجياً حتى وصلت إلى (٥٩,٣٤٩) مليون دولار عام ٢٠١٣، ويعزى هذا الامر إلى الزيادة الملحوظة في واردات العراق لتلبية احتياجات النشاط الاقتصادي لإعادة البناء والتعمير، وكذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية، فضلاً عن حصول تغير في النمط الاستهلاكي للأسر العراقية سببها زيادة دخولهم، كما في الجدول (٣). أما المدة (٢٠١٤-٢٠١٨) فقد شهدت تذبذباً بين الانخفاض والارتفاع في الاستيرادات الاجمالية، إذ انخفضت الاستيرادات الاجمالية إلى (٢٣,٠٢٩) مليون دولار عام ٢٠١٦، بفعل الإجراءات الإصلاحية التي قامت بها هيأة الجمارك بالسيطرة على المنافذ الحدودية، فضلاً عن إجراءات البنك المركزي بمساءلة المستوردين ومطالبتهم بصحة صدور القيم الاستيرادية التي يقدمونها، التي على ضوئها يتم السماح لهم بالمشاركة في مزاد العملة من اجل منع تهريب العملة إلى الخارج ومكافحة غسيل الأموال، إلا إنها ارتفعت الاستيرادات الاجمالية إلى (٤٥,٧٣٦) مليون دولار عام ٢٠١٨، كما في الجدول (٣).

أما نسبة الصادرات الاجمالية إلى الاستيرادات الاجمالية، فقد شهدت السنوات (٢٠٠٠-٢٠١٨) تجاوزت المئة بالمائة، وهذا الأمر يدل على مدى قدرة قطاع التصدير، وكفاءته ولاسيما القطاع النفطي، وأيضا قدرة الانتاج المحلي (الزراعة) على تغطية بعض الاحتياجات المحلية، وخاصة الموارد الغذائية الاساسية، وغيرها، وكما في الجدول (٣).

أما نسبة الصادرات الاجمالية إلى إلـ GDP، فقد شهدت المدة (٢٠٠٠-٢٠١٨) ارتفاعاً، إذ تراوحت النسبة بين (١٣,٥%- ٥٧,٥%)، وفي نهاية المدة بلغت النسبة حوالي (٤١,١%) عام ٢٠١٨، ويعزى هذا الأمر إلى المساهمة الكبيرة للصادرات الاجمالية (الصادرات النفطية) في تكوين الناتج المحلي الاجمالي، فضلاً عن رفع الحظر عن الصادرات النفطية بعد عام ٢٠٠٣ مما أثر إيجابا على الناتج المحلي الاجمالي.

وان نسبة الاستيرادات الاجمالية إلى إلـ GDP، شهدت ارتفاعاً ايضاً في المدة (٢٠٠٠-٢٠١٨)، إذ تراوحت النسبة بين (٣,١%-٤٦,١%)، وفي نهاية المدة بلغت النسبة حوالي (٢١,٥%) عام ٢٠١٨، نتيجة لرفع العقوبات الدولية وانتعاش تجارته الخارجية مع العالم، وهذه النسبة أقل من نسبة الصادرات الاجمالية إلى إلـ GDP للمدة المذكورة، وهذا الأمر يدل على أن العراق ليس له تبعية وطيدة للخارج.

أما نسبة إجمالي التجارة الخارجية إلى إلـ GDP والتي تعبر عن الانكشاف التجاري فقد شهدت المدة المذكورة ارتفاعاً، إذ تراوحت النسبة بين (١٤,٥%- ٩٩,٦%)، وفي نهاية المدة بلغت النسبة حوالي (٦٢,٦%) عام ٢٠١٨. ويعزى هذا الارتفاع إلى أهمية قطاع التجارة الخارجية في الاقتصاد الوطني و(المساهمة الكبيرة للصادرات الاجمالية في تكوين الناتج المحلي الإجمالي)، والانفتاح الاقتصادي وتحرير التجارة، الأمر الذي يعزز من أهميتها كمركز متقدم على خريطة التجارة العالمية. ويمكن توضيح ذلك في الجدول (٣).

الجدول (٣) المؤشرات الاقتصادية للتجارة الخارجية في العراق

للمدة (٢٠٠٠- ٢٠١٨) (مليون دولار امريكي)

السنوات (١)	الصادرات الاجمالية (٢)	الاستيرادات الاجمالية (٣)	GDP (٤)	نسبة الصادرات الاجمالية إلى الاستيرادات الاجمالية %(٥)	نسبة الصادرات الاجمالية إلى الـ GDP %(٦)	نسبة الاستيرادات الاجمالية إلى الـGDP %(٧)	اجمالي التجارة الخارجية (٨)	نسبة اجمالي التجارة الخارجية إلى الـ GDP %(٩)
٢٠٠٠	١٨,٧٤٢,٦	١٢,٣٢٩,٦	٨٣,٥٤٤	١٥٢,٠	٢٢,٤	١٤,٧	٣١,٠٧٢,٢	٣٧,١
٢٠٠١	١٤,٢٨٩,٣	٢,٥٢٦,٨	٨١,٠٣٨	٥٦٥,٥	١٧,٦	٣,١	١٦,٨١٦,١	٢٠,٧
٢٠٠٢	١١,٠٣٤,٥	٢,٦٠٢,٦	٨١,٨٤٩	٤٢٣,٩	١٣,٥	٣,٢	١٣,٦٣٧,١	١٦,٧

٢٠٠٣	١١,٤٨٠,٥	٢,٩٦٦,٩	٢٣,٤٦٤	٣٨٦,٩	٤٨,٩	١٢,٦	١٤,٤٤٧,٤	٦١,٥
٢٠٠٤	١٤,٨٦٧,٢	٨,٨٣٨,٩	٣٦,٦٢٨	١٦٨,٢	٤٠,٦	٢٤,١	٢٣,٧٠٦,١	٦٤,٧
٢٠٠٥	٢٣,٦٩٧,٤	٢٢,٠٠٢,٤	٤٩,٨٨٧	١٠٧,٧	٤٧,٥	٤٤,١	٤٥,٦٩٩,٨	٩١,٦
٢٠٠٦	٢٩,٣٤٣,٠	٢٥,٢٥٩,٣	٥٤,٨٤٦	١١٦,٢	٥٣,٥	٤٦,١	٥٤,٦٠٢,٣	٩٩,٦
٢٠٠٧	٣٦,٤٠٠,٠	٢٩,٠٢٠,٠	٦٩,٥٥٦	١٢٥,٤	٥٢,٣	٤١,٧	٦٥,٤٢٠	٩٤
٢٠٠٨	٦٣,٤٦٠,٥	٣٥,٣٤٨,١	١٠٧,٦٧٢	١٧٩,٥	٥٨,٩	٣٢,٨	٩٨,٨٠٨,٦	٩١,٧
٢٠٠٩	٣٩,٤٣٠	٤١,٣٧٧	٩٤,٢٩١	٩٥,٢	٤١,٨	٤٣,٨	٨٠,٨٠٧	٨٥,٦
٢٠١٠	٥١,٧٦٤	٤٣,٩١٥	١٢٢,٠٤١	١١٧,٩	٤٢,٤	٣٦	٩٥,٦٧٩	٧٨,٤
٢٠١١	٧٩,٦٨١	٤٧,٨٠٣	١٦٣,٠٣٤	١٦٦,٧	٤٨,٩	٢٩,٣	١٢٧,٤٨٤	٧٨,٢
٢٠١٢	٩٤,١٧٢	٥٥,١٦٩	١٨٩,٦١١	١٧٠,٧	٤٩,٧	٢٩,١	١٤٩,٣٤١	٧٨,٨
٢٠١٣	٨٩,٧٦٨	٥٩,٣٤٩	٢٣٤,٦٣٨	١٥١,٣	٣٨,٣	٢٥,٣	١٤٩,١٢٧	٦٣,٦
٢٠١٤	٨٣,٩٨١	٥٣,١٧٧	٢٢٨,٧٨١	١٥٧,٩	٣٦,٧	٢٣,٢	١٣٧,١٥٨	٥٩,٩
٢٠١٥	٤٣,٤٤٢	٣٩,٠٤٥	١٧١,١٣٦	١١١,٣	٢٥,٤	٢٢,٨	٨٢,٤٨٧	٤٨,٢
٢٠١٦	٢٨,٣٦٠	٢٣,٠٢٩	١٧٢,٤٧٩	١٢٣,١	١٦,٤	١٣,٤	٥١,٣٨٩	٢٩,٨
٢٠١٧	٥٧,٥٥٩	٣٨,٧٦٦	١٩٠,٨٧٤	١٤٨,٥	٣٠,٢	٢٠,٣	٩٦,٣٢٥	٥٠,٥
٢٠١٨	٨٧,٢٦٠	٤٥,٧٣٦	٢١٢,٢٣٤	١٩٠,٨	٤١,١	٢١,٥	١٣٢,٩٩٦	٦٢,٦

المصدر:- الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:-

- صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد (٢٠٠٠- ٢٠١٩)، ابو ظبي- دولة الامارات العربية الموحدة، صفحات متفرقة.
- الاعمدة (٥ ، ٦، ٧، ٨، ٩) من إعداد الباحث.

نستنتج مما سبق أنَّ التجارة الخارجية العراقية شهدت تقلبات طفيفة بين الارتفاع والانخفاض خلال المدة (٢٠٠٠- ٢٠١٨)؛ لكون العراق حالياً دولة ذات اقتصاد مفتوح تمارس حرية التجارة في ظل اقتصادهُ يعاني من اختلالات هيكلية كثيرة في قطاع الزراعة والصناعة وغيرها، وكونه اقتصاداً أحادي الجانب يعتمد على النفط الخام، ويعتمد في احتياجاته على الاستيرادات، والنفط الخام معرض للتقلبات في أسواق النفط العالمية، وأنَّ الايرادات النفطية تتراوح بين (٩٥%- ٩٨%) من إجمالي الايرادات العامة للدولة، وكذلك يعود إلى عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني، وكذلك ظروف الحروب التي يمر بها البلد.

ثانياً: تحليل المؤشرات الاقتصادية لميزان المدفوعات في العراق:

يعد ميزان المدفوعات أداة اقتصادية تحليلية شاملة للاقتصاد الوطني من حيث هيكله الإنتاجي وهيكله التصديري والعوامل المؤثرة فيهما، وهي حجم الاستثمارات ودرجة استغلال الطاقة الإنتاجية، ومستوى التكاليف والأسعار، والمستوى العلمي والتقني، ونوعية الإنتاج وغيرها، فضلا عن انه يمثل أداة مهمة لرسم السياسة الخارجية للبلد، وفي هذا السياق تظهر أهمية الميزان في اللجوء إليه من قبل الجهات الحكومية لتكوين التصورات اللازمة عن الوضع المالي للدولة لمساعدتها في التوصل إلى قرارات بصدد السياسات النقدية والمالية من ناحية، وبصدد مسائل التجارة والمدفوعات من ناحية أخرى.

ويعد الميزان التجاري المكون الرئيسي في ميزان المدفوعات العراقي لما له من أهمية في تقرير المركز الخارجي للاقتصاد سواء كان فائضاً أم عجزاً، وجاءت هذه الأهمية مستوحاة من خلال تصدير النفط الخام الذي يسهم بدور بارز في تمويل الاقتصاد العراقي من خلال توفير العملة الصعبة لتغطية قيم الاستيرادات، وقد شهدت السنوات (٢٠٠٠-٢٠١٨) فائضاً مستمراً في الميزان التجاري للعراق، إذ ارتفع الفائض من (٧,٧٣٤,٠) مليون دولار عام ٢٠٠٠ إلى (٤٨,٣٨٤,٠) مليون دولار عام ٢٠١٨، ويعود هذا الفائض إلى زيادة كمية النفط الخام المصدر من (٢,٨٨٨,٦) الف برميل يومياً عام ٢٠٠٠ إلى

(٤,٤٥٨,٠) الف برميل يومياً عام ٢٠١٨، وزيادة الصادرات النفطية على اثر زيادة الطلب عليه في الأسواق العالمية، فضلاً عن ارتفاع اسعاره، باستثناء الاعوام (٢٠٠٣، ٢٠٠٤) شهدت عجزاً في الميزان التجاري، ويعود هذا العجز إلى عدة اسباب منها الغزو الذي تعرض له العراق والذي نتج عنه تدمير معظم خطوط الانتاج فضلاً عن عمليات التخريب والحرق التي اصابت معظم انابيب تصدير النفط الامر الذي أدى إلى انخفاض حجم الصادرات[١٩]، فضلاً عن ارتفاع المقدرة الشرائية التي أدت إلى ارتفاع الطلب الخاص، وايضاً ارتفاع حجم الانفاق التشغيلي للموازنة الحكومية الذي بلغ أكثر من (٧٠%) مما سبب زيادة في الطلب الكلي الأمر الذي انعكس ايجاباً على زيادة الاستيرادات، بسبب ضعف كفاءة الجهاز الانتاجي العراقي وعدم قدرته على سد الطلب المحلي المرتفع مما ولد زيادة في الاستيرادات على حساب الصادرات[٢٠]، فضلاً عن ذلك تأثير تداعيات الازمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٩ على صادرات القطاع النفطي الامر الذي أدى إلى انخفاض صادراته ومن ثم قللت من الطلب على النفط، كما في الجدول (٤).

وعليه يتضح لنا ان ارتفاع الصادرات خلال المدة (٢٠٠٠-٢٠١٨) أدى إلى زيادة الاحتياطيات لدى البنك المركزي الذي أسهم في استقرار سعر الصرف الدولار مقابل الدينار عن طريق قيام البنك المركزي بزيادة مبيعاته من الدولار في سوق المزاد.

أما ميزان الخدمات والدخل فقد شهد عجزاً مستمراً للمدة (٢٠٠٠-٢٠١٨)، إذ ارتفع العجز من (٩,٩١٩,٠-) مليون دولار عام ٢٠٠٠ إلى (١٤,٤١٤,٤-) مليون دولار عام ٢٠١٨، ويعزى هذا الأمر إلى ارتفاع كل من المدفوعات الخاصة بدخل الاستثمار الوارد وتكاليف الشحن والنقل والتأمين الناتجة عن ارتفاع قيمة الواردات السلعية، فضلاً عن ذلك الحالة الأمنية (عدم الاستقرار السياسي والامني)، الأمر الذي أدى إلى انخفاض كبير في الإيرادات السياحية، التي تعد أحد المصادر المهمة للنقد الأجنبي في العراق.

أما ميزان الحساب الجاري (الميزان التجاري+ ميزان الخدمات) فقد شهدت المدة (٢٠٠٠- ٢٠٠٥) عجزاً، إذ انخفض العجز من (٢,١٨٥,٠-) مليون دولار عام ٢٠٠٠ إلى (١,٥٤١,٤-) مليون دولار عام ٢٠٠٥، ويعزى هذا العجز إلى وجود عجز في ميزان الخدمات والدخل للمدة المذكورة، أما المدة (٢٠٠٦-٢٠١٨) فقد شهدت فائضاً، إذ ارتفع الفائض من (٧,٥٥٤,٢) مليون دولار عام ٢٠٠٦ إلى (٣٣,٩٦٩,٦) عام ٢٠١٨، ويعزى هذا الفائض إلى وجود فائض كبير في الميزان التجاري في تلك المدة، كما في الجدول (٤).

وفيما يتعلق بصافي التحويلات الجارية، التي تمثل تحويلات العاملين والمعونات الرسمية أهم مكوناتها يلاحظ انخفاض العجز خلال المدة (٢٠٠٠-٢٠٠٢)، إذ انخفض العجز من (٥,٩٨٤,١-) مليون دولار عام ٢٠٠٠ إلى (١,٧٩٢,٥-) مليون دولار عام ٢٠٠٢، ويعزى هذا العجز إلى انخفاض تحويلات العاملين للخارج، أما المدة (٢٠٠٣-٢٠٠٥) فقد شهدت فائضاً في صافي التحويلات الجارية، إذ ارتفع الفائض من (٩٨٩,٠) مليون دولار عام ٢٠٠٤ إلى (٣,٢٣٥,٥) مليون دولار عام ٢٠٠٥، نتيجة لتصاعد صافي التحويلات الرسمية في تلك المدة[٢١]. أما المدة (٢٠٠٦-٢٠١٤) شهدت عجزاً مستمراً في صافي التحويلات الرسمية، ويعزى هذا العجز إلى ارتفاع تحويلات العاملين للخارج نتيجة لزيادة الانفاق الحكومي على مشروعات البنية التحتية (الأساسية) لحفز النمو الاقتصادي وما صاحبه من استقدام المزيد من العمالة الامر الذي أدى إلى ارتفاع مستوى التحويلات[٢٢]. أما المدة (٢٠١٥-٢٠١٨) فقد شهدت فائضاً في صافي التحويلات الجارية، إذ ارتفع الفائض من (٥٤٢,٢) مليون دولار عام ٢٠١٥ إلى (١,٣٠٠,٠) مليون دولار عام ٢٠١٨، نتيجة لتصاعد صافي التحويلات الرسمية في تلك المدة.

أما الموازين الجارية فقد تتكون من مجموع ميزان الحساب الجاري وصافي التحويلات الجارية، إذ شهد المدة (٢٠٠٠-٢٠٠٤) عجز في الموازين الجارية، وذلك بسبب العجز في كل من ميزان الحساب الجاري

وصافي التحويلات الجارية في تلك المدة، أما المدة (٢٠٠٥-٢٠١٨) فقد شهدت فائضاً مرتفعاً في الموازين الجارية، إذ ارتفع الفائض في الموازين الجارية من (١,٦٩٤,١) مليون دولار عام ٢٠٠٥ إلى (٣٥,٢٦٩,٦) مليون دولار عام ٢٠١٨، وذلك بسبب زيادة في ميزان الحساب الجاري خلال المدة المذكورة، وكما في الجدول (٤).

أما ميزان الحساب الرأسمالي والمالي*، فقد شهدت السنوات (٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٣-٢٠٠٥، ٢٠٠٨-٢٠١٠، ٢٠١٣-٢٠١٦) فائضاً في ميزان الحساب الرأسمالي والمالي، ويعزى ذلك للزيادة الملموسة في صافي التدفقات الواردة للحساب الرأسمالي والمالي في العراق. أما السنوات (٢٠٠٢، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٧، ٢٠١٨) فقد شهدت عجزاً في ميزان الحساب الرأسمالي والمالي، ويعزى ذلك لارتفاع صافي قيمة التدفقات الى الخارج في المعاملات المالية والرأسمالية بلغ حوالي (١٥,٧) مليار دولار عام ٢٠١٨[٢٣]، فضلاً عن عدم وجود البيئة الاستثمارية الملائمة لجذب رؤوس الأموال إلى داخل البلد.

أما الميزان الكلي فيعبر عن مجموع الموازين الجارية (الميزان التجاري، وميزان الخدمات، وصافي التحويلات الجارية)، وميزان الحساب الرأسمالي والمالي، وبنود صافي السهو والخطأ). وشهدت السنوات (٢٠٠٠-٢٠٠٣) عجزاً مرتفعاً في الميزان الكلي، إذ ارتفع العجز من (-٨٠٤,٣) مليون دولار عام ٢٠٠٠ إلى (-١,٩٠٠,٧) مليون دولار عام ٢٠٠٣، ويعزى هذا العجز إلى زيادة العجز في كل من الموازين الجارية وبنود صافي السهو والخطأ لتلك المدة، أما السنوات (٢٠٠٤-٢٠١٣) فقد شهدت فائضاً في الميزان الكلي، ويعزى هذا الامر إلى زيادة الفائض في الموازين الجارية، أما المدة (٢٠١٤- ٢٠١٦) فقد شهدت عجزاً، ويعزى هذا العجز إلى زيادة العجز في بنود صافي السهو والخطأ، وبعد عام ٢٠١٦ شهد الميزان الكلي فائضاً مرتفعا، إذ ارتفع الميزان الكلي من (٢,٧٠٣,٠) مليون دولار عام ٢٠١٧ إلى (٦,٥٩٥,٨) مليون دولار عام ٢٠١٨، وكما في الجدول (٤).

وفيما يتعلق الامر بمعدل التغطية وهو يمثل نسبة (الصادرات الاجمالية إلى الاستيرادات الاجمالية) فقد شهدت المدة (٢٠٠٠-٢٠١٨) ارتفاعاً، إذ تراوحت النسبة بين (٨٣,٤%-٢٢٤,٤%) للمدة المذكورة، ويعود ذلك الى عدة أسباب أهمها: قدرة قطاع التصدير، ولاسيما القطاع النفطي، وأيضا قدرة الانتاج المحلي (الزراعة) على تلبية جزء قليل من الاحتياجات المحلية وخاصة الموارد الغذائية الاساسية.

أما معدل القدرة على التصدير فهو يمثل نسبة (الصادرات الاجمالية إلى الـGDP) فقد شهدت المدة (٢٠٠٠- ٢٠١٨) ارتفاعاً، إذ تراوحت النسبة بين (١٤,٩%- ٦٨%) وفي نهاية المدة بلغت النسبة حوالي (٤١,١%) عام ٢٠١٨، ويعزى هذا الامر إلى المساهمة الكبيرة للصادرات الاجمالية (النفط الخام، والمنتجات النفطية، والصادرات الاخرى) في تكوين الناتج المحلي الاجمالي.

أما معدل التبعية فهو يمثل نسبة (الاستيرادات الاجمالية إلى الـGDP) فقد شهدت المدة (٢٠٠٠-٢٠١٨) ارتفاعاً ايضاً، إذ تراوحت النسبة بين (١١,٩%-٨١,٤%)، وفي نهاية المدة بلغت حوالي (١٨,٣) عام ٢٠١٨، ويعزى هذا الامر إلى المساهمة المتدنية التي تحتلها الاستيرادات (الاستيرادات الحكومية، والاستيرادات القطاع الخاص)* في تكوين الناتج المحلي الاجمالي، وهذه النسبة أقل من نسبة معدل القدرة على التصدير للمدة المذكورة، بسبب اعتماد الاقتصاد العراقي على الصادرات النفطية بشكل كبير.

أما نسبة الحساب الجاري إلى الـ GDP، ففي عام ٢٠٠٠ بلغت النسبة حوالي (-٢,٦%)، واخذت النسبة بالارتفاع حتى عام ٢٠٠٢، إذ بلغت النسبة حوالي (١,٢%)، ثم وصلت بالعام الذي يليه حوالي (-٨,٢%)، ويعزى هذه الامر إلى وجود عجز طفيف في ميزان الحساب الجاري بفعل العجز الحاصل في ميزان الخدمات والدخل، وبعد عام ٢٠٠٣ أخذت النسبة بالارتفاع حتى وصلت إلى (٣٢,٧%) عام ٢٠٠٨، ومن ثم انخفضت النسبة إلى (١٦%) عام ٢٠١٨، وهذا الامر يدل على المساهمة الكبيرة للحساب الجاري في تكوين الـGDP، وذلك بسبب زيادة في الميزان التجاري خلال المدة المذكورة. ويتضح ذلك في الجدول (٤).

الجدول (٤) المؤشرات الاقتصادية لميزان المدفوعات في العراق
للمدة (٢٠٠٠-٢٠١٨) (مليون دولار أمريكي)

السنوات (١)	الصادرات (٢)	الاستيرادات (٣)	الميزان التجاري (٤) =	ميزان الخدمات والدخل (٥)	ميزان الحساب الجاري (٦)	صافي التحويلات الجارية (٨)	الموازين الجزئية (٨)	ميزان الحساب الرأسمالي والمالي (١٠)	بنود صافي السهو والخطأ (١٠)	الميزان الكلي (١١)	النتائج المحلي الاجمالي (١٣)	معدل التغطية TC %	معدل القدرة على التصدير TE	معدل التنمية TD % (١٥)	نسبة الحساب الجاري الى
٢٠٠٠	١٨,٧٤٢,٦	١١,٠٠٨,٦	٧,٧٣٤,٠	- ٩,٩١٩,٠	-٢,١٨٥,٠	-٥,٩٨٤,١	-٨,١٦٩,١	١,٢١٦١,٥	-٤٧٩٦,٧	-٨٠٤,٣	٨٣,٥٤٤	١٧٠,٣	٢٢,٤	١٣,٢	-٢,٦
٢٠٠١	١٢,٨٧٢,١	١١,١٥٢,١	١,٧٢٠,٠	-١٣,٦٣٣,٢	-١١,٩١٣,٢	-٣,٤٩٧,١	-١٥,٤١٠,٣	١,٢١٦١,٥	٢,٤٤٤,٦	-٨٠٤,٢	٨١,٠٣٨	١١٥,٤	١٥,٩	١٣,٨	-١٤,٧
٢٠٠٢	١٢,٢١٨,٨	٩,٨١٧,٣	٢,٤٠١,٥	-١,٣٩١	١,٠١٠,٥	-١,٧٩٢,٥	-٧٨٢,٠	-٤,٦٤٧,١	-٣٦٠,٣	-٥,٧٨٩,٤	٨١,٨٤٩	١٢٤,٥	١٤,٩	١١,٩	١,٢
٢٠٠٣	٩,٧١١,١	٩,٩٣٣,٥	-٢٢٢,٤	-١,٧٠١,١	-١,٩٢٣,٥	٩٨٩,٠	-٩٣٤,٥	٥,٩	-٩٧٢,١	-١,٩٠٠,٧	٢٣,٤٦٤	٩٧,٧	٤١,٤	٤٢,٣	-٨,٢

٢٠٠٤	١٧,٨١٠,٠	-٣,٤٩٢,٣	٢١,٣٠٢,٠	-٧٧١,٥	-٤,٢٦٢,٨	١,٨٥٩,٢	-٢,٤٠٤,٦	٤,٨٣٩,٠	١,٧٧٧,٦
٢٠٠٥	٢٣,٦٩٧,٤	٣,٦٩٥,٢	٢٠,٠٠٢,٢	-٥,٣٣٦,٦	-١,٥٤١,٤	٣,٢٣٥,٥	١,٦٩٤,١	٢,٠٩١,٢	٥٨٩,٢
٢٠٠٦	٣٠,٥٢٩,٤	١١,٨٢١,٩	١٨,٧٠٧,٥	-٤,٢٦٧,٧	٧,٥٥٤,٢	-٤٥٨,٦	٧,٠٩٥,٦	-٧,١٠٠,٠	٤,٤
٢٠٠٧	٣٩,٥٩٠,٠	٢١,٣٠١,٣	١٨,٢٨٨,٧	-٣,٠٠٠,٤	١٨,٣٠٠,٩	-١,٥٥٤,٥	١٦,٧٤٦,٤	-١٦,٠٣١,٥	-٧١٤,٩
٢٠٠٨	٦٣,٧٢٦,١	٣٣,٥٥٤,٩	٣٠,١٧١,٢	١,٧١٨,٢	٣٥,٢٧٣,١	-٢,٩٣١,٧	٣٢,٣٤١,٤	٢١,١٤٧,٨	-١١,١٩٦,٦
٢٠٠٩	٣٩,٧٨٢,٢	٧,١٠٨,٩	٣٢,٦٧٣,٣	-٣,٨٤٩,٤	٣,٢٥٩,٥	-١,٩٨٨,٨	١,٢٧٠,٧	٦,٩٨٤,٨	-٨,٢٥٥,٥
٢٠١٠	٥١,٧٦٣,٦	١٤,٤٣٥,٦	٣٧,٣٢٨,٠	-٥,٤٥٢,٧	٨,٩٨٢,٩	-٢,٥٥٢,٥	٦,٤٣٠,٤	٢,٢٧٣,٧	-٨,٧٠٤,١

-١٦,٣	٨١,٤	٦٨,٠	٨٣,٦	٢٦,١٧٥	٤,٢١٢,٠	١,٧٧٧,٦	٤,٨٣٩,٠	-٢,٤٠٤,٦	١,٨٥٩,٢
-٣,١	٤٠,١	٤٧,٥	١١٨,٥	٤٩,٨٨٧	٤,٣٧٤,٥	٥٨٩,٢	٢,٠٩١,٢	١,٦٩٤,١	٣,٢٣٥,٥
١٣,٧	٣٤,١	٥٥,٦	١٦٣,٢	٥٤,٨٤٦	٠	٤,٤	-٧,١٠٠,٠	٧,٠٩٥,٦	-٤٥٨,٦
٢٦,٣	٢٦,٣	٥٦,٩	٢١٦,٥	٦٩,٥٥٦	٠	-٧١٤,٩	-١٦,٠٣١,٥	١٦,٧٤٦,٤	-١,٥٥٤,٥
٣٢,٧	٢٨,٠	٥٩,٢	٢١١,٢	١٠٧,٦٧٢	٤٢,٢٩٢,٦	-١١,١٩٦,٦	٢١,١٤٧,٨	٣٢,٣٤١,٤	-٢,٩٣١,٧
٣,٥	٣٤,٦	٤٢,٢	١٢١,٧	٩٤,٢٩١	٠	-٨,٢٥٥,٥	٦,٩٨٤,٨	١,٢٧٠,٧	-١,٩٨٨,٨
٧,٤	٣٠,٦	٤٢,٤	١٣٨,٧	١٢٢,٠٤١	٠	-٨,٧٠٤,١	٢,٢٧٣,٧	٦,٤٣٠,٤	-٢,٥٥٢,٥

١٨,٩	٢٤,٩	٤٨,٩	١٩٦,١	١٦٣,٠٣٤	٠	-٣,٥٦١,١	-٢٢,٨٠٤,٣	٢٦,٣٦٥,٤	-٤,٣٨٥,٨	٣٠,٧٥١,٢	-٨,٢٩٦,٨	٣٩,٠٤٨,٠	٤٠,٦٣٢,٥	٧٩,٦٨٠,٥	٢٠١١
٢٠,١	٢٤,٧	٤٩,٧	٢٠٠,٨	١٨٩,٦١١	٣,٢٧٢,٧	-٣,٥٦١,١	-٢٥,٠٧٦,٤	٣١,٩١٠,٢	-٥,٠٦٠,٧	٣٦,٩٧٠,٩	-٩,٤٠٢,١	٤٦,٣٧٣,٠	٤٧,٧٩٨,٦	٩٤,١٧١,٦	٢٠١٢
١١,٧	٢١,٥	٣٨,٣	١٧٧,٩	٢٣٤,٦٣٨	٧,٨٠٢,٢	-٢٨,١١٤,٢	١٣,٣٤٤,٢	٢٢,٥٩٠,٢	-٤,٨٦٥,٣	٢٧,٤٥٥,٥	-١١,٨٦٥,٤	٣٩,٣٢٠,٩	٥٠,٤٤٧,٠	٨٩,٧٦٧,٩	٢٠١٣
١٢,١	١٩,٨	٣٦,٧	١٨٥,٨	٢٢٨,٧٨١	-١١,٨٥٢,١	-٣٩,٨٧٤,٥	٣,٥٩٤,٤	٢٤,٤٢٨,٠	-٣,١٦٣,٠	٢٧,٥٩١,٠	-١١,١٩٠,٠	٣٨,٧٨١,٠	٤٥,٢٠٠,٠	٨٣,٩٨١,٠	٢٠١٤
٢,١	١٩,٤	٢٥,٤	١٣٠,٩	١٧١,١٣٦	-١٣,٤٧٠,٦	-٢٢,٥٦٤,٨	٤,٩٧٢,٩	٤,١٢١,٣	٥٤٢,٢	٣,٥٧٩,١	-٦,٦٧٤,٢	١٠,٢٥٣,٣	٣٣,١٨٨,٢	٤٣,٤٤١,٥	٢٠١٥
١,٠٢	١١,٣	١٦,٥	١٤٥,٤	١٧٢,٤٧٩	-٨,٦٦٩,٠	-٢٢,٧٣٢,١	١١,٢٩١,٤	٢,٧٧١,٧	١,٠٠٥,٥	١,٧٦٦,٢	-٧,٠١٩,١	٨,٧٨٥,٣	١٩,٥٧٤,٦	٢٨,٣٥٩,٩	٢٠١٦
٦,٧	١٧,٣	٣٠,٢	١٧٤,٧	١٩٠,٨٧٤	٢,٧٠٣,٠	-٨,١١٥,٨	-٣,١٣٥,٧	١٣,٩٥٤,٥	١,١٨٣,٣	١٢,٧٧١,٢	-١١,٨٣٧,١	٢٤,٦٠٨,٣	٣٢,٩٥٠,٨	٥٧,٥٥٩,١	٢٠١٧

٢٠١٨	٨٧,٢٦٠,٠	٣٨,٨٧٦,٠	٤٨,٣٨٤,٠	-١٤,٤١٤,٤	٣٣,٩٦٩,٦	١,٣٠٠,٠	٣٥,٢٦٩,٦	-١٥,٧١٢,٥	-١٢,٩٦١,٣	٦,٥٩٥,٨	٢١٢,٢٣٤	٢٢٤,٤	٤١,١	١٨,٣	١٦

المصدر:- الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:-

-صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد (٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١٣، ٢٠١٨، ٢٠١٩)، ابو ظبي- دولة الامارات العربية الموحدة، صفحات متفرقة.

-البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والابحاث، التقرير الاقتصادي السنوي (٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥)، جمهورية العراق، صفحات متفرقة.

-البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والابحاث، المجموعة الاحصائية (٢٠٠٣، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١، ٢٠١٢)، جمهورية العراق، صفحات متفرقة.

-الاعمدة (١٣ ، ١٤، ١٥، ١٦) من إعداد الباحث

نستنتج مما سبق أنَّ ميزان المدفوعات العراقي قد شهد تحسناً ملحوظاً في المدة المذكورة، ويعود ذلك إلى عدة اسباب منها تحسن في الميزان الكلي والذي يعكس الوضع الخارجي للميزان المدفوعات العراقي اتجاه العالم الخارجي، تحسن كل من معدل التغطية ومعدل القدرة على التصدير، تحسن في بعض المكونات الفرعية المكونة للميزان المدفوعات، وهو الميزان التجاري لما له من أهمية في تقرير المركز الخارجي للاقتصاد سواء كان في حالة فائضاً أم عجزاً ، وجاءت هذه الأهمية مستوحاة من خلال تصدير النفط الخام الذي يسهم بدور بارز في تمويل الاقتصاد العراقي من خلال توفير العملة الصعبة لتغطية قيم الاستيرادات، فضلاً عن ذلك كون العراق حالياً دولة ذات اقتصاد مفتوح تمارس حرية التجارة في ظل اقتصادهُ يعاني من اختلالات هيكلية كثيرة في قطاع الزراعة والصناعة وغيرها.

المطلب الثالث: السياسات المقترحة لتطبيق وتفعيل الحرية الاقتصادية لتحفيز القطاع الخارجي في العراق

إنَّ العمل على تحفيز القطاع الخاص (الحرية الاقتصادية) وزيادة كفاءته لابد أن يبدأ من تدخل الدولة في القواعد والبنية المؤسساتية ومؤسسات السوق المنظمة لعمل القطاع الخاص، فضلاً عن تشريع قوانين مكافحة الاحتكار وحماية المستهلك وحقوق العاملين في هذا القطاع؛ ولكي يأخذ هذا القطاع حيزاً متميزاً يسهم في تنويع الاقتصاد العراقي لابد من العمل على تحقيق حزمة من الاصلاحات وكما يأتي:

اولاً: تشجيع القطاع الخاص والتحول نحو اقتصاد السوق

كانت الدولة والقطاع العام ولعدة عقود تسيطر على معظم النشاط الاقتصادي مع خضوع النشاط الخاص لتشريعات وإجراءات مقيدة، مما جعل هذا القطاع مهمشاً في أنشطة محدودة في الاقتصاد، أما الأن وبعد ان اصبح التوجه لتشجيع القطاع الخاص واعطائه الدور الأكبر والريادي في الاقتصاد والتنمية، فالواجب تهيئة البيئة المناسبة لعمله عن طريق ازالة القيود والعوائق والإجراءات التنظيمية والتشريعية مثل (تحرير أسعار السلع والخدمات وأسعار الصرف والفائدة، تحرير التجارة والنشاط الاقتصادي) واتباع سياسات ائتمانية ملائمة وتوفير البيئة الاستثمارية المناسبة من خلال اعتماد مبادئ وشروط التحول إلى اقتصاد السوق[٢٤].

ويرى الباحث وفي ظل الأوضاع الحالية في العراق فإن هناك حاجة ماسة إلى الاستثمار الأجنبي المباشر الذي يسهم في ادخال التكنولوجياً المتطورة إلى داخل البلد وتشغيل إعداد كبيرة من القوى العاملة واكتساب الخبرة والكفاءة.

ثانياً: تحسين مستويات الاستقرار الأمني والاقتصادي

إن تحسين الوضع الأمني في العراق يشكل أهمية كبيرة لدى المستثمرين، فإذا لم تقم الحكومة العراقية بإجراءات واسعة لضبط الأمن وتخفيض معدلات الجريمة، من خلال بناء قوات أمنية مدرَّبه ومجهزة بأحدث الأسلحة للسيطرة وبشكل تامّ على الأمن داخل البلد وكذلك بناء جيش قوي يستطيع منع تسلل الإرهاب عبر الحدود، فلن تتوافد رؤوس الأموال الأجنبية إلى العراق بالشكل المطلوب، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإجراءات التي اتخذتها الحكومة في هذا المجال قد أدت إلى تحسن الوضع الامني عن السابق وهو يتجه إلى المزيد من التحسن، مما يسجل نقطة إيجابية في صالح تشجيع الاستثمار الاجنبي المباشر في العراق، والمسألة الأخرى التي يجب وضع الحلول لها هي مسألة الاستقرار الاقتصادي، إذ إن المستثمر يسعى من وراء استغلاله أمواله، ووحداته الانتاجية في الدول الأخرى إلى تحقيق عوائد مجزية ولن يتسنى

له ذلك إلاَّ إذا كان اقتصاد الدولة التي يزاول نشاطه فيها مستقراً، والحل يتمثل في المحافظة على قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى، ومعالجة الارتفاع في مستويات التضخم[٢٥].

ثالثاً: تطبيق برامج الاصلاح

ان تطبيق برامج الاصلاح بما تتضمنه من تحقيق استقرار اقتصادي وتصحيح هيكلي واصلاح اقتصادي شامل ومن شأن ذلك يعزز تطبيق الحرية الاقتصادية والانتقال إلى حالة الاقتصاد المنتج دون الاعتماد على مورد احادي الجانب (قطاع النفطي).

رابعاً: اقامة المناطق الاستثمارية:

نصت المادة (٩/سابقاً) من قانون الاستثمار رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ على العمل على إقامة مناطق استثمارية، وعلى الهيأة الوطنية للاستثمار ان تعد خطة لتنفيذ المناطق الاستثمارية وعليها التخلص اولاً من مشكلة تخصيص الأراضي للمشاريع الاستثمارية التي تمثل عقبة في انشاء المشاريع الاستثمارية ويتم انشاء المناطق الاستثمارية من قبل شركات متخصصة وذات سمعه في هذا المجال سيعطي حافزاً للشركات الاستثمارية بدخول السوق العراقية والاستثمار فيها ويمكن للحكومة العراقية الاستفادة من التجربة الاماراتية في هذا المجال.

خامساً: تفعيل الدعم للقطاع الخاص

ان اعطاء الحرية والدعم للقطاع الخاص في العراق من أجل احلال الاستيرادات وتقليل الانكشاف التجاري ومن أجل تحسن الاقتصاد العراقي ولكافة القطاعات وهذا بدوره يؤدي إلى عملية التنويع الاقتصادي، مما يعزز الموارد المالية بدلاً من تحولها إلى العالم الخارجي لتغطية الاستيرادات.

سادساً: اقامة المناطق الحرة

إنّ الدعوة إلى إقامة العديد من المناطق الحرة في العراق وتهيئة الاجواء وتحسين البيئة الاستثمارية فيها ولاسيما بما يحظى به العراق من مقومات طبيعة تزيد من إمكانية نجاح هذه المناطق وتمنحها مميزات

عديدة للجذب فضلاً عن كون العراق يشكل سوقاً تجارياً واسعاً، وممراً استراتيجياً للتجارة بين الشرق والغرب.

سابعاً: انضمام العراق إلى منظمة التجارة العالمية* (World Trade Organization)

تم إيداع طلب انضمام العراق إلى منظمة التجارة العالمية في (٣٠) سبتمبر عام ٢٠٠٤ بناء على البند الثاني عشر، وتم إنشاء فريق عمل خلال المجلس العمومي المنعقد في (١٣) ديسمبر عام ٢٠٠٤ يترأسه السيد "كيلارمو فاليس كالميز" من الأوروغواي، وقد قدم العراق مذكرة حول نظام تجارته الخارجية، وللمرة الأولى منذ إيداع الطلب العراقي للانضمام لمنظمة التجارة العالمية لعام ٢٠٠٤ عقد فريق العمل اجتماعه في (٢٥) مايو عام ٢٠٠٧ لبحث القانون التجاري العراقي ومدى توافقه مع مبادئ منظمة التجارة العالمية. وعقد العراق اجتماعيات ثنائية مع البرازيل ومصر والامارات العربية المتحدة والولايات المتحدة الامريكية والاردن والمغرب والنرويج وعمان وتايوان والاتحاد الاوربي وفيتنام، وقد طلب من العراق تقديم عروض أولية للتقدم بالمفاوضات حول دخول السلع والخدمات إلى الأسواق، على ان يتعهد العراق بإعداد الوثائق حول الزراعة والخدمات والحواجز الفنية للتجارة والمسائل المتعلقة بالصحة والصحة النباتية والملكية الفكرية، وتقرر ان يقوم العراق بإعداد مخطط العمل التشريعي العام الذي سيبين للدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية الوضع الراهن لقانون التجارة الخارجية والمشاريع الحالية في هذا المجال[٢٦].

ومن المزايا الإيجابية لانضمام العراق إلى هذه المنظمة تتمثل بالآتي:-

١- يسهم في تحقيق المزيد من الارتباط والاندماج في الاقتصاد الدولي وبالتالي تحسن صورة العراق في المجال الاقتصادي والتجاري على المستوى الدولي، مما يمنح الثقة في التعامل التجاري مع العراق لاسيما طمأنة المستثمرين الاجانب عن مخاطر الاستثمارات في العراق.

٢- تعاني البنية التحتية للاقتصاد العراقي الكثير من المشاكل والتحديات بسبب الحروب وسنوات الحصار الاقتصادي التي استمرت لعقود من الزمن وما انتج عنها من تخريب المنشاة الحيوية ودمارها،

بحيث اصبح العراق بحاجة ماسة الى جذب الاستثمارات الاجنبية في مختلف المجالات الذي لا يكفي الاستثمار المحلي لوحده عن تلبية هذه الاحتياجات، ويتطلب الاستثمار الاجنبي تهيئة بيئة استثمارية مستقرة وتشريعات قانونية ملائمة لممارسة المستثمرين اعمالهم في حالة تلبية العراق لشروط الانضمام، فمن خلال زيادة الاستثمارات فان ذلك يؤدي إلى مضاعفة حجم التجارة الخارجية وتنويع الانتاج في الاقتصاد الوطني حيث يخرج العراق من احادية النفط كمصدر للدخل[٢٧].

٣- سوف يحد من الممارسات التجارية التي من شانها زيادة الاغراق من خلال استيراد السلع الرخيصة ذات الجودة المنخفضة، لأن الشركات الاجنبية تبيع سلعها بأسعار منخفضة لكونها تحصل على الدعم.

٤- تطوير تجارة قطاع الخدمات، فالعراق يعاني من تدني مستوى الخدمات وان الانضمام الى التجارة الدولية سوف يوفر العديد من فرص لموردي الخدمات في مجالات عدة مثل الاتصالات والتأميم[٢٨].

٥- يعمل الانضمام على تحقيق زيادة نصيب الفرد من الـGDP، ومن ثم زيادة الرفاهية ومستوى المعيشة من خلال تحرير التجارة الخارجية من كافة القيود ومن ثم خلق اجواء تنافسية للصناعات والمنتجات الوطنية.

٦- يسهم الانضمام على حماية الملكية الفكرية وابداعات العقل البشري، وكذلك ما يتعلق بالعلامات التجارية وبراءات الاختراع[٢٩].

لابد من الاستفادة من المزايا النسبية التي يمكن ان يجنيها الاقتصاد الوطني في الانضمام إلى هذه المنظمة، كون الانضمام يفتح فرصاً مختلفة للاستفادة من انفتاح الأسواق العالمية وتخفيض أو الغاء الرسوم الجمركية بوجه الصادرات العراقية من السلع والخدمات المختلفة الأمر الذي يشجع القطاع الصناعي والقطاعات الأخرى على النمو والتطور ورفع مستوى الكفاءة الإنتاجية، وعلى الحكومة القيام بتقديم الحوافز والخدمات والتسهيلات المختلفة لتأهيل وتطوير لصناعة والقطاعات الاقتصادية المختلفة وتشجيع عمليات التعاون والتنسيق فيما بين الصناعات المختلفة وبين القطاعات الاقتصادية المختلفة بما

يؤمن رفع مستوى الكفاءة الانتاجية وتوسيع التعاون مع الدول العربية لصالح زيادة التعاون والتنسيق التجاري والفني والعلمي والثقافي وإعادة النظر في كافة القوانين والإجراءات والانظمة[٣٠].

ولا يمكن بأي حال من الأحوال رفض الانضمام إلى هذه المنظمة وإلى الأبد، ذلك لأن الموجة العالمية تسير بهذا الاتجاه، كما أن البقاء خارج السرب ليس صحيحاً، ولكن لكل دولة مسوغاتها وأوضاعها والتحديات التي تواجهها، وأن منافع الانضمام متفاوتة ما بين هذه الدولة وتلك، وكذلك الحال للخسائر التي تختلف وطأتها من اقتصاد إلى آخر، فالاقتصاد العراقي وبالرغم من المزايا المتواضعة التي يمكن ان يحققها من هذه الاتفاقية يعاني من جملة من المحن التي كان من المفترض ان توضع بالحسبان قبل السير في طريق الانضمام وفي مقدمتها هي عدم وجود خطة استراتيجية واضحة، فضلاً عن الضرر الذي اصاب القطاع الزراعي والصناعي، فضلاً عن غياب استراتيجية واضحة للسياسة التجارية للعراق.

وخلاصة القول علينا الاقرار بأن الانضمام إلى منظمة WTO مهم في ظل تنامي العولمة والانفتاح والاعتماد المتبادل، إلا أن واقع الاقتصاد العراقي حالياً هو يعتمد على الاستيراد بشكل كبير إذ تصل نسبة الاستيرادات (٢٥%) من GDP تقريباً في حين أن الصادرات غير النفطية لا تتعدى (٢%) من إجمالي الصادرات، ومن هذا نستنتج أن منافع الانضمام إلى هذه منظمة WTO متواضعة جداً، ولكن قد يحقق العراق منافع من الانضمام اليها في حالة نمو وازدهار الصادرات غير النفطية في المستقبل.

إنَّ ما ذكرنا سابقاً وغيره من الاجراءات يمكن لها أن تسهم ولو بقدر معين في دفع عجلة القطاع الخاص (الحرية الاقتصادية) والقطاع الخارجي في العراق، وعلى نحو يزيد من احتمالية مشاركته في العملية التنموية، واسهامه في تنويع الاقتصاد، ومحاولة انقاذه من الاعتمادية الريعية المطلقة.

الاستنتاجات:

خلال البحث تم التوصل إلى جملة من الاستنتاجات نذكر من بينها الآتي :-

١.إن زيادة درجة الحرية الاقتصادية بشكل عام، والقطاع الخارجي بشكل خاص يعني زيادة التوسع في الانشطة الاقتصادية، وزيادة الكفاءة الاقتصادية لهذه الانشطة، وان زيادة الكفاءة الاقتصادية تؤدي إلى امكانية دخول الأسواق (زيادة القدرة التنافسية)، وأن هذا التنافس من شأنه ان يؤدي إلى محاولة التكافؤ ما بين الاستيرادات والصادرات ضمن اطار القطاع الخارجي (التجارة الخارجية وميزان المدفوعات). وان زيادة درجة الحرية الاقتصادية، تعني زيادة درجة الانفتاح الاقتصادي*، ومن ثم زيادة أنشطة الشركات المتعددة الجنسيات، ومن ثم توسيع تدفق الاستثمارات الاجنبية للدولة، وهذا بدوره ينعكس بشكل ايجابي على توسيع القطاع الخارجي (التجارة الخارجية وميزان المدفوعات) للدولة.

٢.تشير نتائج أداء الحرية الاقتصادية والقطاع الخارجي في العراق إلى ان مؤشرات الحرية الاقتصادية لا تتمتع بمستوى مقبول؛ لكونه يصنف ضمن (حرية اقتصادية ضعيفة) نتيجة ضعف سيادة القانون والفساد الاداري والمالي وتدخل الدولة بالنشاط الاقتصادي كون العراق دولة ريعية وضعف الكفاءة التنظيمية وفوضى الانفتاح على الخارج وضعف حماية الاستثمار.....الخ. الا أن مؤشرات الحرية الاقتصادية لم يتضح لها دور واضح على القطاع الخاص في العراق؛ لكونه يعتمد على تصدير النفط، في حين قد يكون لها أثر واضحاً فيما لو كان اقتصاد العراق متنوعاً.

٣.بما أن اقتصاد العراق يعاني من مشاكل كبيرة واختلالات هيكلية فإن تدهور الحرية الاقتصادية في العراق يجعله يتبوأ المراتب المتأخرة ضمن مؤشر الحرية الاقتصادية وكل ذلك انعكس سلباً على القطاع الخارجي غير النفطي تحديداً. ومن أجل تفعيل الحرية الاقتصادية لتحفيز القطاع الخارجي في العراق يتطلب التحول الفعلي نحو اقتصاد السوق وتحسين مستوى الاستقرار الامني والاقتصادي واقامة مناطق حرة ومناطق استثمارية وتطبيق برامج اصلاح واقعية وفعالة.

التوصيات:

بناءً على الاستنتاجات السابقة يمكن تقديم التوصيات الآتية:

١. كما هو معروف أن للحرية الاقتصادية دور كبير في تفعيل التطور الاقتصادي للبلدان؛ لكونها تشجع القطاع الخاص من خلال آليه السوق، وزيادة دور الاستثمار والانتاج في التنمية الاقتصادية وعليه نوصي بضرورة تطبيق الحرية الاقتصادية والارتقاء بمؤشراتها المختلفة من أجل الارتقاء بمستوى الاداء الاقتصادي.

٢. بما أن مؤشرات الحرية الاقتصادية لم يكن لها دور واضح على القطاع الخارجي في العراق لكونه ذا اقتصاد ريعي، لذا نوصي بالارتقاء بمستوى الحرية الاقتصادية التي من شأنها تفعيل دور القطاع الحقيقي غير الاستخراجي في مجال التجارة الخارجية لتقليل الاعتماد على النفط الذي تخضع ايراداته إلى تقلبات اسعار النفط العالمية.

٣. رغم أن التحول إلى اقتصاد السوق هو من توجهات الاقتصاد العراقي بعد عام ٢٠٠٣، الا ان واقع الحال يشير إلى هيمنة القطاع العام بسبب ريعية الاقتصاد، ولهذا نوصي بإيلاء أهمية للحرية الاقتصادية من أجل تفعيل دور القطاع الخاص وآلية السوق لبناء اقتصاد عراقي متطور.

٤. بما أن العالم يشهد دور العولمة المتنامي من الانفتاح والاعتماد المتبادل، لذا يجب الاندماج مع الاقتصاد الدولي من خلال عمليات التحرير والاصلاح الاقتصادي من أجل النهوض بالقطاع الخارجي.

الهوامش:

(١) وزارة التخطيط، جمهورية العراق، خطة التنمية الوطنية للسنوات (٢٠١٠-٢٠١٤)، بغداد، كانون الأول، ٢٠٠٩وزارة التخطيط، ص ١٧٦.

(٢) وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية للسنوات (٢٠١٠- ٢٠١٤)، المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٣) منذر جابر محمد، الخصخصة والاقتصاد العراقي، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠٠٩، ص (١٤٠- ١٤١).

(١) وزارة التخطيط، تقرير الاقتصادي العراقي السنوي لعام ٢٠١٤، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، جمهورية العراق، بغداد، كانون الأول، ٢٠١٤، ص ٤٠.

* بسبب عدم ظهور بيانات العراق وتقييمه في مؤشر الحرية الاقتصادية العالمي الذي يصدره معهد التراث الأمريكي (Hertage)، لذا سنعتمد على تقرير الحرية الاقتصادية للعالم العربي الذي يصدره مؤسسة البحوث الدولية بسلطنة عمان بالتعاون مع معهد (فريزر) الكندي ومؤسسة (فريدريش الالمانية). علماً ان متغيرات هذا المؤشر متشابهة إلى حد ماً مع تقرير معهد التراث.

* المادة ١١٢ ثانياً نصت على "تقوم الحكومة الاتحادية وحكومات الأقاليم والمحافظات المنتجة معاً برسم السياسات الاستراتيجية اللازمة لتطوير ثروة النفط والغاز، بما يحقق أعلى منفعة للشعب العراقي، معتمدة أحدث مبادئ اقتصاد السوق وتشجيع الاستثمار". للمزيد راجع الدستور العراق الصادر عام ٢٠٠٥، ص ٢٨.

(١) منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد للمدة (٢٠٠٣- ٢٠١٨)، الائتلاف العالمي ضد الفساد، صفحات متفرقة.

(١) البنك الدولي، تقرير ممارسة أنشطة الاعمال للمدة (٢٠٠٦-٢٠١٨)، صفحات متفرقة.

(٢)World Bank Group, Doing Business ٢٠١٨ – Comparing Business Regulation, p١٦٨.

(٣)World Bank Group, Doing Business ٢٠١٨ – Comparing Business Regulation, p١٦٨.

(٤) عبد الجبار عبود الحلفي، الاقتصاد العراقي (النفط- الاختلال الهيكلي- البطالة)، مركز العراق للدراسات، الساقي للطباعة والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠١٥، ص ٦٧.

(٥) مفيد ذنون يونس وأخرون، أثر الفساد في النمو الاقتصادي في ظل تباين مؤسسة الحكم، مجلة تنمية الرافدين، العدد ١٠٩، مجلد ٣٤، جامعة الموصل، العراق، ٢٠١٢ ، ص (١٩٠-١٩١).

(٦) منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد للمدة ٢٠١٨، الائتلاف العالمي ضد الفساد، ص ١٠.

(١)World Bank Group, Doing Business ٢٠١٨-Comparing Business Regulation, p١٦٨.

(٢)World Bank Group, Doing Business ٢٠١٨ – Comparing Business Regulation, p١٦٨.

(٣) أسّار فخري عبد اللطيف، أثر الأخلاقيات الوظيفية في تقليل فرص الفساد الإداري في الوظائف الحكومية، مجلة علوم انسانية، السنة الرابعة، العدد (٢٩)– تموز (يوليو)، ٢٠٠٦، ص (١٠-١٢).

(١) شبكة النبأ المعلوماتية، العراق والحرية الاقتصادية: المفارقة والاسباب والحلول، مقالات اقتصادية، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٧.

(١) وزارة التخطيط، تقرير الاقتصادي العراقي ٢٠١٩، الجزء ٣، جمهورية العراق، بغداد، ٢٠١٩، ص (٩٥– ١٠٤).

(٢) وزارة التخطيط، تقرير الاقتصاد العراقي ٢٠١٠، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، جمهورية العراق، بغداد، ٢٠١١، ص (٦٣– ٦٤).

(٣)حالوب كاظم معله، مروة خضير سلمان، التجارة الخارجية للعراق بين ضروريات التنويع الاقتصادي وتحديات الانضمام إلى WTO، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد ٢٢– العدد ٨٨، ٢٠١٦، ص ٣٢٩.

(١) حالوب كاظم معله، مروة خضير سلمان، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

(٢) فارس كريم بريهي، ميس عبد الامير كشيش، الاختلال الهيكلي للميزان التجاري العراقي للمدة (١٩٩٤-٢٠١٤) دراسة تحليلية، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد ٢٣– العدد ١٠١، ٢٠١٧، ص ٣٢٦.

(١) صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠٧، ابو ظبي– دولة الامارات العربية المتحدة، ص ١٧١.

(٢) صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠١٥، ابو ظبي– دولة الامارات العربية المتحدة، ص ٢٣٤.

* ميزان الحساب الرأسمالي والمالي وهو يمثل حاصل جمع الحساب الرأسمالي والمالي والذي يتضمن مكونات فرعية وهي (صافي الاستثمار المباشر+ صافي استثمار الحافظة + صافي الاستثمار الاخر).

(١) صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠١٩، ابو ظبي– دولة الامارات العربية المتحدة، ص ١٨١.

* – تشمل الاستيرادات الحكومية (الاستيرادات الاستهلاكية، الاستيرادات الرأسمالية، الاستيرادات المنتجات النفطية، الاستيرادات الحكومية الاخرى، تكاليف طبع العملة).

– تشمل الاستيرادات القطاع الخاص (استيرادات القطاع الخاص الاستهلاكية والرأسمالية، استيرادات منتجات نفطية قطاع خاص).

(١) سعدية هلال حسن التميمي، تحليل مؤشرات البيئة الاستثمارية ودورها في تحفيز النمو الاقتصادي في دول مختارة مع إشارة خاصة للعراق، اطروحة دكتوراه، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، ٢٠١٥، ص (١٩٧–١٩٨).

(١) جواد كاظم جبار، الحوافز والحماية القانونية للاستثمارات الاجنبية في العراق، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص (٣٤٣– ٣٤٤).

* يعد العراق من الحكومات المراقبة في منظمة التجارة العالمية.

(١) غسان طارق ظاهر، اثر الانكشاف التجاري على الناتج المحلي الاجمالي في بلدان اسيوية مختارة للمدة (١٩٨٠–٢٠١١)، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الادارة والاقتصاد، قسم الاقتصاد، ٢٠١٣، ص ١٢٢.

(٢) حسام عبد الله يوسف العذاري، اثر التجارة الخارجية على النمو الاقتصادي في العراق للمدة(٢٠١٣ – ١٩٩٠)، رسالة الماجستير، جامعة الكوفة، كلية الادارة والاقتصاد، قسم الاقتصاد، ٢٠١٧، ص ١٥٠.

(١) مظفر حسني علي، مزايا انضمام العراق لمنظمة التجارة العالمية ، بحث مقدم لندوة وزارة التجارة حول انضمام العراق لمنظمة التجارة العالمية، بغداد، ٢٠٠٩،ص ٩.

(٢) ايسر ياسين فهد، منظمة التجارة العالمية واقع انضمام العراق، بحث مقدم لندوة المركز العراقي لإصلاح الاقتصادي عن انضمام العراق لمنظمة التجارة العالمية، الهيئة الوطنية لاستثمار، بغداد ،٢٠٠٩ ،ص٣.

(٣) سعدية هلال حسن التميمي، المصدر السابق، ص (٢٠٠–٢٠٢).

* الانفتاح الاقتصادي مفهوم أوسع من مفهوم حرية التجارة؛ لكونه يشمل أيضاً "حركة عوامل الانتاج والمعلومات وتبادل العملات".

المراجع:

أولاً : المراجع باللغة العربية :

١– أسّار فخري عبد اللطيف، أثر الأخلاقيات الوظيفية في تقليل فرص الفساد الإداري في الوظائف الحكومية، مجلة علوم انسانية، السنة الرابعة، العدد (٢٩)– تموز (يوليو)، ٢٠٠٦.

٢- ايسر ياسين فهد، منظمة التجارة العالمية واقع انضمام العراق، بحث مقدم لندوة المركز العراقي لإصلاح الاقتصادي عن انضمام العراق لمنظمة التجارة العالمية، الهيئة الوطنية لاستثمار، بغداد ،٢٠٠٩.

٣- البنك الدولي، تقرير ممارسة أنشطة الاعمال للمدة (٢٠٠٦-٢٠١٨).

٤- جواد كاظم جبار، الحوافز والحماية القانونية للاستثمارات الاجنبية في العراق، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.

٥- حالوب كاظم معله، مروة خضير سلمان، التجارة الخارجية للعراق بين ضروريات التنويع الاقتصادي وتحديات الانضمام إلى WTO، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد ٢٢- العدد ٨٨، ٢٠١٦.

٦- حسام عبد الله يوسف العذاري، اثر التجارة الخارجية على النمو الاقتصادي في العراق للمدة(٢٠١٣ - ١٩٩٠)، رسالة الماجستير، جامعة الكوفة، كلية الادارة والاقتصاد، قسم الاقتصاد، ٢٠١٧.

٧- الدستور العراق الصادر عام ٢٠٠٥.

٨- سالم بن ناصر الإسماعيلي، واخرون، الحُرية الاقتصادية في العالم العربي- التقرير السنوي للمدة (٢٠١٢- ٢٠١٨)، مؤسسة فريدريش ناومان من أجل الحرية، مؤسسة البحوث الدولية في سلطنة عُمان، معهد فريزر.

٩- سعدية هلال حسن التميمي، تحليل مؤشرات البيئة الاستثمارية ودورها في تحفيز النمو الاقتصادي في دول مختارة مع إشارة خاصة للعراق، اطروحة دكتوراه، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، ٢٠١٥.

١٠- شبكة النبأ المعلوماتية، العراق والحرية الاقتصادية: المفارقة والاسباب والحلول، مقالات اقتصادية، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٧.

١١- صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد (٢٠٠٠- ٢٠١٩)، ابو ظبي- دولة الامارات العربية المتحدة.

١٢- عبد الجبار عبود الحلفي، الاقتصاد العراقي (النفط- الاختلال الهيكلي- البطالة)، مركز العراق للدراسات، الساقي للطباعة والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠١٥.

١٣- غسان طارق ظاهر، اثر الانكشاف التجاري على الناتج المحلي الاجمالي في بلدان اسيوية مختارة للمدة (١٩٨٠-٢٠١١)، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الادارة والاقتصاد، قسم الاقتصاد، ٢٠١٣.

١٤- فارس كريم بريهي، ميس عبد الامير كشيش، الاختلال الهيكلي للميزان التجاري العراقي للمدة (١٩٩٤-٢٠١٤) دراسة تحليلية، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد ٢٣- العدد ١٠١، ٢٠١٧.

١٥- مظفر حسني علي، مزايا انضمام العراق لمنظمة التجارة العالمية، بحث مقدم لندوة وزارة التجارة حول انضمام العراق لمنظمة التجارة العالمية، بغداد، ٢٠٠٩.

١٦- مفيد ذنون يونس وأخرون، أثر الفساد في النمو الاقتصادي في ظل تباين مؤسسة الحكم، مجلة تنمية الرافدين، العدد ١٠٩، مجلد ٣٤، جامعة الموصل، العراق، ٢٠١٢.

١٧- منذر جابر محمد، الخصخصة والاقتصاد العراقي، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠٠٩.

١٨- منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد للمدة (٢٠٠٣- ٢٠١٨)، الائتلاف العالمي ضد الفساد.

١٩- منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد للمدة ٢٠١٨، الائتلاف العالمي ضد الفساد.

٢٠- وزارة التخطيط، تقرير الاقتصاد العراقي ٢٠١٠، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، جمهورية العراق، بغداد، ٢٠١١.

٢١- وزارة التخطيط، تقرير الاقتصادي العراقي ٢٠١٩، الجزء ٣، جمهورية العراق، بغداد، ٢٠١٩.

٢٢- وزارة التخطيط، تقرير الاقتصادي العراقي السنوي لعام ٢٠١٤، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، جمهورية العراق، بغداد، كانون الأول، ٢٠١٤.

٢٣- وزارة التخطيط، تقرير الاقتصادي العراقي السنوي لعام ٢٠١٤، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، جمهورية العراق، بغداد، كانون الأول، ٢٠١٤.

٢٤- وزارة التخطيط، جمهورية العراق، خطة التنمية الوطنية للسنوات (٢٠١٠-٢٠١٤)، بغداد، كانون الأول، ٢٠٠٩.

ثانياً : المواقع على شبكة الانترنت :

١- http://www.heritage.org/index

ثالثاً: المصادر باللغة الانكليزية :

١- Jemes Gwartney, Robert Lawson, Economic Freedom of the World (٢٠٠٠-٢٠٠٧) ANNUAL REPORT, Florida State university, Southern Methodist university.

٢- Salem Ben Nasser Al Ismaily, Economic Freedom of the Arab World ٢٠١٩ Annual Report, Friedrich Naumann Foundation for Freedom, International Research Foundation of Oman Fraser Institute, ٢٠١٩.

٣- Terry Miller, Anthony B. Kim, James M. Roberts, (٢٠٠٤, ٢٠٠٨- ٢٠١٩) Index of Economic Freedom, The Heritage Foundation.

٤- World Bank Group, Doing Business ٢٠١٨ - Comparing Business Regulation.

٥- World Bank Group, Doing Business ٢٠١٨-Comparing Business Regulation.

العدالة التنظيميَّة استراتيجية مؤثرة لمواجهة السلوكيات الانتقامية لدى العاملين

أ.د. ضرغام علي العميدي

الباحث علي عبيد براك

كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تناول البحث دراسة دور العدالة التنظيميَّة في الحد من السلوك الانتقامي، وتمثلت مشكلة البحث في زيادة تأثير غياب العدالة التنظيميَّة على ردود فعل الافراد وسلوكياتهم ومن ثم فأنها تؤثر بشكل كبير على أدائهم ونظراً لهذا فأن عدم تطبيق العدالة التنظيميَّة من قبل المديرين في المنظمات يمكن أن ينتج عنه بعض السلوكيات السلبية في مكان العمل للتعبير عن رفض الظلم ومن هذه السلوكيات هو السلوك الانتقامي، وتم الاهتمام بهذه المتغيرات للدراسة لمحاولة الحد من هذه الظاهرة أو القضاء عليها. ويهدف البحث إلى تحديد العلاقة بين العدالة التنظيميَّة والحد من السلوك الانتقامي، باختبار وقياس تأثير العدالة التنظيميَّة في الحد من السلوك الانتقامي، وقد تم تطبيق الدراسة على عينة تعدادها (٨٢) فرداً يعملون في مستشفى الحكيم العام وتم جمع البيانات عن طريق توزيع الاستبانة عليهم وتم تحليل البيانات عن طريق البرنامج الاحصائي SPSS.V٢٣.

المبحث الاول/ منهجية البحث:

اولاً:– مشكلة البحث:

يعد قطاع الخدمات الصحيَّة من أهم القطاعات في المجتمع وأكثرها حيوية، نظراً لأنه يخدم أعداداً كبيرةً من فئات الشعب المختلفة، يؤدي دوراً هاماً وأساسياً في تقديم الخدمات الصحيَّة للمواطنين. كما أن هذا

القطاع يهتم بأثمن وأغلى ما يمتلكه المجتمع وهو صحة الفرد. حيث اتّضح للباحث من خلال الزيارات الميدانية التي أجراها في المنظمة مع الملاكات الصحيَّة من الأطباء وهيئة التمريض والموظفين في المستشفى المبحوث، أنهم يشعرون بعدم العدالة في توزيع المكافآت والحوافز، والتحيز في اتخاذ الإجراءات من قبل المديرين، وعدم مشاركتهم في صنع القرارات، مع شعورهم بأن المديرين لا يعاملونهم باحترام وتقدير. وقد تبين للباحث أيضاً أنهم يعانون من عدة ضغوط في عملهم بسبب بعض الاجراءات التنظيميَّة التي تشعرهم بعدم التعامل معهم بعدالة. واستناداً لما تقدم ارتأى الباحث ان يسعى لإيجاد بعض الحلول اللازمة لمعالجة تلك المشكلة في المنظمة المبحوثة وذلك من خلال دراسة أبعاد العدالة التنظيميَّة واهميتها في الحد من تنامي السلوك الانتقامي ومن ثم يمكن بلورة مشكلة البحث في تحديد طبيعة العلاقة بين العدالة التنظيميَّة بأبعادها الخمسة (العدالة التوزيعية، والعدالة الإجرائية، والعدالة التفاعلية، والعدالة الزمنية، والعدالة المكانية)، والحد من السلوك الانتقامي الذي يحدث لدى العاملين في المنظمة المبحوثة. ومن ثم يمكن بيان مشكلة البحث من خلال التساؤل الرئيس ألآتي:

ما هو دور العدالة التنظيميَّة في الحد من السلوك الانتقامي في المنظمة المبحوثة ؟

وينبثق من هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي كما يأتي:

١- ما هو دور العدالة التوزيعية في الحد من السلوك الانتقامي في المنظمة المبحوثة ؟

٢- ما هو دور العدالة الاجرائية في الحد من السلوك الانتقامي في المنظمة المبحوثة ؟

٣- ما هو دور العدالة التفاعلية في الحد من السلوك الانتقامي في المنظمة المبحوثة ؟

٤- ما هو دور العدالة الزمانية في الحد من السلوك الانتقامي في المنظمة المبحوثة ؟

٥- ما هو دور العدالة المكانية في الحد من السلوك الانتقامي في المنظمة المبحوثة ؟

ثانياً:- أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من أنه يتناول متغيرين هامين على مستوى الدراسات السلوكية والاجتماعية والإنسانية، وهما العدالة التنظيميَّة والسلوك الانتقامي.

كما ان تطبيق نظرية العدالة في المنظمات من خلال موضوع العدالة التنظيميَّة، بأبعادها المختلفة هو شرط اساسي للحفاظ على سمعة المنظمة، وهو كفيل بتحقيق المكاسب المشتركة لكل من المنظمة والعاملين ومن ثم يمكن ان يكون سبباً في الحد من السلوك الانتقامي لدى العاملين، فضلاً عن إن المكتبة العربية تفتقر لإسهامات الباحثين في مجال العدالة التنظيميَّة لتجنب السلوك الانتقامي اذ لاحظ الباحث من خلال تقصيه للدراسات العربية ندرة هذه الدراسات في هذا المجال ومن ثم فإن هذا البحث يأتي كدعم لغيره من الدراسات السابقة ويضيف اليها دراسة متخصصة يمكن ان يكون لها اثر بالغ في تحسن اداء المنظمات بشكل عام والمستشفيات بشكل خاص.

ثالثاً:- أهداف البحث

تتمثل أهداف البحث في النقاط الآتية :

١- بيان مدى تطبيق مفهوم العدالة التنظيميَّة، وانعكاس أبعادها المختلفة في المستشفى محل الدراسة

٢- تحديد الأهمية النسبية لكل بعد من أبعاد العدالة التنظيميَّة، ومدى ارتباط كل منها بالسلوك الانتقامي

٣- دراسة مصادر السلوك الانتقامي للعاملين في المستشفى محل الدراسة.

٤- التعرف على مدى تأثير أبعاد العدالة التنظيميَّة للحد من السلوك الانتقامي لدى الموظفين في المستشفى.

٥- تقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات للقيادات الإدارية في مستشفى لدعم مدركات العاملين لأبعاد العدالة التنظيميَّة، وتخفيض حدة الضغوط لتجنب مخاطر السلوك الانتقامي.

رابعاً:- فرضيات البحث:

بعد ان تم بيان مشكلة البحث واهميته والتعرف على اهدافه التي ينبغي التأكد من تحقيقها وذلك من خلال اختبار فرضيات البحث التي يمكن صياغتها بما يأتي:

الفرضيه الرئيسية الاولى: H١

(توجد علاقه ارتباط ذات دلالة احصائية بين العدالة التنظيميَّة والحد من السلوك الانتقامي)

الفرضيات الفرعية:

الفرضية الفرعية الاولى H١a (توجد علاقه ارتباط ذات دلالة احصائية بين العدالة التوزيعية والحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الثانية : H١b (توجد علاقه ارتباط ذات دلالة احصائية بين العدالة الاجرائية والحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الثالثة : H١c (توجد علاقه ارتباط ذات دلالة احصائية بين العدالة التفاعلية والحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الرابعة: H١d (توجد علاقه ارتباط ذات دلالة احصائية بين العدالة الزمانية والحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الخامسة : H١e (توجد علاقه ارتباط ذات دلالة احصائية بين العدالة المكانية والحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الرئيسة الثانية : H٢

(توجد علاقة تأثير ذات دلالة احصائية للعدالة التنظيميَّة في الحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الاولى: H٢a (توجد علاقه تأثير ذات دلالة احصائية للعدالة التوزيعية في الحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الثانية : H٢b (توجد علاقه تأثير ذات دلالة احصائية للعدالة الاجرائية في الحد من السلوك الانتقامي)

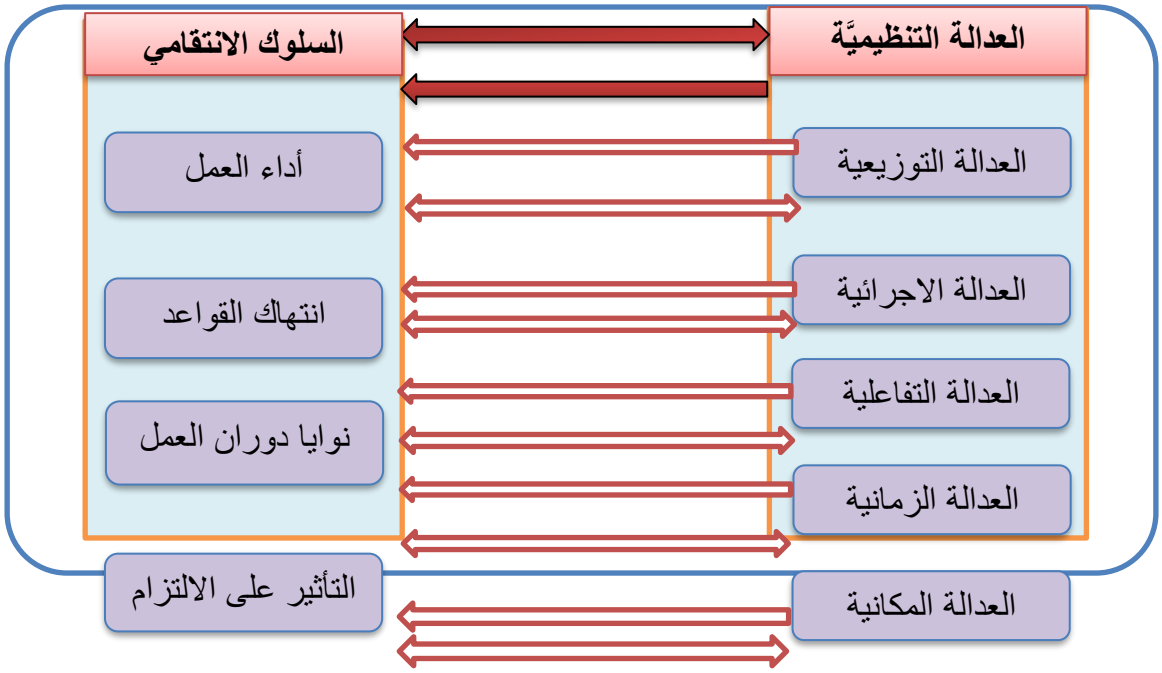
الفرضية الفرعية الثالثة : H٢c (توجد علاقة تأثير ذات دلالة احصائية للعدالة التفاعلية في الحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الرابعة : H٢d (توجد علاقه تأثير ذات دلالة احصائية للعدالة الزمانية في الحد من السلوك الانتقامي)

الفرضية الفرعية الخامسة : H٢e (توجد علاقه تأثير ذات دلالة احصائية للعدالة المكانية في الحد من السلوك الانتقامي)

خامساً:- المخطط الفرضي للبحث

يظهر المخطط الفرضي للبحث علاقات الارتباط والتأثير بين المتغيرات الرئيسية للبحث والتي تتمثل بالمتغير المستقل (العدالة التنظيميَّة) وابعاده الخمسة (العدالة التوزيعية ، العدالة الاجرائية ، العدالة التفاعلية ، العدالة الزمانية ، والعدالة المكانية) و المتغير التابع (السلوك الانتقامي) وابعاده الاربعة (اداء العمل ، انتهاك القواعد ، نوايا دوران العمل ، التأثير على الالتزام) وذلك حسب الفرضيات التي تمت صياغتها في الفقرة السابقة ويبين الشكل (١) المخطط الفرضي للبحث:



الشكل (١) المخطط الفرضي للبحث

المبحث الثاني: الجانب النظري للبحث:

اولاً: العدالة التنظيميَّة:

١- مفهوم العدالة التنظيميَّة: لقد ألقت البحوث حول العدالة التنظيميَّة الضوء بشكل كبير على تصور الموظف للعدالة أو الظلم في مكان العمل. وتشكل نظرية العدالة أساس العدالة التنظيميَّة. لذلك تعد العدالة التنظيميَّة أداة مهمة في إدارة المنظمات بفاعلية وضمان رفاهية الموظفين (Apenkwah, ٢٠١٩ : ٨).

وتمثل العدالة التنظيميَّة تصورات الأفراد حول السلوكيات العادلة داخل المنظمة وردود أفعالهم السلوكية تجاه هذه التصورات (Bayarcelik & Findikli, ٢٠١٦: ٤٠٤). وعرف (Vanessa et al., ٢٠١٩: ١) العدالة التنظيميَّة بأنها "شعور الأعضاء بالصلاحية الأخلاقية لكيفية معاملتهم" وتمثل العدالة التنظيميَّة المعايير الخاصة لكيفية معاملة الموظفين ، (Heung, et al., ٢٠١٧: ٦). وتعد العدالة التنظيميَّة مؤشرًا مهمًا لنهج الموارد البشرية في المنظمة ، وهو سلوك الموظفين والمديرين التنفيذيين وإدارة السلوك (Stamenkovic, et al., ٢٠١٨: ٤). كما تعبر العدالة التنظيميَّة عن التصور الذي مفاده أن المنظمة تعامل الموظفين بطريقة منصفة وعادلة (Lamberta, et al., ٢٠١٩: ٢).

وتُعرَّف العدالة التنظيميَّة بأنها "مدى معاملة الموظفين بعدالة في مكان عملهم". وبشكل أكثر تحديدًا ، تمثل العدالة التنظيميَّة مزيجًا من توزيع الموارد ومبادئ صنع القرار وممارسات المعاملة التي يختبرها الأفراد بشكل عام بشكل عادل أو غير عادل (Marko, et al., ٢٠١١: ١٦٧٦). ويذكر (Terzi, et al., ٢٠١٧: ٤٨٨) بأن العدالة التنظيميَّة هي الأساليب المستخدمة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتوزيع المصادر التنظيميَّة ومجموعة من القواعد الاجتماعية التي تنظم العلاقات بين الافراد ويرى الباحث بأن العدالة التنظيميَّة هي نوع من أنواع الادراك الفردي أو الجماعي لقوانين وضوابط العمل من خلال التعرّف على القواعد المهنيّة والشعور بتطبيقها بشكل عادل على جميع الموظفين في المنظمة.

٢- اهمية العدالة التنظيميَّة:

تركز اغلب المنظمات على توفير البيئة الملائمة لموظفيها من اجل الحصول على اداء مميز ينعكس ايجاباً على اداء المنظمة بشكل عام ومن الامور التي يمكن ان تؤثر بشكل إيجابي على أداء الموظفين هي اعتماد مبادئ العدالة التنظيميَّة في التعامل مع جميع الافراد بالمنظمة، ولا تتعامل العدالة في المنظمة مع المنفعة في المنظمة فقط ولكن أيضًا مع التوازن العادل للعقوبات والمسؤوليات (Meral, et al., ٢٠١٥ : ٥٨٨). فعندما يكون لدى الأفراد معلومات عن جدارة السلطة بالثقة، فإنهم سوف يتفاعلون بشكل أكثر إيجابية تجاه النتيجة التي تلقوها من السلطة عندما يعتقدون أن السلطة كانت تستخدم العدالة بدلاً من الإجراءات غير العادلة. (Marko, et al., ٢٠٠٥: ٢٥٠٢).

ومن ناحية اخرى إذا كانت المنظمة التي تقدر اهمية التزام موظفيها كقوة أساسية، وتشعر بالقلق إزاء تأثير مجموعة جديدة من السياسات التي تم تنفيذها، فإن أفضل طريقة لدراسة الالتزام التنظيمي ستعتمد على قياس تصورات موظفيها تجاه العدالة التنظيميَّة (Cohen & Charash ٢٠٠١ :٢٨٣). كما ان تصورات الموظف عن عدالة المنظمة سيكون لها تأثير على صنع القرار الأخلاقي الخاص بها إذ تتشكل النية الأخلاقية للموظف من خلال إدراكه لإنصاف المنظمة أو نزاهتها (Meral, et al., ٢٠١٥ : ٥٩٠). كما أكد (Akram, et al, ٢٠١٦: ١٣٦) أن المعاملة العادلة تؤدي إلى تحسين التفاعلات الاجتماعية والفعالية التنظيميَّة الشاملة. كما أن الأفراد يجدون المنظمات جذابة تفاضليًا استنادًا إلى مدى التزام المنظمة بتطبيق العدالة (Cropanzano & Molina, ٢٠١٥: ٣٨٣). العدالة التنظيميَّة "لديها القدرة على خلق فوائد قوية للمنظمات والموظفين على حد سواء. وتشمل المزيد من الثقة والالتزام وفي المقابل ، بأن الظلم التنظيمي "يشبه المذيبات المسببة للتآكل التي يمكن أن تحل الروابط داخل المجتمع وتؤذي الفرد وتضر المنظمة". (Marko et al., ٢٠٠٥: ٢٥٠٢).

٣- ابعاد العدالة التنظيميَّة:

لقد تعددت تصنيفات الباحثين بتحديد ابعاد معينه لقياس متغير العدالة التنظيميَّة ولعل السبب وراء ذلك يعود الاختلاف الثقافي للمنظمات والاجراءات المستخدمة والقوانين المختلفة الا انها تدور في حلقة واحدة وتعتمد في الاساس على تحقيق المساوة بين الافراد.

وعلى الرغم من تعدد النماذج الخاصة بأبعاد العدالة التنظيميَّة الا ان الباحث تبنى نموذج (Akram, et al, ٢٠١٦) لقياس المتغير المستقل العدالة التنظيميَّة وذلك لكونه الاقرب الى واقع ميدان البحث ومن ثم ينسجم مع موضوع البحث وقد حدد (Akram, et al, ٢٠١٦) خمسة ابعاد نموذجية للعدالة التنظيميَّة وهي كالاتي (العدالة التوزيعية ، العدالة الإجرائية ، العدالة التفاعلية ، العدالة الزمانية ، العدالة المكانية)

أ- العدالة التوزيعية:. نشأت فكرة الإنصاف في المنظمات في الادبيات الاجتماعية والنفسية حول العدالة التوزيعية. ونظرًا لأن العدالة التوزيعية تتعامل مع النزاهة المتصورة للعوائد ، فإنها تنطوي على إمكانية أن يكون لها تداعيات قوية في السياق التنظيمي ، والذي يعتبر توزيع العوائد جزءًا لا يتجزأ منه (Akram, et al., ٢٠١٦: ١٣٦). ان إدراك الآثار المحتملة للعدالة التوزيعية ، وخاصة نظرية المساواة ، على السياق التنظيمي والنزاهة المرتبطة بالمخرجات التنظيميَّة وفي نهاية المطاف تؤثر على سلوكهم (مثل الأداء أو الانسحاب). (Cohen & Charash ٢٠٠١:٢٨٠) وتعرف العدالة التوزيعية بأنها التصور المتعلق بمكاسب الموظفين مثل المسؤوليات والخدمات والفرص والمكافآت والحالات تتناسب مع أدائهم.

ب- العدالة الإجرائية: قدمت دراسة العدالة في المنظمات تحولا مماثلا. اذ لم يعد النظر إلى النزاهة المتصورة للعوائد هو المحدد الوحيد للعدالة التنظيميَّة المتصورة ، بل إن العدالة المتصورة للعملية التي تحققت بها تلك العوائد كانت مهمة أيضًا ، وتمثل العدالة الإجرائية مفهوم العدالة فيما يتعلق بالإدارة الذي يتعلق بالإجراءات المطبقة عليها أثناء اتخاذ القرارات (BAYARÇELIK, FINDIKLi, ٢٠١٦: ٤٠٤). وتشير العدالة الإجرائية إلى العدالة المتصورة للعملية (الوسائل) المستخدمة لتحديد المخرجات التنظيميَّة، وترتبط العدالة الإجرائية بدرجة أكبر بتقييم السمات النظامية والمؤسسية (Heung, et al.,

٨ :٢٠١٧). وقد عرفت العدالة الإجرائية: بأنها تكون نتيجة لتطبيق قواعد معيارية محددة في تقييم ما إذا كانت العملية عادلة ، مثل التمثيل ، الاتساق ، قمع التحيز ، والدقة ، الصواب ، والأخلاقيات (Rodrígueza et al., ٢٠١٩: ١). وتعد العدالة الإجرائية بعد بارز للعدالة التنظيميَّة. وتشير إلى فيما إذا كانت العملية المستخدمة للوصول إلى النتائج التنظيميَّة عادلة وشفافة. على الرغم من أهمية ابعاد العدالة التنظيميَّة ، إلا أن العدالة الإجرائية في العديد من الحالات قد تكون أكثر اهمية التنبؤ بالنتائج لأن الأفراد يريدون أن تكون العمليات المستخدمة للوصول إلى نتائج مهمة عادلة ومتسقة وشفافة. (Qureshi, ٢٠١٧: ٤).

ج- العدالة التفاعلية:. هي امتداد للعدالة الإجرائية ، وتتعلق بالجانب الإنساني للممارسات التنظيميَّة ، أي الطريقة التي تتصرف بها الإدارة (أو أولئك الذين يسيطرون على المكافآت والموارد) تجاه متلقي العدالة. وعلى هذا النحو ، ترتبط العدالة التفاعلية بجوانب عملية الاتصال بين المصدر والمستلم للعدالة ، مثل المداراة والصدق والاحترام ، ونظرًا لأن العدالة التفاعلية يحددها السلوك الشخصي لممثلي الإدارة ، تم تقسيم العدالة التفاعلية إلى فئتين صغيرتين هما العدالة الشخصية والعدالة المعلوماتية. (Akram, et al, ١٣٦ :٢٠١٦). ويرى (Apenkwah, ٢٠١٩ : ٩) ان العدالة التفاعلية هي نوعية الإدراك المتشكل فيما يتعلق بالمعالجات الشخصية تجاه الموظفين خلال الأنشطة التنظيميَّة.

د-العدالة الزمانية:. ينبع البعد الجديد للعدالة التنظيميَّة من نفس المفهوم ولكن في بيئة مختلفة. اذ تهتم العدالة الزمانية في أي منظمة بـ "التوزيع العادل للوقت". وغالبًا ما يتم اعتبار الوقت أهم مورد للمنظمة وأن المنظمات تحاول باستمرار العثور على تقنيات جديدة أو طرق للعمل أو أنواع أخرى من التحسينات التي يمكن أن تزيد من كفاءة الموظف (Bergqvist & Sopaj, ٢٠١٩: ١٠). ويتم تعريف العدالة الزمانية على أنها التوزيع العادل للوقت من قبل المنظمة لموظفيها لاستكمال المهام التنظيميَّة (Akram, et al, ٢٠١٦: ١٣٦).

ويعد الوقت موردًا محدودًا في المجال التنظيمي ، فقد يكون الوقت مساوياً للرعاية ويعتبر كنزًا ، تعد إدارة الوقت جانبًا مكملاً لممارسة العدالة الزمانية.(Talebi, et al., ٢٠١٩: ٥). أن الأحداث الظالمة التي يجلبها الموظفون إلى الذهن يمكن أن تعتمد على المنظور الزمني المتخذ: (مثل ساعات العمل الإضافية غير المدفوعة) وكذلك المعاملة غير العادلة بين الأفراد (Cojuharenco, et al., ٢٠١١: ٣). عندما تتزامن ساعات العمل مع وقت متأخر من الليل او في الصباح الباكر تنتج مجموعة متنوعة من الآثار الضارة الحادة مثل اليقظة المنخفضة ، ووقت رد الفعل ، والانتباه ، والذاكرة ، وصنع القرار وتؤدي ايضاً الى زيادة النسيان – زيادة الأخطاء في العمل – التغيب – معدل الدوران (Caldwell, et al., ٢٠١٩: ٢٧٢).

هـ– العدالة المكانية:. تشير العدالة المكانية إلى "التصور حول عدالة مسافة الموارد والتمييز في الميزانية بين الفروع التنظيميَّة المختلفة في تخصيص الموارد التنظيميَّة". فالعدالة المكانية هي تركيز داخل على السمة الجغرافية والمكانية للعدالة التنظيميَّة. لذلك ، يتعلق الأمر بتوضيح توزيع مساحة الموارد "ذات القيمة الاجتماعية" وكذلك فرص الاستفادة من هذه الموارد. (Akram, et al, ٢٠١٦: ١٣٦). ويعد تخصيص الموارد التنظيميَّة بصورة غير عادلة للموظفين في كافة الفروع والاقسام بالإضافة إلى الإشراف التعسفي مجالات اهتمام فيما يتعلق بنتائج سلوكيات الموظفين. يتحدث هذا على وجه التحديد عن موقع المكتب والمساحة ، وأدوات العمل المطلوبة وبيئة العمل اللائقة ، والتي يشار إليها مؤخرًا باسم العدالة المكانية (Waribo, et al., ٢٠١٩: ٦٦٣).

وقد يسعى المشرف الى تقويض العلاقات الاجتماعية في مكان العمل: ويشير التقويض الاجتماعي إلى "السلوكيات التي تهدف إلى إعاقة العمل (Sharma, ٢٠١٨: ٢).ويعرف الباحث العدالة المكانية بأنها تشير إلى الإنصاف في تخصيص ومساحة الموارد التنظيميَّة المطلوبة.

ثانياً: السلوك الانتقامي:

١– مفهوم السلوك الانتقامي:

على الرغم من الاختلاف الكبير في القيم الأخلاقية من ثقافة إلى أخرى فإن قواعد المعاملة بالمثل والانتقام تمثل مبادئ عالمية في كل مجتمع بشري تقريبًا تاريخيًا ومعاصرًا لا يوجد مبدأ واحد أو حكم مقبول على نطاق واسع وعالمي مثل مبدأ المعاملة بالمثل في كل من صيغته الإيجابية والسلبية. ويعد السلوك الانتقامي تعبير عن جميع السلوكيات الضارة التي لها تأثير على المنظمات والافراد (Neuman & Baron,١٩٩٨:٢٧٢). ويُعرف السلوك الانتقامي على أنه جميع الاستجابات السلوكية للموظفين الساخطين على المعاملة غير العادلة المتصورة (Skarlicki et al.,١٩٩٩:١٠٠). ويبين (Ambrose et al,٢٠٠٢:٩٥٢) بأن السلوك الانتقامي هو سلوك الفاعل المصمم لإلحاق الضرر بهدف تسبب في ضرر للمقابل بغض النظر عما إذا كان السلوك يعيد توزيع الموارد أم لا. ويعد الانتقام سلوك موجها نحو الفاعل الاجتماعي كفرد أو جماعة من الأفراد او منظمة (Griffin, et al., ٢٠٠٤: ٣٨٨). كما يعرف (Spector et al., ٢٠٠٦: ٤٤٨) الانتقام هو الاستجابة للظلم وهو شكل من اشكال العدوان في مكان العمل ويرتبط الانتقام في مكان العمل بالمشاعر السلبية للفرد مثل الغضب والاحباط والذي تسببه الظروف البيئية مثل الحالة النفسية والاجتماعية ومكان العمل .

٢- اهمية السلوك الانتقامي:

أن المعاملة السيئة تجعل من الانتقام اكثر حدوثاً اذ يمكن ان يكون السلوك الانتقامي سلوك مختل وظيفيا للمنظمات وقد لا ينطوي فقط على الاضرار والخسائر في الموارد المادية للمنظمة بل يمكن ان يكون ضار للأفراد ايضا من حيث مشاعر الذنب والقلق والتوتر التي يمكن أن ترتبط بأشياء مثل القلق من الوقوع في الانتقام والذي يقلل من الاداء الشخصي ايضا (Grifin et al.,٢٠٠٤:٣٨٠). ويميل المرؤوسين إلى الرد على وقاحة المشرف بطرق انتقامية. (Ashkanasy et al,.٢٠٠٢: ٣

أبعاد السلوك الانتقامي:

لقد تعددت تصنيفات الباحثين بتحديد ابعاد معينه لقياس متغير السلوك الانتقامي ولعل السبب وراء ذلك يعود الى كثره المواضيع القريبة من مفهوم السلوك الانتقامي كالسلوك المنحرف، والسلوك العكسي، والسلوك العدائي، وغيرها..

وعلى الرغم من تعدد النماذج الخاصة بأبعاد السلوك الانتقامي الا ان الباحث تبنى نموذج(Bidder et al: ٢٠٠١) لقياس المتغير التابع السلوك الانتقامي وذلك لكونه الاقرب الى واقع ميدان البحث ومن ثم ينسجم مع موضوع البحث ويمكن استعراض الابعاد الخاصة بمتغير السلوك الانتقامي من خلال ما يأتي:

أ- أداء العمل:. يرتبط مفهوم اداء العمل بسلوك الفرد في المنظمة ، ويحتل مكانه خاصه داخل اي منظمة باعتباره المخرجات النهائية لمحصلة جميع الأنشطة ، وقد تعددت تعريفات الباحثين اداء العمل فقد عُرف بأنه عبارة عن عمليه او مجموعه من العمليات التي تساعد المنظمات على تحقيق اهدافها وتهتم بوجود فهم مشترك بين المدراء والموظفين عن ما يجب تحقيقه ومن ثم ادارة وتطوير مقدرات الموظفين بطريقه تساعد على تحقيق الاهداف (Kalu & Okpokwasili, ٢٠١٨: ٢١٣).

ان درجه توفر رضا الموظف يحدد كيف يكون الاداء العام للمنظمة ولزيادة كفاءة الاداء العام يجب ان يكون هناك رضا وظيفي يتمتع به العاملين من خلال جذب الموظفين المؤهلين للانضمام الى المنظمة والحفاظ على وجودهم فيها وتحفيز الموظفين لتحقيق اعلى مستويات الاداء (oravee, et al., ٢٠١٩: ٦٠).

ب- انتهاك القواعد:. تقدم قواعد أخلاقيات العمل وسلوك المدراء والموظفين ("القواعد") موجزًا للمعايير المشتركة التي تضعها المنظمة، لمدرائها وموظفيها. وصممت القواعد لتعزيز القيم والمبادئ التي تمثلها والحول دون ارتكاب أية مخالفات. اذ ان هذه القواعد تعد اداة مهمة لضمان حقوق اصحاب المصالح بوجه عام .

وذكر (Ghosh, & Shum, ٢٠١٩: ١) ان القواعد التنظيميَّة هي تقيّد سلوكيات الموظفين في مكان العمل. ويعرّف (Bryant. et al,. ٢٠١٠: ٤) انتهاك القواعد على أنها انتهاكات متعمدة للقواعد أو السياسات التنظيميَّة.

ج- نوايا دوران العمل:. نظرًا الى أن الموظفين يمثلون موردًا مهمًا لاية منظمة ، يتعين على مديري المنظمة النظر في تأثير العدالة على الموظفين. اذ يتعلق التأثير المحتمل بنوايا دوران الموظفين بالعدالة التنظيميَّة ، والتي لها تأثير كبير على رفاهية الموظفين وكذلك على الأداء التنظيمي (Vui-Yee, & Yen-Hwa, ٢٠١٩: ٢). أذ تشير نية الدوران إلى الميل النفسي والسلوكي حيث ينوي الموظفون ترك منظمتهم أو مهنتهم الحالية. (Sousa, & Henneberger, ٢٠٠٤: ١٣١). وعرف (Sanjeev, ٢٠١٧: ٥٦) نية الدوران على أنها "الاحتمالية (الذاتية) بأن يغير الفرد وظيفته خلال فترة زمنية محددة". كما عرف (Hayes, et al., ٢٠١٢: ٢٦٣) نية الدوران بانه التراجع الطوعي للموظفين عن المنظمة والمهنة. وذكر بأنه يمكن أن يكون هناك العديد من التأثيرات المترتبة على المنظمة حيث أن الدوران قد يؤدي إلى (انخفاض الإنتاجية لدى الموظفين ،ضعف الاداء التنظيمي، تكاليف إضافية للمنظمة). ويعرف الباحث نوايا دوران العمل: بأنه ترك الموظفين الداخليين وظائفهم الحالية وشغل وظائف جديدة داخل نفس المنظمة او الخروج من المنظمة .

التأثير على الالتزام :. ان الالتزام التنظيمي مفهوم مهم في الادارة حيث يدرس الباحثون هذا البناء على نطاق واسع، كذلك في علم النفس التنظيمي، والسلوك التنظيمي . اذ ان التزام الموظفين أمر بالغ الأهمية لأن مصالح وأهداف وحاجات الموظفين يجب ان تتوافق مع اهتمامات المنظمة للحصول على أفضل الموظفين (Devece et al, ٢٠١٦: ١٨٥٧) . ويعبر الالتزام في المنظمة عادةً عن هوية الفرد وقيمهُ في المنظمة، (Li et al., ٢٠١٧: ٦٤٤). يعد الالتزام التنظيمي أحد القضايا الرئيسية التي تحفز وتدفع الأفراد إلى تشكيل الهوية التنظيميَّة أو المشاركة في المنظمة أو الاندماج فيها (Bahrami et al., ٢٠١٦: ٩٩) .

ويمكن تعريف الالتزام على انه مرحلة يتعرف فيها الموظفين على مجموعة معينة من الأهداف ويأمل في الحفاظ على مكانته كعضو فعال في المجموعة (Eliyana & ma'arif, ٢٠١٩: ٢).

يعد التزام الموظفين مهمًا بشكل كبير لما لهل من دور في العلاقة الإيجابية القوية بين الالتزام التنظيمي والحفاظ عل الموظفين الجيدين والعلاقة العكسية مع نية دوران (Eliyana & ma'arif, ٢٠١٩: ٢).

المبحث الثالث/ الجانب العملي للبحث:

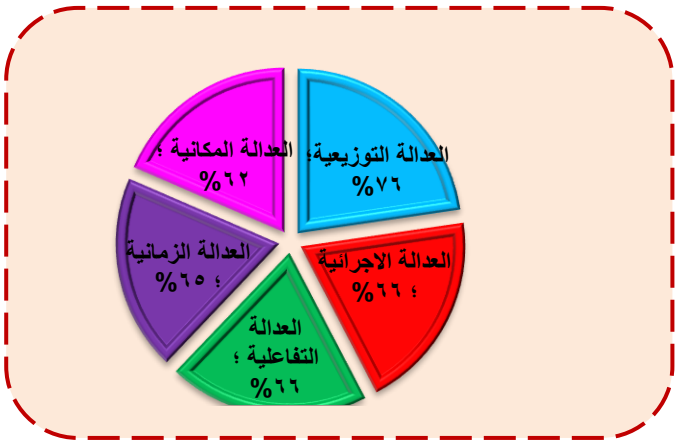
أولاً: التحليل الاحصائي الوصفي لمتغيرات البحث

١- التحليل الاحصائي الوصفي لإجابات العينة حول متغير العدالة التنظيميَّة:

لقد ظهر من خلال تحليل البيانات الخاصة باجابات عينة البحث على استمارة الاستبيان المتضمنة الفقرات الخاصة بمتغير العدالة التنظيميَّة في البحث ما يأتي:

أ- بلغ الوسط الحسابي لإجمالي متغير العدالة التنظيميَّة (٣,٣٦) وهو أعلى من الوسط الفرضي على مساحة ميزان الاختبار البالغ (٣) المعول عليه لتفحص مستويات استجابة أفراد العينة المبحوثة وبلغ الانحراف المعياري (٠,٧٥) وبأهمية نسبية (٦٧%) .

ب- جاء بعد العدالة التوزيعية بالمرتبة الأولى من حيث الأهمية النسبية التي بلغت (٧٦%) و بوسط حسابي قدره (٣,٨٢) وانحراف معياري قدره (٠,٧٧) وجاءت الابعاد الأخرى متسلسلة بالأهمية ، إذ احتل بعد العدالة الاجرائية المرتبة الثانية بأهمية نسبية (٦٦%) وبوسط حسابي مقداره (٣,٣٢) وبانحراف معياري يبلغ (١,٠١) وبعد العدالة التفاعلية بالمرتبة الثالثة بأهمية نسبية (٦٦%) وبلغ الوسط الحسابي (٣,٢٩) والانحراف المعياري (٠,٨٤) ، في حين جاء بعد العدالة الزمانية بالمرتبة الرابعة بأهمية نسبية بلغت (٦٥%) وبوسط حسابي يبلغ (٣,٢٧) والانحراف المعياري بمقدار (٠,٨٠) اما بعد العدالة المكانية جاء بالمرتبة الخامسة والاخيرة بأهمية نسبية مقدارها (٦٢%) وبوسط حسابي بلغ (٣,١١) وبانحراف معياري مقداره (٠,٨٤).



الشكل (٢) النسب المئوية لأبعاد العدالة التنظيميَّة حسب أهميتها

٢- التحليل الاحصائي الوصفي لإجابات العينة حول متغير السلوك الانتقامي

لقد أظهر تحليل البيانات الخاصة بإجابات عينة البحث على استمارة الاستبيان المتضمنة الفقرات الخاصة بأبعاد متغير السلوك الانتقامي في البحث ما يأتي :

أ-بلغ الوسط الحسابي لإجمالي متغير السلوك الانتقامي (٣,٣٢) وهو أعلى من الوسط الفرضي على مساحة ميزان الاختبار البالغ (٣) ، المعول عليه لتفحص مستويات استجابة أفراد العينة المبحوثة و بانحراف معياري قدره (٠,٧٨) وأهمية نسبية(٦٦%) .

ب- جاء بعد التأثير على الالتزام من حيث الأهمية النسبية ليحتل المرتبة الاولى بأهمية نسبية مقدارها (٦٩%) وبوسط حسابي قدره (٣,٤٥) وبانحراف معياري مقداره (٠,٨٣) وجاءت الابعاد الأخرى متسلسلة بالأهمية ، حيث احتل بعد أداء العمل بالمرتبة الثانية بأهمية نسبية (٦٦%) وبوسط حسابي مقداره (٣,٣١) وبانحراف معياري مقداره(٠,٧٨) وبعد نوايا دوران العمل بالمرتبة الثالثة بأهمية نسبية مقدارها (٦٦ %) وبلغ الوسط الحسابي (٣,٣٠) وبلغ الانحراف المعياري (٠,٨٥) ، في حين جاء بعد

انتهاك القواعد بالمرتبة الرابعة والاخيرة بأهمية نسبية بلغت (٦٤%) وبوسط حسابي يبلغ (٣,٢٢) والانحراف المعياري بمقدار (٠,٨٨) .

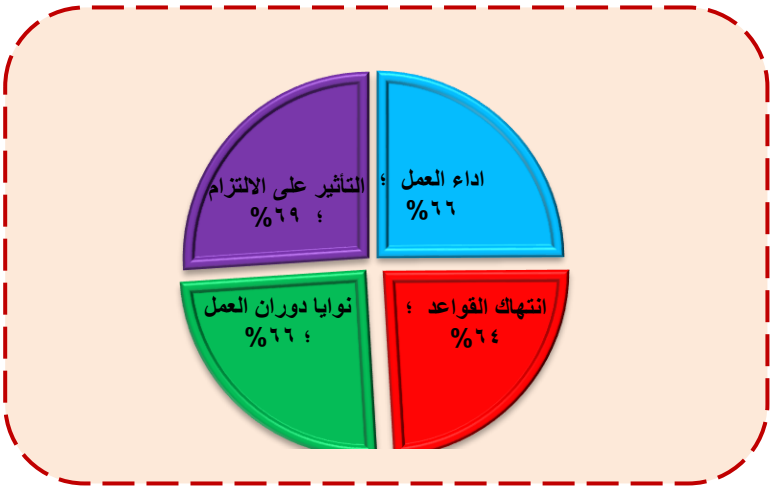
ت- تشير النتائج اعلاه ان الموظفين في مستشفى الحكيم العام يدركون اسباب توجه بعض الموظفين الى السلوكيات الانتقامية جراء سوء المعاملة وانعدام العدالة في بيئة العمل الوظيفية وذلك من خلال مدى استجابتهم واتفاقهم على الفقرات الواردة في مضامين الاستبانة والمتعلقة بقياس متغير السلوك الانتقامي .

ويوضح الجدول (٣) التحليل الاحصائي الوصفي لمتغير السلوك الانتقامي والذي يتضمن الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والاهمية النسبية لأبعاد السلوك الانتقامي.

الجدول (٣) التحليل الاحصائي الوصفي لمتغير السلوك الانتقامي

المتغيرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية (قوة الإجابة)	الترتيب
اداء العمل WP	٣,٣١	٠,٧٨	٦٦٪	الثاني
انتهاك القواعد VR	٣,٢٢	٠,٨٨	٦٤٪	الرابع
نوايا دوران العمل WT	٣,٣٠	٠,٨٥	٦٦٪	الثالث
التأثير على الالتزام IC	٣,٤٥	٠,٨٣	٦٩٪	الأول
اجمالي السلوك الانتقاميRB	٣,٣٢	٠,٧٨	٦٦٪	

ويصور الشكل (٣) خلاصة النتائج لمتغير السلوك الانتقامي والنسب المئوية لعناصره الأساسية



الشكل (٣) النسب المئوية لأبعاد السلوك الانتقامي حسب أهميتها

ثالثاً: اختبار فرضيات علاقة التأثير:

يبين الجدول (٥) أن هناك علاقة تأثير للعدالة التنظيميَّة في السلوك الانتقامي أذ بلغ معامل ميل الإنحدار (٠,٩٢) وهي معنوية لأن مستوى المعنوية المتحققة بلغت (٠,٠٠٠) وهي أقل من مستوى المعنوية التي أفترضها الباحث (٠,٠٥) كما أن معامل التحديد (R^2) قد بلغ (٠,٨٦) وهذا يعني أن العدالة التنظيميَّة تفسر (٠,٨٦) من التباين الحاصل في المتغير التابع السلوك الانتقامي وهو مقبول استنادا الى حجم قيمة (F) المحسوبة البالغة (٥٠٥,٨٢) أكبر من قيمتها الجدولية (٤,٠٠)، وعلى وفق هذه النتائج تقبل هذه الفرضية على مستوى هذا البحث.

٢- اختبار الفرضيات:

تفرض هذه الفرضية بوجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لإبعاد العدالة التنظيميَّة (العدالة التوزيعية، العدالة الاجرائية، العدالة التفاعلية، العدالة الزمانية، العدالة المكانية) في السلوك الانتقامي، وهذا يعني أن المتغير التابع السلوك الانتقامي وهو دالة حقيقية لإبعاد المتغير المستقل العدالة التنظيميَّة وأن أي تغير

في إبعاد العدالة التنظيميَّة سيؤدي الى تغيير في السلوك الانتقامي. ويبين الجدول (٦) اختبار الفرضيات الفرعية وهي كالآتي:

الجدول (٦) اختبار تأثير إبعاد العدالة التنظيميَّة في السلوك الانتقامي

المتغير التابع	السلوك الانتقامي					
ابعاد العدالة التنظيميَّة	معامل التاثير β	قيمة T	معامل التحديد R^2	قيمة F	مستوى المعنوية	النتيجة
العدالة التوزيعية OJD	٠,٧٠	٨,٩٧	٠,٥٠	٨٠,٥٩	٠,٠٠	مقبولة
العدالة الاجرائية OJP	٠,٧٥	١٠,٤٤	٠,٥٧	١٠٩,٠٠	٠,٠٠	مقبولة
العدالة التفاعلية OJI	٠,٩٤	٢٥,١٩	٠,٨٨	٦٣٤,٧٨	٠,٠٠	مقبولة
العدالة الزمانية OJT	٠,٨٧	١٦,٤٤	٠,٧٧	٢٧٠,٥٤	٠,٠٠	مقبولة
العدالة المكانية OJS	٠,٨٣	١٣,٤١	٠,٦٩	١٨٠,٠٦	٠,٠٠	مقبولة
الفرضية الرئيسية OJ	٠,٩٢	٢٢,٤٩	٠,٨٦	٥٠٥,٨٢	٠,٠٠	مقبولة

المصدر: من إعداد الباحثين حسب نتائج برنامج SPSS.V٢٣ n=٨

المبحث الرابع/ الاستنتاجات والتوصيات:

اولاً: الاستنتاجات:

استناداً على نتائج الاختبارات الخاصة بمتغيرات البحث واختبار فرضياته المستندة على اجابات عينة البحث، توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن استعراضها من خلال الآتي:

١- إن مدركات الموظفين في مستشفى الحكيم العام لجميع ابعاد العدالة التنظيميَّة المتمثلة بـ(العدالة التوزيعية، العدالة الاجرائية، العدالة التفاعلية، العدالة الزمانية، العدالة المكانية) كانت مقبولة استنادا لمستوى الاستجابة مع مقاييس متغير العدلة التنظيميَّة من قبل عينة البحث.

٢- يدرك الموظفون في مستشفى الحكيم العام اهمية اساليب الحد من السلوك الانتقامي داخل المستشفى وذلك استنادا لمعدل الاستجابة مع مقاييس متغير السلوك الانتقامي من قبل عينة البحث.

٣- يوجد لدى الموظفين في مستشفى الحكيم العام اهتمام كبير ببُعد العدالة التوزيعية ودوره في الحد من السلوك الانتقامي من خلال حصوله على المرتبة الاولى من حيث الاهمية ضمن ابعاد العدالة التنظيميَّة وذلك لارتباطه بتقييم اداء العاملين ومكافئتهم على اساس عطاءهم الوظيفي.

٤- توصل الباحث الى ان بُعد التأثير على الالتزام نال الاهتمام الاكبر من بين ابعاد السلوك الانتقامي وذلك حسب رؤية عينة البحث بان عدم الالتزام هو أحد الاشكال المتعارفة في لجوء الموظفين الى السلوك.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء الاستنتاجات التي تم التوصل اليها، يوصي الباحث القيادات الإدارية المتمثلة بالإدارة العليا ورؤساء الأقسام في مستشفى الحكيم العام بما يأتي:

١-الاهتمام بإجراءات العدالة التنظيميَّة وبشكل خاص بفئة الإداريين لأنهم هم الأكثر إدراكاً للعدالة، وذلك من خلال موضوع نظام الأجور والحوافز والمكافآت التي يحصل عليها الموظفون، وربطها بحجم خبراتهم السابقة، ومؤهلاتهم العلمية، وتوزيع الأعباء والواجبات والمسؤوليات الوظيفية بشكل عادل ومناسب بين جميع الموظفين.

٢-وضع نظام لتصنيف الوظائف يحدد مهام وواجبات كل وظيفة ،ويجب أن يكون هناك تناسب في ساعات العمل مع الظروف الخاصة بكل موظف.

٣-تنمية مدركات الإداريين للعدالة من خلال اتخاذ القرارات الوظيفية المتعلقة بعملهم بنزاهة وموضوعية بعيدة عن التحيز، والمساواة في تطبيق كافة القرارات على كافة الموظفين، وإتاحة فرص المشاركة أمام كافة الموظفين وخاصة الإداريين في صنع القرارات الإدارية، والسماح لهم بمناقشة أو معارضة القرارات، وإعطائهم حرية التعبير عن آرائهم.

٤-تحسين العلاقات الإنسانية والاحترام المتبادل بشكل خاص مع الموظفين والأخذ بمطالبهم في الاعتبار عند اتخاذ قرارات خاصة بهم، ومناقشة القرارات بكل وضوح وصراحة، وشرح مبررات القرارات التي تُتخذ بالنسبة لوظائفهم، والاهتمام بهم ومعاملتهم باحترام وود.

٥-توزيع اوقات العمل والاجازات بشكل عادل والاخذ بنظر الاعتبار للضغوط التي يتعرض لها الموظفين وعبئ العمل الزائد وتعويض اوقات العمل الاضافية.

المراجع:

١- Akgunduz, Y., & Eryilmaz, G. (٢٠١٨). Does turnover intention mediate the effects of job insecurity and co-worker support on social loafing?. International Journal of Hospitality Management, ٦٨, ٤١-٤٩.

٢- Akram, T., Lei, S., Haider, M. J., Hussain, S. T., & Puig, L. C. M. (٢٠١٧). The effect of organizational justice on knowledge sharing: Empirical evidence from the Chinese telecommunications sector. Journal of Innovation & Knowledge, ٢(٣), ١٣٤-١٤٥.

٣- Alkhamis, F. A. (٢٠١٨). The mediating role of employee job performance in the impact of open book management dimensions on customer satisfaction. Verslas: teorija ir praktika, ١٩(١), ١٥٧-١٦٥.

٤- Ambrose, M. L., Seabright, M. A., & Schminke, M. (٢٠٠٢). Sabotage in the workplace: The role of organizational injustice. Organizational behavior and human decision processes, ٨٩(١), ٩٤٧-٩٦٥.

٥- Ambrose, M. L., Taylor, R., & Hess Jr, R. L. (٢٠١٥). Can I help you? Employee prosocial rule breaking as a response to organizational mistreatment of customers. In Mistreatment in organizations (pp. ١-٣١). Emerald Group Publishing Limited.

٦- Apenkwah, P. E. T. E. R. (٢٠١٩). The Influence of Organisational Justice on Job Satisfaction in the Parliamentary Service of Ghana (Doctoral dissertation, University of Ghana).

٧- Ashkanasy, N. M., Härtel, C. E., & Daus, C. S. (٢٠٠٢). Diversity and emotion: The new frontiers in organizational behavior research. Journal of management, ٢٨(٣), ٣٠٧-٣٣٨.

٨- Bahrami, M. A., Barati, O., Ghoroghchian, M. S., Montazer-alfaraj, R., & Ezzatabadi, M. R. (٢٠١٦). Role of organizational climate in organizational commitment: The case of teaching hospitals. Osong public health and research perspectives, ٧(٢), ٩٦-١٠٠.

٩- Baron, R. A., Neuman, J. H., & Geddes, D. (١٩٩٩). Social and personal determinants of workplace aggression: Evidence for the impact of perceived injustice and the Type A behavior pattern. Aggressive Behavior: Official Journal of the International Society for Research on Aggression, ٢٥(٤), ٢٨١-٢٩٦

١٠- Bergqvist, C., & Sopaj, L. (٢٠١٩). “Jag hinner aldrig igenom min'to do'-lista”: En dagboksstudie om hur heltidsanställda med flexibelt arbete använder sin tid

١١- Bidder, S. L., Chang, C. C., & Tyler, T. R. (٢٠٠١). Procedural justice and retaliation in organizations: Comparing cross-nationally the importance of fair group processes. International Journal of Conflict Management, ١٢(٤), ٢٩٥-٣١١.

١٢- Bryant, P. C., Davis, C. A., Hancock, J. I., & Vardaman, J. M. (٢٠١٠). When rule makers

١٣- Caldwell, J. A., Caldwell, J. L., Thompson, L. A., & Lieberman, H. R. (٢٠١٩). Fatigue and its management in the workplace. Neuroscience & Biobehavioral Reviews, ٩٦, ٢٧٢-٢٨٩.

١٤- Cheung, M. F., & Law, M. C. (٢٠٠٨). Relationships of organizational justice and organizational identification: The mediating effects of perceived organizational support in Hong Kong. Asia Pacific Business Review, ١٤(٢), ٢١٣-٢٣١.

١٥- Chung, E. C. (٢٠١٣). The relationship of training and organizational commitment in One Korean organization, A DISSERTATION SUBMITTED TO FACULTY OF GRADUATE SCHOOL OF THE UNIVERSITY OF MINNESOTA, IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY.

١٦- Cojuharenco, I., Patient, D., & Bashshur, M. R. (٢٠١١). Seeing the “forest” or the “trees” of organizational justice: Effects of temporal perspective on employee concerns about unfair treatment at work. Organizational Behavior and Human Decision Processes, ١١٦(١), ١٧-٣١.

١٧- Devece, C., Palacios-Marqués, D., & Alguacil, M. P. (٢٠١٦). Organizational commitment and its effects on organizational citizenship behavior in a high-unemployment environment. Journal of Business Research, ٦٩(٥), ١٨٥٧-١٨٦١.

١٨- Ebru Beyza BAYARÇELIK, & Mine AFACAN FINDIKLI, (٢٠١٦) The Mediating Effect of Job Satisfaction On The Relation Between Organizational Justic Perception And Intention To Leave , ٢٣٥ (٤٠٤) ٤٠٣ – ٤١١

١٩- Eliyana, A., & Ma’arif, S. (٢٠١٩). Job satisfaction and organizational commitment effect in the transformational leadership towards employee performance. European Research on Management and Business Economics,١-٧.

٢٠- Eric G. Lamberta,*, Linda D. Keenab, Matthew Leonec,David Mayd, Stacy H. Haynes (٢٠١٩) The effects of distributive and procedural justice on jobsatisfaction and organizational commitment ofcorrectional staff (٢)

٢١- Ghosh, A., & Shum, C. (٢٠١٩). Why do employees break rules? Understanding organizational rule-breaking behaviors in hospitality. International Journal of Hospitality Management, ٨١, ١-١٠.

٢٢- Heung-Jun Jung, and Mohammad Ali, (٢٠١٧) Corporate Social Responsibility, Organizational Justice and Positive Employee Attitudes: In the Context of Korean Employment Relations, (٦)

٢٣- Kalu Dolly, C., & Okpokwasili Nonyelum, P. IMPACT OF AUTOCRATIC LEADERSHIP STYLE ON JOB PERFORMANCE OF SUBORDINATES IN ACADEMIC LIBRARIES IN PORT HARCOURT, RIVERS STATE, NIGERIA.

٢٤- Kaplan, M., & Kaplan, A. (٢٠١٨). The Relationship between Organizational Commitment and Work Performance: a Case of Industrial Enterprises. Journal of Economic and Social Development (JESD), ٥(١), ٤٦-٥٠.

٢٥- Li, P., Liu, Y., Yuan, P., & Ju, F. (٢٠١٧). The Study on the Relationship between University Faculties' Job Stress and Organizational Commitment in China. Procedia computer science, ١٢٢, ٦٤٢-٦٤٨.

٢٦- Marko Elovainio , Minna Pietikäinen , Pauliina Luopa , Mika Kivimäki, Jane E. Ferrie, Jukka Jokela , Sakari Suominen , Jussi Vahtera , Marianna Virtanen, (٢٠١١) Organizational justice at school and its associations with pupils' psychosocial school environment, health, and wellbeing, ٧٣ (١٦٧٦) ١٦٧٥-١٦٨٢.

٢٧- Marko Elovainioa, Kees van den Bos, Anne Linna, Mika Kivima, kib,Leena Ala-Mursulaf, Jaana Pentti, Jussi Vahtera, (٢٠٠٥)Combined effects of uncertainty and organizational justice on employee health: Testing the uncertainty management model of fairness judgments among Finnish public sector employees ,٦١ (٢٥٠٢) ٢٥

٢٨- Oravee, A. (٢٠١٩). Job satisfaction and employee performance in Nasarawa State Water Board, Lafia, Nigeria. Cimexus, ١٣(٢), ٥٩-٧٠.

٢٩- Qureshi Hanif and James Frank., Eric G Lambert, Charles Klahm and Brad Smith (٢٠١٧), Organizational justice's relationship with job satisfaction and organizational commitment among Indian police, (٤) ١-٢١

٣٠- Russell Cropanzano, Agustin Molina, A.,(٢٠١٥). Organizational Justice., International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences, ١٧ (٣٧٩). ٣٧٩-٣٨٤

٣١- Sharma, P. N. (٢٠١٨). Moving beyond the employee: The role of the organizational context in leader workplace aggression. The Leadership Quarterly, ٢٩(١), ٢٠٣-٢١٧.

٣٢- Skarlicki, D. P., & Folger, R. (١٩٩٧). Retaliation in the workplace: The roles of distributive, procedural, and interactional justice. Journal of applied Psychology, ٨٢(٣), ٤٣٤.

٣٣- Skarlicki, D. P., Folger, R., & Tesluk, P. (١٩٩٩). Personality as a moderator in the relationship between fairness and retaliation. Academy of management journal, ٤٢(١), ١٠٠-١٠٨.

٣٤- Sousa-Poza, A., & Henneberger, F. (٢٠٠٤). Analyzing job mobility with job turnover intentions: An international comparative study. Journal of economic issues, ٣٨(١), ١١٣-١٣٧.

٣٥- Spector Paul E., & Suzy Fox., & Lisa M. Penney& Kari Bruursema Angeline Goh, and Stacey Kessler. (٢٠٠٦) The dimensionality of counterproductivity: Are all counterproductive behaviors created equal? ٦٨ (٤٤٨) ٤٤٦-٤٦٠

٣٦- Stamenkovic, S., Ratkovic Njegovan, B., & Vukadinovic, M. S. (٢٠١٨). Intra-national diversity: Perception of organizational justice and ethical climate in organizations in Serbia. Cross Cultural & Strategic Management, ٢٥(٣), ٤٢٥-٤٤٢.

٣٧- Stamenkovic, S., Ratkovic Njegovan, B., & Vukadinovic, M. S. (٢٠١٨). Intra-national diversity: Perception of organizational justice and ethical climate in organizations in Serbia. Cross Cultural & Strategic Management, ٢٥(٣), ٤٢٥-٤٤٢.

٣٨- Talebi, M., Ahmadi, F., & Kazemnejad, A. (٢٠١٩). Dynamic self-regulation as an effective time management strategy for clinical nurses: A qualitative study. Collegian, ٢٦(٤), ٤٦٣-٤٦٩

٣٩- Terzi, A. R., Dülker, A. P., Altin, F., Çelik, F., Dalkiran, M., Yulcu, N. T., ... & Deniz, Ü. (٢٠١٧). An Analysis of Organizational Justice and Organizational Identification Relation Based on Teachers' Perceptions. *Universal Journal of Educational Research*, ٥(٣), ٤٨٨-٤٩٥.

٤٠- Vanessa Pérez-Rodrígueza, Gabriela Topaa, & Marina Beléndezb, (٢٠١٩) Organizational justice and work stress: The mediating role of negative, butnot positive, emotions(١)

٤١- Waribo, Y., Akintayo, D. I., Osibanjo, A. O., Fadeyi, O. I., & Ibidunni, A. S. (٢٠١٩). TEMPORAL AND SPATIAL JUSTICE ON EMPLOYEES'BEHAVIOURAL OUTCOMES: A FOCUS ON THE NIGERIAN PORTS INDUSTRY.

الرؤية النقدية من المنظور الثقافي في مرحلتي الريادة والتجديد في قطر
دكتور محمد كافود ونورة آل سعد أنموذجا

أ.د. مراد عبد الرحمن مبروك
جامعة قطر

المقدمة:

لعلنا لا نبالغ حين القول إن الناقد الكبير الدكتور محمد عبد الرحيم كأقود يعد رائدا للحركة النقدية الأدبية في قطر، من خلال الدراسات النقدية الذي امتد منذ السبعينيات من القرن الماضي حتى الآن، وكان له كبير الأثر في النقد الروائي والقصصي والمسرحي والنقدي على مستوى الأدب القطري والخليجي والعربي. ومن منظور النقد السياقي تعد دراساته النقدية في هذه المجالات الأدبية المختلفة رائدة في الأدب القطري. بداية من تأسيسه للحركة النقدية القطرية في القصة والقصيرة والرواية والشعر والمسرح والنقد، ونهاية بدراساته الفكرية والثقافية النوعية في اللغة والهوية، وقد تمثلت هذه الجهود في دراساته النقدية الرائدة، نذكر منها – على سبيل المثال وليس الحصر – دراساته: " الأدب القطري الحديث: و " النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي" ، وديوان " أحمد يوسف الجابر دراسة وتحقيق" وصدرت هذه الأعمال في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، ثم توالت دراساته النقدية الأخرى نذكر منها؛ " القضايا الاجتماعية في المسرح القطري" عام ١٩٩١، " دراسات في الشعر العربي المعاصر في الخليج " عام ١٩٩٤، و " أوليات النقد الأدبي في الخليج" عام ١٩٩٥، و "القصة القصيرة في قطر، النشأة والتطور " عام ١٩٩٦، و " إشكالية الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة" عام ١٩٩٦ ، و " التسامح في الثقافة الإسلامية " عام ٢٠٠٣ ، والمسرح في قطر، النشأة والتجربة" عام ٢٠٠٨ ، وظلت دراساته النقدية تتوالى حتى وقتنا الحالي. كما تعد الناقدة نورة آل سعد واحدة من أبرز الكاتبات القطريات في المسيرة الإبداعية والنقدية، وتعد امتدادا للحركة النقدية والثقافية المتطورة في قطر في العقود الأخيرة منذ نهاية الثمانينيات حتى الآن، فقد أصدرت مجموعتها القصصية " بائع الجرائد" عام ١٩٨٩، ثم أصدرت دراسة بعنوان " تجريبية عبد **الرحمن منيف**

في مدن الملح " عام ٢٠٠٥، و"أصوات الصمت" وهي مقالات في القصة والرواية عام ٢٠٠٥، و"الشمس في إثري" عام ٢٠٠٧ وهي مقالات في الشعر والنقد، ومجموعتها القصصية "بارانويا" عام ٢٠١٣، وظلت أعمالها القصصية والنقدية تتوالى حتى وقتنا الحالي، ومن ثم تدور الدراسة في محورين:

- الأول: الدكتور محمد كافود والرؤية النقدية السياقية لجيل الرواد
- الثاني: نورة آل سعد والرؤية النقدية الثقافية للجيل الثاني

أولا: الدكتور محمد كافود والرؤية النقدية السياقية والتجديدية لجيل الرواد:

إن المتتبع للأعمال النقدية التي أصدرها الدكتور محمد كافود على مدي أربعة عقود تقريبا، يجد أنها انطلقت من الرؤية السياقية للنقد الأدبي في مجالات القصة القصيرة والرواية والمسرح والنقد الأدبي في الأدبين القطري والخليجي. وأهم المناهج التي استند اليها دراساته النقدية الرائدة هي؛ المنهج الاجتماعي والمنهج الفني، والثقافي. وعلى الرغم من غلبة المنهجين الاجتماعي والفني على ما عداهما من مناهج نقدية أخري إلا أنهما انطلقا أيضا من المنظور الثقافي في معالجاته النقدية لاسيما دراسته عن " اللغة والهوية والإشكاليات الثقافية، دول الخليج نموذجا".

وتتجلي هذه الرؤي النقدية التي شكلت مرحلة الريادة النقدية في الأدب القطري في دراساته؛ دراساته: " الأدب القطري الحديث: و " النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي" في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، و " القضايا الاجتماعية في المسرح القطري" ١٩٩١، " ودراسات في الشعر العربي المعاصر في الخليج " ١٩٩٤، و " أوليات النقد الأدبي في الخليج" عام ١٩٩٥، و "القصة القصيرة في قطر، النشأة والتطور " ١٩٩٦، و " إشكالية الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة" ١٩٩٦ ، و " التسامح في الثقافة الإسلامية " ٢٠٠٣ ، والمسرح في قطر، النشأة والتجربة" ٢٠٠٨ وغيرها، ونقف عند بعضها على سبيل التمثيل وليس الحصر. من خلال خمسة جوانب، تمثل فيما نتصور الرؤية النقدية للدكتور محمد كافود وهي:

١) الرؤية النقدية في السرد القصصي القطري

٢) الرؤية النقدية في الشعر القطري الحديث
٣) الرؤية النقدية في المسرح القطري الحديث
٤) الرؤية النقدية في الدرس النقدي الخليجي الحديث
٥) الرؤية النقدية في الدراسات الثقافية.

١- الرؤية النقدية في السرد القصصي القطري:

تنطلق الرؤية النقدية في السرد القصصي القطري الحديث من منطلقين هما؛ منطلقات المعالجة النقدية للسرد القصصي، وطبيعة المعالجة النقدية للسرد القصصي.

١-١-أ - منطلقات المعالجة النقدية للسرد القصصي في قطر.

انطلقت الرؤية النقدية للدكتور محمد كافود في معالجاته للسرد القصصي في قطر من النقد السياقي الاجتماعي، مستندا إلى الجوانب الثقافية والحضارية والفنية والأدبية، التي شكلت الوعي الإبداعي القطري في العقود الماضية، ويعد كتاب " الأدب القطري الحديث" واحدا من أهم الكتب النقدية التي صدرت للدكتور محمد عبد الرحيم كافود. وعبر من خلاله عن الرؤية الاجتماعية والفنية التي كانت سائدة في الدرس النقدي الخليجي والعربي آنذاك. وطبق هذه الرؤية على النصوص النثرية والشعرية القطرية.

وتتجلي المعالجة النقدية من المنظور الاجتماعي لقضايا السرد القطري في مطلع هذه الدراسة التي تناول فيها الحياة العامة في قطر، وتناول الموقع الجغرافي والتاريخي لدولة قطر ومكانتها عبر العصور، ولعل الموقع الجغرافي يجسد شيوع صورة المكان في الإبداع القصصي القطري، ويقترن بالأنساق الاجتماعية والثقافية أيضا، كما تناول التطور التاريخي القطري من المنظور السياسي والثقافي متتبعا المراحل التاريخية خاصة منذ "مرحلة استقلال آل ثاني بإمارة قطر عام ١٨٦٨ عندما وقع الشيخ محمد بن ثاني مع (بيللي) المعتمد البريطاني معاهدة سياسية تصبح بموجبها قطر خاضعة لسلطة آل ثاني. وبعد وفاته تولى ابنه الشيخ جاسم بن محمد عام ١٨٧٨، وظلت السلطة السياسية تتوالى تباعا مرورا بالشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني ثم ابنه الشيخ على ثم الشيخ أحمد بن على عام ١٩٦٠، وفي سنة ١٩٧٢ تولي الشيخ خليفة بن

حمد آل ثاني مقاليد الحكم، وأعلن استقلال دولة قطر عام وإنهاء جميع المعاهدات والاتفاقيات المعهودة بين قطر وبريطانيا، وأصبحت دولة قطر عضوا في المنظمات الدولية كالأمم المتحدة وجامعة الدول العربية وغيرها" (١) .

وهذا التطور التاريخي الذي سرده الدكتور محمد كافود في كتابه حتى مرحلة السبعينيات من القرن الماضي وهي المرحلة التي انطلق منها آنذاك لمعالجة دراسته النقدية في السرد القصصي، والشعر، والمسرح، وكان لهذا السرد التاريخي وفق المنظور الاجتماعي دور في تطور العملية الإبداعية في الأدب القطري.

وتأتي معالجته للحياة الاقتصادية والاجتماعية في قطر والخليج، لتعبر عن الرؤية الاجتماعية التي انطلق منها في معالجاته النقدية للسرد القصصي الحديث في قطر، من خلال مرحلتين: الأولي مرحلة ما قبل النفط ودور الإبداع القصصي فيها، وهي المرحلة التي قامت على الغوص وصيد الأسماك والزراعة وغيرها من أوجه النشاط الاجتماعي في مرحله الأولى.

والثانية مرحلة ما بعد النفط وتأثيرها الفعال في الإبداع القطري وخاصة القصصي، وانعكس هذا بدوره على الحياة الاجتماعية التي جسدها الكتاب القطريون في كتاباتهم القصصية، مثل العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية والدينية والسلوكية، والتي تأثر بعضها بالواقع الاقتصادي الجديد، من حيث ظهور النزعة الفردية وإحلالها محل الروح الجماعية ، وتضاؤل السلطة الأبوية التي حل محلها سلطة الفرد وأصبحت الأسرة منشطرة انشطارا نوويا وتأثر المجتمع القطري بالأعراف والتقاليد والقيم الوافدة، وكل هذه الجوانب رصدها الإبداع القطري وانطلق منها الدكتور كافود في معالجاته النقدية لهذه الأجناس الأدبية متوافقا والمنهج الاجتماعي الذي شكل منهجية الدراسة وأبعادها.

وتتطلب الرؤية الاجتماعية أيضا الوقوف عند الحياة الثقافية في المجتمع القطري، وكيف تأثرت بها الأعمال الإبداعية القصصية، وتتبع الدكتور كافود أنماط الحياة الثقافية منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى السبعينيات من القرن الماضي في ضوء ما توفر لديه من مصادر للمعلومات، وفي ضوء الصعوبات التي واجهها كأول ناقد قطري يخوض غمار التجربة النقدية المنهجية في الأدب القطري الحديث.

وارتكز في رؤيته النقدية الثقافية على تطور التعليم النظامي في دولة قطر، وكيفية انتقاله من مرحلة الكتاتيب إلى مرحلة المدارس النظامية ، ورأى أن التعليم بعد فترة قصيرة من ظهور النفط في البلاد عام ١٩٤٩ تطور عن المرحلة السابقة ؛ حيث أُنشِئت مدارس نظامية للبنين والبنات، وكليتا التربية للمعلمين والمعلمات ، والمكتبات العامة، والنوادي الأدبية والثقافية، والصحافة والمجلات الثقافية وغيرها، كما بدأت عجلة البعثات التعليمية تتحرك صوب النهوض بالعلم والتعليم، وكل هذا ترك أثرا كبيرا في الوعي الثقافي لدى أفراد المجتمع، وانعكس بدوره في أعمال الكتاب والكاتبات في قطر. وشكل منظورا نقديا لدى الدكتور كافود للمعالجة.

١-١-ب- طبيعة المعالجة النقدية للسرد القصصي:

إن المنهجية النقدية التي انطلقت منها دراسات الدكتور محمد كافود في السرد القصصي سواء في القصة القصيرة أو المقالة، استندت إلى المنظور الاجتماعي، ويرجع هذا لموائمة المنهج الاجتماعي للدرس النقدي العربي وللوظيفة الاجتماعية للأدب التي تشكل قناعات نقدية عند كثير من النقاد في العصر الحديث. والواقع أن الاتجاه الاجتماعي في الأدب و النقد هو الأب الشرعي للمنهج الاجتماعي الذي ساد في الأدبين العربي والأوربي في العصر الحديث، كما أنه – بكل ما أسفر عنه من حصار منهجي وأيديولوجي – هو جوهر العلاقة بين الأدب والمجتمع، وبالرغم من أن هذا النقد الاجتماعي عموماً تمتد جذوره إلى عصر النهضة عندما نشبت معركة القديم والحديث، وتركت فيما صهرته من أفكار المبدأ القائل بأن كل عصر يتميز بإنتاجه الأدبي الخاص المنبثق من ظروفه التاريخية والاجتماعية، إلا أنه عقب الثورة الفرنسية تبلورت هذه الفكرة في كلمة جامعة : " أن الأدب هو التعبير عن المجتمع كما أن الكلام هو التعبير عن الإنسان"(٢). ولم يقف عند الرواية آنذاك لعدم صدور روايات قطرية حتى مرحلة صدور دراسته المعنية" الأدب القطري الحديث"، واستندت تحليلاته ودراساته النقدية إلى مرحلتين: الأولى: مرحلة ما قبل النفط، والثانية مرحلة ما بعد النفط.

ففي المرحلة الأولى التي استمرت من ١٨٦٨ إلى ١٩٥٠ تقريبا ، كان الواقع الاجتماعي يتناسب والفنون السردية المباشرة والبسيطة التي تتوافق ووعي المجتمع من ناحية وحاجاته الاجتماعية من ناحية ثانية، ولذلك اقتصر السرد القصصي آنذاك على الرسائل والنثر التأليفي – على حد رؤية الدكتور كافود لهذه المرحلة – وتمثلت الرسائل في المكاتبات الرسمية بين الحاكم القطري ونظرائه من الحكام الآخرين، أما النثر التأليفي فقد تمثل في مقدمات بعض المختارات الأدبية بما تحمله من سمات فنيه، وهي انعكاس للمواضعات الاجتماعية السائدة في تلك المرحلة. ولذلك كان المنظور الاجتماعي الذي اتخذه الدكتور كافود وسيلة للمعالجة النقدية للسرد القصصي في تلك المرحلة متوافقا والرؤية النقدية السياقية للمنهج الاجتماعي.

وفي المرحلة الثانية: وهي مرحلة ما بعد النفط وإشراقة عهد جديد من الاستقرار والنهضة، تطورت الفنون السردية في قطر، وحصرها الدكتور كافود في المقالة بشتى أنوعها؛ الذاتية والموضوعية والأدبية وغيرها، ويسرد أعمالا تطبيقية لهذه الأنواع من المقالات، ويربطها بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية والحياتية، فضلا عن الرغبة في التطوير والتجديد الذي تنشده المقالات القطرية المنشورة آنذاك.

كما تمثل السرد النثري عنده في هذه المرحلة في القصة القصيرة، وعالجها من منظور النقد الأدبي الاجتماعي أيضا، وربط نشأتها بنشأة الصحافة القطرية شأن نشأة القصة القصيرة في كل الأقطار العربية. وتتبع نشأتها عند جيل الرواد في الأدب القطري مثل؛ يوسف نعمة، وإبراهيم صقر المريخي، وعبد الله الحسيني، وسامي قاسم المناعي، وزهرة يوسف المالكي، وبهية عبد الرحمن الباكر، وكلثم جبر وغيرهم، غير أنه يرى أن أول قصة قصيرة فنية في الأدب القطري هي قصة " الحنين " ونشرت في مجلة العروبة عدد (٥٥) بتاريخ ١٨-٢-١٩٧١، لإبراهيم صقر المريخي. يقول " لعل أول قصة ظهرت وكانت بقلم كاتب قطري ، وتقترب إلى حد ما من القصة القصيرة بمعناها الفني الحديث هي قصة الحنين التي كتبها الأستاذ إبراهيم صقر المريخي " (٣) ، وفي تحليله لهذه القصص استند للمنهج السياقي الاجتماعي أيضا، حيث عالج قصص هؤلاء الكتاب من منظور النقد الاجتماعي.

٢- الرؤية النقدية في الشعر القطري الحديث:

ينطلق الدكتور كافود في رؤيته النقدية للشعر القطري الحديث من بعدين؛ الأول: التقسيم المرحلي للشعر القطري المتمثل في مرحلتي ما قبل النفط وبعده، والثاني: البعد النقدي المتمثل في الرؤية النقدية السياقية القائمة على المنظور الاجتماعي.

أما عن البعد الأول: فإن الدكتور كافود حصر مرحلة ما قبل النفط في الشعر الإحيائي – لو جاز لنا استخدام هذا التعبير – الذي تجسد في أعمال الشعراء الرواد في قطر مثل؛ الشيخ قاسم بن ثاني، ومحمد بن عبد الوهاب الفيحاني وأحمد بن يوسف الجابر، وعبد الرحمن المعاودة، وعبد الرحمن بن صالح الخليفي، ومحمد حسن المرزوقي، واتسمت القصيدة في هذه المرحلة بالسمات التقليدية التي اتسمت بها القصيدة العربية في مرحلة الإحياء في المديح والرثاء والهجاء وشعر المناسبات وغيرها.

أما مرحلة ما بعد النفط فقد حصرها في المرحلتين؛ التقليدية والتجديدية. ويرى أن المرحلة التقليدية جاءت امتدادا للمرحلة الأولى، من حيث الاعتماد على الخصائص التقليدية في الصورة الشعرية والموضوعات الفكرية والموسيقى والقافية وغيرها، وتمثلت في شعر بعض الشعراء الكلاسيكيين المخضرمين مثل: عبد الرحمن المعاودة – على الرغم من كونه يعد أحد رواد الحركة الإحيائية في البحرين – على حد رؤية وتعبير الدكتور كافود إلا أنه يعد أحد الرواد في الشعر القطري لانتقاله إلى قطر واستقراره فيها وتعبيره عنها من خلال شعر المديح وشعر المناسبات ، وأيضا الشاعر أحمد يوسف الجابر يعد أيضا من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا مرحلتي ما قبل النفط وبعده . غير أن هذه المرحلة شهدت أيضا ميلاد شاعر قطري شاب – على حد تعبير الدكتور كافود – هو الدكتور حسن النعمة، ويرى أن " أغلب الموضوعات والأغراض التي تناولها شعراء هذه المدرسة، هي شعر المناسبات ، ويشمل المناسبات الدينية، والوطنية، والتهنئة بالأعياد ونحو ذلك مما يتخذ منه الشعراء منطلقا في الغالب إلى المديح، ويأتي بعد ذلك فن الرثاء إلى جانب بعض الموضوعات التي تعتبر جديدة بالنسبة للشعر في المرحلة الأولى، وهي الأشعر التي تتصل بالقضايا العربية والقومية، وقد ظهر ذلك بوضوح عند الشاعر عبد الرحمن المعاودة، إلى جانب بعض القصائد الغزلية" (٤)

وتستند الرؤية النقدية للدكتور كافود في معالجته لشعر هذه المرحلة للجانبين الاجتماعي والفني من حيث علاقة الشعر بالقضايا الاجتماعية والثقافية والدينية في المجتمع من ناحية، وعلاقته بالقضايا الفنية كالأغراض الشعرية وبناء القصيدة من ناحية ثانية، وقدم نماذج تطبيقية عديدة لبعض شعراء هذه المرحلة التقليدية لبيان ارتباط القصيدة بهذه الأنساق الاجتماعية.

والأمر نفسه أيضا في معالجته للحركة التجديدية في الشعر القطري من حيث الأغراض الشعرية والاتجاهات، لاسيما بعد منتصف القرن العشرين، حيث انطلق المجتمع القطري صوب مرحلة جديدة من التعليم والنهضة، وتناول العلاقة بين الشعر التجديدي والمستجدات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع القطري آنذاك عند بعض الشعراء المحدثين ومنهم الشاعر مبارك بن سيف، الذي يعد في طليعة الشعراء المجددين، لكن هذا لا ينفي وجود قصائد تقليدية وأخري تجديديه له. وأرجع الدكتور كافود هذه الرؤى التجديدية لدى الشعراء إلى تأثرهم بالشعر الرومانسي والحر في البلاد العربية، فضلا عن تعبيرهم عن المعاناة التي كان يعيشها الإنسان القطري في مرحلة الغوص ولذلك يرى " أن صخب الحياة العصرية، وتغير بعض القيم والمفاهيم، أدى بالجيل الجديد إلى العودة للماضي واجترار آلامه وأحزانه" (٥) ، كما أشار إلى شعر المناعي أيضا واقترانه بالقصيدة الجديدة وتعبيره عن الواقع المعيش وغيرهم من الشعراء الذين نشروا بأسمائهم الحقيقية أو بأسمائهم المستعارة وعبروا عن الواقع الاجتماعي والسياسي العربي، لاسيما قضية فلسطين، ولذلك يقول الدكتور كافود معبرا عن رؤيته النقدية تجاه هذا الشعر والجيل الجديد " قد حاولت في دراستي الإحاطة بأهم القصائد التي ظهرت من نتاجهم وتصنيفها وذكر نماذج منها ، فاتضح من خلال هذه النماذج أن اغلب هذه الأشعار تدخل فيما يعرف بالشعر الوجداني ذي النزعة الرومانسية، وأن اهم موضوعاتهم والأفكار عندهم تدور حول الإنسان وصلته بالبحر ، واعتبرنا أن هذه النزعة مردها إلى سببين؛ أولهما التقليد والاتباع للمذهب الرومانسي ، وثانيهما هو الواقع وصراع التغيير الذي تشهده المنطقة، وكذلك لا حظنا أن هذا التجديد عند هذا الجيل لم يقف عند الموضوعات والمضامين والأفكار بل تعداه إلى الشكل الخارجي للقصيدة فظهر ما يعرف بالشعر الحر والشعر المرسل أو المطلق الذي يعد ثمرة التأثر بالآداب الحديثة." (٦) ، ومن

خلال هذا النص تتضح لنا الرؤية الاجتماعية والفنية التي انطلق منها الدكتور محمد كافود في معالجته للقضايا الشعرية.

-٣- الرؤية النقدية في المسرح القطري الحديث

انطلق الدكتور محمد كافود كرائد للنقد الأدبي المسرحي في قطر في رؤيته النقدية من البعدين الاجتماعي والفني لاسيما دراسته عن " المسرح في قطر ، النشأة والتطور" عام ٢٠٠٨ ، فقد عالج في هذه الدراسة بدايات المسرح القطري ونشأته ، متتبعا الحركة الكشفية ودورها في نشأة المسرح ، وتناوله للفرق المسرحية ومنها ؛ الفرقة الشعبية للتمثيل، وفرقة المسرح القطري، وفرقة مسرح الأضواء، وفرقة مسرح السد، وفرقة المسرح العربي، كما تناول دور الدار القطرية للإنتاج الفني، والمؤسسات الرسمية ودورها في الحركة المسرحية، وإدارة التربية المسرحية بوزارة التربية والتعليم، وإدارة الفنون والثقافة بوزارة الإعلام ، ومسرح لشباب ، ومسرح الأطفال، وغيرها من الأنشطة المسرحية التي كان لها دور بارز في نشأة المسرح القطري، ويربط النشأة بالواقع الاجتماعي ومتغيراته ولذلك يقول " من المعروف أن ظهور أي فن من الفنون وتطوره مرتبط بظروف المجتمع، كالظروف الاجتماعية والعادات والتقاليد والتطور الثقافي، والإمكانات وغيرها، تلك الظروف التي تؤثر سلبا أو إيجابا في بروز فن من الفنون ، أو في اختفائه وانكماشه ، ولعل فن المسرح في قطر نشأته وتطوره مرتبط بمثل هذه الظروف، التي أدت إلى تأخر ظهوره حتى أوائل الستينيات." (٧)

وهنا تتضح الرؤية النقدية التي انطلق منها الدكتور كافود، وهي الرؤية النقدية الاجتماعية المتمثلة في المنهج الاجتماعي. حيث يقرن الظواهر المسرحية ونشاتها بالمتغيرات الاجتماعية التي طرأت على الواقع المعيش في قطر.

وتتأكد هذه الرؤية النقدية القائمة على المنظور الاجتماعي عندما خصص محورا مستقلا في كتابه " المسرح في قطر ، النشأة والتطور" عن القضايا الاجتماعية في المسرح القطري ، وانطلق من الرؤية النقدية التي ارتضاها الدكتور عز الدين إسماعيل لدراسته " قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر "، ولذلك يقول الدكتور محمد كافود في معرض معالجته لهذه القضية" لقد تناول الدكتور عز الدين إسماعيل موضوع

العلاقة التي تربط بين الذات والموضوع (٨)، وأستطيع القول: إن ذلك يمكن أن نطبقه على موضوعنا هذا، وهو أن التجربة الأدبية في المسرحية تتشكل في إطار من التفاعل بين عنصرين أساسيين تمدهما مجموعة من المعطيات الثقافية والاجتماعية والقيم التراثية، وأعني بهذين العنصرين: أحدهما: الواقع الخارجي بكل ما يشكله من أبعاد الصراع والتناقضات والاختلاف أو الائتلاف والمحافظة أو التغيير، أما العنصر الآخر: فهو البعد الفكري أو الرؤية الفكرية أو الموقف الذاتي للمبدع الذي من خلاله يطرح القضية"([٩])

إن الرؤية النقدية التي يطرحها الدكتور كافود هنا ترتكز على بعدين؛ أحدهما: الواقع الخارجي الذي يجسده الكاتب المسرحي من خلال تفاعله مع المجتمع بعاداته وتقاليده وأعرافه وقيمه وأماله وآلامه. وثانيهما: الرؤية الفكرية التي انطلق منها الكاتب المسرحي، وهي رؤية لا تنفصل عن الواقع، بل مستمدة منه وفق قناعات الكاتب وموروثه الثقافي.

ويقرن بين الذاتية والموضوعية ويرى أنهما متممان لاكتمال العمل المسرحي ومن خلالهما تنبثق التجربة الأدبية، التي تتفاوت من شخص لآخر وفق ثقافة الكاتب من ناحية، وحظهما من الذاتية والموضوعية من ناحية ثانية، والاستغراق الصريح في الواقع، أو محاولة التجريد منه من ناحية ثالثة، ويرى أيضا " أن هذه التجربة قد تكون تجربة عادية تلتقط مظاهر الواقع ومشاكله اليومية بصورة قريبة، وتبرزها أو تعكسها كما هي عليه، وهذا ما سوف نجده عند بعض كتاب المسرح في قطر ، خاصة في بدايات الكتابات المسرحية من خلال تناولهم للقضايا الاجتماعية، أو قضايا الأسرة، وفيما اعتقد فإن هذا النوع من الأعمال الأدبية أو المسرحية يمكننا أن نطلق عليه من باب التجاوز مصطلح التجربة بمفهومها الدقيق" ([١٠]).

على أن التجربة المكتملة التي يراها الدكتور محمد كافود تنطلق – من وجهة نظره – من عنصري الذاتية والموضوعية ولا ترتكز على عنصر واحد وتغفل الآخر – كما رأى بعض النقاد – ولذلك يقول:" إذا كان بعض المهتمين يرى أن العمل المسرحي تتضاءل فيه التجربة الذاتية المنبثقة من تفاعل داخلي بالواقع الخارجي، حيث تطغى الموضوعية والبعد الفكري على الجانب العاطفي في تصوير الموقف ، إلا أننا مع ذلك نجد أن الموقف الذي يتبناه الكاتب تجاه الحدث أو الموضوع يستدعي وجود رؤية معينة يطرحا الكاتب،

وهذه الرؤية لابد أن تكون محصلة معايشة وتفاعل وصراع بين الكاتب ومحيطه ، ومن ثم اتخاذ موقف معين " ([١١]).

وهذه الرؤية النقدية تتسم بالموضوعية والتكاملية في المعالجة النقدية للعمل الأدبي، ذلك أن الذاتية بمفردها لا تشكل عملا متكاملا فنيا وموضوعيا، بل ربما تشكل خواطر ذاتية، كما أن الاعتماد على الموضوعية بمعزل عن الذاتية قد تفقد النص الأدبي تكامله الجمالي والموضوعي، ومن هنا رأى ضرورة تضافر الذاتية والموضوعية معا، فضلا عن أن العمل المسرحي عمل جماهيري لذلك لابد من تعبيره عن الواقع الاجتماعي المعيش، ولذلك شكل المنهجان الاجتماعي والفني بعدين جوهريين للرؤية النقدية عند الدكتور محمد كافود. ومنهما ينطلق للحكم على العمل الأدبي، لذلك يقول:" إن التناول السطحي للقضايا أو الموضوعات والمشاكل الاجتماعية، والتعبير عنها بصورة مباشرة، يرجع إلى أن الكاتب لم يستطع أن يعايش التجربة معايشة فنية، بحيث يخرج بها من إطارها الواقعي التقريري إلى واقع فني تمتزج فيه مقومات العمل الفني الذي يبعده عن الاستجابة التلقائية ، وترديد ما يفرزه الواقع بصوره التقريرية، فالعمل المسرحي انتقاء وتلميح وإثارة وصراع وتوتر وتركيز وموقف" ([١٢]).

كما أنه ولقلة الأعمال المسرحية التي كتبت في قطر آنذاك، فقد تناول بعض النصوص المسرحية التي كتبت بالعامية مبررا ذلك بقوله:" ونحن في دراستنا أكثر اهتماما بالأدب الفصيح على مختلف فنونه، إلا انه نظرا لعدم توافر النصوص المسرحية باللغة الفصحى فقد اضطررنا إلى ان نعرض لبعض النصوص التي باللهجة العامية لكي نعطي صورة عامة وشبه متكاملة عن الادب القطري، ومن ضمنه المسرحية" ([١٣]) ، وربما يرجع أيضا قبول المعالجة النقدية للنصوص المسرحية العامية لتوافقها مع الثقافة الشعبية القريبة من وعي الجماهير، شأنها شأن الرواية التي يكون الحوار فيها بين الشخصيات بالعامية فتتوافق اللغة مع الوعي الشعبي للجماهير من ناحية ومع اللغة الفنية للشخصيات من ناحية أخرى، لكون الكاتب لا يستنطق الشخصيات بلغة لا تتوافق مع وعيها ، يضاف إلى ذلك الرؤية النقدية توافق هذه النصوص

المسرحية مع المعالجة النقدية القائمة على المنظور الاجتماعي، وهي المعالجة التي تشكل المنهجية النقدية للدكتور كافود في جل دراساته النقدية.

وقد يرجع هذا – كما ذكرنا – لكون المنهج الاجتماعي والمناهج النقدية السياقية هي التي كانت سائدة في الساحة النقدية العربية. والمسرح من أقرب الفنون الأدبية قربا وتعبيرا عن الوعي الشعبي لاسيما الثقافة الجماهيرية، التي تشكل وعي المجتمعات الإنسانية في كل زمان ومكان.

ولعل الرؤية النقدية للدكتور محمد كافود التي تنطلق من المنظورين الاجتماعي والفني شكلت بعدا جوهريا في تناوله للقضايا المسرحية، ربما أكثر من غيرها من الفنون الأخرى، وقدر يرجع هذا كما ذكرنا لقناعاته النقدية بأهمية تضافر البعدين الفني والاجتماعي في العمل الأدبي فضلا عن أن المسرح من أكثر الفنون تعبيرا عن الواقع المعيش نصا وعرضا. ولذلك يقول:" إذا توقفنا عند المسرحيات الاجتماعية، فإننا لا نستطيع أن نقفز عن هذا التمازج الحضاري والتغير الاجتماعي السريع الذي شهدته المجتمعات العربية في منطقة الخليج، وما تركه كل هذا من صدى في الأعمال الفنية والأدبية بصفة عامة، وفي مجال المسرح والقصة على وجه الخصوص، فقد انعكست هذه التغيرات وهذه الصراعات والتناقضات الاجتماعية في القيم والعادات والتقاليد الموروثة والوافدة في الكثير من الأعمال الأدبية (.....) فحركة التغيير وما يصحبها من صراع اجتماعي وفكري ونفسي، لابد أن ينعكس بدوره على في الأعمال (الدرامية)، ومن هنا يصبح المسرح وبلة هامة في رصد حركة التغيير هذه ، وما يصحبها من مشاكل ، وما تبرزه من قضايا اجتماعية أو فكرية أو سياسية"([١٤]).

وهنا يتضح بصورة جلية الرؤية النقدية القائمة على المنظور الاجتماعي والفني في معالجاته للقضايا المسرحية القطرية، حتى أنه "حدد ثلاثة محاور رئيسة دارت حولها النصوص المسرحية القطرية هي: الأول: قضايا التغيير وما يصحبها من صراع وتناقضات بين القيم والعادات والتقاليد السائدة، ونزعة التغيير والتجديد، وما يعالجها من قيم وسلوكيات طارئة، والثاني: قضايا الأسرة وما ينجم عنها من من مشاكل من

خلال علاقات الأفراد بعضهم ببعض، ويندرج تحت ذلك تعدد الزوجات وغلاء المهور وانحراف الأبناء، والثالث: القضايا الفكرية: وتشمل الواقع والرؤية القومية، والبحث عن واقع أفضل" (١٥).

وفي عرضه وتحليله لهذه القضايا استندت الرؤية النقدية للبعدين؛ الاجتماعي والفني، وكذلك الأمر في تحليله للمسرحيات القطرية الواردة في دراسته عن "المسرح في قطر" قامت على هذين المنظورين الاجتماعي والفني أيضا.

٤- الرؤية النقدية في الدرس النقدي الخليجي الحديث

لعلنا لا نبالغ حين القول: إن الدكتور محمد كافود يعد من أبرز الرواد في النقد الأدبي الخليجي في قطر لاسيما النقد المنهجي ولعله الرائد الأول في النقد الأدبي الأكاديمي في قطر من خلال دراساته الرائدة عن " النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي" عام ١٩٨٣، ولقد كان دافعه لذلك قلة الدراسات النقدية الخليجية التي تواكب الإبداع الخليجي، لاسيما الدول الخمس وهي الكويت والبحرين وقطر والإمارات وسلطنة عمان، لضآلة الحركات النقدية فيها آنذاك، وعلى الرغم من كونه استبعد الحركة النقدية السعودية في هذه الدراسة آنذاك لوجود حركة نقدية فيها، إلا أنه تناولها في دراسة مطوله بعنوان " أوليات النقد الأدبي في دول مجلس التعاون الخليجي خلال النصف الأول من القرن العشرين" وألقي في مؤتمر" النقد الأدبي في دول مجلس التعاون الخليجي" الذي عقد خلال الفترة من ١٢-١٤-١٢-١٩٩٥ ، ونشر في كتابه" دراسات في الشعر والنقد " عام ٢٠٠٥ .

وجاءت دراساته النقدية الخليجية معبرة عن التيارات النقدية العربية في الخليج من حيث المفهوم والتطور والاتجاهات والمعارك النقدية. وتمثلت صعوبة معالجتها في كونها مثلت مرحلة الريادة النقدية حتى أن دراسته " النقد الأدبي في الخليج" يصدرها بقوله: " إن هذا البحث أول دراسة جادة مستوعبة لحركة النقد الأدبي في الخليج العربي، وحسبي أني تحملت عبء ريادته، مما هون علي ما تجشمته من مصاعب ، وما تحملته من مشاق ففي ارتياد هذا الطريق، الذي لم يمهد من قبل ، فما أشد ما قاسيت من عناء الأسفار والبحث عن الدوريات والمصادر للكشف عن الآراء والنصوص النقدية التي تنير لي الدرب وتمهد الطريق

وتوصلني إلى الهدف، وإني بعد هذا الجهد الشاق في سبيل خدمة بلادي لأرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق ما أصبو إليه من رسم صورة واضحة المعالم لحركة النقد النظرية والتطبيقية في منطقة الخليج العربي" (١٦)

ويعالج الاتجاهات والمعايير والقضايا النقدية في الخليج العربي في دراساته من خلال عدة محاول هي:

١) الاتجاه التقليدي في النقد الأدبي الخليجي

٢) الاتجاه التجديدي في النقد الأدبي الخليجي

٣) القضايا النقدية في النقد الأدبي الخليجي

١-٤-أ - الاتجاه التقليدي في النقد الأدبي الخليجي:

عالج الدكتور كافود هذا الاتجاه بداية من إرهاصاته الأولى عند النقاد الخليجيين خلال النصف الأول من القرن العشرين وبدايات النصف الثاني منه، عند بعض النقاد الخليجيين الذين عالجوا المفاهيم الأولية للنقد، والتي نشرت في مراحلها في الصحف المحلية، ويرى أن نشأة الصحافة والمؤسسات التعليمية المختلفة كان لها الدور الأبرز في عوامل نشأة النقد الأدبي في الخليج.

ومن هذه المفاهيم الأولية مفهوم الأدب، ومفهوم النقد، والشروط الواجب توافرها في الناقد ومقاييس النقد الحكم النقدي على العمل الأدبي وغيرها من الأسس الأولية للنقد الأدبي.

ومن هذه المفاهيم وقوفهم عند مفهوم النقد، وتأثرهم بالنقاد العرب مثل طه حسين والعقاد وجماعة أبولو والمهجر والديوان وغيرهم. ويتناول الدكتور كافود بعض النقاد الخليجيين الذين عالجوا هذه المفاهيم ومنهم – على سبيل المثال– الناقد الكويتي عبد الرزاق البصير الذي يعرف النقد وفق مفاهيمه التقليدية بقوله: " يعتقد كثير من الناس أن النقد مقصور على الذم أو إظهار العيوب والأخطاء، ومن الواضح أن المعتقدين بهذا الاعتقاد مخطئون كل الخطأ، فإن النقد في اللغة إذا كان في الدراهم فهو معرفة جيدها من رديئها ، أما إذا كان في الكلام فهو إظهار ما فيه من عيوب ومحاسن" (١٧) غير أن الدكتور كافود يرى " أن الناقد

هنا في هذا النص لم يتجاوز ذلك المفهوم القديم للتقويم والنقد ، ذلك التقويم الجزئي أو قل الحكم الجزئي، فيقف الناقد عند خطأ لغوي أو نحوي في اللفظة أو في البيت" (١٨)

ويتناول الدكتور كافود مقاييس النقد التقليدي في تلك الآونة، وتتبلور هذه المقاييس في النقد الذوقي الذي يعتمد على الانطباعات الذاتية للناقد دون تعليلات موضوعية، ولا يتفق كثيرا مع هذا المعيار لكونه يعتمد على الذاتية دون الموضوعية ويرى مع بعض النقاد " أن هذا المقياس النقدي في الحكم على العمل الأدبي على الرغم من أهميته ومكانته وكونه عماد المقاييس الأدبية عند مختلف المذاهب النقدية حتى الآن، يبدو فيه الكثير من القصور إذا ظل وحده مقياسا للحكم، لأن الأذواق تختلف من شخص لآخر من حيث السمو أو الهبوط" (١٩)

كما يتناول أيضا اعتماد النقاد الخليجيين في هذه المرحلة التقليدية أيضا على المقاييس اللغوية، مثل الأخطاء اللغوية والنحوية والتراكيب السياقية والأخطاء العروضية والأسلوبية وغيرها، وكذلك اعتمادهم على المقاييس البلاغية كالتشبيهات والاستعارات والكنايات وغيرها من الخصائص والظواهر البلاغية التقليدية، فضلا عن المقاييس الإيديولوجية – لو جاز لنا استخدام هذا التعبير– ويرى أن من هذه المقاييس ما " يكون خارجا عن طبيعة العمل الأدبي كالإحالة في المعنى أو الالتزام بموقف معين من الأخلاق والدين يكون منطلقا للحكم على العمل الأدبي من حيث تمشيه معها أو خروجه عليها" (٢٠)

يضاف إلى ذلك وقوف الدكتور كافود عند بعض النقاد الخليجيين المحدثين الذين انطلقوا من قضايا النقد القديم وخصائصه مثل النقد النفسي، وتناولهم بعض السرقات الأدبية لاسيما الشعرية، وقضية اللفظ والمعنى، والطبع والصنعة، والغموض والوضوح، والصدق والكذب وغيرها. وخلص إلى أن بعض المقاييس التي انطلق منها النقاد الخليجيون المحدثون في المرحلة التقليدية إنما هي صدى لتلك التي كانت سائدة في النقد الأدبي العربي القديم.

وكذلك في معالجته لمفهوم النقد والناقد عند بعض النقاد الخليجيين مثل عبد الرزاق البصير، وعبد الله زكريا يرى أيضا " أن تعريفهم للنقد وتحديد مهمته لا يخرج عن ذلك المفهوم الذي عرفه النقاد القدامى" ٢١، أي أنهم انطلقوا في مفاهيمهم للنقد والنقاد من مفاهيم النقاد القدامى .

ويختلف الدكتور كافود مع بعض النقاد الذين يرون أن الناقد لابد أن يكون له تجربة شعرية حتى يصبح ناقدا، نتيجة تأثرهم برأي النقاد العرب القدامى، ومنهم عبد الله زكريا الذي يقول: "إن جميع النقاد الذين تصدوا لنقد الشعر سواء كانوا من القدماء أو من المحدثين، ليسوا على حق إن لم يكونوا قد جربوا المعاناة الشعرية تجربة صادقة " (٢٢) ، ويرى الدكتور كافود عدم دقة هذه الرؤية النقدية

فيقول: " إن النظرة المطلقة في أن الشاعر هو أفضل من ينقد هي نظرة قد تكون مقبولة عند القدماء أو عند من يحسنون معالجة النص والحكم له أو عليه من داخله دون النظر إلى علاقته بمحيطه، وحتى عند أصحاب هذه النظرة قد لا يكون الشاعر الناقد الأمثل ، فلا يكفي الشاعر أن يكون قد عرف صدق المعاناة وعايش التجربة لكي يكون ناقدا ، لأنه مع ذلك بحاجة إلى ثقافة وقدرة على الشرح والتعليل ، ومن ثم التوصيل، ونقاد الأدب العربي من القدماء لم يطلقوا هذا القول على علاته ، بل إنهم لفتوا الأنظار إلى أن هناك من النقاد المتخصصين من ذوي الخبرة والعلم والدراسة بهذه الصناعة من يجارون أصحاب الصناعة أنفسهم" (٢٣).

وهنا تتضح الرؤية النقدية الموضوعية التي يطرحها الدكتور محمد كافود في معالجته لمفهوم النقد والناقد لدي النقاد الخليجيين التقليديين، ويرى أنه ليس من الضروري أن يكون الناقد للشعر شاعرا حتى يكون قادرا على النقد، بل يرى أن الدراية والعلم والموضوعية هي التي تجعل من الناقد ناقدا، وأن ممارسة التجربة الشعرية قد تكون عاملا لكنها ليست هي كل العوامل التي يجب توافرها في الناقد لكي يصبح ناقدا.

وتتضح الرؤية النقدية الموضوعية لديه عندما تثار قضية الفن للفن أم الفن للمجتمع، ويرفض التعصب الأيديولوجي لفن من الفنون، ويرى: " أن الناحية الجمالية في الفن هي التي يجب أن تكون الأساس والمقياس في الحكم، على أن تحقيق الناحية الجمالية مع المنفعة وهادفية الفن أمر لا لبس فيه" (٢٤)

إنه ينظر للقصيدة من المنظور الجمالي سواء حققت المنفعة أم لم تحقق ، ويرى أن مزج الأمرين معا؛ الجمالي والاجتماعي يحقق الجودة العالية ، وليس بالضرورة أن تكون المنفعة أساسا للحكم على قيمة العمل.

١-٤-ب – الاتجاه التجديدي في النقد الأدبي الخليجي:

- النقد التأثري

يرى الدكتور كافود أن حركة التجديد النقدي ارتبطت بازدهار النهضة الأدبية والثقافية في الخليج العربي، " وأن الاتجاه التأثري أخذ به بعض النقاد في منطقة الخليج من ذوى الاتجاه التجديدي، وتحمسوا لهذا النوع من النقد ، لأنهم يرونه أجدى سبيل للتواصل بين القراء والعمل الفني ، والاهتداء إلى مواطن الجمال في العمل، في حين أن الشرح والتعليل وإصدار الأحكام يفقد المتلقي لذة القراءة ويصرفه عن مواطن الجمال المبثوثة في العمل الأدبي" (٢٥) .

وممن ذهب لهذا الرأي من النقاد –على حد تعبير الدكتور كافود –كل من؛ إبراهيم العريض، وسليمان الشطي، وهدايت سلطان السالم، الذين تحمسوا للاتجاه التأثري في النقد بعيداً عن الإغراق في التحليلات والمذاهب النقدية المختلفة التي تفقد النصوص الشعرية جمالياتها ورونقها.

ولذلك يقول الدكتور كافود عن بعض نقاد هذه المرحلة التجديدية الذين تحمسوا للنقد التأثري: " نلاحظ من خلال عرضنا لبعض آراء النقاد أنهم يغلبون الجانب التفسيري والتأثري في النقد أثناء عرضهم للنصوص الأدبية ، وهم يرون أن عملية النقد ومهمة الناقد لا تقل عن عملية الخلق والإبداع عند المبدع، ويغلبون الجانب الذوقي والتأثر الذاتي على المقاييس والقيم النقدية، التي يغلب عليها الجانب العلمي، هذا ما لاحظناه عند بعض النقاد كإبراهيم العريض وسليمان الشطي وهدايت سلطان السالم" (٢٦)

وعلى الرغم من تباين الآراء النقدية حول هذه القضية التي تعني بالمفاضلة بين المنظور الجمالي والمنظور الفكري أو بكليهما معا، في معالجة النصوص الأدبية، وهي قضية خلافية منذ أمد بعيد قد ترجع في أصولها لبدايات النقد الأدبي وإرهاصاته، نقول على الرغم من ذلك إلا أن رؤية الناقد الدكتور كافود حاولت التوازن

بين الرؤيتين، فهو يرفض النقد القائم على الإغراق في القواعد والأصول والفكرية، وفي الوقت نفسه لايؤيد النقد القائم على الأهواء الذاتية، لذلك يختلف مع الأنصاري الذي استند النقد عنده إلى القواعد والأصول الفكرية والمعايير القياسية للحكم على العمل الأدبي من حيث الجودة والرداءة كما استند أيضا للذوق الفني، فيقول الدكتور كافود في هذا الصدد :" الأنصاري يطالب بأن نضع للنقد قواعد وأصولا فكرية تحدد معنى الأدب وتضع للتفوق الأدبي شروطه ومعاييره، ونحن نختلف معه في مصدر هذه القواعد والأصول، فحين يربطها هو بالفكر الفلسفي والمنطقي نرى نحن أن تكون هذه القيم والمقاييس مستمدة ومستقاة من العمل الأدبي أولا مع الاستفادة بالعلوم الإنسانية والفلسفية ثانيا، أما القواعد المستقاة من الفكر الفلسفي والمنطق فإنها لن تتمشى مع روح الأدب وطبيعته" (٢٧)

كما أنه – أي الدكتور كافود – يرفض النقد القائم على الأهواء الشخصية فيقول: " إن آفة النقد التي يعاني منها النقد طوال تاريخه ومنذ نشأته، هي تلك الأهواء الشخصية التي تتحكم في الناقد فتنحرف به عن جادة الصواب، فتضيع الحقائق وسط الزيف والخداع والتلاعب بالألفاظ. قد تطغى تارة المجاملة والمحاباة عند بعض النقاد، فيغدقون على العمل المنقود من الأوصاف ما يرفعه إلى أعلى من قيمته الحقيقية، وأحيانا تغلب على الناقد الأهواء والخلافات الشخصية، فيحط من قيمة العمل الفني، لا لشيء سوى أنه في خلاف شخصي مع صاحب هذا العمل" (٢٨)

وهنا تتضح الرؤية النقدية المتوازنة القائمة على الموضوعية في معالجة النصوص الأدبية، والتي انطلق منها في معالجته للآراء النقدية لدي النقاد الخليجيين في المرحلتين التقليدية والتجديدية، فقد رأى أن النقاد المحافظين أو التقليديين انطلقوا في المعايير الحكمية على العمل الأدبي من حيث الجودة أو الرداءة، وسيطر على وعيهم هذا المفهوم، بينما تأثر النقاد التجديديون بالاتجاهات النقدية الحديثة آنذاك ومنها الاتجاه التأثري الذي سيطر على كثير من النقاد الخليجيين في تلك المرحلة، ويعزو الدكتور كافود شيوع هذا الاتجاه التأثري في النقد الخليجي آنذاك فيقول: " نلاحظ أن الاتجاه التأثري هو الأكثر شيوعا، وربما يعود إلى سيطرة الاتجاه الرومانسي على أدب المنطقة حتى فترة متأخرة، فأصبح النقد التأثري هو الاتجاه

السائد عند معظم النقاد من ذوي الاتجاه الجديد، ولكن شيوع هذا النوع من النقد ربما يعود بالدرجة الأولى كما أرى إلى ضحالة الثقافة وحينئذ يلجأ الناقد إلى عملية التفسير والشرح "(٢٩).

- آليات النقد الجديد

ويناقش الدكتور كافود بعض الآراء النقدية المقترنة بالاتجاه التجديدي في النقد الخليجي حول بعض العناصر التجديدية مثل قضية الغموض والوضوح، والرومانسية والواقعية، والقصة والمسرحية ووجهة نظر النقاد الخليجيين فيها، وينتهي عند كل عنصر من هذه العناصر بوجهة نظره النقدية.

- ففي قضية الغموض والوضوح في العمل الأدبي بعض النقاد الخليجيين – على سبيل التمثيل – يتناول الدكتور كافود وجهات نظر العديد من النقاد الخليجيين في تلك الآونة بين مؤيد لهذه الظاهرة ومعارض لها ، ومن النقاد الذين تناول وجهات نظرهم بالنقد والتحليل كل من : خليفة الوقيان، وعلوى الهاشمي، ومحمد جابر الأنصاري، والعريض وغيرهم، حيث تباينت آراؤهم بين مؤيد لقضية الغموض ومعارض لها، غير أن الدكتور كافود خلص إلى رؤية نقدية تتسم بالموضوعية فلا يجنح صوب الغموض المفتعل كما في كثير من الدراسات النقدية والكتابات الإبداعية، وفي الوقت نفسه لا يرفض الغموض الفني القائم على الاعتدال والضرورات الفنية. ويرى" أن معيار الغموض والوضوح يختلف حسب طبقة القراء ونوع ثقافتهم، فالنص الأدبي أو القصيدة الواحدة قد يعرض لها شخصان، فتكون عند أحدهما في منتهى الوضوح سهلة التناول، وتكون عند الآخر مستغلة المعاني يكتنفها الغموض والإبهام. ومن هنا فإن الاعتدال في العمل الأدبي بين الوضوح والغموض مطلوب، فلا نميل إلى الوضوح الذي يصل بالعمل الأدبي إلى درجة الابتذال والتسطيح في المعاني، ولا ننجرف في تيار الغموض حتى يصبح العمل الأدبي قطعة من الطلاسم والرموز فيعجز حتى أعظم المتخصصين عن حلها" (٣٠).

- وفي مناقشته أيضا للرومانسية والواقعية يتناول وجهة نظر النقاد الخليجيين حول هذين المذهبين من المنظورين النقدي والإبداعي ما بين مؤيد للرومانسية أو الواقعية أو معارض لإحداهما، وطبيعة الصراع الذي دار بين بعض النقاد حولها ومن هؤلاء النقاد على سيار، ومحمد الماجد، وغازي القصيبي، ويرجع

الخلاف بين هؤلاء النقاد –خاصة بين سيار والماجد– إلى اختلافها حول تحديد مهمة الأدب ، لذلك يقول: " إن الخلاف بين الناقدين هو خلاف ناشئ عن اتجاهين مختلفين في تحديد مهمة الأدب، أو قل بين مدرستين، فمدرسة الرومانسية يغلب عليها الطابع الذاتي، وتتسم بالتشاؤم والحزن واجترار الآلام والمآسي التي يعانيها الأديب . ومدرسة الواقعية تحدد مهمة الأدب في تصويره للواقع ومعالجة مشاكل المجتمع ، وتسخير الأدب في خدمة الإنسان العمل على حل مشاكله التي يعاني منها" (٣١)

ويخلص إلى أن طبيعة الصراع النقدي بين النقاد الخليجيين في تلك المرحلة يدور حول هذه القضية في شقين: الأول؛ شق يقوم على المعارك السطحية كما هو عند على سيار والماجد، والثاني: يقوم على العمق والتحليل كما هو عند الأنصاري والقصيبي.

وهنا تتضح الرؤية التحليلية النقدية للدكتور كافود في معالجته للأبعاد النقدية، حيث ينطلق من العمق التحليلي للظاهرة دون التناول السطحي لها، فيرجع التباينات النقدية بين النقاد الخليجيين إلى مظانها الجوهرية، والتي تتمثل في هذا الموضع في التباين الأيديولوجي بين النقاد، فهناك من ينظر للعمل الأدبي من المنظور الاجتماعي ويرى أن الأدب وظيفته التعبير عن المجتمع مثل انصار المدرسة الواقعية، وهناك من ينظر إلى الأدب من المنظور الذاتي ويرى أن وظيفته ذاتية، تتمثل في التعبير عن الذات الإنسانية من حيث الآمال أو الآلام التي تعيشها الذات الإنسانية.

وفي تناوله لقضية القصة والمسرحية من منظور النقاد الخليجيين التجديديين آنذاك مثل سليمان الشطي، وإبراهيم غلوم، ومحمد جابر الأنصاري، والعريض، ومحمد المبارك، وحسن يعقوب العلي وغيرهم، تناولها من المنظور النقدي المتوازن في معالجة الظواهر والخصائص الأدبية فيهما، وذلك من خلال الاتجاهات النقدية السائدة في تلك الآونة لاسيما الرومانسية والواقعية، وانعكاساتهما على السمات النقدية للقصة والمسرحية. الأمر الذي أضفى أبعادا نقدية جديدة على هذين الفنين لدي النقاد الخليجيين، وجعلها تخرج من إطارها وسماتها التقليدية لدي النقاد التقليديين في المرحلة الأولى، إلى إطارها وسماتها التجديدية في المرحلة الثانية لدي النقاد المجددين.

١-٤-ج – القضايا النقدية في النقد الأدبي الخليجي:

إن أبرز القضايا النقدية التي تناولها الدكتور كافود هي قضايا الالتزام، والفصحى والعامية، والشكل والمضمون. ففي قضية الالتزام تتبع جذورها في الدرس النقدي لاسيما المرحلة الواقعية التي شهدت ازدهار هذه القضية في الآداب الأجنبية والعربية.

ويرى أن النقد الخليجي شهد ازدهار هذه القضية نتيجة تأثرهم بالنقد الأوربي والعربي من ناحية، ومقتضيات الواقع الخليجي من ناحية ثانية، وناقش هذه القضية عند كثير من النقاد الخليجيين في تلك الآونة، ومنهم خليفة الوقيان، ومحمد جابر الأنصاري، وإبراهيم غلوم، وسليمان الشطي، والسبتي وغيرهم. ولم تقف هذه القضية عند النقاد التجديديين بل تحمس لها النقاد التقليديون أيضا نتيجة التزامهم بالقضايا الإصلاحية من المنظور المحافظ، أما التجديديون فقد تحمسوا لها أيضا من النظور الاجتماعي والقومي.

ولذلك يقول الدكتور كافود في تناوله لهذه القضية: " إننا نجد الحماس قويا ومندفعا في تبني قضية الالتزام بصورة واضحة في الخليج العربي عند النقاد والأدباء. ويستوي في ذلك أصحاب الاتجاه المحافظ في النقد أو النقاد الجدد من الشباب، ولعل هذا التحمس والاندفاع في الدعوة إلى الالتزام يعود بالإضافة إلى التأثر بالنقد الغربي والعربي، إلى الظروف المادية والفكرية التي عاشتها وتعيشها المنطقة، وقد أسهمت بدرجة كبيرة في الدعوة إلى الواقعية والالتزام في أدب المنطقة"([٣٢]).

على أنه يرى أن هذه القضية تراوحت بين الحماس الشديد والمعالجة الهادئة من مجتمع خليجي لآخر وفق ظروفه ومتغيراته الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، ففي البحرين على سبيل التمثيل تناولها النقاد والأدباء بحماس شديد، بينما في الكويت تم تناولها بهدوء واعتدال.

وكذلك الأمر بالنسبة لمعالجته قضية الفصحى والعامية من منظور النقاد الخليجيين، ومدى اختلاف النقاد حولها باختلاف ثقافية المجتمع المتباينة بين الفصحى والعامية، سواء من المنظور الديني أو الاجتماعي أو القومي أو غيره، وأخذ كل ناقد يتحمس للقضية وفق موروثه الثقافي ، خاصة بعد انتشار العامية في بعض النصوص المسرحية والقصصية. بل يرى أن النقاد في المرحلة التقليدية حاربوا شيوع العامية في

الأدب الخليجي وخاصة المسرح ورأى البعض انها دعوة مشبوهة تعمل على تفريق الشعوب وتجزئتها وأخذوا يدعون إلى التمسك بالفصحي في الإبداع الأدبي.

وتولى وجهة النظر هذه بعض النقاد، نذكر منهم الناقد عبد الرزاق البصير، وعبد الله زكريا وغيرهما لكن محمد جابر الأنصاري على الرغم من دعوته للفصحي إلا أن رأى أن كتابة الحوار في بعض الروايات والمسرحيات بالعامية أمر مقبول لأنها تعبر عن ثقافة المجتمع ووعيه ووعي شخصياته.

على أن الدكتور كافود يتفق مع الأنصاري في مواضع معينة ويختلف معه في مواضع أخرى، فيقول: " نحن نتفق مع الانصاري في أن انتشار الثقافة بين طبقات الناس من شانه ان يقرب بين العامية والفصحى لغة الكتابة. ونحن معه في العمل الجاد على التقريب بين المحكي والمكتوب ، ولكن نختلف معه في دعوته لكتابة الرواية والمسرحية باللهجات العامية بقصد الواقعية الفنية والتقرب من إفهام الجماهير، بل إن الانصاري يختلف مع نفسه ويناقضها، وبيان ذلك أن المسرحية والرواية من وسائل الثقافة التي يجب أن تقرب بين الفصحى والعامية ، وكتابتهما بالعامية وسيلة تفريق لا تقريب هذه الناحية، والناحية الثانية أن الكتابة بالعامية لهدف التقرب من إفهام الجماهير يؤدي إلى توسيع الهوة بين الفصحى والعاميات، لأن لكل جمهور عاميته، وما أكثر الجماهير العربية وهي في ازدياد مطرد على الخارطة السياسية"([٣٣])

وهكذا يقف الدكتور كافود الموقف الوسطي في قضية الفصحى والعامية، فهي يمكن أن تكون لغة التخاطب بين المتخاطبين لتقريب الأفهام والمعاني والرؤى، ولكن تحولها للغة إبداعية تؤدي إلى التفريق دون التقريب.

يعالج الدكتور كافود قضية اللفظ والمعنى في ضوء النقد العربي القديم منتقلا منها إلى تطورها في النقد الأوربي الحديث ومنها للنقد العربي والخليجي الحديث، ويرى أن النقاد الخليجيين التقليديين عالجوا هذه القضية من منظور النقد العربي القديم مثل عبد الله زكريا وعبد الرزاق البصير والعريض، حيث ربطوا هذه القضية بقضية اللفظ والمعنى في ضوء مفاهيم النقاد القدامى لها مثل الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما ، لكن هذه النظرة تطورا بعض الشيء في المرحلة التجديدية نتيجة ظهور إبداعات شعرية وقصصية مستحدثة، أبرزها قصيدة الشعر الحر واختلاف النقاد الخليجيين حولها بين مؤيد ومعارض. لاسيما النقاد

الذين تبنوا الاتجاه التأثري في النقد وانفتاحهم على الدراسات النقدية الحديثة آنذاك وقفوا موقفا متصالحا مع الشعر الحر شريطة أن تتسم القصيدة بالجودة الفنية شكلا ومضمونا.

ولذلك يرى الدكتور كافود:" النقاد والمحافظين وإن كانوا يميلون في الغالب إلى الشعر العمودي، ويفضلونه لا يرفضون كل الشعر الحر لخروجه على النظام والوزن التقليدي، وإنما يتقبلون الشعر الجيد منه باعتباره نوعا من التجديد في الشعر العربي، وهم إنما ينفرون ويحاربون الشعر الزائف الذي لا يرتبط بنظام ، ولا يخضع لقواعد فنية" ([٣٤]) .

ونخلص من ذلك إلى أن الرؤية النقدية للدكتور كافود في معالجته للقضايا النقدية الخليجية انطلق من الرؤية الموضوعية المتوازنة، التي لا تقدس القديم لقدمه، ولا تغفل التجديد لحداثته ولكنه يحتكم لجودة العمل وفنيته ومدى توافق رؤيته الفنية والفكرية مع أدواته التعبيرية.

-٥- الرؤية النقدية في الدراسات الثقافية:

لم تقف جهود الدكتور كافود عند النقد الأدبي الخليجي فحسب بل امتدت جهوده للدراسات الثقافية في دول الخليج، فقد جاءت دراسته عن " اللغة والهوية والإشكاليات الثقافية، دول الخليج أنموذجا"٣٥، لتعبر عن تطور الدرس النقدي عنده وانتقاله من مرحلة النقد الأدبي إلى مرحلة النقد المعرفي، بما يتضمنه من النقد الثقافي.

واستطاع في هذه الدراسة معالجة قضايا اللغة ليس من منظور النقد الأدبي فحسب – مثلما كان في دراساته السابقة – بل من منظور الدراسات الثقافية لاسيما النقد الثقافي. فتناول عدة موضوعات حول اللغة والهوية والثقافة، اعتمد فيها على النقد الثقافي منها؛ الثقافة العربية بين قيم التسامح وممارسة الواقع، والإصلاح التعليمي ضرورة لمواكبة التقدم الحضاري، وملحمة جلجامش بين الميثولوجيا وإرهاصات الفكر الإنساني، والمشهد الثقافي في دول الخليج العربي وإشكالية الهوية، وديمقراطية عرجاء وحرية تعبير جوفاء، والتعريب ضرورة لغوية أم حاجة قومية، وإشكالية الثقافة في دول مجلس التعاون، وثقافة الحوار، واللغة العربية في مواكبة العصر وتحدياته، واللغة العربية في الفضائيات : الوسيلة والهدف، وتعليم اللغة العربية للناطقين

بغيرها، ومعوقات التجديد في الوطن العربي. ونقف عند بعض هذه الموضوعات – على سبيل التمثيل وليس الحصر – لتوضيح مدى علاقتها بالدراسات والنقد الثقافي.

في محور " الثقافة العربية بين قيم التسامح وممارسة الواقع" يعرض الدكتور كافود الكثير من الشواهد والأمثلة المعبرة عن قيم التسامح في الثقافة العربية عبر تاريخها الطويل، غير أن وجود بعض القصور في مراحل تاريخية معينة من رجالات الدين أو التعليم أو السياسة أو الثقافة أو غيرها، جعل فهم القيم الثقافية العربية في وعي الآخر غير واضحة، وأحيانا عكس مفهومها الحقيقي. ويربط الثقافة العربية بالهوية العربية واللغة العربية التي هي وعاؤهما معا، ويصبح الضرر الذي يلحق باللغة يلحق بالضرورة بالثقافة العربية والهوية العربية.

ويسرد الكثير من المشاهد التاريخية بين العالم العربي والأمم الأخرى التي تعبر عن التسامح والتعاون، لكن وجود الصراعات الدولية في كثير من الأحيان تجور على ثقافة الطرف الأضعف، وهذا ما تعاني منه الثقافة العربية على مدى تاريخها الطويل، لكن الأمم المتمسكة بثوابتها وهويتها وقضاياها تحاول المواجهة والتحدي. ولذلك يقول:" صحيح إن الثقافة القوية ينتاب منتسبيها شعور بالتفوق في القيم، لما تحظى به من إنجازات حضارية، ولكن تظل قضية الخصوصية والهوية وجذور الانتماء قوية لدى الشعوب مهما يمر بها من ضعف أو تراجع، بل إن من المعروف أن الأمة – وخاصة الأمم التي ماضض حضاري – عندما تحس أن هناك خطرا خارجيا على هويتها وقيمها تكون أكثر تشددا وتمسكا بالهوية وقيمها الثقافية، وهذا ما يحدث حاليا على أرض الواقع بالنسبة للأمة العربية والإسلامية ، فتردي الوضع الداخلي والضغوط الخارجية المتمثل في الهيمنة الأجنبية والأمريكية على وجه الخصوص ، وما يندرج في ذلك من ألوان الترغيب أو الترهيب للتسويق والتبشير بالثقافة الغربية باعتبار أنها تحمل القيم الأفضل والأصلح ، هذا النمط من أسلوب التعالي من قبل الغرب تجاه الثقافات الأخرى لابد أن يؤدي إلى نوع من التحدي والمواجهة " (٣٦).

وتتجلى الرؤية الثقافية للدكتور كافود من خلال منظوره للثقافة نظرة شمولية، حيث يرى أن التنوع والاختلاف الثقافي بين الأمم والشعوب إنما هو عامل إيجابي وليس سلبي، لأن فيه ثراء وازدهار ونمو وتفاعل بين

الحضارات والثقافات المختلفة، غير أن بعض الثقافات تحاول فرض هيمنتها الثقافية بطرق مختلفة على الثقافات الأخرى، ومنها الثقافة الغربية التي تحاول فرض هيمنتها وجبروتها على الثقافتين العربية والإسلامية، وربما هذا يجعل أصحاب الثقافات الأخرى لا تستسلم وتحاول المواجهة والتحدي، مما يجعل الآخرين أصحاب الثقافات المهيمنة يتهمونهم باتهامات مخالفة للحقيقة، بغية الاستيلاء على مقدراتهم الحياتية. ولذلك يقول الدكتور كافود: " إذا تحدثنا بموضوعية، فإن أي إنسان يمتلك قدرا من الوعي لا يمكن ان تغيب عنه تلك المحاولات لفرض هيمنة الثقافة الغربية على الثقافات الأخرى، ومن ضمنها الثقافة العربية الإسلامية. ولأن الثقافة لأية أمة تمثل هوية هذه الأمة، وتحفظ لها كيانها وخصوصيتها التي تميزها، من هنا يصبح التحدي والمواجهة في حالة محاولة أية ثقافة لفرض هيمنتها على الثقافات الأخرى، وحين تحاول الثقافة العربية الإسلامية أن تتمسك بقيمها ومفاهيمها، تصبح في موضع الاتهام لمجرد أنها ترفض التفريط في ثوابتها.(٣٧).

ولذلك يقف الدكتور كافود في طرحه لهذه القضية موقفا وسطيا من حيث ضرورة التفاعل مع الآخر مع عدم الذوبان فيه، على الرغم من أن مثل هذا التطبيق قد يكون عسيرا نتيجة اختلاف الكثير من القيم والمبادئ والأعراف والثوابت أيضا، ولكن الوقوف موقف المتفرج لا يصنع مستقبلا لأي أمة، كما أن الذوبان في الآخر يمسخ الهوية والاستقلالية بل والوجود، ولذلك لابد مما ليس منه بد هو التفاعل مع الآخر مع المشاركة في الإنجاز الحضاري. ولذلك يقول: " أن خير وسيلة للمحافظة على الهوية العربية هي المشاركة الفعالة في الإنجاز الثقافي والحضاري العالمي، والتعايش مع الآخر، والاستفادة من الإنجازات التي تحققت في الجوانب الإيجابية والمفيدة بما لا يتعارض مع قيمنا الثقافية، ولذلك فإن الأمة التي تريد المحافظة على مكانتها ودورها وتنفي عن نفسها التبعية والذوبان لابد أن أن يكون لها دور في الإبداع والإنجاز الحضاري ، من هنا فإن من الواجب أن تتكاتف الجهود من أجل تبني رؤية واضحة في أسلوب وطريقة الاستفادة من الإنجازات الحضارية، وعدم الوقوف موقف المتفرج أو موقف الرافض بدعوى الخوف من

المساس بقيمنا الثقافية. ولكن هذا لا يعني التفريط في تلك القيم والمثل والثوابت التي ترسخ وتحافظ على العقيدة السمحة والهوية لهذه الأمة. ([٣٨]).

ولكن لكي يتحقق الخطاب الثقافي البناء والفعال فلابد من تجاوز بعض السلبيات – على حد تعبير الدكتور كافود – وتتمثل في " التناقضات بين القيم والمثل في الثقافة العربية، وبين السلوكيات والممارسات التي يصورها المشهد الثقافي الواقعي، وكذلك في اجتزاء النصوص من سياقها وعالجتها بصورة خاطئة من بعض الباحثين العرب أو غيرهم بجهالة أو بقصد، مما يؤدي إلى تشويه صورة الثقافة العربية. والقصور في نقل الصور الواضحة عن الثقافة العربية للآخرين" ([٣٩]).

في محور " ملحمة جلجامش وإرهاصات الفكر الإنساني"، يستخدم الدكتور كافود المعالجة الثقافية طريقا لتحليل الملحمة، حيث عالجها في ضوء الأنساق الثقافية والاجتماعية والدينية والأسطورية على الرغم من أنه لم يغفل الجانب الفني فيها، ولعل العنوان نفسه يوضح ماهية استناد الملحمة للبعدين الميثولوجي والفكري، وهما عنصران من عناصر النقد الثقافي للنصوص، لكنه لم يقف عندهما فحسب، بل تناول الملحمة من خلال ربطها بالمظاهر الثقافية والاجتماعية والأدبية والحضارية وغيرها.

وينطلق الدكتور كافود في تحليله للملحمة أيضا من خلال عدة عناصر تشكل الأبعاد الثقافية للملحمة منها: " أنها واحدة من أقدم الملاحم الإنسانية، ولذلك تشكل موروثا ثقافيا عميقا للفكر الإنساني، كما أنها تصور ملامح المجتمع البشري القديم بتراثه الميثولوجي الموغل في القدم، ويمثل النص فيها إلى حد كبير مرحلة متقدمة بين المعتقد الميثولوجي والإرادة البشرية من حيث القوة المجهولة التي تتحكم في الطبعة ومصائر البشر، وتجسيدها لقضية الخلود والفناء، تلك القضية التي شغلت الفكر البشري طوال تاريخه، فضلا عن الصراع بين البشر والآلهة" ([٤٠]).

ولعل التحليل الميثولوجي للملحمة هو الذي سيطر على العناصر الثقافية الأخرى، لما لهذا العنصر من حضور كبير وفعال في أحداث الملحمة، فضلا عن ربطه بالأنساق الاجتماعية التي شكلت وعي الشخصيات ولذلك يقول الدكتور كافود:" إن الصفات والممارسات والأعمال والأحداث التي ارتبطت بشخصية جلجامش

في الملجمة تبرز تاريخية وبشرية ومادية– شخصيات وأحداث الملحمة– وإن صحب ذلك بعض الشخصيات والأحداث والأماكن الغرائبية، لأن ذلك مرتبط بواقع الحياة الاجتماعية آنذاك من حيث المعتقدات والتصورات للكون والحياة والمفاهيم التي كانت سائدة، كما أن بيئة الملاحم والعمل الفني بطبيعته يعتمد على الخيال والتغريب" (٤١).

كما أنه تناول الأنساق الثقافية المضمرة للملحمة من حيث وجود بعض التشابه بينها وبين قصة الطوفان التي وردت في التوراة في سفر التكوين من حيث الأسباب التي دفعت الآلهة لإفناء البشر نتيجة الشرور التي اقترفوها وسببت إزعاجا لها. وهذا التفسير الميثولوجي بما يحمله من أنساق مضمرة في الربط بينها وبين القصص الدينية الواردة في التوراة يوضح مدى الاستناد للنقد الثقافي في تحليل الملحمة.

وفي محور " المشهد الثقافي في دول الخليج العربي وإشكالية الهوية" تتضح لدي الدكتور كافود معالجاته التحليلية للهوية الثقافية القائمة على الدراسات والنقد الثقافي، من خلال تناوله للحياة الثقافية قبل النفط، تلك الحياة التي أنتجت ثقافة تقليدية، نتيجة ضآلة الحالات الاقتصادية والتعليمية والثقافية وقصور الوعي، وهذا بدوره أنتج تيارا محافظا معارضا معارضة قوية لأي تحديث في المجتمع.

ثم عالج الثروة النفطية وأبعاد التغير الثقافي ومدى تأثيرها في الهوية الثقافية للمجتمع فرأى أن " الطفرة الاقتصادية ساعدت دول المنطقة في تحديث أجهزتها ومؤسساتها وتطوير نظمها الاقتصادية والتعليمية والثقافية والإعلامية، ولا شك أن عملية التحضر بحكم الضرورة تؤدي إلى تبني قيم وأفكار جديدة، وهذا يؤدي بدوره إلى التجاوز أو التصادم مع بعض القيم والمفاهيم السائدة، ومن هنا أصبحت هناك إشكالية ثقافية، بل نستطيع القول وجدت هوة ثقافية بين التغير المادي المتسارع وبين التغير البطيء في أنماط القيم والأفكار والسلوكيات" (٤٢).

ومن هنا أصبح للمتغيرات الثقافية دور كبير في الحركة النقدية الخليجية، لكونها من أكثر الدول العربية انفتاحا على الثقافات الأخرى بسبب التطور الاقتصادي والثقافي، وكان لزاما على النقاد والحركة النقدية مواكبة هذا التطور. والدكتور كافود كواحد من النقاد الخليجيين الكبار واكب هذا التحديث النقدي، لذلك

ليس غريبا أن نجد الدراسة التي صدرت له مؤخرا تعالج اللغة والهوية من المنظور الثقافي في دول مجلس التعاون. متجاوزا بذلك النقد الأدبي التقليدي إلى مزجه بالنقد الثقافي المعاصر.

لذلك تناول عوامل الحراك الثقافي المتمثلة في النهضة التعليمية الخليجية، والبعثات الخارجية، والوسائل الإعلامية المختلفة وتطورها وغيرها، وذكر محورين أساسيين ٤٣انطلق منهما الحراك الثقافي في دول الخليج العربية هما؛ الأول: المؤسسات والأجهزة الرسمية التي تسيطر على كافة المؤسسات الإعلامية وغيرها ومثال ذلك المجالس الوطنية الثقافية في بعض الدول الخليجية كالكويت وقطر، ودور هذه المجالس في تفعيل الحركات الثقافية الخليجية، والثاني: الروافد الثقافية المتعددة والمتنوعة في دول مجلس التعاون الخليجي كالصحافة، والمؤسسات الثقافية الأهلية والخاصة ومنها مؤسسة البابطين، وسلطان العويس، وجائزة الملك فيصل ، وجائزة حمد بن خليفة وجائزة كتارا ، وجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية وغيرها.

ومن هنا كان لهذا الحراك الثقافي دور في تشكيل الهوية الثقافية، فأنتجت عدة تيارات ثقافية خليجية كلها تصب في الهوية الثقافية العربية لكنها تختلف في آليات المعالجة، ومن هذه التيارات؛ التيار الإسلامي الذي تمثل في تيار الإخوان المسلمين وبعض التيارات الإسلامية الأخرى، والتيار القومي الذي عايش حركات التحرر في الوطن العربي، ويعنى هذا التيار بالقيم الليبرالية والديمقراطية وحرية التعبير والتنمية الشاملة والتحديث الفكري.

ولعل هذه المعالجة حول الهوية أيضا هي التي دفعت الدكتور كافود لطرح تساؤل حول التعريب، هل هو ضرورة لغوية أم حاجة قومية، لأن اللغة هي وعاء الهوية لأي مجتمع من المجتمعات، وناقش في هذه القضية الأسباب المعوقة لعملية التعريب والتي حصرها في عدة عوامل هي٤٤: غياب القرار السياسي الملزم على المستوى الجماعي للدول العربية كافة، وضعف التنسيق بين المؤسسات التي تتحمل مسؤوليات التعريب مثل المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية وغيرها، وتصور البعض في عدم قدرة اللغة العربية على مواكبة المستجدات التقنية والعلمية البحتة، وتأخر المجامع اللغوية في إعداد المعاجم اللغوية والعلمية

المتخصصة فضلا عن عدم التنسيق فيما بينها، وتأخر وضع المصطلحات وتداخلها وعدم الاتفاق حولها، وأخيرا عدم وضع خطة استراتيجية متكاملة ومنهجية للتعريب .

ويخلص الدكتور كافود إلى رأي جوهري يتعلق بعلاقة اللغة بالهوية قائلا:" المحافظة على اللغة هو أهم عناصر الأمن السياسي القومي ، لأن اللغة هي الأساس في وحدة الأمة وترابط المجتمع العربي، والمحافظة على هويته وكيانه ..... فقضية التعريب والنهوض باللغة العربية هي في صلب قضية الأمن الثقافي ، الذي هو جزء من الأمن القومي، وهو الهاجس الذي يثير الكثير من القلق والتحدي لواقع الأمة ومستقبلها ، فإذا ارتقينا بقضية التعريب واللغة إلى مستوى الهاجس الأمني القومي لابد أن تتغير النظرة إلى هذه القضية عند مختلف المستويات، وتصبح هما مشتركا لدي الجميع ، أعنى بها قضية التعريب العام والشامل، بحيث لا تتوقف عند التعليم العالي بل تتعداه إلى المؤسسات البحثية والإعلامية والثقافية. لقد رفض العرب سابقا التتريك والفرنسة، وناضلوا من أجل المحافظة على هويتهم، واليوم يلهثون لتغريب مؤسساتهم وتعليمهم، لا أحد ينكر تعلم اللغات الأخرى وإتقانها والإفادة منها، ولكن لا بكون ذلك على حساب لغته وثقافته وهويته" (٤٥)

وهذا دفعه أيضا لمعالجة قضية اللغة العربية في مواكبة العصر وتحدياته. ورأى" أن اللغة العربية حافظة للهوية العربية لكونها الوعاء الذي يحافظ على قيمها وأعرافها وخصائصها وتاريخها، وهي ليست وسيلة اتصال وتواصل فحسب لكنها المكون الأساسي للفكر والمفاهيم والعلاقة بالكون والحياة، وضعفها يؤدي إلى ضعف الفكر وضبابية الرؤية، لأن التفكير بلغة الآخر يؤدي إلى فوضى العلاقة بين لتفكير ووسيلة التعبير "(٤٦) .

وطرح مجموعة من المقومات التي رآها داعمة لتطور اللغة ومواكبتها لروح العصر منها؛ "أن تصبح اللغة العربية لغة التعليم من رياض الأطفال حتى الجامعة، وأن تكون اللغة الرسمية للندوات والمؤتمرات التي تعقد في الدول العربية، والاهتمام بالترجمة وإعطاء الأولوية للموضوعات العلمية، وأن تتجه الجامعات ومراكز الأبحاث إلى اللغة العربية في البحوث والدراسات التي تقوم بها، وأن تلتزم وسائل

الإعلام والفضائيات بوجه خاص باتخاذ اللغة العربية وسيلة للاتصال والتواصل، وأن تهتم المؤسسات العلمية والثقافية بالبرمجيات الإلكترونية وتعريب ما يمكن تعريبه"([٤٧])

وجاءت موضوعات هذه الدراسة تهتم باللغة العربية من منظور الهوية لكونها وعاء للثقافة، وتناول مدى علاقتها بالوسائل الإعلامية المختلفة، فضلا عن علاقتها بالناطقين بغيرها ومستويات تعليمها، وكيفية انتشارها من خلال هذه الفئة غير العربية الراغبة في تعليم العربية، كما تناول معوقات التجديد في الوطن العربي، ورأي أن حرية الفكر والعقل والانفتاح على الآخر بوعي وإدراك هي السبيل للتقدم والتطور والتجديد. ولذلك ذيل رؤيته الثقافية حول التجديد في الوطن العربية بقوله:" إن الفكر الحر المتسامح هو المحفز والمحرض والممهد للحرية وقيمها وأهميتها كقيمة إنسانية، إن العلاقة بين الفكر الخلاق المبدع وبين الحرية أشبه ما تكون بظاهرة المد والجزر حيث ينكسر الفكر الحر عندما يطغى الظلم والاضطهاد والاستبداد ، وتقمع الحريات ، وفي مقدمتها حرية التعبير ، وفي ظل ذلك تهتز منظومة القيم ، لأن في غياب حرية التعبير تدجين للشعوب وتغييب وتزييف للوعي، تلك الأوضاع لا يمكن أن تخلق شعوبا قادرة على الإنجاز والإبداع، والمجتمعات العربية بحاجة إلى مؤسسات فكرية ذات استقلالية، تنطلق من رؤية واعية قوامها القيم الأخلاقية الإنسانية التي تبني وتوحد ، وتعري الأفكار والقيم والسلوكيات المنحرف" ([٤٨])

وهكذا نجد أن الرؤية النقدية للدكتور محمد كافود، تطورت تطورا فنيا ودلاليا وثقافيا ومعرفيا، بداية من مرحلة الريادة والتأسيس للنقد الأدبي الخليجي والقطري مرورا بمواكبته لمسيرة الإبداع الأدبي القطري في القصة والشعر والمسرح، ونهاية بمرحلة التجديد والتحديث في النقد المعرفي متجاوزا بذلك الدرس الأدبي إلى الدرس الثقافي في المجالات اللغوية والثقافية المتنوعة.

ثانيا: نورة آل سعد والرؤية النقدية الثقافية للجيل الثاني:

تعد نورة آل سعد واحدة من الكاتبات والناقدات القطريات في العقود الأخيرة([٤٩]) ، التي كان لها دور في الحركة الأدبية القطرية، لاسيما الأدب النسائي، فقد صدر لها بعض الروايات والقصص القصيرة والمقالات

النقدية في القصة والرواية والشعر. ومن أهم أعمالها؛ مجموعتان قصصيتان هما؛ "بائع الجرائد" عام ١٩٨٩، و" بارانويا" عام ٢٠١٣، ورواية " العريضة " عام ٢٠١١، وعدة دراسات نقدية ومقالات هي؛ " وتواصوا بالحق" وهي مجموعة مقالات، و" تجربة عبد الرحمن منيف في مدن الملح" عام ٢٠٠٥، هي دراسة نقدية، و" أصوات الصمت" عام ٢٠٠٥، وهي مقالات في القصة والرواية القطرية، و" الشمس في إثري" عام ٢٠٠٧. وهي مقالات في الشعر والنقد.

غير أننا نقف عند أهم الدراسات النقدية التي تناولتها نورة آل سعد. لاسيما أهم الأبعاد النقدية المستحدثة التي تناولتها في مقالاتها النقدية الخاصة بالأدب القطري، ويكون تناولنا من خلال محورين:

- الأول: الرؤية النقدية لنورة آل سعد في القصة والرواية القطرية.
- والثاني: الرؤية النقدية لنورة آل سعد في الشعر والنقد.

ويتم معالجة هذين المحورين على النحو الآتي:

٢-١- الرؤية النقدية لنورة آل سعد في القصة والرواية القطرية

تنوعت الرؤى النقدية لنورة آل سعد حول الرؤى التنظيرية والتطبيقية، من خلال مقالتها النقدية المنشورة في الصحف والمجلات والكتب النقدية حول القصة والرواية، وتمثلت في بعدين؛ الأول: البعد التنظيري، والثاني: البعد التطبيقي.

الرؤى النقدية التنظيرية:

كتبت نورة آل سعد مقالات عديدة حول نقد الرواية والقصة القصيرة لمختلف الأجيال ممن صدرت لهم أعمال في الرواية أو القصة القصيرة في قطر، وتعد دراستها " أصوات الصمت " من أهم دراساتها النقدية حول القصة القصيرة والرواية، فقد تناولت في هذه الدراسة مجموعة من المقالات في القصة والرواية القطرية حول بعض المحددات النقدية مثل؛ ماهية النقد والرواية، ومسيرة الرواية العربية وخصوصيتها وإنجازاتها الحداثية، وتناولت أيضا بعض المداخل النقدية حول ملامح الرواية الخليجية عند الأختين شعاع ودلال خليفة، والشعرية في الرواية العربية، والرواية الخليجية النخبوية، كما تناولت مقاربات نقدية حول الراوي

التجريبي في رواية أسطورة الإنسان والبحيرة لدلال خليفة، والتجريب في رواية شعاع ، والبداية والنهاية في رواية الأختين خليفة ، والسردي في روايتيهما أيضا ، والمكان في أشجار البراري لدلال خليفة ، وسيمائية العنونة عند شعاع خليفة، والقصة القصيرة الحداثية في " أباطيل" هدى النعيمي ، وتعدد الأصوات في " أنا الياسمينة البيضاء" لدلال خليفة ، والقص التجريبي في قصص "الطوطم " لهدى فرج ، والتسجيلية في رواية" أحلام البحر القديمة " لشعاع خليفة.

ومن خلال الموضوعات التي تناولتها أو أبدعتها نورة آل سعد نستطيع القول: إنها تعد واحدة من المثقفات القطريات التي جمعت بين الدرس الأكاديمي والإبداعي. ويعد اشتغال الكاتبة بالرواية كمنجز إبداعي هاجسا لبلورة الرؤي العميقة التي تسيطر على المجتمع القطري في مرحلة من أخطر مراحل الحداثة التي تسيطر على العالم برمته.

وتعرض نورة آل سعد لجانب الرواية القطرية من منظور التحول البنيوي المتعلق بطبيعة تطور المنطقة العربية وتحولاتها الداخلية وأهميتها الاستراتيجية، رابطة ذلك بعنصري: التأثر والتأثير. فعلى الرغم من أن بعض المفكرين يزعم أن انتقال المجتمعات الخليجية إلى التحضر والتمدين السياسي والاجتماعي والحقوقي لم يتجاوز البنى المادية إلى البنى الفكرية والثقافية، إلا أن منطقة الخليج والجزيرة عاودت سلطة التأثير المباشر في الأحداث المهمة، فها هي دولها الصغيرة، أصبحت نماذج لتصدير معايير ومفاهيم حول طبيعة الإصلاح والديمقراطية" (٥٠).

وهذا التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي ساهم بدوره في تطور الرواية الخليجية والقطرية، التي حاولت بدورها أن تعكس المتغيرات الحياتية في المجتمع الخليجي والقطري لكنها الخطوات المتعثرة أحيانا لأسباب عديدة، أهمها حالة التوافق بين الرؤية والأداة من ناحية، والنضج الفكري والفلسفي للكاتب من ناحية أخرى. وأيضا " حالة الفتور التي اعترت الفكر النخبوي في مجال الفكر والثقافة وتراجعه عما كان عليه من نضج وحراك في العقود الوسطى من القرن العشرين، إلى فكر استهلاكي، فضلا عن أساليب الندب والنواح

على ما فات ، فبعد أن كان فكرا تحريضيا ماضي العزيمة أصبح عالة على تنظير منقرض مسدود الأفق" (٥١).

وفي هذا الصدد وفي ظل المواضعات الحياتية العربية المتدهورة تراجع الإبداع على المستويين الفكري والإبداعي وإن كان قد تضاعف كثيرا على المستوى الكمي، ولذلك تقول:" يبدو الأمر اليوم وكأن المبدعين منهمكون في تجارب من الشطط والغرابة، بحيث لا تلتفت إليها حركة النقد والتنظير الأدبي، أو كأن الأحداث الجسام التي تمر بها الأمة لا تكافئها حركة الإبداع المعرفي التقني؛ فتصبح حينئذ حركة التجريب والإبداع كلاً مباحا لكل مقتحم ومستهلك، ولكل ثقافة ملتبسة، يخوض فيها من يملك أن يسود في مجال الاتصال والإعلام"(٥٢).

ثم تناقش نورة آل سعد قضية تطور الرواية العربية في ضوء المتغيرات السياسية والاجتماعية، وترصد حركة التخبط والالتباس، التي تعتري تطور الرواية العربية، من حيث عدم استجابتها لدواعي حداثتها وأسبابها الظرفية بينما تستجيب الرواية الغربية لهذه الآليات، ذلك " أن الرواية الغربية لم تنقطع حتما عن أصولها، بل سارت في سبيل تحليل تلك الأصول المادية وإعادة صياغتها نظريا فنيا، أما الحداثة العربية فقد روجت لمزاعم القطيعة مع أصولها المعرفية في تلبيس فاضح وعملية محو للذاكرة وتشويه للملامح الظاهرة، كاستنبات شتلة صحراوية في مناخ طبي" (٥٣).

وترصد بوعي مستنير المزالق التي تجعل الرواية العربية في مرحلة تخبط أكثر منها مرحلة تطوير، ترجع هذا لكون الرواية الغربية نشأت متواصلة مع تراثها وملاحمها وأساطيرها منذ نشأتها، ولذلك جاء تطورها طبيعيا ومتوافقا مع واقعها المعيش، بينما " الرواية العربية نشأت لقيطة – على حد تعبيرها– منذ مطلع القرن العشرين مقولبة في أطر النمذجة النظرية والعملية في الفكر والآداب والفنون جميعا في سياق من التغريب القسري للبنى المادية والقانونية في مساقات عرجاء عوجاء اخترقت العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه ، بنسب متفاوتة من التأثر والمقاومة، وتجسدت الأزمة في المنطقة العربية بصورة هادمة وهاتكة وسميت بصدمة الحداثة" (٥٤).

وترى أن استلهام التراث وحده ليس كافيا للتطوير والتحديث، ولكن إلى جانبه لابد من الانفتاح على العوالم والأجناس الأخرى والأشكال السردية في الفنون والآداب المتنوعة، وتستعير التقنيات السينمائية وصنوف التناص، والإسقاط التاريخي والمدارس الأنثروبولوجية وغيرها، التي تعمق المبني والمتن الحكائي في الرواية ، ويأتي ظهور الرواية القطرية كما تراه الكاتبة أيضا إثر مخاض عسير في العقد الثمانيني الخانق في المنطقة ليشير بجلاء إلى ارتباطه الشرطي والعضوي بالشروط الاجتماعية التي أصبحت مهيأة وممهدة لبروز فكرة الإنسان الحر المريد المسؤول والمتمرد على شروط الاستبداد والإعاقة.([٥٥]).

فالرواية باعتبارها مشروعا فكريا لايزال مشدودا بين حركة التجريب المتزامنة مع حمى المتغيرات وتسارعها، وبين الفتور الذي يعتري الفكر النخبوي ويفسر تراجعه عن التأليف والإنتاج، وانحسار تأملاته عما كان عليه خطابه في العقود الوسطى من القرن العشرين، وطرحت الكاتبة جملة من التساؤلات عن حداثة الرواية في المنطقة العربية تعد مفاصل لرؤيتها النقدية في مشروع الرواية العربية والقطرية على وجه الخصوص، وهي مساءلة في الجوهر الفكري الذي يحرك بنى الأنساق الروائية على وجه الخصوص: وتشكلت هذه الأسئلة في سياق منطق الهوية النوعية للرواية في الوطن العربي بعد لهاثها وراء الهوية الغربية للرواية المستجيبة لدواعي حداثتها وأسبابها الظرفية.

وهذا ما تسعى الباحثة لاستنطاقه من تجارب الرواية العربية والقطرية من الانفتاح على الموروث القصصي بمعناه الأوسع واستنطاقه باعتباره منطلقا قابلا للتحليل والنقد والمحاكمة، وبنية قابلة للصهر والصقل والتشكيل، يمكن من خلالها العودة لفهم الذات الحاضرة واستقراء المستقبل، وهو ما لا يجب بحال إقصاؤه عن الموروث العالمي الذي بات جزءا من صميم ثقافة الفرد في عصر العولمة.

وهي مساءلة ترمي بها الكاتبة لجيل الشباب المقبلين على الرواية المعاصرة، لتؤكد أن الرواية القطرية رواية بادئة لا تابعة، فهل في مقدور هذه النخب الطليعية إنجاز محاورة واعية بأدواتها وقدرتها الفنية، لتفلت من مواجهة أسباب فشلها، والعودة إلى أطرها المعرفية والعقدية دون أقنعة مستعارة ومفاهيم ملتبسة([٥٦]).

وهو ما تجيب عنه الكاتبة حين تشير إلى أن الرواية القطرية قد تبدو للقارئ المتعجل رواية تقليدية وسهلة التناول، لكنها للقارئ الفاحص رواية تصوغ عالمها ولغتها وتؤسس تقاليدها وبائيتها الفنية في أطر العلاقات والأفكار والدلالات المهيمنة في أجوائها وفضائها، وانقلاب شرطها التاريخي بين تضيق وانفراج، لتحمل أنساقها الجديدة التي تتشكل وفق مستويات وجودية وتجريدية ترتفع عن الظواهر الاجتماعية المسكوت عنها والمحظور تناولها بتابو اجتماعي وسياسي.([٥٧])

ولا شك أن تحليل نورة آل سعد لتطور الرواية العربية يقوم على ربط الأنساق الأدبية بالأنساق الاجتماعي، فالتحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية أثرت بدورها في مسيرة الرواية العربية منذ السبعينيات من القرن الماضي حتى الآن، وجعلتها تنحو نحو التحديث، غير أنها اختطت لنفسها مسارا جماليا مقولبا منغلقا على تجارب مطبوعة بالخاتم نفسه، ودفعت الكتاب إلى استخدام تجارب شكلية روائية متعددة.

الرؤى النقدية التطبيقية:

تناولت نورة آل سعد مجموعة من الدراسات النقدية التطبيقية حول القصة والرواية، ولكن جل مقالاتها في الرواية والقصة جاءت حول أعمال الأختين؛ شعاع ودلال خليفة فضلا عن وجود مقالين عن " أباطيل " هدى النعيمي، و " طوطم" نورة فرج.

وانطلقت في معالجاتها لهذه الأعمال من الأنساق الثقافية التي تشكل نسيج العمل الروائي والوعي الإبداعي معا، واقترنت المعالجات بوعي مستنير لديها، يعبر عن القراءات النقدية غير التقليدية، من حيث مواكبتها لروح العصر من ناحية، ولحركة التحديث النقدي من ناحية ثانية، ففي تناولها لرواية " أسطورة الإنسان والبحيرة" لدلال خليفة ، ترى أن " الراوي التجريبي فيها ليس راويا ملحميا تقليديا يطرح سيرة بطولية تخص فردا أو قبيلة أو جماعة بشرية، يسرد سيرتها نشأة وتاريخا ومصيرا، كما أنه ليس راويا تقليديا في قصص شعبي، تدور أحداثه ومعارفه وأساليبه في سياق رصد ومحاكاة ذات طابع مثالي أسطوري ملفع بالمطلق والقيمة البطولية المباشرة. إنه راوية من طراز آخر يقدم عملا من جنس روائي، ويحمل أفكارا ورؤى معاصرة،

بيد أنه يعيد نسجها ضمن إطار بنيوي ذي علاقات متشابكة معقدة ضمن منظور فلسفي لما هو تاريخي، ولما هو واقعي، كما أنه لا يسرد سردا تقليديا وإنما يقدم خطابا روائيا ذا مبنى حكائي" (٥٨).

وتقف عند الجوانب الدرامية في الرواية من حيث السرد المشهدي، وعنصر التشويق والامتاع في الرواية، من حيث رسم الشخصيات واختيار المحاور الفانتازية للحبكة، وكثرة الحكايات وتقاطعها مع حركات الشخصيات والأحداث، فضلا عن الجوانب الكوميدية السوداء، والايقاع الزمني المتجدد الذي لا يربط الرواية بواقع بعينه، ولكنه يعبر عن عوالم زمنية ومكانية تتوافق والواقع الذي تعبر عنه الرواية، فضلا عن الوحدات الحكائية المنضدة التي شكلت البناء المعماري للرواية، وكلها عناصر تجعل الرواية تتقاطع مع التشكيل المسرحي. وتتجاوز الأطر التقليدية للبناء الروائي. ولا تسرف في الجوانب الأسطورية الخارقة للعادة أو الاستعارات للأبنية والأساليب الجاهزة، لكنها تقوم على تصوير الواقع والشخصيات العادية في المجتمع دون تكلف أو افتعال.

وترى نورة سعد أن هذه الرواية إنما هي " رواية تجريبية تمد أواصرها بجذورها التراثية بصورة انتقائية، لا بغرض الاسقاط التاريخي، ولكن استغلالا لشكل القص المعتمد على تقنية الرواي وأسلوب الحكاية داخل الحكاية، وتكريس عناصر التشويق بأنواعها (الأسلوبي والتقني واللغوي). إنها رواية توظف الخيال والضحك وتتخذ الشكل الحكائي على يد راو عليم، وشارح أريب يوظف الحكي ويستغل جملة من عناصر التشويق والقص بأسلوب تهكمي ورسم موفق للشخصيات بوصفها بورتريهات إنسانية" (٥٩).

وجاءت العناصر الروائية، لتتوافق، وهذا التشكيل التجريبي على مستوى اللغة والشخصيات والأحداث والمشاهد والزمان والمكان والسرد والوصف وغيرها من تقنيات السرد التي لجأت إليها الكاتبة في نسيج الرواية.

ولم تقف نورة آل سعد عند رواية دلال خليفة فحسب لكنها وقفت أيضا عند الراوي التجريبي في روايتي "في انتظار الصافرة" عام ١٩٩٤، و " العبور إلى الحقيقة" عام ١٩٩٣ لشعاع خليفة، ورأت" أنها استخدمت تجريبية خاصة بها، ولم تنخرط في صراعات وموضات أسلوبية ولغوية، وأنها تشعر قارئها منذ البداية بأنها

محيطة علما ببيئة النص وتوتراته الداخلية، وأنها تمسك بإحكام بخيوط القص، وتدخلنا فورا إلى عالمها الروائي بدون انتظار لنستكشف الأشياء والأفكار بتلقائية ودون تسلط" (٦٠).

ويتضح أن روايات الأختين خليفة احتلت مساحة كبيرة في المقالات النقدية لدى نورة آل سعد، بداية من الملامح التجريبية عندهما مرورا بالروائي التجريبي عند دلال خليفة، والتجريب عند شعاع، والبداية والنهاية والتشكيل السردي عندهما، والمكان عند دلال في أشجار البراري البعيدة، وسيميائية العنوان عند شعاع، ونهاية بالتسجيلية في رواية" أحلام البحر القديمة" لشعاع. هذه المقالات تعبر عن الوعي النقدي الذي تمتلكه نورة آل سعد في معالجتها للقضايا الروائية في قطر. بل إنها تجاوزت أعمال الاختين خليفة، إلى الملامح الحداثية في المجموعة القصصية " أباطيل " التي صدرت عام ٢٠٠١، للدكتورة هدى النعيمي، ورأت " أن قصصها عبارة عن مساحة من التجليات والايحاءات والانزياحات من الخارج إلى الداخل، وأن اللغة نحت نحو الرمز والمجازية وشعرية الوصف التعبير بغية خلخلة البني التقليدية في الواقع والمجتمع، وخلصت إلى أن القصة القصيرة الحداثية في قطر تحاول الخروج من عنق الزجاجة فنيا واجتماعيا في رهان يراوح بين حدي نقيض بين: الإبداع والمجانية" (٦١).

كما أنها وقف وقفة سريعة عند مجموعة" الطوطم " للدكتورة نورة فرج٦٢، ورأت أنها تعتمد على القص التجريبي، وعلى المغامرة المحسوبة وتداخل العقلاني مع غير العقلاني وتعالق الزمن الحاضر مع الأزمنة الأخرى المتداخلة وتحاول نورة من خلال هذا التكنيك تصوير قضايا الشعوب والظلم الاجتماعي والمهانة الطبقية والاستبداد السياسي من خلال عالمها القصصي الذي يمتزج فيه الغرائبي بالواقع، ويصبح الواقع في لا منطقيته أشبه بلا منطقية العالم الأسطوري.

ولا نبالغ حين القول إن نورة آل سعد تعد كاتبة واعية بحركات التحديث النقدي، ومواكبة للإبداع القطري لاسيما الروائي. وسوف يكون لنا وقفة مطولة مع دراساتها النقدية بإذن الله تعالى.

٢-٢- الرؤية النقدية لنورة آل سعد في الشعر والنقد.

تنوعت الرؤى النقدية لنورة آل سعد أيضا حول الرؤى التنظيرية والتطبيقية، من خلال مقالتها النقدية المنشورة في الصحف والمجلات والكتب النقدية حول الشعر والنقد، لكننا نقتصر على بعض مقالاتها المنشورة في كتابها " الشمس في إثري " عام ٢٠٠٧. على أن لنا وقفة مطولة مع دراساتها في الشعر والنقد في دراسة أخرى بإذن الله تعالى. لكننا نقصر الوقوف على بعض مقالاتها لاسيما المتعلقة بالشعر القطري وهما مقالان؛ الأول: عن الشعر الحديث في قطر، والثاني: عن قصيدة النثر في قطر.

ففي مقالها الأول: "الشعر الحديث في قطر " استندت على حركة التطور الشعري في قطر التي رصدها الدكتور محمد كافود، وعلى الفياض وعبد الله فرج المرزوقي، وأشارت للشعراء في المرحلتين التقليدية والتجديدية وتناولت نماذج من أشعارهم عبر المراحل التاريخية لتطور الشعر في قطر.

أما مقالها الثاني: " قصيدة النثر في قطر" فقد تناولت فيه نورة آل سعد شعر سعاد الكواري أنموذجا لقصيدة النثر في قطر ورصدت دواوينها لشعرية الخمسة أما السادس " تجاعيد " ١٩٩٥. فقد نفد ولم تستطع الشاعرة تزويدها به. ورأت أن الشاعرة الكواري قد هيمن على دواوينها كابوس العزلة والانفراد في عالم أجرد خال من كل شيء، وتستشهد بأبيات من شعرها للتعبير عن رؤيتها النقدية، كما أن شعرها يعبر عن حالات الحيرة والقلق والأجواء الكابوسية من خلال التساؤلات الحائرة في نسيج قصائدها. فضلا عن اقتران هذه التساؤلات بالعدمية والوجودية والديمونة الزمنية في بعض المواضع. وكأن خلو الكلمات من النغم في قصيدة النثر عند سعاد الكواري مقصود فنيا لأنها تتوخى أن تصدمنا بذلك الأثر غير المتوقع الذي يمكن أن يولد لدينا شعورا بالدهشة والألفة معا.

وترى نورة آل سعد أن " الصورة الجسدية الأنثوية نابعة ومرتبطة والثقافة السائدة، ويحدد نوع علاقة المرأة بجسدها تفاعلها مع تلك التصورات في ثقافتها المهيمنة، فالجسد منتج اجتماعي وثقافي ولا يخص المرأة من حولها، والجسد في حركاته ومظاهره وعوارضه يعكس شبكة من الرموز والطقوس والقيم التي يعيشها الجسد ويمثلها" (٦٣). وهذه التصورات الثقافية تمثل نسقا من أنساق الثقافية في بعض قصائد النثر. وفي شعر

سعاد " الجسد يمثل الحضور المكاني للكائن وهو الثقل الذي يربط المرأة بالمكان وكل تحيزاته وإذلالاته " ٦٤

غير أن الملمح البارز في شعر سعاد من منظور نورة آل سعد هو الانعزالية الفردية والروحية، التي تسبح فيها الذات. كما أنها تعيد انتاج الذات وتستعذب جلدها، للتعبير عن القهر والقيود التي تكبل الأنا الذاتية وتستشهد بمقاطع شعرية من قصائدها للتدليل على صحة منظورها النقدي. وتخلص إلى ربط البنية الجسدية بالمكانية ومحاولات التخلص من أسر الجسد هو تعبير عن التخلص من أسر المكان وقيوده. ولعل الخروج أيضا على المألوف في القصيدة الغنائية إلى ارتياد آفاق القصيدة النثرية يكون تعبيرا عن حالات التمرد والانطلاق إلى واقع أرحب تنشد فيه الذات واحة الحرية.

النتائج:

توصلت هذه الدراسة إلى الآتي:

- مرور النقد الأدبي في قطر بمرحلتين؛ الأولى: مرحلة الريادة والتأسيس ومثلها الدكتور محمد عبد الرحيم كافود ، والثانية مرحلة التطوير ومثلتها الكاتبة نورة آل سعد
- امتداد المرحلة الريادية من سبعينيات القرن الماضي وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين وكان لها كبير الأثر في النقد الروائي والقصصي والمسرحي والنقدي على مستوى الأدب القطري والخليجي والعربي.
- استناد النقد الريادي والتأسيسي على المناهج النقدية السياقية بداية من تأسيس الحركة النقدية القطرية في القصة والقصيرة والرواية والشعر والمسرح والنقد، ونهاية بالدراسات الفكرية والثقافية النوعية في اللغة والهوية.
- تنوع الرؤى النقدية في المرحلة التطويرية منذ تسعينيات القرن الماضي حتى العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين من خلال المقالات النقدية المنشورة في الصحف والمجلات والكتب النقدية حول القصة والرواية على المستويين التنظيري والتطبيقي.

هوامش البحث:

١) للمزيد انظر: د. محمد عبد الرحيم كافود: الأدب القطري الحديث، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، ط٢، ١٩٨٢، ص٣٤-٣٦

٢) انظر: جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية الأوروبية، ترجمة أمير إسكندر، سنة ١٩٧٢م، ص ١١٤، ومجاهد عبد المنعم، علم الجمال في الفلسفة المعاصرة، ص ١٤٦.

٣) د . محمد كافود: المرجع السابق، ص ١٢٨.

٤) د. محمد كافود: المرجع السابق ص ٢٢٢.

٥) نفسه ص ٢٦٢

٦) نفسه ص ٢٧٩-٢٨٠

٧) د . محمد كافود: المسرح في قطر، النشأة والتطور، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨، ص٩.

٨) د عز الدين إسماعيل: قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠. ص٢٢.

٩) د . محمد كافود: المسرح في قطر، مرجع سابق ص ٣٤.

١٠) للمزيد حول هذه القضية انظر: د. محمد كافود؛ المسرح في قطر ، مرجع سابق ص٣٤-٣٥.

١١) المرجع السابق: ص٣٥.

١٢) المرجع السابق: ص٣٥-٣٦.

١٣) د . محمد كافود: الأدب القطري الحديث، مرجع سابق، ص١٤٤.

١٤) د. محمد كافود: المسرح في قطر، مرجع سابق، ص٣٧-٣٨.

١٥) انظر المرجع السابق: ص ٣٩.

١٦) محمد عبد الرحيم كافود: النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٢، ص١٣

١٧) المرجع السابق: ص ٣٨، وانظر مجلة كاظمية، تشرين أول ١٩٤٨.

١٨) المرجع السابق: ص ٣٩

١٩) د. محمد كافود: المرجع السابق، ص٣٢، وانظر عبد الرحمن عثمان " مذاهب النقد وقضاياه"، ط (١)، القاهرة. ١٩٧٥، ص١٣

٢٠) المرجع السابق: ص ٣٣

٢١) المرجع السابق: ص٣٨.

٢٢) المرجع السابق: ص٤٥، وانظر: عبد الله زكريا الأنصاري، الشعر العربي بين العامية والفصحى، ١٩٧٣، ص ١٩١

٢٣) المرجع السابق: ص ٤٦.

٢٤) المرجع السابق : ص ٨٥.

٢٥) المرجع السابق: ص ١٠٦

٢٦) المرجع السابق : ص ١١٣.

٢٧) المصدر السابق: ص١١٦.

٢٨) المصدر السابق: ص ١١٧.

٢٩) المصدر السابق: ص١٢٢.

٣٠) المرجع السابق ص ١٢٣

٣١) المرجع السابق: ص ١٣٩.

٣٢) المرجع السابق: ص٢٠٥-٢٠٦

٣٣) المرجع السابق: ص ٢٤٣.

٣٤) المرجع السابق: ص ٢٨١.

٣٥) د. محمد كافود: اللغة والهوية والإشكاليات الثقافية، دول الخليج أنموذجا، دار كثارا للنشر، الدوحة، ٢٠١٨

٣٦) د. محمد كافود: اللغة والهوية والإشكاليات الثقافية، دول الخليج أنموذجا، مرجع سابق، ص ١٧.

٣٧) د. محمد كافود: المرجع السابق، ص ١٣.

٣٨) نفسه: ص ٢٥

٣٩) انظر: نفسه: ١٩-٢٠.

٤٠) للمزيد انظر: المرجع السابق، ص ٤٨.

٤١) نفسه: ص ٥٢.

٤٢) نفسه: ص ٦٤.

٤٣) للمزيد انظر : المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

٤٤) انظر : المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠١.

٤٥) المرجع السابق ، ص ١٠٢

٤٦) للمزيد انظر المرجع السابق، ص١٣٦-١٣٧.

٤٧) المرجع السابق، ص ١٤١.

٤٨) المرجع السابق، ص ١٧٤-١٧٥.

٤٩) الكاتبة والناقدة نورة آل سعد حاصلة على بكالوريوس تربية من قسم اللغة العربية بجامعة قطر عام ١٩٨٥، وحاصلة على إجازة الماجستير في الآداب قسم اللغة العربية من الجامعة الأردنية عام ١٩٩٢. تعد من أبرز الناقدات في قطر والخليج. تكتب مقالات دورية في عدد من الصحف. ونشرت عدة أعمال في القصة القصيرة والرواية والنقد.

٥٠) انظر: أصوات الصمت، مقالات في القصة والرواية القطرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٧.

٥١) انظر: المرجع السابق، ص١٨.

٥٢) المرجع السابق، ص١٩.

٥٣) المرجع السابق، ص٢٢.

٥٤) المرجع السابق، ص ٢٤

٥٥) انظر: المرجع السابق، ص١١٤.

٥٦) انظر، المصدر السابق ٢١- ٢٣

٥٧) انظر: السابق ١١٧

٥٨) المرجع السابق: ص ٦٢.

٥٩) المرجع السابق: ص٨١.

٦٠) المرجع السابق: ص١١٠-١١١.

٦١) للمزيد انظر مقالها حول مجموعة أباطيل في المرجع السابق، ص١٤٨-١٦١.

٦٢) للمزيد انظر مقالها حول مجموعة الطوطم في المرجع السابق: ص١٧٠-١٧٤.

٦٣) نورة آل سعد: الشمس في إثري، مقالات في الشعر والنقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٥٧.

٦٤) المرجع السابق : ص١٦٤.

المراجع:

١. آل سعد ، نورة : أصوات الصمت، مقالات في القصة والرواية القطرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥

الشمس في إثري، مقالات في الشعر والنقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧

٢. إسماعيل، عز الدين: قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠.

٣. الأنصاري، عبد الله زكريا : الشعر العربي بين العامية والفصحى، ١٩٧٣

٤. عثمان ، عبد الرحمن: مذاهب النقد وقضاياه"، ط (١)، القاهرة. ١٩٧٥

٥. كافود ، محمد عبد الرحيم: الأدب القطري الحديث، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، ط٢، ١٩٨٢

المسرح في قطر، النشأة والتطور، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨

النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٢

اللغة والهوية والإشكاليات الثقافية، دول الخليج أنموذجا، دار كثارا للنشر، الدوحة، ٢٠١٨

٦. لوكاتش ، جورج: دراسات في الواقعية الأوروبية، ترجمة أمير إسكندر، دار الطليعة ، القاهرة ،١٩٧٢م

٧. مجاهد عبد المنعم مجاهد : علم الجمال في الفلسفة المعاصرة، عالم الكتب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

الأداتان (ما) و(الواو) في تفسير الميزان– دراسة نحوية

أ.د. عباس علي إسماعيل

الباحث سيف عبد الكريم علي

المقدمـــة:

إن مصطلح التفكير يعدُّ البواكير الأولى في الأشياء، وحين تنضج هذه الأشياء في عقل الإنسان يسمى فكر، ومعنى الفكر إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، وذكر ابن سينا، أنّ الفكر ما يكون عند إجماع الإنسان أنْ ينتقل عن أمور حاضرة في ذهنه متصورة، أو مصدق بها تصديقاً علمياً ، أو ظنياً ، أو وضعاً ، أو تسليماً إلى أمور غير حاضرة فيه، وهذا الانتقال لا يخلو من ترتيب[١] [ينظر المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا : ١٥٤ – ١٥٥].

ومعنى الفكر النحوي الآراء التي قال بها، أو تبناها، أو دافع عنها، أو علّق عليها العالمُ سلباً ، أو ايجاباً ، سواء أكانت هذه الآراء جديدة أمْ قال بها علماء آخرون .

وقد سار الباحث في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي التعليلي، إذْ تناول الأداتين ما، والواو عند السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان وكيف رجح وأجاز واحتمل في توجيهه لمسائله النحوية وهذه المسائل هي : ترجيح مجيء ما استفهامية على معنى النافية، وترجيح مجيء ما موصولة على كونها نافية، أو استفهامية أو مصدرية، وترجيح مجيء ما موصولة على كونها مصدرية، وترجيح مجيء ما نافية على كونها موصولة، وترجيح مجيء ما للتعجب على كونها استفهامية، ترجيح معنى العطف في الواو على معنى الاستئناف، وترجيح مجيء الواو للحال بدلًا من كونها عاطفة، وترجيح كون الواو داخلة على جملة الصفة تأكيدًا بدلًا كونّها واو الثمانية، وترجيح مجيء الواو للقسم على كونها عاطفة.

ما:

لـ(ما) في العربية معانٍ عديدة، أهمها: الموصولة، وما التعجبية، وكذلك تأتي اسم استفهام واسم شرط جازم، ونافية لا عمل لها، ونافية مشبهة بليس، ومصدرية، وزائدة، وكافة[١].

وما يهم البحث من (ما) خمس مسائل تكلّم عنها السيد الطباطبائي في الميزان، هي ترجيح مجيء (ما) استفهامية على معنى النافية، وترجيح مجيء (ما) موصولة على كونها نافية، أو استفهامية، أو مصدرية، وترجيح مجيء (ما) موصولة على كونها مصدرية، وترجيح مجيء (ما) نافية على كونها موصولة، وترجيح مجيء (ما) للتعجب على كونها استفهامية.

ترجيح مجيء ما استفهامية على معنى النافية:

تباينت آراء علماء اللغة العربية، والمفسرين في توجيه (ما) في قوله تعالى: ((قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)) [يونس: ١٠١] على آراء عدّة، فرجّح أبو جعفر النحّاس أنْ تكون ما استفهامية في الآية الكريمة[٢]، وأجاز الشيخ الطوسي أنْ تكون (ما) نافية، أو استفهامية[٣]، ومثله فعل الطبرسي[٤]، وأبو البقاء العكبري[٥] والهمذاني[٦]، وأبو حيان الأندلسي[٧]، وأبو السعود[٨]، والآلوسي[٩]، واحتمل ابن عطية أنْ تكون (ما) نافية، أو استفهامية، وكذلك أنْ تكون ما مفعولًا به لقوله تعالى: (انظروا)، بشرط أنْ تكون معطوفة على قوله تعالى: (ماذا)[١٠]، وذهب القرطبي إلى أنّها نافية[١١].

والرأي الراجّح عند السيد الطباطبــائي أنْ تكون (ما) استفهامية، ورفض أنْ تكون نافية

فقال: ((ظاهره أنّ (ما) استفهامية، والجملة مسوقة بداعي الانكار واظهار الأسف.... وربما قيل: إنّ ما نافية)) [١٢].

وأجاز الطاهر بن عاشور أنْ تكون (ما) نافية[١٣]، ورجّح الشيخ محمد جواد مغنية أنْ تكون ما نافية[١٤]، ومثله فعل الدكتور محمود الصافي[١٥]، والشيخ الكرباسي[١٦]، والدكتور محمد سيد طنطاوي[١٧]، والدكتور محمد محمود القاضي[١٨]، واحتمل الأستاذ الدرويش أنْ تكون ما نافية أو استفهامية[١٩]، ومثله فعل الشيخ محمد علي طه الدّرة؛ ولكنّه رجّح النفي[٢٠]، وأجاز مؤلفو التفصيل أنْ تكون (ما) نافية، واستفهامية، ومفعولًا به للفعل (انظروا)[٢١]، والرأي الراجح عند الدكتور بهجت عبد الواحد أنْ تكون ما استفهامية[٢٢].

ترجيح مجيء ما موصولة على كونها نافية، أو استفهامية أو مصدرية:

اختلف المفسرون، ومعربو القرآن في توجيه (ما) في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [العنكبوت:٤٢] على آراء عدة، فرجّح أبو علي الفارسي أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة استفهامية[٢٣]، ومثله فعل الطوسي[٢٤]، والواحدي[٢٥] والطبرسي[٢٦].

وأجاز ابن عطية أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة نافية، وأنْ تكون استفهامًا[٢٧]،وأجاز أبـو البركات الأنباري أنْ تكون (ما) موصولة، وأنْ تكون استفهامًا[٢٨].

وذهب الفخر الرازي إلى أنّها نافية[٢٩]، ورجّح العكبري أنْ تكون استفهامًا، وأجاز أنْ تكون مصدرية، وأنْ تكون نافية، أو بمعنى الذي[٣٠]، ومثله فعل البيضاوي، ولم يرجّح رأيًا من هذه الآراء[٣١]، ومثله فعل أبو السعود[٣٢]، والشوكاني[٣٣]، والآلوسي[٣٤]، وأجاز الهمذاني أنْ تكون (ما) استفهامًا، أو تكون موصولة، أو نافية[٣٥]، ومثله فعل أبو حيان الأندلسي[٣٦]، والسمين الحلبي[٣٧].

وذهب القرطبي إلى أنّها موصولة[٣٨]، وتابعه على هذا الرأي السيد الطباطبائي إذْ رجّح أنْ تكون (ما) موصولة، ولكنّه أجاز أنْ تكون نافية، أو استفهامية، أو مصدرية؛ فقال :((يمكن أنْ تكون (ما) في (ما يدعون) موصولة، أو نافية، أو استفهامًا، أو مصدرية، ... وأرجّح الاحتمالات الأولان، وأرجحهما أولهما...، والمعنى على الأول أنّ الله يعلم الشيء الذي يدعون من دونه، ولا يجهل ذلك فيكون كناية عن أنّ المثل الذي ضربه في محله، وليس لأوليائهم من الولاية إلّا اسمها، ويؤكد هذا المعنى الاسمان الكريمان: العزيز الحكيم في آخر الآية))[٣٩].

وأجاز الطاهر بن عاشور أنْ تكون ما نافية، أو استفهامية[٤٠]، وزادَ عليه الأستاذ الدرويش أنْ تكون موصولة[٤١]، والرأي الراجّح عند الشيخ محمد جواد مغنية أنْ تكون ما موصولة[٤٢] ومثله فعل الكرباسي[٤٣]، ورجّح الشيخ محمد علي طه الدّرة أنْ تكون (ما) موصولة، وعبّر عن هذا الرأي بأنّه المتبادر إلى الذهن، وأجاز أنْ تكون استفهامية، أو نافية، أو مصدرية[٤٤] ومثله فعل مؤلفو كتاب التفصيل، غير أنّهم لم يرجّحوا رأيًا من هذه الآراء[٤٥]، ورجّح الدكتور محمود الصافي أنْ تكون ما

نافية[٤٦]، ومثله فعل الدكتور محمد سيد طنطاوي[٤٧]، والدكتور محمد محمود القاضي[٤٨]، والدكتور بهجت عبد الواحد[٤٩].

ترجيح مجيء ما موصولة على كونها مصدرية:

اختلف النحويون، ومعربو القرآن في توجيه (ما) في قوله تعالى: ((وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦))) [الشمس: ٥- ٦] على آراء عدّة، فرجّح أبو عبيدة أنْ تكون (ما) بمعنى مَنْ في الآية الكريمة؛ أيْ موصولة[٥٠]، ومثله فعل الطبري[٥١]، وأبو جعفر النحّاس[٥٢]، والزمخشري[٥٣]، وأبو حيان الأندلسي[٥٤]، والآلوسي[٥٥]، واحتمل الزجّاج أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة مصدرية، وأنْ تكون بمعنى مَنْ؛ أيْ موصولة[٥٦]، وذكر ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) الرأيين، ولم يرجح بينهما[٥٧]، ومثله فعل الثعلبي، ولكنّه رجّح الموصولة على المصدرية[٥٨]، وذكر الشيخ الطوسي الرأيين، ولم يرجح بينهما[٥٩]، ومثله فعل الواحـدي[٦٠]

وابن عطية[٦١] وابن يعيش[٦٢]، والسمين الحلبي[٦٣]، والشوكاني[٦٤].

ورجّح الطبرسي أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة مصدرية[٦٥]، ومثله فعل القرطبي[٦٦] وأجاز أبو البركات الأنباري أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة مصدرية، أو بمعنى الذي على تقدير الذي بناها، أو بمعنى مَنْ بتقدير: ومَن بناها[٦٧].

ورجّح السيد الطباطبائي أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة موصولة معتمدًا على السياق في ترجيحه، رفض أنْ تكون مصدرية؛ فقال: ((و(ما) في (وما بناها) (وما طحاها) موصولة والذي بناها وطحاها هو الله تعالى، والتعبير عنه بـ(ما) دون (من) لإيثار الإبهام المفيد للتفخيم والتعجيب، فالمعنى: وأقسم بالسماء، والشيء القوي العجيب الذي بناها ...، وقيل ما مصدرية والمعنى: وأقسم بالسماء وبنائها والأرض وطحواها والسياق – فيه قوله: ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨))) [الشمس: ٧- ٨]الخ لا يساعده)) [٦٨].

وأجاز الطاهر بن عاشور أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة مصدرية، أو موصولة[٦٩]، ومثله فعل الأستاذ الدرويش[٧٠]، والدكتور بهجت عبد الواحد[٧١]، واحتمل الشيخ محمد علي طه الدّرة أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة بمعنى الذي، أو مصدرية، أو بمعنى مَنْ الموصولة[٧٢] ومثله فعل مؤلفو كتاب التفصيل[٧٣]، وذهب الشيخ محمد جواد مغنية إلى أنّها مصدرية[٧٤] ومثله فعل الدكتور محمود الصافي[٧٥]، والشيخ الكرباسي[٧٦]، والدكتور محمد سيد طنطاوي[٧٧]،ورجح الدكتور محمد محمود القاضي أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة موصولة[٧٨]، وأجاز الدكتور عبد الجبار فتحي زيدان أنْ تكون موصولة[٧٩].

ترجيح مجيء ما نافية على كونها موصولة:

اختلف المفسرون، ومعربو القرآن في توجيه (ما) في قوله تعالى: ((لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)) [يس: ٣٥] على آراء عدة، فذكر الفرّاء أنّ (ما) في الآية الكريمة موصولة، أو نافية[٨٠]، ومثله فعل الطبري[٨١]، والزجّاج، بترجيح الموصولة على النافية[٨٢] وذكر أبو علي الفارسي الرأيين، ولم يرجح بينهما[٨٣]، وأجاز الواحدي الرأيين معًا[٨٤]، ومثله فعل الطبرسي[٨٥]، وابن يعيش[٨٦]، والهمذاني[٨٧]، والقرطبي[٨٨]، والبيضاوي[٨٩]، وأبو السعود[٩٠]، والشوكاني[٩١].

والرأي الراجح عند أبي جعفر النحّاس أنْ تكون ما موصولة[٩٢]، ومثله فعل مكي بن أبي طالب[٩٣]، وأبو البركات الأنباري[٩٤]، والألوسي[٩٥]، ومؤلف كتاب هميـــان الزاد [٩٦].

وأجاز الثعلبي أنْ تكون (ما) مصدرية، أو نافية، أو موصولة[٩٧]، وإلى هذا الرأي ذهب الشيخ الطوسي[٩٨]، وابن عطية[٩٩]، والفخر الرازي[١٠٠]، وأبو حيان الأندلسي[١٠١]، والرأي الراجّح عند الزمخشري أنْ تكون (ما) نافية[١٠٢]، وأجاز العكبري أنْ تكون (ما) موصولة، أو نافية، أو نكرة موصوفة[١٠٣]، واحتمل السمين الحلبي أن تكون ما موصولة، أو نافية، أو مصدرية، أو نكرة موصوفة[١٠٤].

ورجّح السيد الطباطبائي أنْ تكون (ما) في الآية الكريمة نافية، ولم يجز أنْ تكون موصولة، أو نكرة موصوفة؛ فقال: ((و(ما) في (وما عملته) نافية، والمعنى لم يعمل الثمر أيديهم حتى يشاركون في تدبير الأرزاق، بل هو ممّا اختصصنا بخلقه وتتميم التدبير به... واحتمل بعضهم كون (ما) في (وما عملته)

موصولة معطوفة على (ثمرة)، والمعنى ليأكلوا، ومن الذي عملته أيديهم من ثمره كالخل، والدبس...، وهذا الوجه وإنْ عدّه بعضهم أوجه من سابقه ليس بذاك فإنّ المقام مقام بيان آيات دالة على ربوبيته تعالى بذكر أمور من التدبير يخصه تعالى، ولا يناسبه ذكر شيء، واحتمل بعضهم كون (ما) نكرة موصوفة معطوفة على (ثمره)، والمعنى ليأكلوا من ثمره، ومن شيء عملته أيديهم، وهذا يُرد عليه ما يرد على سابقه)) (١٠٥).

والرأي الراجّح عند الطاهر بن عاشور أنْ تكون (ما) موصولة، وأجاز أنْ تكون نافية وأجاز أنْ يكون من حذف المفعول لإرادة العموم(١٠٦)، واحتمل الأستاذ الدرويش أنْ تكون (ما) موصولة، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية، أو نافية(١٠٧)، ومثله فعل الشيخ محمد علي طـــه الدرة(١٠٨)، ومؤلفو كتاب التفصيل(١٠٩)، وذهب الدكتور أحمد الخراط إلى أنّها موصولة(١١٠)، ومثله فعل الشيخ الكرباسي(١١١)، والدكتور محمد محمود القاضي(١١٢)، والدكتور محمد نوري(١١٣)، وكذلك الدكتور بهجت عبد الواحد أنْ تكون ما موصولة، بيد أنّه أجاز أنْ تكون نافية(١١٤).

ترجيح مجيء ما للتعجب على كونها استفهامية:

اختلف المفسرون، ومعربو القرآن في توجيه قوله تعالى: ((قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)) [عبس: ١٧]، على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: يرى أصحاب هذا الرأي أنّ (ما) للتعجب، وهذا ما رجّحه الفرّاء(١١٥)، والزمخشري(١١٦)، الطبرسي(١١٧)، وابن يعيش(١١٨)، والبيضاوي(١١٩)، وأبو حيان الأندلسي(١٢٠)، والشوكاني(١٢١)، والآلوسي(١٢٢).

الرأي الثاني: أجاز الأخفش الأوسط أنْ تكون (ما) للتعجب، أو للاستفهام(١٢٣)، ومثله فعل الطبري(١٢٤)، والزجّاج رجّح التعجب، وأجاز الاستفهام(١٢٥)، ورجّح مكي بن أبي طالب الاستفهام، وأجاز التعجب(١٢٦)، واحتمل ابن عطية أنْ تكون (ما) للتعجب، أو للاستفهام(١٢٧)، وإلى هذا الرأي ذهب أبو البركات الأنباري(١٢٨)، والفخر الرازي(١٢٩)، والعكبري(١٣٠)، والمنتجب الهمذاني(١٣١)، والسمين الحلبي(١٣٢).

الرأي الثالث: ورجّح النحّاس إلى أنّ (ما) للاستفهام[١٣٣]، ومثله فعل الشيخ الطوسي[١٣٤]، والقرطبي[١٣٥].

ورجّح السيد الطباطبائي أنْ تكون (ما) للتعجب على كونها للاستفهام؛ فقال: ((وقوله (ما أكفره) تعجيب من مبالغةٍ في الكفر وستر الحق الصريح، وهو يرى أنّه مدبر بتدبير الله لا يملك شيئًا من تدبير أمره غيره تعالى ... وقيل جملة (ما أكفره) استفهامية، والمعنى ما هو الذي جعله كافرًا، والوجه المتقدم أبلغ))[١٣٦].

ورأى الطاهر بن عاشور أنّ (ما) في الآية الكريمة للتعجب[١٣٧]، ومثله فعل الأستاذ الدرويش[١٣٨]، والشيخ محمد جواد مغنية[١٣٩]، والدكتور محمد سيد طنطاوي[١٤٠]، والدكتور محمد محمود القاضي[١٤١]، والدكتور عبد الجبار فتحي زيدان[١٤٢]، ورجّح محمد علي طه الدّرة أنْ تكون (ما) للتعجب، وأجاز أنْ تكون استفهامية[١٤٣]،وأجاز مؤلفو التفصيل الرأيين[١٤٤]، والراجح عند الدكتور بهجت عبد الواحد أنْ تكون ما للتعجب، وأجاز أنْ تكون استفهامية[١٤٥].

الواو:

ذكر النحويون أنّ للواو في العربية معاني عديدة، أهمها: العاطفة، والاستئنافية، والحالية، واو المعية، وواو القسم، وواو رُبّ، وواو الجماعة، والواو الداخلة على الصفة تأكيدًا[١٤٦].

وما يهم البحث من الأداة الواو كيف عالج السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان أربع مسائل تتعلق بالواو، وهي ترجيح معنى العطف في الواو على معنى الاستئناف، وترجيح مجيء الواو للحال بدلًا من كونها عاطفة، وترجيح كون الواو داخلة على جملة الصفة تأكيدًا بدلًا من كونّها واو الثمانية، ترجيح مجيء الواو للقسم على كونها عاطفة .

ترجيح معنى العطف في الواو على معنى الاستئناف

لقد سكت الكثرة الكاثرة من علماء اللغة العربية، ومفسري القرآن الكريم عن توجيه الواو في قوله تعالى: ((فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) [المائدة: ٤٥]، حيثُ رجعت إلى كثير من كتب التفسير، وكتب اللغة، ولم أجد أيّ توجيه للواو في الآية الكريمة؛ لهذا يعدُ

توجيه السيد الطباطبائي للواو في هذه الآية سابقةً تحسب له، والرأي الراجّح عنده أنْ تكون الواو في الآية الكريمة للعطف، ورفض أنْ تكون بمعنى الاستئناف؛ فقال: ((والظاهر من السياق أنّ الكلام في تقدير قولنا: فانْ تصدق به من له القصاص فهو كفارة له، وإنْ لم يتصدق فليحكم صاحب الحكم بما أنزل الله من القصاص، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون... وبذلك يظهر أولًا: أنّ الواو في قوله: (ومن لم يحكم) للعطف على قوله: (من تصدق)، لا للاستئناف ... وثانيًا: أنّ قوله: (ومن لم يحكم) من قبيل وضع العلة موضع معلولها، والتقدير: وإنْ لم يتصدق فليحكم بما أنزل الله فإنْ لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)) (١٤٧) .

وقد تابع السيد الطباطبائي على هذا الرأي الكثرة الكاثرة من الدارسين المحدثين، مثل الاستاذ الدرويش(١٤٨)، والدكتور محمد سيد طنطاوي(١٤٩)، والشيخ الكرباسي(١٥٠)، والدكتور محمد محمود القاضي(١٥١)، والدكتور بهجت عبد الواحد(١٥٢)، ورجّح الشيخ محمد علي طه الدّرة أنْ تكون الواو في الآية الكريمة للاستئناف(١٥٣)، ومثله فعل الدكتور محمود الصافي(١٥٤)، والدكتور محمد الطيب الإبراهيم(١٥٥)، ومؤلفو كتاب التفصيل(١٥٦).

ترجيح مجيء الواو للحال بدلًا من كونها عاطفة:

اختلف المفسرون، والنحويون في توجيه الواو في قوله تعالى: (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) من قوله تعالى: ((فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) [الاعراف: ١٦٩] على آراء عدّة، فذكر أبو عبيدة أنّ الواو في الآية الكريمة للحال(١٥٧)، ومثله فعل الفخر الرازي(١٥٨).

وبيّن الزمخشري أنّ الواو في الآية الكريمة عطف على قوله تعالى: (يؤخذ)(١٥٩)، ومثله فعل ابن عطية(١٦٠)، والبيضاوي(١٦١)، والسيوطي(١٦٢)، ورجّح الطبرسي أنْ تكون الواو عاطفة في الآية الكريمة على قوله تعالى: (ورثوا)(١٦٣)، ومثله فعل أبو البركات الأنباري(١٦٤)، وابن الجوزي(١٦٥)، والعكبري(١٦٦).

وذهب المنتجب الهمذاني إلى أنّ تكون الواو عاطفة، والمعطوف عليه (ورثوا)، أو على قوله تعالى: (يؤخذ)[١٦٧]، ومثله فعل أبو السعود[١٦٨]، وأجاز أبو حيان أنْ تكون الواو عاطفة، والمعطوف عليه (يؤخذ)، وأجاز أنْ تكون الواو للحال بإضمار (قد)[١٦٩]، ورأى السمين الحلبي في توجيه الواو ثلاثة آراء، هي إمّا أنْ تكون عاطفة، والمعطوف عليه (يؤخذ)، وهو الرأي الراجح عنده، أو على قوله تعالى: (ورثوا)، أو تكون الواو للحال بإضمار (قد)[١٧٠]، ومثله فعل ابن عادل[١٧١]، والشوكاني، إلاّ أنّ الرأي الراجح عنده أنْ تكون الواو للحال بإضمار(قد)[١٧٢] وذكر الآلوسي الآراء الثلاثة، ولم يرجح أيّ رأي منها، وهي إمّا أنْ تكون عاطفة، والمعطوف عليه (يؤخذ)، أو قوله تعالى: (ورثوا)، أو تكون الواو للحال بإضمار (قد)[١٧٣].

ورجّح السيد الطباطبائي أنْ تكون الواو في الآية الكريمة للحال، ورفض أنْ تكون الواو عاطفة؛ فقال: ((كأنّ الواو للحال، والجملة حال عن ضمير (عليهم)، وقيل الجملة معطوفة على قوله: (ورثوا الكتاب) في صدر الآية، ولا يخلو من بعد))[١٧٤].

ومن المحدثين من رجّح أنْ تكون الواو عاطفة، والمعطوف عليه قوله تعالى: (يؤخذ) وممّن ذهب إلى هذا الرأي الطاهر بن عاشور[١٧٥]، والأستاذ الدرويش[١٧٦]، ورجّح الشيخ محمد جواد مغنية أنّ الواو للحال[١٧٧]، ومثله فعل مؤلفو التفسير المحرر[١٧٨].

وذكر الشيخ محمد علي طه الدّرة أنّ الواو عاطفة، والمعطوف عليه قوله تعالى: (ورثوا)[١٧٩]، ومثله فعل الدكتور محمود الصافي[١٨٠]، والدكتور أيمن الشوّا[١٨١]، واكتفى الدكتور محمد سيد طنطاوي بتوجيه الواو في الآية الكريمة بقوله: عاطفة[١٨٢]، ومثله فعل الشيخ الكرباسي[١٨٣]، والدكتور إبراهيم الطيب[١٨٤]، والدكتور محمد محمود القاضي[١٨٥]، وأجاز مؤلفو كتاب التفصيل أنْ تكون الواو حالية كما وأجازوا أنْ تكون عاطفة[١٨٦] .

ويبدو أنّ من وجّه الواو عاطفة في الآية الكريمة تمسك بالقاعدة التي قال بها جمهور النحويين؛ وهي أنّ جملة الفعل الماضي لا تقع حالًا إلّا بوجود (قد) ظاهرة أو مقدرة، وأشار إلى هذا الرأي أبو البركات الأنباري في انصافه وذكر أنّ المسألة هي محور الخلاف بين البصريين، والكوفيين[١٨٧]، ومثله فعل أبو

البقاء العكبري[١٨٨]، وعبد اللطيف بن أبي بكر (ت٨٠٢هـ)[١٨٩]، لهذا رأى بعض الدارسين المحدثين أنّه لا ضير مِن مجيء الجملة الماضوية حالًا بلا وجود (قد) ظاهرة، أو مقدرة، ومنهم الدكتور أحمد عبد الستار الجواري[١٩٠]، والدكتور خليل بنيان[١٩١]، ومن هنا اقترح الدكتور أحمد مكي الأنصاري تعديل القاعدة النحوية فقال : ((يجوز مجيء الحال جملة فعلية فعلها ماضٍ مطلقًا سواء أكانت مسبوقة بقد، وهو كثير، أم غير مسبوقة بقد وهو قليل))[١٩٢] .

ترجيح كون الواو داخلة على جملة الصفة تأكيدًا بدلًا كونّها واو الثمانية:

تباينت آراء المفسرين، والنحويين في توجيه الواو في قوله تعالى: ((وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ)) [الكهف: ٢٢] على آراء عدّة، فأجاز الزجّاج أنْ تكون الواو في الآية الكريمة عاطفة وأنْ تكون للاستئناف[١٩٣]، ومثله فعل أبو جعفر النحّاس[١٩٤]، على حين رجّح أبو علي الفارسي أنْ تكون الواو عاطفة[١٩٥]، ومثله فعل أبن جني(ت٣٩٢هـ)[١٩٦]، والشيخ الطوسي[١٩٧]، وابن عطية[١٩٨]، والطبرسي[١٩٩]، وأبو البركات الأنباري[٢٠٠]، والسيوطي[٢٠١] والشوكاني[٢٠٢].

وأجاز مكي بن أبي طالب أنْ تكون الواو في الآية الكريمة للاستئناف، وهو الرأي الراجح عنده، وأجاز أنْ تكون الواو للحال، أو واو الابتداء، أو واو إذْ[٢٠٣]، والرأي الراجّح عند الزمخشري في توجيه الواو في الآية الكريمة هي: الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف[٢٠٤]، ومثله فعل العكبري[٢٠٥]، والبيضاوي[٢٠٦]، وابن هشام[٢٠٧].

وذكر الفخر الرازي في المسألة ثلاثة آراء، هي أنْ تكون بمعنى تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، أو زائدة، أو واو الحال، ولم يرجّح أيًّا من هذه الآراء[٢٠٨]، ووضّح المنتجب الهمذاني في توجيه الواو في الآية الكريمة ثلاثة آراء، هي أنْ تكون بمعنى لصوق الصفة بالموصوف، وهو الرأي الراجّح عنده، أو تكون الواو للعطف، أو للاستئناف[٢٠٩].

وبيّن القرطبي ثلاثة آراء في توجيه الآية الكريمة، هي: أنْ تكون الواو للعطف، أو واو الثمانية، أو بمعنى لصوق الصفة بالموصوف، ولم يرجح أيًّا من هذه الآراء[٢١٠]، والرأي الراجّح عند أبي حيان الاندلسي أنْ تكون الواو عاطفة، وأجاز أنْ تكون الواو واو الثمانية، أو أنْ تكون الواو للاستئناف[٢١١].

وذكر السمين الحلبي في المسألة أربعة آراء، هي: أنْ تكون الواو عاطفة، أو للاستئناف، أو الواو الداخلة على الصفة تأكيدًا، أو واو الثمانية[٢١٢]، ورجّح أبو السعود أنْ تكون الواو استئنافية[٢١٣]، وأجاز الآلوسي أنْ تكون الواو للعطف، أو الواو الداخلة على الصفة تأكيدًا[٢١٤].

ورجّح السيد الطباطبائي أنْ تكون الواو في الآية الكريمة هي الواو الداخلة على الصفة تأكيدًا؛ جاء في الميزان: ((فإنْ قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة؟ ولِمَ دخلت عليها دون الأوليين؟ قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالًا عن معرفة، نحو قولك: جاءني رجلٌ ومعه آخر، ومررْتُ بزيدٍ وبيده سيفٌ، ومنه قوله تعالى: ((وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ)) [الحجر: ٤٠]، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أنّ اتّصافه بها أمر ثابت مستقر))[٢١٥]،فقال: ((وهذه الواو هي التي آذنت بأنّ الذين قالوا: سبعة وثامنُهم كلبُهم قالوه عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما غيرهم، والدليل عليه أنّ الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله : رجمًا بالغيب، وأتبع القول الثالث قوله: ما يعلمهم الا قليل، وقال ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أيْ لم يبق بعدها عدّة عادٍ يلتفت إليها، وثبت أنّهم سبعةٌ، وثامنُهم كلبهم على القطع والثبات))[٢١٦].

ورجّح الطاهر بن عاشور إلى أنّ الواو في الآية الكريمة هي واو الحال[٢١٧]، وإلى هذا الرأي ذهب مؤلفو تراث الشيعة القرآني[٢١٨]، وأجاز الأستاذ الدرويش أنْ تكون الواو عاطفة، أو الواو الداخلة على الصفة تأكيدًا[٢١٩]، ورجّح الدكتور محمود الصافي أنْ تكون الواو زائدة[٢٢٠]، ومثله فعل الشيخ محمد علي طه الدّرة[٢٢١]، والدكتور محمد سيد طنطاوي[٢٢٢].

ورأى الشيخ محمد جواد مغنية أنّ الواو عاطفة[٢٢٣]، ومثله فعل الدكتور بهجت عبد الواحد[٢٢٤]، وأجاز الدكتور أيمن الشوّا أنْ تكون الواو عاطفة، أو للاستئناف، أو الداخلة على الصفة تأكيدًا[٢٢٥]، وذكر مؤلفو

كتاب التفصيل في هذه الواو خمسة آراء، هي أنْ تكون عاطفة، أو للاستئناف، أو الواو الداخلة على الصفة تأكيدًا، أو واو الحال، أو واو الثمانية، ولم يرجحوا أيًّا من هذه الآراء[٢٢٦]، ورجّح الدكتور محمد محمود القاضي أنْ تكون الواو للاستئناف[٢٢٧] والرأي الراجّح عند الاستاذ حسن سرحان أنْ تكون الواو واو الثمانية[٢٢٨] .

ترجيح مجيء الواو للقسم على كونها عاطفة:

اختلف المفسرون، في توجيه الواو في قوله تعالى: ((ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)) [ص:١] على آراء عدّة ، فذكر الفرّاء أنّ الواو في الآية للقسم[٢٢٩]، ومثله فعل الطبري[٢٣٠]، وأبو جعفر النّحاس[٢٣١]، وابن أبي زمَنِين (ت ٣٩٩هـ)[٢٣٢]، والشيخ الطوسي[٢٣٣]، والطبرسي[٢٣٤]، وأبو البركات الأنباري[٢٣٥]، والفخر الرازي[٢٣٦]، وأبو البقاء العكبري[٢٣٧]، والقرطبي[٢٣٨]، وأبو حيان الأندلسي[٢٣٩]، والشوكاني[٢٤٠].

على حين رجّح الزجّاج أنْ تكون الواو في الآية الكريمة للعطف[٢٤١]، وقد أخذ بهذا الراي مكي بن أبي طالب[٢٤٢]، والواحدي[٢٤٣]، وأجاز الزمخشري أنْ تكون الواو عاطفة، أو للقسم[٢٤٤]، ومثله فعل المنتجب الهمذاني[٢٤٥]، والبيضاوي[٢٤٦]، والألوسي[٢٤٧].

ورجّح السيد الطباطبائي أنْ تكون الواو في الآية الكريمة للقسم، ورفض أنْ تكون عاطفة فقال: ((والمستفاد من سياق الآيات أنّ قوله (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) قسم نظير ما في قوله: (يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) (ن وَالْقَلَمِ) لا عطف على ما تقدمه ... وقد قيل في قوله: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) من حيثُ الإعراب، والمعنى، وجوه كثيرة لا محصل لأكثرها تركنا إيرادها لعدم الجدوى ... والمعنى_ والله أعلم _ أقسم بالقرآن المتضمن للذكر – إنّك لمن المنذرين بل الذين كفروا في امتناع عن قبوله واتباعه ومخالفة له)) [٢٤٨].

واتجه أغلب الدارسين المحدثين من المفسرين، ومعربي القرآن إلى جعل الواو للقسم في الآية الكريمة، ومنهم الطاهر بن عاشور[٢٤٩]، والأستاذ الدرويش[٢٥٠]، والشيخ محمد جواد مغنية[٢٥١]، والدكتور محمود الصافي[٢٥٢]، والدكتور أحمد الخراط[٢٥٣]، والشيخ الكرباسي[٢٥٤]، والدكتور محمد محمود القاضي[٢٥٥]،

والأستاذ سلمان فياض[٢٥٦]، والدكتور أيمن الشوّا[٢٥٧]، بينما أجاز مؤلفو التفصيل أنْ تكون الواو للقسم، أو عاطفة[٢٥٨] .

الخاتمـــة:

درست فيما مضى الفكر النحوي عند السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان، الأداتان: ما، والواو مثالين، وتبيّن لي أنّ السيد الطباطبائي اعتمد تفسير القرآن بالقرآن منهجاً له في أغلب ترجيحاته .

لقد كان يفسر القرآن من نظرته الخاصة للسياق، والنسق القرآني لهذا نجده في تفسيره يقبل القواعد التي وضعها النحويون بشرط أنْ تتلائم مع السياق الذي يقتضيه النص القرآني.

ويجد الباحث في تفسير السيد الطباطبائي منهجاً خاصاً في قبول الآراء ورفضها، وهذا بسبب كونه مجتهداً ، ولهذا نجده يعرض آراء المفسرين ويناقشها بين القبول والرفض ويعلق على بعضها، وفي بعض الأحيان يكون مقتبساً بتصرف بسيط، أو مسلماً للرأي دون التعليق عليه سلباً ، ولا إيجاباً .

ولم يكن السيد الطباطبائي يتأثر بالآراء النحوية المشهورة؛ فقد يرفض الرأي المشهور المجمع عليه عند أكثر النحويين والمفسرين، ويأخذ بالرأي غير المشهور معتمدًا في ذلك كلّه على السياق والدلالة المقامية .

وكان متحرراً من آراء المدرستين بمعنى أنّه لا يميل لمذهب معين في آرائه؛ فقد يرجح رأيًا للبصريين، ولا يقصد به الانحياز للبصريين، وكذلك قد يرجح رأيًا للكوفيين، ولا يقصد به مناصرة الكوفيين، وإنّما كان يرجح الرأي الذي يتناغم مع الرأي الذي يقتنع هو به .

وكثيراً ما نجده في ترجيحاته يعلق على بعض الآراء بقوله: البعيدة عن السياق، أو تلك التي لا يقتضيه المقام في الآية، أو سخيف، أو فاسد، أو لا يصلح، أو متكلف، وقيل غير ذلك، أو لا يتسع، أو لا يستقيم المعنى، أو أردأ الوجوه، أو ممّا لا جدوى في ذكره واطالة البحث عنه.

وكان في بعض الأحيان يعتمد على القراءات القرآنية في ترجيحاته النحوية، إذا كانت توافق آراءه الاجتهادية، ولكن لم يكن له منهج واضح في توجيه القراءات القرآنية، ومثال ذلك رجّح في آية قرآنية النفي على معنى النهي معتمداً في ذلك على قراءة عبد الله بن مسعود .

لم يكن كلّ المفسرين عيالاً على النحويين، ومنهم السيد الطباطبائي فجاء بقراءة جديدة من اعتماده على السياق والدلالة المقامية في توجيه النصوص القرآنية وترجيح الآراء وقال بآراء لم يقل بها غيره، لهذا نستطيع القول بأنّه لم يكن تابعاً للمفسرين الذين سبقوه بل كان مجتهداً له بعض الآراء الخاصة به .

ورفض مصطلح واو الثمانية، ورجّح أنْ تكون الواو في قوله تعالى: ((وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ)) [الكهف: ٢٢] واو إلصاق الصفة بالموصوف لغرض التأكيد .

الهوامش:

(١) ينظر مغني اللبيب : ١/ ٣٩٠- ٤٠٣ ، ينظر شرح الدماميني على المغني : ٢/ ٢٠٨- ٢١٦، أدوات الإعراب : ٢٩٩- ٢٣٦.

(٢) ينظر إعراب القرآن: ٢/ ٢٧٠.

(٣) ينظر التبيان في تفسير القرآن : ٥/ ٤٣٧- ٤٣٨.

(٤) ينظر مجمع البيان: ٥/ ٢٠٨.

(٥) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ٦٨٦.

(٦) ينظر الكتاب الفريد : ٣/ ٤٢٩.

(٧) ينظر البحر المحيط : ٥/ ١٩٣.

(٨) ينظر إرشاد العقل السليم : ٢/ ٧١٠.

(٩) ينظر روح المعاني : ١١/ ١٩٥.

(١٠) ينظر المحرر الوجيز : ٤/ ٥٣١.

(١١) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ٥٨.

(١٢) الميزان في تفسير القرآن : ١٠/ ١٢٢.

(١٣) ينظر التحرير والتنوير : ١١/ ٢٩٦.

(١٤) ينظر التفسير الكاشف : ٤/ ١٩٦.

(١٥) ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٦/ ٢٠٢.

(١٦) ينظر إعراب القرآن: ٣/ ٥٦٨.

(١٧) ينظر معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم : ٢٨٢.
(١٨) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ٤٣٧.
(١٩) ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٣/ ٣٨٢.
(٢٠) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ٤/ ٣٧٧.
(٢١) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ١١/ ٢٤٩.
(٢٢) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : ٥/ ١١٩.
(٢٣) ينظر كتاب الإغفال : ٢/ ٣٦٢.
(٢٤) ينظر التبيان في تفسير القرآن : ٨/ ٢١٠.
(٢٥) ينظر التفسير البسيط : ١٧/ ٥٢٩.
(٢٦) ينظر مجمع البيان : ٨/ ٤٤٦.
(٢٧) ينظر المحرر الوجيز : ٦/ ٦٤٧.
(٢٨) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢/ ٢٤٥.
(٢٩) ينظر مفاتيح الغيب : ٢٥/ ٧٠.
(٣٠) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ١٠٣٣.
(٣١) ينظر أنوار التنزيل : ٤/ ١٩٥.
(٣٢) ينظر إرشاد العقل السليم : ٤/ ٣٣٩.
(٣٣) ينظر فتح القدير : ٤/ ٢٦٨.
(٣٤) ينظر روح المعاني : ٢٠/ ١٦٢.
(٣٥) ينظر الكتاب الفريد : ٥/ ١٧٢، ١٧٣.
(٣٦) ينظر البحر المحيط : ٧/ ١٤٩.
(٣٧) ينظر الدّر المصون : ٩/ ٢٢.
(٣٨) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١٦/ ٣٦٥.
(٣٩) الميزان في تفسير القرآن : ١٦/ ١٣٥.
(٤٠) ينظر التحرير والتنوير : ٢٠/ ٢٥٣.

(٤١)ينظر إعراب القرآن وبيانه: ٥/ ٧٠١.

(٤٢) ينظر التفسير الكاشف : ٦/ ١٠٩.

(٤٣) ينظر إعراب القرآن: ٦/ ١٥٠.

(٤٤) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ٧/ ١٩١.

(٤٥) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ٢٠/ ٢٧٣.

(٤٦) ينظر الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه : ١٠/ ٣٤٢.

(٤٧) ينظر معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم : ٥٢٦.

(٤٨) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ٨٠٠.

(٤٩) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : ٩/ ٤٩.

(٥٠) ينظر مجاز القرآن: ٢/ ٣٠٠.

(٥١) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤/ ٤٣٧.

(٥٢) ينظر إعراب القرآن: ٥/ ٢٣٦.

(٥٣) ينظر تفسير الكشاف : ٦/ ٣٨٢.

(٥٤) ينظر البحر المحيط : ٨/ ٤٧٣- ٤٧٤.

(٥٥) ينظر روح المعاني : ٣٠/ ١٤٢.

(٥٦) ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٥/ ٣٣٢.

(٥٧) ينظر اعراب ثلاثين سورة من القرآن، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه : ٩٨.

(٥٨) ينظر الكشف والبيان : ١٠/ ٢١٣.

(٥٩) ينظر التبيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٥٧- ٣٥٨.

(٦٠) ينظر التفسير البسيط : ٢٤/ ٥٣.

(٦١) ينظر المحرر الوجيز : ٨/ ٦٢٨.

(٦٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش: ٢/ ٣٨٠- ٣٨١.

(٦٣) ينظر الدّر المصون : ١١/ ١٨- ١٩.

(٦٤) ينظر فتح القدير : ٥/ ٥٩٩.

(٦٥) ينظر مجمع البيان : ١٠/ ٧٥٤.
(٦٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/ ٣١٠.
(٦٧) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢/ ٥١٦.
(٦٨) الميزان في تفسير القرآن : ٢٠/ ٣٣٧- ٣٣٨.
(٦٩) ينظر التحرير والتنوير : ٣٠/ ٣٦٩.
(٧٠) ينظر إعراب القرآن وبيانه : ٨/ ٣٢٩.
(٧١) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : ١٢/ ٤٤٦.
(٧٢) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ١٠/ ٦١٠.
(٧٣) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ٣٠/ ٢٩٠- ٢٩١.
(٧٤) ينظر التفسير الكاشف : ٧/ ٥٦٩.
(٧٥) ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ١٥/ ٣٣٩.
(٧٦) ينظر إعراب القرآن: ٨/ ٦٤١.
(٧٧) ينظر معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم : ٨٠٩.
(٧٨) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم :١١٨٧.
(٧٩) ينظر ما في القرآن الكريم دراسة نحوية : ٢٧.
(٨٠) ينظر معاني القرآن : ٢/ ٣٧٧.
(٨١) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩/ ٤٣٣.
(٨٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٤/ ٢٨٦.
(٨٣) ينظر المسائل البغداديات: ٣٥٢- ٣٥٣.
(٨٤) ينظر التفسير البسيط : ١٨/ ٤٧٨- ٤٧٩.
(٨٥) ينظر مجمع البيان : ٨/ ٦٦١.
(٨٦) ينظر شرح المفصل: ١/ ٤٢٠- ٦٤٣.
(٨٧) ينظر الكتاب الفريد : ٥/ ٣٥٠.
(٨٨) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ٤٤٠- ٤٤١.

(٨٩) ينظر أنوار التنزيل : ٤/ ٢٦٨.

(٩٠) ينظر إرشاد العقل السليم : ٤/ ٥٠٣.

(٩١) ينظر فتح القدير : ٤/ ٤٨٦.

(٩٢) ينظر اعراب القرآن: ٣/ ٣٩٤.

(٩٣) ينظر مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٦٠٣.

(٩٤) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢/ ٢٩٥.

(٩٥) ينظر روح المعاني : ٢٣/ ٨- ٩.

(٩٦) ينظر هميان الزاد، لمحمد بن يوسف طفيش المصعبي : ١٢/ ٣١٤.

(٩٧) ينظر الكشف والبيان : ٨/ ١٢٧.

(٩٨) ينظر التبيان في تفسير القرآن : ٨/ ٤٥٥.

(٩٩) ينظر المحرر الوجيز : ٧/ ٢٤٨.

(١٠٠) ينظر مفاتيح الغيب : ٢٦/ ٦٨.

(١٠١) ينظر البحر المحيط : ٧/ ٣٢٠.

(١٠٢) ينظر تفسير الكشاف : ٥/ ١٧٧.

(١٠٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ١٠٨٢.

(١٠٤) ينظر الدّر المصون : ٩/ ٢٦٨- ٢٦٩.

(١٠٥)الميزان في تفسير القرآن : ٧/ ٨٧.

(١٠٦) ينظر التحرير والتنوير : ٢٣/ - ١٥.

(١٠٧) ينظر إعراب القرآن وبيانه : ٦/ ٣٢٥.

(١٠٨) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ٧/ ٧٣٤.

(١٠٩) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ٢٣/ ٢٠- ٢١.

(١١٠) ينظر المجتبى من مشكل إعراب القرآن : ٣/ ١٠١٧.

(١١١) ينظر إعراب القرآن: ٦/ ٥٢٤.

(١١٢) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ٨٨٢.

(١١٣) ينظر الياقوت والمرجان في إعراب القرآن : ٤٥٠.
(١١٤) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : ٩/ ٤٥٢.
(١١٥) ينظر معاني القرآن : ٣/ ٢٣٧.
(١١٦) ينظر تفسير الكشاف : ٦/ ٣١٦.
(١١٧) ينظر مجمع البيان : ١٠/ ٦٦٥.
(١١٨) ينظر شرح المفصل: ٢/ ٤٠٤.
(١١٩) ينظر أنوار التنزيل : ٥/ ٢٨٧.
(١٢٠) ينظر البحر المحيط : ٨/ ٤٢٠.
(١٢١) ينظر فتح القدير : ٥/ ٥١٠.
(١٢٢) ينظر روح المعاني : ٣٠/ ٤٣- ٤٤.
(١٢٣) ينظر معاني القرآن: ٢/ ٥٦٧.
(١٢٤) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤/ ١١٠.
(١٢٥) ينظر معاني القرآن وإعرابه :٥/ ٢٨٤- ٢٨٥.
(١٢٦) ينظر مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٨٠١، ٨٠٢.
(١٢٧) ينظر المحرر الوجيز : ٨/ ٥٣٩.
(١٢٨) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢/ ٤٩٤.
(١٢٩) ينظر مفاتيح الغيب : ٣١/ ٦٠.
(١٣٠) ينظر التبيان في اعراب القرآن : ٢/ ١٢٧٢.
(١٣١) ينظر الكتاب الفريد: ٦/ ٣٤٤.
(١٣٢) ينظر الدّر المصون : ١٠/ ٦٩٠.
(١٣٣) ينظر اعراب القرآن: ٥ / ١٥١.
(١٣٤) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ١٠/ ٢٧٣- ٢٧٤.
(١٣٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٢/ ٧٩.
(١٣٦)الميزان في تفسير القرآن : ٢٠/ ٢٢٦.

(١٣٧) ينظر التحرير والتنوير : ٣٠/ ١٢١.
(١٣٨) ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٨/ ٢٢٠.
(١٣٩) ينظر التفسير الكاشف : ٧/ ٥١٩.
(١٤٠) ينظر معجم إعراب الفاظ القرآن الكريم : ٧٩٢.
(١٤١) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ١١٦٧.
(١٤٢) ينظر ما في القرآن الكريم دراسة نحوية : ٧٥.
(١٤٣) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ١٠/ ٤٥٥.
(١٤٤) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ٣٠/ ٨٠.
(١٤٥) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : ١٢/ ٣٤٩.
(١٤٦) ينظر المغني اللبيب: ١/ ٤٦٣- ٤٦٧، شرح الدماميني على المغني :٢/ ٢٦٠- ٢٦٣.
(١٤٧) ينظر الميزان في تفسير القرآن : ٥/ ٣٥٢.
(١٤٨) ينظر إعراب القرآن وبيانه : ٢/ ٢٣٩.
(١٤٩) ينظر معجم إعراب الفاظ القرآن الكريم : ١٤٥.
(١٥٠) ينظر إعراب القرآن: ٢/ ٢٩٣.
(١٥١) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ٢٢٨.
(١٥٢) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : ٣/ ٧٣.
(١٥٣) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ٣/ ١٢٢.
(١٥٤) ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٣/ ٣٦٠.
(١٥٥) ينظر إعراب القران الكريم الميسر : ١١٥.
(١٥٦) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ٦/ ٢٢٦.
(١٥٧) ينظر مجاز القرآن : ١/ ٢٢٣.
(١٥٨) ينظر مفاتيح الغيب : ١٥/ ٤٧.
(١٥٩) ينظر تفسير الكشاف : ٢/ ٥٢٨.
(١٦٠) ينظر المحرر الوجيز : ٤/ ٧٩.

(١٦١) ينظر أنوار التنزيل : ٣/ ٤١.
(١٦٢) ينظر قطف الازهار في كشف الأسرار: ٢/ ١٠٦٤.
(١٦٣) ينظر مجمع البيان : ٤/ ٧٦٢.
(١٦٤) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن : ١/ ٣٧٨.
(١٦٥) ينظر زاد المسير : ٣/ ٢٨٢.
(١٦٦) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ١/ ٦٠٢.
(١٦٧) ينظر الكتاب الفريد : ٣/ ١٥٧.
(١٦٨) ينظر إرشاد العقل السليم : ٢/ ٤٢٧.
(١٦٩) ينظر البحر المحيط : ٤/ ٤١٥.
(١٧٠) ينظر الدّر المصون : ٥/ ٥٠٥- ٥٠٦.
(١٧١) ينظر اللباب في علوم الكتاب : ٩/ ٣٧٢.
(١٧٢) ينظر فتح القدير : ٢/ ٣٧١- ٣٧٢.
(١٧٣) ينظر روح المعاني : ٩/ ٩٧.
(١٧٤)الميزان في تفسير القرآن : ٨/ ٣٠٣.
(١٧٥) ينظر التحرير والتنوير : ٩/ ١٦٣.
(١٧٦) ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٣/ ٧١.
(١٧٧) ينظر التفسير الكاشف : ٣/ ٤١٦.
(١٧٨) ينظر التفسير المحرر للقرآن الكريم : ٦/ ٦٦٩.
(١٧٩) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ٣/ ٦٦٠.
(١٨٠) ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٥/ ١١٧.
(١٨١) ينظر الجامع لإعراب جمل القرآن : ٢٢٠.
(١٨٢) ينظر معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم : ٢٢٠.
(١٨٣) ينظر إعراب القرآن : ٣/ ١٩١.
(١٨٤) ينظر إعراب القرآن الميسر : ١٧٢.

(١٨٥) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ٣٤٢.
(١٨٦) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ٩/ ٢١٩.
(١٨٧) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف : ١/ ١٩٨.
(١٨٨) ينظر التبين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين : ٣٨٦.
(١٨٩) ينظر ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : ١٢٤.
(١٩٠) ينظر نحو القرآن : ٩٦- ٩٧.
(١٩١) ينظر النحويون والقرآن : ٤٦- ٤٧.
(١٩٢) ينظر نظرية النحو القرآني : ١٢٣.
(١٩٣) ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٣/ ٢٧٧.
(١٩٤) ينظر إعراب القرآن: ٢/ ٤٥٢- ٤٥٣.
(١٩٥) ينظر كتاب الإغفال : ٢/ ٥٨.
(١٩٦) ينظر سر صناعة الإعراب : ٢/ ١٨٧- ١٨٨.
(١٩٧) ينظر التبيان في تفسير القرآن : ٧/ ٢٦- ٢٧.
(١٩٨) ينظر المحرر الوجيز: ٥/ ٥٨٨.
(١٩٩) ينظر مجمع البيان : ٦/ ٧٠٧.
(٢٠٠) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢/ ١٠٤.
(٢٠١) ينظر همع الهوامع : ٣/ ١٦١.
(٢٠٢) ينظر فتح القدير : ٣/ ٣٨٥.
(٢٠٣) ينظر مشكل إعراب القرآن : ١/ ٤٣٩.
(٢٠٤) ينظر تفسير الكشاف : ٣/ ٥٧٧.
(٢٠٥) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ٨٤٢- ٨٤٣.
(٢٠٦) ينظر أنوار التنزيل : ٣/ ٢٧٧.
(٢٠٧) ينظر المغني اللبيب: ١/ ٤٧٤- ٤٧٧. ٢/ ٨٥٩- ٨٦٠.
(٢٠٨) ينظر مفاتيح الغيب : ٢١/ ١٠٦- ١٠٧.

(٢٠٩) ينظر الكتاب الفريد : ٤/ ٢٦٠- ٢٦٢.
(٢١٠) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣/ ٢٤٦- ٢٤٨.
(٢١١) ينظر البحر المحيط : ٦/ ١١٠.
(٢١٢) ينظر الدّر المصون : ٧/ ٤٦٧- ٤٦٨.
(٢١٣) ينظر إرشاد العقل السليم : ٣/ ٥١٣.
(٢١٤) ينظر روح المعاني : ١٥/ ٢٤١- ٢٤٤.
(٢١٥)الميزان في تفسير القرآن : ١٣/ ٢٦٥.
(٢١٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٢١٧) ينظر التحرير والتنوير : ١٥/ ٢٩١.
(٢١٨) ينظر تراث الشيعة القرآني : ٤/ ٣٥٣.
(٢١٩) ينظر إعراب القرآن وبيانه : ٤/ ٤٦٠.
(٢٢٠) ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ٨/ ١٦٥.
(٢٢١) ينظر تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ٥/ ٤٥٦.
(٢٢٢) ينظر معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم : ٣٨٣.
(٢٢٣) ينظر التفسير الكاشف : ٥/ ١١٢.
(٢٢٤) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : ٦/ ٣٦٨.
(٢٢٥) ينظر الجامع لإعراب جمل القرآن : ٢٩٧- ٢٩٨.
(٢٢٦) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ١٥/ ٢٨٥- ٢٨٦.
(٢٢٧) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ٥٨٩.
(٢٢٨) ينظر قاموس الأدوات النحوية : ١٦٦.
(٢٢٩) ينظر معاني القرآن: ٢/ ٣٩٦- ٣٩٧.
(٢٣٠) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٠/ ٨.
(٢٣١) ينظر اعراب القرآن: ٣/ ٤٥٠.
(٢٣٢) ينظر تفسير القرآن العزيز: ٤/ ٨٠.

(٢٣٣) ينظر التبان في تفسير القرآن : ٨/ ٥٤١.
(٢٣٤) ينظر مجمع البيان: ٨/ ٧٢٤- ٧٢٥.
(٢٣٥) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢/ ٣١١.
(٢٣٦) ينظر مفاتيح الغيب : ٢٦/ ١٧٤.
(٢٣٧) ينظر التبيان في إعراب القرآن : ٢/ ١٠٩٦.
(٢٣٨) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ١٢٣.
(٢٣٩) ينظر البحر المحيط : ٧/ ٣٦٦.
(٢٤٠) ينظر فتح القدير : ٤/ ٥٥٢.
(٢٤١) ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٤/ ٣١٩.
(٢٤٢) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية : ١٠/ ٦١٩٨.
(٢٤٣) ينظر التفسير البسيط : ١٩/ ١٣٦، ١٣٧.
(٢٤٤) ينظر تفسير الكشاف : ٥/ ٢٤٠.
(٢٤٥) ينظر الكتاب الفريد : ٥/ ٤٠٦.
(٢٤٦) ينظر أنوار التنزيل : ٥/ ٢٣.
(٢٤٧) ينظر روح المعاني : ٢٣/ ١٦١- ١٦٢.
(٢٤٨)الميزان في تفسير القرآن : ١٧/ ١٨٢- ١٨٣.
(٢٤٩) ينظر التحرير والتنوير : ٢٣/ ٢٠٣.
(٢٥٠) ينظر إعراب القرآن وبيانه : ٦/ ٤٣٥.
(٢٥١) ينظر التفسير الكاشف : ٦/ ٣٦٤.
(٢٥٢) ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ١٢/ ١٠١.
(٢٥٣) ينظر المجتبى من مشكل إعراب القرآن : ٣/ ١٠٥٦.
(٢٥٤) ينظر إعراب القرآن: ٦/ ٦١٩.
(٢٥٥) ينظر إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : ٩٠٣.
(٢٥٦) ينظر استخدامات الحروف العربية : ١١٨.

(٢٥٧) ينظر الجامع لإعراب جمل القرآن : ٤٠١.

(٢٥٨) ينظر التفصيل في إعراب آيات التنزيل : ٢٣/ ٢٢٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

١. أدوات الإعراب، للدكتور ظاهر شوكت البياتي،ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، والنشر، والتوزيع– بيروت ٢٠٠٥م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أو تفسير أبو السعود، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (٩٨٢هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، بدون تاريخ .

٣. استخدامات الحروف العربية (معجميًا، صوتيًا، صرفيًا، نحويًا، كتابيًا)، لسليمان فياض، دار المريخ – الرياض ، بدون تاريخ .

٤. إعراب القرآن الكريم الميسر، للدكتور محمد الطيب الابراهيم، ط١، الناشر دار النفائس – بيروت ٢٠٠١م.

٥. إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، للدكتور محمد محمود القاضي، اشرف عليه وراجعه الدكتور كمال محمد بشر، والدكتور عبد الغفار حامد هلال، ط١، الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠١٠م.

٦. إعراب القرآن الكريم وبيانه، للأستاذ محي الدّين الدّرويش، ط١١، دار اليمامة، دمشق ، ودار ابن كثير – دمشق، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية– سوريا ٢٠١١م.

٧. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية– القاهرة ١٩٨٥م.

٨. إعراب القرآن، لمحمد جعفر الشيخ ابراهيم الكرباسي، ط١، دار ومكتبة الهلال – بيروت ٢٠٠١م.

٩. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، للدكتور بهجت عبد الواحد عبد صالح، ط٢، دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان ١٤١٨هـ .

١٠. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، دار مكتبة الهلال – بيروت ١٩٨٥.

١١. الإغفال، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الحاج ابراهيم، المجمع الثقافي– ابو ظبي ٢٠٠٣م .

١٢. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد(ت٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الكتب العلميّة– بيروت ٢٠١٢م.
١٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، لعبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٦٩١هـ)، اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي، دار احياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت ١٩٩٨م.
١٤. ائتلاف النُّصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، لعبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي (ت ٨٠٢هـ)، تحقيق الدكتور طارق الجنابيّ، ط١، عالم الكتب – بيروت ١٩٨٧م.
١٥. البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات ابن الأنباري(ت٥٧٧هـ)، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيأة المصرية العامة للكتب ١٩٨٠م.
١٦. التِّبيان في اعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البحاوي، عيسى البابي – مصر ١٩٧٦م .
١٧. التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق الشيخ آغا بزرك الطهراني، دار احياء التراث العربي– بيروت بدون تاريخ .
١٨. التّبيين عن مذاهب النّحويين البصريّين والكوفيّين، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن السليمان العثمين، ط١، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٨٦.
١٩. تراث الشيعة القرآني، إعداد وإشراف محمد علي مهدي راد، فتح الله نجار زادكان، وعلي الفاضلي، ط١، مكتبة التفسير وعلوم القرآن المختصّة، مطبعة ستارة – قُم ١٣٨٤هـ .
٢٠. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دراسة، وتحقيق، وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه، الدكتور زكريا عبد المجيد، والدكتور أحمد النجولي الحبل، قرظه الاستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الكتب العلميّة – بيروت ١٩٩٣م.
٢١. التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد محمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله الفوزان، اشراف على طباعته، واخراجه، الدكتور عبد العزيز بن سطام آل سعود ، والاستاذ الدكتور تركي بن سهول العتبي، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربيّة السعودية ١٤٣٠هـ.
٢٢. تفسير التّحرير والتّنوير، للشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م .

٢٣. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن المحسن التركي، والدكتور عبد السند حسن يمامة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، بدون تاريخ .
٢٤. تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، لمحمد الرازي فخر الدين العلامة ضياء الّدين عمر المشتهر بخطيب الريّ (ت٦٠٤هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ١٩٨١م.
٢٥. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، للشيخ محمد علي طه الدّرة، ط١، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ٢٠٠٩م.
٢٦. التّفسير الكاشف، لمحمد جواد مغنية، ط٤، دار الأنوار – بيروت ، بدون تاريخ .
٢٧. التفسير المحرر للقرآن الكريم، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدّرر السّنية، مراجعة، وتدقيق الشيخ الدكتور خالد بن عثمان ، والشيخ الدكتور أحمد سعد الخطيب، الإشراف العام الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، ط١، المملكة العربية السعودية ٢٠١٥م.
٢٨. التفصيل في إعراب آيات التنزيل، للدكتور عبد اللطيف الخطيب، والدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، والأستاذ رجب حسن العلوش، ط١، مطبعة الخطيب للنشر والتوزيع – الكويت ٢٠١٥م .
٢٩. الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت ٢٠٠٦م.
٣٠. الجامع لإعراب جمل القرآن، للدكتور أيمن الشوّا، تحقيق الشيخ كريم راجح، والدكتور مصطفى سعيد الخن، والشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ اسامة الرفاعي، ط١، مكتبة الغزالي – دمشق، ودار الفيحاء – بيروت ٢٠٠٠م.
٣١. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، للدكتور محمود الصافي، باشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد، ط٣، دار الرشيد – دمشق – بيروت، ومؤسسة الايمان – بيروت ١٩٩٥م.
٣٢. الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرّاط، دار القلم– دمشق، بدون تاريخ .
٣٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار احياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ .
٣٤. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، ط٣، المكتب الاسلاميّ، بيروت ودمشق ١٩٨٤م .

٣٥. سر صناعة الإعراب، لأبن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، ط٢، دار الكتب العلميّة – بيروت ٢٠٠٧م .
٣٦. شرح الدماميني على المغني اللبيب، لمحمد بن أبي بكر الدماميني(ت ٨٢٨هـ)، تحقيق أحمد عزو عناية، ط١، مؤسسة التراث العربيّ – بيروت ٢٠٠٧م.
٣٧. شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، قدم له، ووضع حواشيه، وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلميّة – بيروت ٢٠٠١م.
٣٨. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، حققه، وأخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرَة، وضع فهارسه، وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق، والبحث العلمي بدار الوفاء، بدون تاريخ .
٣٩. قاموس الأدوات النحوية، لحسين سرحان، ط٢، مكتبة الايمان – المنصورة، ٢٠٠٧م.
٤٠. قطف الأزهار في كشف الاسرار، للإمام جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق أحمد بن محمد الحمادي، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية – قطر ١٩٩٤م .
٤١. الكتاب الفريد في اعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني (ت٦٤٣هـ)، حقق نصوصه وخرّجه، وعلق عليه، محمد نظام الدّين الفتيّح، ط١، نشر وتوزيع، مكتبة دار الزمان – المدينة المنورة ٢٠٠٦م.
٤٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، للعلامة جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق، وتعليق، ودراسة الشيخ عادل أحمد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، شارك في تحقيقه الاستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط١، مكتبة العبيكان – الرياض ١٩٩٨م .
٤٣. الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبي، لأبي اسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، دراسة، وتحقيق أبي محمد بن عاشور، مراجعة، وتدقيق الاستاذ نظير الساعدي، ط١، دار احياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠٢م.
٤٤. اللباب في علوم الكتاب، لأبي عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه برسالته الجامعية الدكتور محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م .
٤٥. ما في القرآن الكريم دراسة نحوية، للدكتور عبد الجبار فتحي زيدان، ط١، مكتبة الجليل العربي – الموصل ٢٠٠٩م .
٤٦. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التّميميّ (ت ٢١٠هـ)، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ .

٤٧. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، للدكتور أحمد بن محمد الخرّاط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الاوقاف السعودية – المدينة المنورة ١٤٢٦هـ.

٤٨. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، للدكتور أحمد بن محمد الخرّاط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الاوقاف السعودية – المدينة المنورة ١٤٢٦هـ.

٤٩. مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، ط١، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ٢٠٠٥.

٥٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق وتعليق عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد ابراهيم، ومحمد الشّافعي الصادق العناني، ط٢، التنفيذ الطباعي في مطابع دار الخير مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية – دولة قطر ٢٠٠٧م.

٥١. المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، لأبي علي النحوي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكَاوي، مطبعة العاني – بغداد، بدون تاريخ .

٥٢. مشكل اعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة– بيروت ١٩٨٤م .

٥٣. معاني القرآن واعرابه، لأبي اسحاق ابراهيم بن السرّي الزجّاج (ت٣١١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب – بيروت ١٩٨٨م.

٥٤. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ط٣، عالم الكتب – بيروت ١٩٨٣ .

٥٥. معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد سيد طنطاوي، راجعه الشيخ محمد فهيم أبو عبية، منشورات ذوي القربى، مطبعة سليمانزاده – ايران ١٤٣٠ هـ .

٥٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين أبن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، ط١، مؤسسة الصادق، مطبعة أمير – طهران١٣٧٨هـ .

٥٧. الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه واشرف على طباعته الشيخ حسين الأعلمي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – ١٩٩٧م.

٥٨. نحو القرآن، لأحمد عبد الستار الجواري، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر – بيروت ٢٠٠٦م.

٥٩. النحويون والقرآن، للدكتور خليل بنيان الحسون، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة – عمّان ٢٠٠٢م.
٦٠. نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، للدكتور أحمد مكي الأنصاري، ط١، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، مطابع أبو الفتوح – مكة المكرمة ١٤٠٥هـ.
٦١. الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها، وتدقيقها، وتهيئتها للطباعة مجموعة بحوث الكتاب، والسنة، ط١، اصدار كلية الدراسات العليا ، والبحث العلمي، كلية الشريعة، والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة– الامارات العربية المتحدة ٢٠٠٨م.
٦٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨م .
٦٣. همیان الزاد، لمحمد بن يوسف الوجعي الأباضي المصعبي، تحقيق عبد الحفيظ شلبي، وزارة التراث القومي والثقافة– سلطنة عمان، بدون تاريخ .
٦٤. الياقوت والمرجان في إعراب القرآن، لمحمد نوري بن محمد بارتجي، ط١، دار الاعلام – الأردن ٢٠٠١م.

إدغام المتقاربين عند الحسن بن محمد النيسابوري

أ.د. محمد عبد الزهرة الشريفي
الباحث قاسم علي أمين
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

عنت الدراسات الصوتية بالإدغام عناية خاصة وكان لإدغام المتقاربين النصيب الأكبر في هذه الدراسة؛ فكثير من الأصوات اللغوية تتقارب مخارجها، وهذا التقارب المخرجي للأصوات عند نطقها يولد تعسراً وصعوبة، ولذا كان الإدغام أيسر بتحول الثاني منهما إلى نظير الأول ومن ثم إدغامهما معاً.

وكان المنهج المتبع في هذا البحث قائم على ذكر آراء النيسابوري فيما يتعلق بإدغام المتقاربين مع ذكر آراء سابقيه ومعاصريه ليتبين موافقته أو مخالفته لهم، مع ذكر آراء المحدثين.

إدغام المتقاربين:

ذكر النيسابوري ادغام المتقاربين القياسي بقوله: ((تغيير الحرف الأول بإيصاله إلى الثاني وجعله معه كحرف واحد))[١].

نلحظ في إدغام المتقاربين تغيير الحرف الأول؛ ذلك أن بقاء الحرف الأول على حاله يجعل الإدغام غير ممكن؛ إذ لا يدغم الصوت في مقاربه بل لا بد أن ينقلب إلى جنس الثاني حتى يدغم فيه.

ويذكر النيسابوري أن المتقاربين في الإدغام يجعلان مثلين بقوله: ((المجعولين مثلين كما يجيء))[٢].

يبدو أن النيسابوري لم يكن دقيقاً بشأن المتقاربين، إذ حكم عليهما معاً بالتحول. فإن أحد المتقاربين هو الذي يتحول، لا كليهما.

ثم ذكر أن هناك ادغاماً للمتقاربين يخالف القياس بأن يقلب الثاني إلى جنس الأول لعارض يعرض يمنع قلب الأول إلى جنس الثاني ممثلاً له بمثال (إذبّحَتودا) والأصل (اذبحْ عَتودا) بقلب العين إلى الحاء معللاً ذلك بأن صوت الحاء أخف من صوت العين، والإدغام غرضه التخفيف[٣].

والمحدثون يسمون هذا التأثر والتأثير بين الأصوات بالمماثلة ويرون أن إدغام المتقاربين القياسي هو ضرب من المماثلة الكلية المدبرة، وإدغام المتقاربين غير القياسي ضرب من المماثلة الكلية المقبلة[٤].

وسنقسم أحكام ادغام المتقاربين على ما يأتي:

الأول: أحكام حروف الحلق:

١- الألف والهمزة:

ذكر النيسابوري عدم إمكان إدغام الهمزة في مثلها[٥]، كما ذكر أن ال٠همزة والألف لا تدغمان[٦]، فهو يرى أن الهمزة قريب المخرج من الألف.

والدرس الصوتي الحديث يرى أن الألف هو صوت انطلاقي لا يعتمد على مخرج معين.

ويرى النيسابوري أن الهمزة المخففة لا تدغم في الواو ولا الياء وإن اجتمع مثلان أولهما ساكن عازياً سبب منع الإدغام إلى عروض ما ينتج من تخفيف الهمزة من الواو والياء، فهما عارضان وليسا أصليين[٧].

ويرى أبو علي الفارسي أن منع إدغام الهمزة المخففة هو أن أصلها ((الهمزة وإن حذفت، فكما لا تدغم الهمزة في الياء، كذلك لا تدغم هذه الواو))[٨]، فهو يرى أن الهمزة المحققة والهمزة المخففة يشتركان في منع إدغامهما؛ لأن الهمزة المخففة هي كالهمزة المحققة ويحتج على ذلك أن من يخفف (رؤياكم) لم يقلبها ياءً ويدغمها في الياء الثانية كما هي الحال في الهمزة المحققة[٩].

يبدو أن هناك توافقاً بين أبي علي الفارسي والنيسابوري، إذ إن الأخير يرى أن منع الإدغام في نحو (رِيْيا) مخفف (رِئْيا) و (تَوْوِي) مضارع (آوى) من (الإيواء) هي كون الياء والواو عارضتين وليستا أصليتين ولذا قال ((فكأنه لم يجتمع مثلان))[١٠]، في حين يرى أبو علي الفارسي أن أصلهما الهمزة، وهذا يعني كونهما عارضين وليسا أصليين.

وفيه نظر: إذ لو كان الأمر كذلك فما بالنا في خطيّةٍ قد أدغمنا، على الرغم من كون الياء هنا ليست أصلاً وإنما هي عارضة أصلها الهمزة يقول النيسابوري في (خطيّة) ((فإنّ أصلها: ((خطيئة)) على وزن ((فعيلة))... قلبت الهمزة إلى الساكن في الجميع وأُدغم))[١١].

نلحظ أن الياء هنا أدغمت وهي عارضة أصلها الهمزة، وهي هنا يجب أن لا تدغم وفق ما يراه النيسابوري؛ وهنا تحقق الفصل الذي تحدث فيه النيسابوري في (رِيْيا) إذ يقول: ((ليخرج نحو ((رِيْيا)) إذا خفّف – فإنه ساكن فمتحرك من مخرج واحد ولكنه فصل بينهما بنقل اللسان من محل إلى محل مثله))[١٢]، وخطيّة حدث هذا الفصل أيضاً بنقل اللسان من محل الأصل إلى محل الفرع شأنه في ذلك شأن (رِيْيا)؟ والتساؤل هنا فلماذا منع الإدغام في (رِيْيا) وأجازه في (خَطيّة).

أما المحدثون فقد اختلفوا في هذا الصوت أيضاً شأنهم شأن القدماء ومنهم الدكتور إبراهيم انيس الذي يرى أن مخرج صوت الهمزة هو المزمار نفسه، إذ تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا تسمح للهواء بالمرور وبعد ذلك يسمع صوت انفجاري نتيجة انفراج فتحة المزمار فجأة[١٣].

ويرى الدكتور محمود السعران بأن صوت الهمزة يحدث بانعدام الفراغ الموجود بين الوترين الصوتيين، نتيجة انطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً فلا يمكن للهواء أن يمر من الحنجرة، فينضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفذ الهواء من بين الوترين الصوتيين بعد انفراجهما فجأة محدثاً صوتياً انفجارياً؛ إذن فصوت الهمزة صوت صامت حنجري انفجاري[١٤].

في حين وصفه الدكتور غانم قدوري الحمد (حنجري سفلي) لأن صوت الهمزة يصدر من الوترين السفليين[١٥].

إذن هذا الصوت يلفه كثير من الغموض لتباين الآراء حوله ليس في المخرج فحسب بل في صفاته أيضاً فبعضهم يصفه بالمجهور وبعضهم يصفه بأنه لا مجهور ولا مهموس، وأن أقرب الأصوات إليه هو صوت الهاء وصوت الهاء هو مهموس، لأنه يحدث بتباعد الوترين الصوتيين؛ ولذا إدغامه مع أقرب الأصوات إليه يذهب بكثيرٍ من صفاته فضلاً عن الثقل الناشئ من هذا الصوت. فهذا الصوت يتطلب نطقه مجهود نطقي كبير.

ذكر النيسابوري عدم إمكان إدغام الألف في الألف كما أشرنا إلى ذلك في إدغام المثلين في المثلين[١٦] ولم يذكر إدغام الألف فيما يقاربها ولعل السبب في ذلك يعود إلى حمل إدغام المتقاربين على إدغام

المثلين وهو ما يراه ابن عصفور بقوله: ((والسبب في ذلك أن إدغام المتقاربين محمول على إدغام المثلين فلمَّا امتنع فيهما إدغام المِثلين، كما ذكرنا في فصل إدغام المِثلين، امتنع فيهما إدغام المتقارِبَينِ))[١٧].

أما الدرس الصوتي الحديث فقسم الأصوات على قسمين رئيسين هما الصوائت والصوامت والألف يعد في نظر الدرس الصوتي الحديث من الصوائت فهو يمثل فتحة طويلة، والإدغام مبني على أسس القرابة الصوتية، وأول أسس هذه القرابة الصوتية أن يكون كلا الصوتين من الصوامت[١٨]؛ فلا يمكن أن يحدث الإدغام بين الصوامت والصوائت، إذ لا إدغام في الصوائت عينها، فمن الأجدر أن لا يكون هناك إدغام بين الصوائت والصوامت فالهمزة صوت صامت والألف صوت صائت والهمزة صوت صامت فإذا كان امتنع ادغام الألف في الألف كان من الأجدر منع إدغام الألف في الهمزة أو الهمزة في الألف.

٢- الحاء والعين والهاء:

ذكر النيسابوري إمكان إدغام الهاء في الحاء، وبين أن عدم الإدغام أحسن من الإدغام إذ يرى أن العلة في ذلك أن: ((حروف الحلق ليست بأصل للتضعيف في كلمة، ولهذا قل المضاعف من الهاء نحو: كَهَّ السكران...، وكان حق الحاء أن يكون أقل في باب التضعيف من الغين، والخاء المعجمتين؛ لأنه أنزل منهما في الحلق، إلا أنه كثر: صَحَّ وشَحَّ، لكونه مهموساً رخواً، والهمس والرخاوة أسهل على الناطق من الشدة والجهر))[١٩].

نلحظ أن النيسابوري يرى ترجيح الإدغام من عدمه وفق المعطيات الآتية:

١- كلما كان مخرج الصوت أعمق كان الإدغام أعسر، ويبدو أن ثقل الصوت هو السبب في ذلك، والإدغام هو (("الباث الحرف" الواحد "في مخرجه مقدار الباث الحرفين" في مخرجهما))[٢٠]، وهذا يعني مضاعفة هذه الصعوبة في النطق.

٢- صفات الصوت ترجح الإدغام من عدمه، إذ إن هناك أصواتاً أعمق من أصوات أُخَر، إلا أن تضعيفها أكثر بسبب صفاتها التي تجعل النطق بهذا الصوت أيسر.

٣- تضعيف الأعمق أقل من تضعيف الأقل منه عمقاً ولذا يرى أنه إذا كان أول المتقاربين أخف من الثاني، فإن الأخير هو الذي يدغم في الأول معللاً ذلك بقوله: ((لئلا يلزم إدغام الأسهل في الأثقل))[٢١]، وعندئذٍ يكون الإدغام على غير القياس، وقد مثّل النيسابوري مثالاً للإدغام غير القياسي يمثل في إدغام العين في الحاء وهو (اذبحَّذه) الأصل (اذبح هذه) وإدغام العين في الحاء (اذبحَّتوداً) الأصل (اذبح عتوداً)[٢٢].

أما سيبويه فيرى أن ((حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها))[٢٣]، وهذا ما يراه ابن عصفور[٢٤].

ويبدو أن هناك توافقاً بين سيبويه وابن عصفور من جهة، فكل منهما يرى أن الأصل للإدغام ليس من نصيب حروف الحلق لقلتها والنيسابوري من جهة أخرى الذي يرى أن حروف الحلق ليست أصلاً للإدغام لكونها ثقيلة، إذ إن ثقلها هو الذي أدى إلى قلتها.

أما الدرس الصوتي الحديث فقد نسبوا إدغام المتقاربين إلى ظاهرة المماثلة الصوتية ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول في وصف درجات التأثر بين الأصوات في ظاهرة الإدغام ((أقصى ما يصل إليه الصوت في تأثره بما يجاوره أن ينفى في الصوت المجاور، فلا يترك له أثراً. وفناء الصوت في صوت آخر هو ما اصطلح على تسميته القدماء بالإدغام))[٢٥].

يبدو من وصفه أنه لا يقصد إدغام المتماثلين، بل يقصد إدغام المتقاربين إذ إن الصوتين المتقاربين عند إدغامهما يفنى أحدهما تماماً بقلبه إلى ما يماثل إلى الآخر.

ويعزو أحمد مختار عمر حدوث هذه الظاهرة إلى تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، تماثلاً كلياً[٢٦].

٣- الغين في الخاء والخاء في الغين:

مثل النيسابوري لإدغام الغين في الخاء بـ (أبلغْ خَّليلي) ولإدغام الخاء في الغين بـ (اسلُخْ غَّنَمكَ)[٢٧]، وهذا الأخير أدغام صوت في صوت أعمق منه، وقد علل النيسابوري إمكان حدوث الإدغام لأن مخرجها هو أقرب المخارج إلى اللسان[٢٨].

ويستدل النيسابوري على قرب مخرج الغين والخاء من اللسان بإخفاء النون الساكنة قبلهما في لهجات بعض العرب ممثلاً له بـ (منخُل) كما تخفى قبل حروف الفم[٢٩].

وبذلك فالنيسابوري يوافق سيبويه الذي يرى أن الإدغام حسن، والبيان أحسن منه في العلة من جواز الإدغام[٣٠].

ويرى ابن عصفور أن صوتي الخاء والغين يجوز إدغام أحدهما في الآخر من غير ترجيح في الإدغام أو عدم الإدغام نجد ذلك بقوله: ((وأمَّا الغين مع الخاء فإنه يجوز فيهما البيان والإدغام، وكلاهما حَسَنٌ؛ لأنهما من مخرج واحد. وإذا أَدغمتَ قلبتَ الأوَّل منهما إلى الثاني، كائنًا ما كان، نحو: اسلِخْ غَّنمَكَ وادمَغْ خَّلَفًا. وإنَّما جاز قلب الخاء غينًا، وإن كانت أخرج إلى الفم منها؛ لأنَّ الغين والخاء لقرب مخرجهما من الفم أُجريا مُجرى حروف الفم. وحروفُ الفم يجوز فيها قلب الأخرج إلى الأدخل.

وممّا يُبيّن أنهما يُجرَيان مُجرى حروف الفم أنَّ العرب قد تُخفي معهما النون، كما تفعل بها مع٤ حروف الفم))[٣١].

نلحظ أن هناك اضراباً فيما يراه ابن عصفور فمرة يساوي بين الإدغام وعدمه؛ لأنه يرى أن كليهما من مخرج واحد، ومرة يرى أن صوت الغين أدخل من صوت الخاء إلا أنه ساوى بين الإدغام وعدمه فيهما لأنه عاملهما معاملة حروف الفم؛ لقربهما منها إذ إن حروف الفم يدغم الأعمق في غيره.

ويبدو أن هناك خلافاً بين ما يراه النيسابوري وسيبويه من جهة وابن عصفور من جهة، فسيبويه والنيسابوري يرى أن بعض قبائل العرب تخفي النون مع صوتي الغين والخاء، أما ابن عصفور فيرى إن إخفاء النون مع صوتي الغين والخاء قليل وإظهارها كثير في كلام العرب.

ويرى الدرس الصوتي الحديث أن العلة في إدغام الخاء في الغين والخاء في الغين هو التقاؤهما والمتقدم في نهاية مقطع والمتأخر في بداية مقطع تالٍ له، وعليه يكون الصوت الأقوى هو الصوت المتأخر والصوت الأضعف هو المتقدم[٣٢] فالصوت الذي يبتدأ به المقطع المتأخر يكون متبوعاً بصائت مما يكسبه قوةً، والصوت الساكن هو الصوت الذي يكون في نهاية المقطع المتقدم يزيده ضعفاً[٣٣]، ولذا يدغم

المتقدم في المتأخر سواءً أكان المتقدم غيناً والمتأخر خاءً أم كان المتقدم خاءً والمتأخر غيناً، وعليه يخضع الإدغام بدرجة كبيرة إلى السياق الذي يرد فيه الصوت.

الثاني: أحكام أحرف الفم:

١- القاف والكاف:

ذكر النيسابوري ادغام القاف في الكاف ممثلاً له بـ (خلقكم) والكاف في القاف معللاً ذلك بقوله: ((لتقاربهما في المخرج))[٣٤]، وقد ذكر النيسابوري أن إدغام القاف في الكاف في نحو (خَلْقُكُم) هو ما يسمى بالإدغام الكبير، إذ إن الحرف المدغم حرف متحرك أسكن للإدغام[٣٥].

وقد ذكر النيسابوري في قوله تعالى: Πأَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍO[٣٦] أن قراءة ورش بالإظهار[٣٧].

وهي قراءة شاذة، إذ القياس هنا الإدغام لأن الصوتين قريبا المخرج، وكان المتقدم منهما غير متبوع بصائت، إذ لم يفصل بينهما فاصل، ويمكن توضيح ذلك في ضوء الكتابة الصوتية:

أَلَمْ نَخْلُقْكُم = ن ـَ خ / لـ ـُ ق / ك ـُ م/

نلحظ أن صوت القاف جاور صوت الكاف في سياق صوتي يتقدم فيه على صوت الكاف وهما قريبا المخرج إلا أنهم اختلفوا في كيفية الإدغام أهو تام حيث لا يبقى صوت الاستعلاء الموجود في القاف لفنائه وذوبانه في الكاف، أم غير تام إذ يبقى صوت الاستعلاء[٣٨].

ونلحظ أن النيسابوري لم يعلل إدغام الكاف في القاف، إذ إن القاف أعمق من الكاف، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أن لأصوات الحلق أحكاماً خاصة بها تختلف عن أحكام أصوات الفم، وهذا الاختلاف ناجم عن ثقل نطق أصوات الحلق وخفة نطق أصوات الفم، وهذا هو السبب في إدغام أحدهما في الآخر. ولعل سيبويه كان أكثر وضوحاً فهو يرى إدغام الكاف مع القاف وإدغام الكاف مع القاف حسن والبيان أحسن عازياً سبب إدغامهما إلى قرب مخرجيهما واتفاقهما في الشدة وكونهما من حروف اللسان، أما ترجيحه للبيان؛ يعود لأن مخرجهما أقرب مخارج اللسان إلى الحلق[٣٩].

وقد فضَّل ابن يعيش إدغام القاف في الكاف على إدغام الكاف في القاف معللاً ذلك بقوله: ((لأن القاف أقرب إلى حروف الحلق، والقاف أبعد منها))[٤٠].

أما الدرس الصوتي الحديث فيعد الإدغام في نحو (ألم نخلقْكم) ضرباً من المماثلة الكلية المتصلة المدبرة، فيرى الدكتور تمام حسان أن إدغام الكاف في القاف وإدغام القاف في الكاف يساوي البيان في الحسن[٤١].

ويرى الدكتور علاء جبر محمد أن صوتي القاف والكاف من أصوات الحلق وأن إدغام أحدهما في الآخر جائز إلا أن الإظهار أحسن معتبراً هذا النوع من الإدغام – الإدغام في أصوات الحلق – عادةً نطقية عند بعض القبائل[٤٢].

٢- الجيم والشين والياء:

بعد أن أتم النيسابوري ذكر أحكام الإدغام في كل من القاف والكاف، شرع في ذكر بيان أحكام الإدغام في مخارج الجيم والشين والياء بقوله: ((الياء لا تدغم في الشين ولا في الجيم، ولا الشين في الياء والجيم لأن الياء والشين من حروف ((ضَوِي مِشْفَر)) فلا يدغم فيما يقاربها))[٤٣].

ويبين النيسابوري أن العلة من عدم إدغام الياء فيما يقاربها لأن فيها صفة اللين التي تذهب بعد إدغامها مع الجيم ولأجل ذلك منع الإدغام[٤٤].

ويوافق النيسابوري سيبويه الذي نص على عدم إدغام الياء فيما يقاربها بقوله: ((ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المتقاربة، لأن فيهما ليناً ومداً، فلم تقوَ عليهما الجيم والباء، ولا ما لا يكون فيه مدٌّ ولا لين من الحروف، أن تجعلهما مدغمتين، لأنهما يُخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليس فيه مدٌّ ولا لين))[٤٥].

يبدو من النص أن القدماء لم يكونوا يميزون بين أصوات العلة وأصوات المد فأصوات العلة تنشأ نتيجة تتابع الحركات فتتكون الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالي كالواو والياء في (قَوم) و (بَيت)[٤٦].

ومن المعلوم أن إدغام المتقاربين مبني على الأسس الصوتية والأساس الأول هو كونها من الصوامت أو من الصوائت، إذ لا يجوز أن يكون هناك تبادل صوتي بين صامت وصائت، ولذا لا يجوز الإدغام بين الصامت وحرف المد(٤٧).

وذكر النيسابوري أن الشين لا تدغم فيما يقاربها سواء أكان جيماً أم ياءً معللاً ذلك بكون الشين تزيد على هذين الصوتين بصفة التفشي الناجم من زيادة رخاوتها(٤٨).

إذ إن إدغامها في الجيم أو الياء يعني قلبها حرفاً مماثلاً لما يدغم فيه وهذا يعني تنازلها عن صفة التفشي التي تمتاز بها من غيرها.

ويرى سيبويه أن الذي منع الشين أن تدغم فيما يقاربها هو استطالة مخرجها المتكون من زيادة رخاوتها ووجود التفشي فيها(٤٩).

ويبدو أن الاستطالة التي يقصدها سيبويه هي حركة مناطق اللسان جميعاً، في حين أن الجيم القرشية تتحقق بحركة مقدم اللسان بمؤخر اللثة وبذلك ينتج الانفجار فيها، فالشين يؤدي إدغامها في الجيم إلى زوال صفة الاستطالة والتفشي منها؛ ولأجل ذلك منع إدغامها(٥٠).

ذكر النيسابوري أن الجيم تدغم في الشين لشدة تقاربهما ومثل مثالاً لذلك بـ (اخرجْ شّاه)(٥١).

ومن المعلوم أن الإدغام هو تشديد الصوت سواءً كان الصوتان المدغمان مثلين أو متقاربين فالمتقاربان يقلب أولهما إلى جنس الثاني، إذ إن الصوت الأول في السلسلة الكلامية يكون أضعف من الصوت الثاني؛ ذلك أن الأخير يكون في بداية مقطع والأول في نهاية مقطع، فالجيم في نهاية المقطع مما سبب ضعفها والشين في بداية مقطع ثانٍ مما أكسبها قوة فضلاً عن صفة التفشي والاستطالة المخرجية اللتين أكسبتاها قوة إلى قوتها الموقعية، وعليه يمكن مضاعفة الإعاقة المخرجية وتتم هذه العملية بأطول مدة ممكنة لتسريح الهواء الذي يسهم في إنتاج صوت الشين، فتذاب الجيم في الشين وذلك بانقلابها إليه ليكونا مثلين فيدغمان(٥٢).

ويمكن توضيح ذلك بالكتابة الصوتية التي تمثل طول هذه الإعاقة المخرجية لصوت الشين في المثال الذي ذكره النيسابوري (اخرجْ شاه).

قبل الإدغام ءـَ خ/ ر ـِ ج/ ش ـَ ه/ ⟸ بعد الإدغام ءـَ خ / ر ـِ ش/ ش ـَـ ه/

وهي عند المحدثين ضرب من المماثلة المدبرة المتصلة الكلية.

٣- الضاد والطاء واللام:

ذكر النيسابوري أن الضاد لا تدغم في غيرها من الأصوات معللاً ذلك تارةً بأن مخرجها لا يقارب مخارج أصوات الحروف الأخرى(٥٣)، وتارة أخرى بأنها لا تدغم فيما يقاربها من الأصوات لأن فيها استطالة في مخرجها(٥٤).

يبدو أن رؤية النيسابوري لمخرج صوت الضاد يشوبها عدم الوضوح، فهو تارةً يرى مخرجها لا يقارب شيئاً من مخارج الأصوات الأخرى وتارة أخرى يرى أنه يقارب مخارج أصوات أُخر، إلا أنه لا يدغم فيه لاستطالة مخرج هذا الصوت.

ويرى سيبويه جواز إدغام الطاء في الضاد ممثلاً لذلك بـ (مضّجع)، وقلة إدغام الضاد في الطاء في مثل (مضطجع) لكون بعض العرب تقول (مطّجع) تدغم الضاد في الطاء، إذ إن الإطباق لا يزول بالإدغام، لأن الصوت المدغم والمدغم فيه كليهما مطبقان، مشبهاً إدغامها بإدغام لام المعرفة مع حروف الفم معللاً إدغامهما بكثرة مجاورتها مع هذه الأصوات في الكلمة الواحدة قياساً مع اجتماعها معها في حال الانفصال(٥٥).

وهذا الإدغام إدغام غير قياسي لأنه أدغم الثاني في الأول، فالأصل اضتجع تجاور صوتان أحدهما مطبق وهو الضاد والآخر غير مطبق وهو التاء وهذا بدوره يمثل صعوبة في النطق فأثر الأول في الثاني فحوله إلى نظير التاء المطبق وهو الطاء وهو التأثير يطلق عليه في علم الصوت الحديث المماثلة الجزئية المتصلة المقبلة لتكون بهذا الشكل اضطجع، إذ إن هذا الإبدال يسهّل علينا النطق، وسنمثل ذلك عن طريق الكتابة الصوتية

اضْطَجع ← قبل الإدغام ءـِ ض/ ط ـَ / ج ـَ / ع ـَ / .

اضَّجع ← بعد الإدغام ءـِ ض/ض ـَ / ج ـَ /ع ـَ/ وهو إدغام جائز في نظر سيبويه، لقوله فإن شئت قلت (اضَّجع)(٥٦).

اطَّجَعَ ← بعد إدغام الضاد في الطاء ءـِ ط/ ط ـَ / ج ـَ / ع ـَ / .

نلحظ أن سيبويه في هذا المثال يرجح إدغام الطاء في الضاد مع كونه إدغاماً غير قياسي على إدغام الضاد في الطاء مع كونه إدغاماً قياسياً، ويبدو أن السبب في ذلك هو إدراكه أن إدغام الطاء في الضاد يُبقي صفتي الإطباق والاستطالة، أما إدغام الضاد في الطاء فيبقي صفة الإطباق كونهما مطبقين ويزيل صفة الاستطالة الموجودة في مخرج صوت الضاد.

وما يحدث في نحو (اطَّجَعَ) يعرف عند المحدثين بالتأثر المتبادل أي فيه تأثر مقبل ومدبر معاً، ء ـ ض / ت ـَ / ج ـَ / ع ـَ أثرت الضاد في التاء لكون الضاد مطبقة والتاء غير مطبقة

أما اللام فقد ذكر النيسابوري حكم إدغامها تبعاً لنوعها فإن كانت لام أل التعريف فإنها تدغم وجوباً في مثلها وفي أصوات التاء والثاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والنون معللاً وجوب إدغامها في جميع الأصوات المذكورة؛ لكثرتها وموافقتها لهذه الأصوات لأن جمعيها من طرف اللسان كاللام، إلا الشين والضاد فيهما استطالة لرخاوتهما حتى اتصلت الضاد بمخرج اللام والشين بمخرج الطاء(٥٧).

والنيسابوري يوافق سيبويه في ذلك، بل ويوافقه في شأن اللام التي يرى أنها هي التي تعطي التعريف للاسم دون الألف، فسماها لام المعرفة(٥٨).

والدرس الصوتي الحديث يتفق مع القدماء في إدغام لام التعريف مع أصوات الفم وإظهارها مع أصوات الحلق، إذ أطلقوا على اللام التي تجاور أصوات حروف الفم والتي تفنى تماماً فيما يقاربها لاماً شمسية، إلا أن الدرس الصوتي الحديث يرى أن أحد أصوات الفم وهو اللام تظهر معها لام أل التعريف، وعليه يجعلها لاماً قمرية لأنها لا تفقد خصائصها مثل اللام الشمسية(٥٩).

ويرى البحث أن إدغام لام ألف التعريف مع اللام التي تبتدأ بها الكلمة هو إدغام مثلين وليس إدغام متقاربين، وإدغام المثلين لا يفنى الصوت الأول في الصوت الثاني وإنما يكون الصوت أطول من كونه منفرداً

أما إذا كانت اللام غير لام (أل التعريف) فيرى أن إدغامها واجب في (بَلْ) و (هَلْ) و (قُلْ) خاصة مع الراء في ((القرآن)) خاصة[٦٠].

وبيَّن النيسابوري أن حكم هذه اللام في الصور الأُخر جائز الإدغام وهذا الجواز متدرج وفق قرب الصوت المدغم فيه بقوله: ((وإدغامها مع الراء أحسن من الإظهار لقرب مخرجهما، ويليه في الحسن إدغام اللام الساكنة في الطاء والدال والتاء والضاد والزّاي والسين، وذلك لأنهنَّ تراخين عن اللّام إلى الثنايا وليس فيهنّ انحراف نحو اللام كما كان في الراء.

ووجه جواز إدغام اللام فيها أنّ آخر اللام قريب من مخرجها، واللام معها من حروف طرف اللسان، ويليه في الحسن إدغامها في الظاء والثاء والذال))[٦١].

وقد علل النيسابوري هذا التدرج في حسن الإدغام بقوله: ((وإنما كان الإدغام مع الستة الأُوَل أحسن منه مع هذه الثلاثة؟ لأن اللام لم تنزل إلى أطراف الثنايا كما لم تنزل الطاء وأخواتها إليها بخلاف الثلاثة، ويليه إدغامها في الضاد والشين لأنهما ليسا من طرف اللسان كالمذكورة لكنه جاز الإدغام فيهما لاتصال مخرجهما بطرف اللسان))[٦٢].

ويرى سيبويه هذا التدرج في الإدغام أيضاً حسناً فإدغامها – لام غير المعرفة – مع الراء أحسن معللاً ذلك لأن الراء أقرب الأصوات إليها فقد جعلها بمنزلة الصوتين اللذين يخرجان من مخرج واحد، والذي يليها في حسن الإدغام هي اصوات الطاء والدال والتاء والصاد والسين معللاً ذلك كونها – هذه الأصوات – لم تكن بمثل الراء قرباً إليها بسبب كونها من الثنايا وليس فيها انحراف نحو اللام، ويليها في الحسن أصوات الظاء والثاء والذال، كونها من أطراف الثنايا وقرب مخارجها من مخرج الفاء فضلاً عن كون

صوت اللام لم يستفل إلى أطراف الثنايا، أما مع صوتي الضاد والشين فإدغامها فيهما أضعف لبعد مخرجي هذين الصوتين عن مخرجها، والذي سوغ ادغامها فيهما هو استطالة هذين الصوتين[٦٣].

ويجعل المبرد الراء واللام بمنزلة المثلين يتضح ذلك جلياً في قوله: ((فإن كان اللام لغير المعرفة جاز الإدغام والإظهار، والإدغام في بعض أحسن منه في بعض. إذا قلت: هل رأيت زيداً وجعل راشداً، جاز أن تسكّن فتقول: جعرَّاشد، كما تسكن في المثلين. والإدغام ههنا أحسن إذا كان الأول ساكناً))[٦٤].

نلحظ أن المبرد جوَّز بين إدغام اللام في الراء وإظهارها بيد أنه رجح إدغامها سواءً أكانت اللام ساكنة أم متحركة فأسكنت للإدغام.

ويميل الباحث إلى أن الإظهار أرجح من الإدغام إذا كانت اللام متحركة (أو ما يسمّى بالإدغام الكبير) لسببين:

١- أن بالتسكين زوال علامة الإعراب.

٢- إن الإدغام الغرض منه هو التخفيف والسهولة في النطق بسبب تجاور الأصوات قريبة المخرج التي إذا ما أظهرناها تولد لدينا جهد وصعوبة بالنطق، ولذا ندغم فيفنى الصوت الأول في الصوت الثاني، فإذا فصل بينهما صوت – صائت – تزول هذه الصعوبة في النطق بزوال هذه المجاورة فما الداعي إلى ترجيح الإدغام على الإظهار بالرغم من كونه- الإدغام – وهذه الحال يزيل معالم الصوت الأول زوالاً تاماً.

الثالث: أحكام أصوات الشفة:

أصوات الشفة هي الفاء والميم والواو والباء

عزا النيسابوري علة امتناع إدغام الواو والفاء والميم فيما يقاربها إلى زيادة صفة هذه الأصوات التي إذا ما أدغمت ذهبت خصائصها[٦٥] وبيّن هذه الصفات بقوله: ((وفي الواو والياء لين، وفي الميم غنة، ...، وفي الفاء تفشٍّ مع تأفيف وهو صوت يخرج من الفم مع النطق بالفاء))[٦٦].

وأما الباء فقد علل جواز إدغامها في الميم والفاء ممثلاً لها بقوله: ((يعذب من يشاء، ويعذب فاجراً، وذلك لتقاربها في المخرج))[٦٧].

ويعلل سيبويه عدم إدغام الميم في الباء؛ كون الميم هو الحرف الذي يغرون إليه من النون إذا جاورت الباء في سياق صوتي تتقدم هي فيه عليها ممثلاً لذلك بالعنبر فتقول عمبر[٦٨].

ويرى أبو علي الفارسي أن علة عدم إدغام الميم في الباء ((لموافقة الحرف الحرف في الشدة وإلزام الشفتين))[٦٩].

ويبدو أن أبا علي الفارسي قد جانب الصواب، إذ إن تعليله هذا يقتضي عدم إدغام الباء في الميم أيضاً.

ويرى الدكتور ابراهيم أنيس إمكان إدغام الباء في الميم وإمكان حدوث العكس مستدلاً على حدوث العكس بوجود هذه الظاهرة في بعض لهجات الكلام معللاً ذلك أن لا فرق بين الميم والباء سوى أن الهواء في الميم يتخذ مجراه في الأنف وهو في الباء يتخذ مجراه في الفم[٧٠].

ويعزو الدكتور عادل نذير عدم إمكان إدغام الميم في الباء وإدغام الباء في الميم إلى أن الميم إذا سبقت الباء يتطلب إداؤهما انحباس الهواء وتمريره بما يلائم وصف الميم من الأنف ومن ثم فلا بد من تجديد الرصيد الهوائي لأجل الباء لأن الباء صوت انفجاري، فيحدث انفجار وانحباس ولأجل ذلك لا يحدث الإدغام، ويعزو إمكان حدوث إدغام الباء في الميم إلى حبس الهواء سيكون أطول على أساس صوتي الباء والميم معاً، وبما أن طبيعة إطلاق الهواء مع كل منهما متناقضة، فقد أوثرت طريقة الميم في تمرير الهواء من الأنف فلم يكن للباء نصيب وهذه الحال إلا في الحبس، وهذا الحبس يكون على طريقة الميم لا على طريقة الباء؛ لأن الحبس على طريقة الباء يولد مهلة ملحوظة من أجل تجديد الرصيد الهوائي وتمريره لأداء الميم[٧١].

أما الفاء فقد بينا سلفاً أن النيسابوري منع إدغامها فيما يقاربها لوجود صفة التأفيف والتفشي فيها وقد ذكر إدغامها في الباء بقوله: ((نَخْسِفْ بِهِمُ بإدغام الفاء في الباء))[٧٢]

ويعلل سيبويه عدم إدغام الفاء في الباء بقوله: ((لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى وانحدرت إلى الفم، وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء؛ وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف، فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين، كما أن الثاء لا تدغم فيه، وذلك قولك: اعرف بدراً))[٧٣].

ويرى الباحث أن سيبويه يجانب الصواب في هذا التعليل، فسيبويه يمنع أن ينتقل صوت من أصوات الفم إلى مخارج أصوات الطرفين، ولو كان الأمر على هذا النحو لما انقلبت النون ميماً عند مجاورتها للباء في سياق تتقدم فيه النون على الباء، فانقلاب النون ميماً يعني تحولها من صوت لساني إلى صوت طرفي، ولم يكن هنالك من فرق سوى أن إدغام المتقاربين هو ضرب من المماثلة الكلية المدبرة المتصلة وتحول النون إلى ميم هو ضرب من المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة.

أما الفاء فقد بينا سلفاً أن النيسابوري منع إدغامها فيما يقاربها لوجود صفة التأفيف والتفشي فيها وقد ذكر إدغامها في الباء بقوله: ((نَخْسِفْ بِهِمُ بإدغام الفاء في الباء))[٧٤].

وقد فسّر الدرس الصوتي الحديث إلى أن هذا الإدغام في هذه الآية سببه الجهر الذي طرأ على صوت الفاء فأشبهت الفاء الأوربية أو ما يطلق عليه حرف (V) وانحباس الهواء الذي أزال رخاوتها فجعلها صوتاً انفجارياً بعد أن كانت احتكاكياً فأشبهت بذلك كل الشبه صوت الباء فأدغمت فيها[٧٥].

الخاتمة:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- وجد البحث أن النيسابوري لم يكن دقيقاً في حديثه عن الصوتين المتقاربين في أثناء إدغامهما حين وصفهما بـ (المجعولين مثلين)، إذ إن أحد المتقاربين هو الذي يتحول، لا كليهما.

٢- وجد البحث أن هناك اضطراباً في رؤية النيسابوري في إدغام الهمزة المخففة في الواو أو الياء، فقد قضى بعدم جواز إدغامها بسبب تحقق الفصل بين الصوتين وذلك بانتقال اللسان من محل إلى محل مثله، في حين قضى بجواز إدغام الهمزة المخففة في نحو (خطيّة) وهنا تحقق الفصل أيضاً.

٣- وجد البحث أن رؤية النيسابوري لمخرج صوت الضاد يشوبها عدم الوضوح؛ فهو تارةً يرى مخرجها لا يقارب شيئاً من مخارج الأصوات الأخرى وتارة أخرى يرى أنه يقارب مخارج أصوات أُخر، إلا أنه لا يدغم فيه لاستطالة مخرج هذا الصوت.

الهوامش:

(١) شرح النظام: ٧٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦٧٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧٠٣-٧٠٤.

(٤) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد: ٢٠٦-٢٠٧.

(٥) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٦٧٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٧١٢.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٦٧٥.

(٨) التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي: ٥٩/٥.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١١/٥.

(١٠) شرح النظام، النيسابوري: ٦٧٨.

(١١) المصدر نفسه: ٤٩٩.

(١٢) شرح النظام: ٦٧٣.

(١٣) ينظر: الأصوات اللغوية ابراهيم أنيس: ٧٧.

(١٤) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ١٣١.

(١٥) ينظر: أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، د. غانم قدوري الحمد: ١٥١.

(١٦) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٦٧٥-٦٧٦.

(١٧) الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور: ٤٣١/١.

(١٨) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين: ١٦٨.

(١٩) شرح النظام، النيسابوري: ٧١١-٧١٢.

(٢٠) شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، شمس الدين أحمد دنقوز: ٨٢.

(٢١) شرح النظام، النيسابوري: ٧١١.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧١٢.

(٢٣) كتاب سيبويه، سيبويه: ٤/٤٤٩؛

(٢٤) ينظر: الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور: ١/٤٣١.

(٢٥) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ١١١.

(٢٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٣٧٨.

(٢٧) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٢.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٩) ينظر: المصدر نفسه: ٧١٣.

(٣٠) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤/٤٥١.

(٣١) الممتع الكبير، ابن عصفور: ٤٣٣.

(٣٢) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب: ٢١٤.

(٣٣) ينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، د. عبد الرازق حمودة القادوسي: ٨٦.

(٣٤) شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.

(٣٥) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: ١/٥٩.

(٣٦) سورة المرسلات، الآية ٢٠.

(٣٧) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: ٦/٤٢١.

(٣٨) ينظر: معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب: ١٠/٢٤٣.

(٣٩) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤/٤٥٢.

(٤٠) شرح المفصل، ابن يعيش: ٥/٥٣٦.

(٤١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٢٨٦.

(٤٢) ينظر: المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، د. علاء جبر محمد: ٧٩.

(٤٣) شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.

(٤٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧٠٧.

(٤٥) كتاب سيبويه، سيبويه: ٤٤٦/٤.

(٤٦) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين: ١٧٠.

(٤٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٨.

(٤٨) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧٠٧.

(٤٩) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤٤٨/٤.

(٥٠) ينظر: علم اللغة العام الاصوات، د. كمال بشر: ١٦١.

(٥١) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.

(٥٢) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الأصوات الحديث – قراءة في كتاب سيبويه – ، د. عادل نذير الحساني: ٤٢١.

(٥٣) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.

(٥٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧٠٧.

(٥٥) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤٧٠/٤.

(٥٦) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥٧) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣-٧١٤.

(٥٨) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤٥٧/٤.

(٥٩) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين: ٢١٢-٢١٣.

(٦٠) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٤.

(٦١) المصدر نفسه: ٧١٤-٧١٥.

(٦٢) شرح النظام، النيسابوري: ٧١٥.

(٦٣) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤٥٧/٤-٤٥٨.

(٦٤) المقتضب، المبرد: ٢١٤/١.

(٦٥) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧٠٦، ٧٠٧.

(٦٦) المصدر نفسه: ٧٠٧.

(٦٧) المصدر نفسه: ٧٠٧..

(٦٨) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٤٤٧/٤.

(٦٩) التعليقة، أبو علي الفارسي:

(٧٠) ينظر: الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس : ١٧٥، ١٧٦.

(٧١) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب، د. عادل نذير: ٤١٧-٤١٨.

(٧٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: ٤٨٢/٥.

(٧٣) كتاب سيبويه، سيبويه ٤٤٨/٤.

(٧٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: ٤٨٢/٥.

(٧٥) ينظر: الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس: ١٣١.

المصادر والمراجع:

١- أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.

٢- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م.

٣- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، د.ط، د.ت.

٤- التعليقة على كتاب سيبويه، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عوض بن أحمد القوزي، ط١، ١٩٩٠م.

٥- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الأصوات الحديث – قراءة في كتاب سيبويه، د. عادل نذير الحساني، ديوان الوقف السني، بغداد، ٢٠٠٩م.

٦- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م.

٧- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب ال علمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٨- شرح النظام على شافية ابن الحاجب، تعليق، الأديب محمد زكي الجعفري، دار الحجة، إيران، ١٤٣١هـ.

٩- شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، شمس الدين أحمد دنقور (ت٨٥٥هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٣، ١٩٥٩م.

١٠- علم اللغة العام – الأصوات، د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠.

١١- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (كان حياً في ٧٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٦هـ.

١٣- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

١٤- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م.

١٥- المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، د. علاء جبر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٧١م.

١٦- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان – الاردن، ط١، ٢٠٠٤م.

١٧- معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، ط١، ٢٠٠٢م.

١٨- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

١٩- الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦.

٢٠- المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

قضايا تربوية في فكر الأمام الصادق (ع)- دراسة تحليلية تاريخية

أ.د. صالح مهدي عباس
مركز احياء التراث/ جامعة بغداد
أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجه
كلية الطوسي الجامعة/ النجف الأشرف

المقدمة:

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة ، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه وقد جعل الله العقل المميّز حجّةً له على خلقه ، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته، فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة ، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة أُخرى.

قال تعالى: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سبأ: ٦) فالله تعالى هو مصدر الهداية ، وهدايته هي الهداية الحقيقية ، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم وهذه الحقائق يؤيّدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به ، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال ، ومن هنا قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦). وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال وبعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال، لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة، والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن

هنا احتاج الإنسان . بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة إلى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية، كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية ، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد ؛ وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون ، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجّة هادية وعلم مرشد ونور مُضيء ، كما أفصحت نصوص الوحي . مؤيّدةً لدلائل العقل . بأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه ؛ لئلاّ يكون للناس على الله حجّة ، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ، ولو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّة ، وصرّح القرآن . بشكل لا يقبل الريب . قائلاً : (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (الرعد: ٧) ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمّة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية ، والتي تسمّى بالعصمة والعمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية ؛ وذلك بتنفيذ الأطروحة الربّانية ، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسيٍّ يتولّى إدارة شؤون الأمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية ، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً ، وشجاعةً فائقةً ، وثباتاً كبيراً ، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة ، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية ، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي ، واقتحموا سبيل التربية الشاق ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ

الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته ، ولم يتراجعوا لحظة ، ولم يتلكّأوا طرفة عين وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (ص) وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها ، طالباً منه تحقيق أهدافها وقد خطا الرسول الأعظم (ص) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن في تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء وتزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف وتكوين أُمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة كذلك تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء من خلال تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (ص) ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري :

أ . أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب . أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال، على يد مربٍّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول (ص) ، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته.

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (ص) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم ؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه ، وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور ، وحتى يرث الله الأرض ومَن عليها وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول (ص) بقوله: (إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ، كتاب الله وعترتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) وكان أئمة أهل البيت (ع) خير مَن عرّفهم النبي الأكرم (ص) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده إنّ سيرة

الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (ع) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (ص)، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (ص) ،فأخذ الأئمة المعصومون (ع) يعملون على توعية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (ص) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأمة جمعاء، وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأمة عليهم ، والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم ؛ فكانوا هم الأدلاّء على الله وعلى مرضاته ، والمستقرّين في أمر الله ، والتامّين في محبّته ، والذائبين في الشوق إليه ، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى ، ثم اختاروا الشهادة مع العِزّ على الحياة مع الذلّ ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكل كامل ، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم ، ولقطات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق ، ان موضوع البحث الذي تم تسميته (قضايا تربوية في فكر الامام الصادق "ع") كدراسة تحليلية وتاريخية له اهمية كبيرة في معرفة كن الامام في تلك السطور المتواضعة كما ان دراسة البحث احتوت على مقدمة بديباجة راجية ان تليق بمقام مؤسس المذهب الجعفري سلام الله عليه وتكلمت بعدها بتمهيد احتوى على نشأة الامام ونسبه وانتمائه المبارك مع مبحثين ، المبحث الاول تكلمت فيه عن منهجه الفكري والتربوي اما المبحث الثاني فقد تكلمت عن المؤثرات التربوية في نهاية العصر الاموي وبداية العصر العباسي وما جرى له ابان حكم المنصور الدوانيقي حتى

استشهاده (ع) حيث انتهيت بأهم ما توصلت اليه عبر خاتمة لموضوع البحث مع قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها كما لا اخفي ان المصادر حول السيرة العطرة لأهل البت (ع).

المنهج لغة واصطلاحا:

المنهج : لغةً يعني الطريق الواضح وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) المائدة الآية ٤٨ ، ويقابل المنهج في اللغة الانكليزية كلمة Curriculum وتعني ميدان السباق ويمكن تعريف المنهج بأنه :

(الطريق الذي يسلكه المعلم والمتعلم للوصول إلى الأهداف المنشودة)، ولكن في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة يعرف :-

مجموع الخبرات التربوية المقصودة والمخططة من قبل المدرسة لإحداث النمو الشامل للطلبة بجميع النواحي .

المفهوم القديم للمنهج :

وهذا المفهوم يستمد مقوماته من الفكر القديم للتربية الذي يحدد أهدافها بالتركيز على الجانب العقلي للمتعلم أي انه يهتم فقط بالمحتوى بما فيه من حقائق ومفاهيم ومبادئ وحفظ المادة الدراسية ويستند إلى الفكر الذي يعتبر (أن العقل يسمو على حواس الإنسان) ولذا أصبح دور الدراسة محصور في تزويد الطلبة بالمعلومات وحشو أذهانهم بالمادة الدراسية وقد ساد هذا المفهوم طويلا ولا يزال حتى الآن له أنصار ومؤيدون ٠

المفهوم الحديث للمنهج :

جاء المفهوم الحديث للمنهج كرد فعل للمفهوم القديم والتقليدي للمنهج ، وبدأ بدعوات من المربين وفلاسفة التربية إلى أن يتضمن المنهج ما وراء قاعة الدرس ليشمل الاهتمام بالجوانب المهارية والوجدانية للطلبة إضافة إلى الجوانب المعرفية .

لذا فان احد التربويين يعرف المنهج الحديث بأنه :

(كل الخبرات التي يكتسبها الطالب تحت إشراف المدرسة وتوجيهها سواء كان داخل الصف أو خارجه) وفي ضوء هذا المفهوم يترتب ما يأتي :

لم يعد الاهتمام متحددا بالناحية المعرفية بل يراعي المفهوم الحديث للمنهج الجوانب المهارية والثقافية والاجتماعية للطالب .

لم تعد المادة العلمية هدفاً بحد ذاتها وإنما أصبحت وسيلة تساعد في تحقيق عملية نمو الطالب .

المدرسة أصبحت هنا جزء من المجتمع فهي تنسق جهودها مع البيت والمؤسسات الأخرى لغرض بناء الطالب بناءً متكاملاً .

تحرر المدرس من المنهج الضيق الذي يحدده في مجال واحد وأصبح دوره توجيهي وإرشادي ومساعد للطالب في تنمية قدراته المختلفة .

الحياة المدرسية في ظل هذا المنهج حياة مشوقة ومحبوبة للطالب وتساعده في تكوين شخصيته وتنمية معارفه وقدراته .

مراحل حياة الإمام الصادق (ع):

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) في مرحلة ازدهار الدولة الأموية حين ابتعد الخلفاء كثيراً عن طريق الحق وترسّخت صيغة الملك المتوارث .

عاصر جدّه اثنتا عشرة سنة في المدينة وعاش مع أبيه بعد جدّه تسع عشرة سنة. نهل خلالها جميع العلوم والمعارف من أبيه (ع) وفاق الجميع بسعة إدراكه وشدة ذكائه .

وشارك أباه محنة الصبر على تولّي الظالمين والتعرّض للبلاء كما ساهم مع أبيه في نشر العلوم الإسلامية من خلال حلقات الدرس التي أسّسها لكي لا تضيع الرسالة وتندرس معالم الدين .

وتمكّن من أن يواصل بعد أبيه (ع) خلال مدّة إمامته التي استمرّت أربعاً وثلاثين سنة تربية أجيال عديدة من العلماء والفقهاء الصالحين ممّن ينهج نهج أهل البيت (ع).

وكما عاصر الإمام الصادق (ع) مرحلة انحطاط الدولة الأموية وأفولها عاصر كذلك ظهور الدولة العباسية التي تعجّلت في ممارسة الظلم بالنسبة لأهل البيت (ع) والتعدّي عليهم .

وتمكّن الإمام الصادق (ع) في هذه الفترة من المعترك السياسي المرير أن يحافظ على كيان المذهب الشيعي واستمرار سلامة الجماعة الصالحة وتنميتها، تلك الجماعة التي عمل على بنائها وتوسعتها آباؤه الطاهرون .

انطباعات عن شخصية الإمام الصادق (ع):

أشاد الإمام الباقر (ع) أمام أعلام شيعته بفضل ولده الصادق (ع) قائلاً: هذا خير البريّة (٤) .

وأفصح عمّه زيد بن علي عن عظيم شأنه فقال: في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتجّ الله به على خلقه ؛ وحجّة زماننا ابن أخي جعفر لا يضلّ مَن تبعه ولا يهتدي مَن خالفه (٥) .

وقال مالك بن أنس: ما رأت عين ولا سمعت أُذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً (٦) .

وقال المنصور الدوانيقي مؤبّناً الإمام الصادق (ع): إنّ جعفر بن محمّد كان ممّن قال الله فيه : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات (٧) .

مظاهر من شخصية الامام الصادق (ع):

سعة علمه:

لقد شقّق الإمام الصادق (ع) العلوم بفكره الثاقب وبصره الدقيق؛ حتّى ملأ الدنيا بعلومه، وهو القائل: (سلوني قبل أن تفقدوني فإنّه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي) (٨) ولم يقل أحد هذه الكلمة سوى جدّه الإمام أمير المؤمنين (ع).

وأدلى (ع) بحديث أعرب فيه عن سعة علومه فقال: (والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزَّ وجلَّ : (فيه تبيان كل شيء) (٩) .

وقد كان من مظاهر سعة علمه أنّه قد ارتوى من بحر علومه أربعة آلاف طالب، وقد أشاعوا العلم والثقافة في جميع الحواضر الإسلامية ونشروا معالم الدين وأحكام الشريعة (١٠) .

سمو أخلاقه :

كان الإمام الصادق (ع) على جانب كبير من سمو الأخلاق، فقد ملك القلوب، وجذب العواطف بهذه الظاهرة الكريمة التي كانت امتداداً لأخلاق جدّه رسول الله (ص) الذي سما على سائر النبيين بمعالي أخلاقه .

وكان من مكارم أخلاق الإمام وسمو ذاته أنّه كان يحسن إلى كل مَن أساء إليه، وقد روي أنّ رجلاً من الحجّاج توهّم أنّ هميانه قد ضاع منه، فخرج يفتش عنه فرأى الإمام الصادق (ع) يصلّي في الجامع النبوي فتعلّق به ، ولم يعرفه ، وقال له : أنت أخذت هميانى؟

فقال له الإمام بعطف ورفق: ما كان فيه؟ قال: ألف دينار، فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد هميانه فعاد إلى الإمام معتذراً منه، ومعه المال فأبى الإمام قبوله وقال له : شيء خرج من

يدي فلا يعود إلي، فبهر الرجل وسأل عنه ، فقيل له : هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: لا جرم هذا فعال أمثاله .

إنّ شرف الإمام (ع) الذي لا حدود له هو الذي دفعه إلى تصديق الرجل ودفع المال له .

وقال (ع): إنّا أهل بيت مروءتنا العفو عمّن ظلمنا.

وكان يفيض بأخلاقه الندية على حضّار مجلسه حتَّى قال رجل من العامة: والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسته (١٢) .

المبحث الأول: قضايا تربوية في فكر الامام الصادق (ع):

الاعداد التربوي العقائدي عند الامام الصادق (ع) ومتطلبات عصره ودوره في بناء الجماعة الصالحة

١. عصر الإمام الصادق (ع) (١١٤ . ١٣٢ هـ):

تصدّى الإمام جعفر بن محمّد الصادق (ع) لموقع الإمامة بعد أبيه محمد الباقر (ع) سنة (١١٤ هـ) ؛ فكان مرجعاً في الدين والسياسة والفكر والثقافة للمسلمين عامة، ولأتباع أهل البيت (ع) بشكل خاص .

وهذا الأمر نجده واضحاً في جوابه لأبيه عندما أوصاه بصحابته وخاصّته. قال الإمام الصادق (ع): لمّا حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً. قلت: (جعلت فداك والله لأدعنّهم والرجل منهم يكون في مصر فلا يسأل أحداً) (١٩) .

بهذا المستوى العالي من الإقدام الشجاع أعرب الإمام (ع) عن نواياه وبرنامجه الذي أعدّه لمستقبل الشيعة في ظل إمامته والخطّة التي تؤهّلهم لأن يكونوا ذلك النموذج السامي في المجتمع الإسلامي حيث يتحرّك كلٌ منهم برؤى واضحة المسار، بلا فوضى في الاختيار ولا ضلالة في الفكر والسلوك ؛ لأنّ هذا الإعداد العلمي والثقافي يجعلهم أغنياء عن الأخذ من الغير، ويرتقي بهم إلى مستوى استغنائهم عن سؤال أحد من المسلمين وغير المسلمين ماداموا قد تمسّكوا بالحبل المتصل بالله ، وهو حبل أهل بيت الرسالة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

وكان الإمام الباقر (ع) قبل هذا الوقت قد هيّأ الشيعة وأعدّهم لأخذ معالم الشريعة من الإمام الصادق (ع)عندما قال: (إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا فإنّه الإمام والخليفة بعدي وأشار إلى ابنه جعفر) (٢٠).

وباشر الإمام الصادق (ع) مسؤولياته بدءاً بالتعريف بإمامته وإثباتها بشكل علمي وعملي.

واستمرّ الإمام بتعزيز خطواته فتحرّك بأسلوب آخر بغية تعميق العلاقة بينه وبين الوجود الشيعي الذي أعدّ تفاصيله ورسم معالمه الإمام الباقر (ع).

ومن هنا نجد الإمام الصادق (ع) يشحذ هممهم ويثير في نفوسهم الحماس ويخاطب مواطن الخير والقوّة فيها، مشيراً إلى أنّ الكثرة من الناس قد خذلتهم وجهلت حقّهم، وإنّ المسلم الذي تحمّل ساعة الشدّة وبقي ملازماً لهم حتَّى صقلته التجارب ولم يستجب للإغراءات لهو جدير بحمل الأمانة ومواصلة الطريق معهم.

وبعد هذا العرض الموجز للمرحلة التي انتهى منها الإمام الباقر (ع) وبدأها الإمام الصادق (ع)، لا بد أن نقف على ملامح عصر الإمام الصادق (ع) في شتّى النواحي والمجالات.

اولا: الوضع السياسي وأثره على القيم التربوية:

لم يكن الوضع السياسي الذي يريد أن يتحرّك في وسطه الإمام الصادق (ع) قد تبدّل؛ فهشام بن عبد الملك الذي أقدم على اغتيال الإمام الباقر (ع) لازال هو الحاكم، وسياسته مع الإمام الباقر (ع) وشيعته هي السياسة نفسها، وهي سياسة قائمة على أساس الحقد الجاهلي وتتلخّص في التشريد والاضطهاد.

إنّ الثائر زيد بن علي (ع) يكشف لنا عمق المأساة التي كانت تعيشها الأمة آنذاك، حين تعرّض هذا الثائر العظيم في زمن الإمام الباقر (ع) لإذلال وتوهين من قِبل هشام باعتباره أحد رجال الشيعة ومن رموزها البارزين .

أخذ زيد يزداد قناعة بضرورة الثورة ضد الأمويين حتى صمّم على ذلك بلا تردّد، وبدوافع إسلامية خالصة وترسيخاً للمبادئ والقيم التربوية الاسلامية التي اسس لها أئمة اهل البيت (ع).

وحين ذكر جابر بن يزيد الجعفي رأي أخيه الباقر (ع) بثورته وسلامة قراره وذكر له أنّه مقتول لا محالة . قال زيد لجابر :

يا جابر لم يَسَعن أن أسكت، وقد خولف كتاب الله وتحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله. فقلت للسابّ: ويلك يا كافر! أما إنّي لو تمكّنت منك لاختطفتُ روحَك وعجّلتك إلى النار. فقال لي هشام: مَه، جليسنا يا زيد ولم يرعَ حرمةَ لله ولا لرسوله (ص) لما فيه من الانحراف السلوكي.

قال زيد لجابر: فو الله لو لم يكن إلاَّ أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتَّى أفنى (٢١) .

لقد فَجَّر زيد ثورته وحقَّق نصراً حاسماً ضد الأمويين بعد أن خاض حرباً طاحنة كادت أن تنتهي لصالح زيد لولا وقوع الفتنة في صفوف أتباعه حيث احتال عليه بعض مَن كان يهوى هشاماً فدخلوا عليه وقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال زيد: رحم الله أبا بكر وعمر صاحبي رسول الله (ص) ثم قال: أين كنتم قبل اليوم؟ لقد كان الغرض من إلقاء السؤال في ذلك الموقف الحرج وفي ساحة الحرب هو أحد أمرين وفي كليهما نجاح تلك الخدعة وتحقيق تلك المؤامرة، فإما أن يتبرّأ زيد من الشيخين فيكون حينئذ أقوى لقتل زيد؛ لأنّه يسيء القول في الشيخين وتلك وسيلة اتّخذها الأمويون ومن بعدهم للقضاء على خصومهم . وإمّا أن لا يتبرأ ممّن ظلم أهل البيت حقّهم فيكون جوابه على أيّ حال سبباً لإيجاد الخلاف بين أصحابه وبالفعل نجحت المؤامرة وتفرّق أهل الغدر وذوو الأطماع وكانت هذه الحيلة من الوالي يوسف بن عمر أقوى سلاح لجأ إليه، كما أغرى بعض جواسيسه بالأموال ليتعرّف على أصحاب زيد (٢٢) .

وفي أيام الوليد بن يزيد قُتل يحيى بن زيد أيضاً ، وذلك أنّ يحيى خرج من الكوفة بعد مقتل أبيه وتوجّه إلى خراسان ، فسار إلى الري ، ومنها أتى سرخس ، ثم خرج ونزل بلخ على الحريش بن عبد الرحمن الشيباني ولم يزل عنده حتّى هلك هشام وولي الوليد.

وكتب والي الكوفة إلى نصر بن سيار يخبره بأنّ يحيى بن زيد موجود في منزل الحريش، وهنا طلب نصر من الحريش بأن يسلّم إليه يحيى ، فردّ الحريش على الوالي نصر بن سيّار قائلاً : لا علم لي به . ولهذا السبب ضُرب الحريش ستمائة سوط . ثم قال الحريش: والله لو أنّه تحتَ قدميّ ما رفعتهما.

وبقيت أجهزة النظام تراقبه، وجرت بعد ذلك حوادث يطول ذكرها، وأخيراً أرسل نصر جيشاً يُقدّر بعشرة آلاف فارس وكان يحيى في سبعين رجلاً ، وفي المعركة الأخيرة أُصيب يحيى بسهم في جبهته فقُتل وقتل أصحابه . رضوان الله عليهم . عن آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه وكان ذلك في سنة (١٢٥ هـ) وصُلب جسده الشريف بالجوزجان، ولم يزل مصلوباً حتَّى ظهر أبو مسلم الخراساني فأنزله وصلّى عليه ودفنه (٢٣) .

وفي سنة (١٢٦ هـ) قُتل الوليد بن يزيد من قِبل الأمويين أنفسهم وتوّلى الخلافة من بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك . وفي هذه الفترة حدثت فوضى سياسيّة لم تُشهد من قبل حيث تحرّك كل مَن كان له أدنى طمع في الرئاسة ؛ لأنّ الأمّة في هذا الظرف كانت مستعدة لأن تستجيب لأيّ لافتة تدّعي العدالة ، وتريد الانتقام من الأمويين ، فكانت تتقبل هذه الدعوات بلا فحص ولا تدقيق ؛ ولهذا ظهرت في هذا الظرف مذاهب سياسية شتّى وهذا الواقع السياسي لم يمكن مسكه ولا السيطرة عليه وتكريسه باتّجاه واحد من قِبل الإمام (ع).

من هنا نجد أنّ موقفه (ع) من هذا الوضع كان موقف المصلح المرشد حيث نراه تارة يحذّر من الاندفاع وراء أهل المذاهب الأخرى، وتارة يدعو للموقف الثوري لكن للّذي يعتمد العقيدة الصحيحة إن وجد .

فهو إذن يعلم جيداً ما كان يستتر خلف هذه اللافتات من نوايا وأهداف كشعار بني العباس الذي خدعوا به الأمة، من هنا حذّر الإمام (ع) من الانسياق وراء تلك الدعوات، وأكّد ضرورة الالتزام بالقيم والمبادئ المفقودة، وأعطى ملامح الخط السياسي الذي كان ينسجم مع المرحلة، لكن ليس على حساب العمل الجهادي الذي يستهدف الأمويين ، وهذا ما شاهدناه من خلال مواقفه (ع) من ثورة زيد ودعمه لها.

ثانيا : الوضع الفكري:

إنّ الظواهر الفكرية والعقائدية السائدة في عصر الإمام الصادق (ع) مثل: الزندقة، الغلّو، والاعتزال، والجبر ، والرأي ، وما نتج عنها من ظهور صيغ جديدة لفهم الرسالة في مجال الفقه وتفسير الحديث والقرآن الكريم . لم تكن وليدة الظرف الّذي عاصره الإمام ولم تأتي بالمصادفة ، وإنّما يعود وجودها إلى ذلك المنهج الّذي خطّه الأمويون ومَن سبقهم من الخلفاء الذين اجتنبوا منهج أهل البيت (ع) وسلكوا طريقاً آخر طيلة عشرة عقود أو أكثر ، فعكس للأجيال صورة مزيّفة عن الدين لا يتجاوز كونه أداة موجهة بيد الحكّام يحمون به سلطانهم ويوظّفونه حسب ما تتطلّبه سياستهم ، ضد المستضعفين حين أصبح المسلم آنذاك لا يرى إلاّ الصورة المقيتة عن الدين ؛ ولهذا كانت الزندقة ردّة فعل لهذا الانحراف بعد تلاعب الحكّام بالدين ، وقد لقيت رواجاً في هذا الوسط الديني المضطرب والمليء بالمفاهيم الخاطئة.

إنّ اضطراب الموازين والقيم العقائدية والتربوية قد أدّى إلى التشكيك حتى في السُنّة النبوية، بل في فهم الكتاب الإلهي العظيم والركون إلى الرأي والاستحسان والتجاوز عن مداليل النصوص المأثورة بلا قانون علمي قويم .

فإذا أردنا أن نحاكم الأفكار المنحرفة ومنها التربوية التي انتشرت في عصر الإمام الصادق (ع) كان علينا أن نعرف الخلفيات التي انتهت بالأمة إلى هذا الاضطراب .

من هنا نتناول مفردات من المنهج الأموي التحريفي ودوره التخريبي

في فهم القرآن والسنّة وحوادث التاريخ ، مقتصرين على ذكر بعض النماذج في كل مجال .

ثالثا : تحريف مصادر التشريع والتاريخ :

أ . التحريف في مجال تفسير القرآن الكريم

كان التعامل مع النص القرآني وتفسيره يعتمد الرأي أو الروايات الإسرائيلية ، ويوظّف لصالح سياسة الخليفة ، ومن الأمثلة على ذلك :

١ . استخدم المجبّرة النصوص القرآنية لتأييد نظريتهم مثل قوله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون) ، زاعمين أنّ القرآن يدلّ على أنّ الله يجبر العباد على أعمالهم ...

٢ . أمّا عقيدة التجسيم التي بُنيت على التعامل مع القرآن على أساس الجمود على ظواهر النصوص ، فلا تتجاوز المعنى الحرفي للفظ حتى أخذت تصرّح بأنّ لله يداً ووجهاً محتجّة بقوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) الفتح:١٠ ، وقوله : (ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام) الرحمن:٢٧ وقالوا بالرؤية البصرية لله تعالى استناداً إلى قوله تعالى : (وجوه يؤمئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة) القيامة:٢٢.

واعتماد هذه التفاسير والقصص الإسرائيلية في تفسير الآيات المباركة هو السبب في هذه الصور المشوّهة . فقد جاء في تفسير القرطبي عن كعب الأحبار أنّه قال : لمّا خلق الله العرش قال العرش : لم يخلق الله أعظم منّي واهتزّ تعاظماً فطوّقه الله تعالى بحيّة لها سبعون ألف جناح ، في كل جناح سبعون ألف ريشة ، في كل ريشة سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف فم ، في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر ، لا عدد ورق الشجر ، وعدد الحصى والثرى ، وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، والتوت الحيّة على العرش ، فالعرش إلى نصف الحيّة وهي ملتوية عليه فتواضع عند ذلك (في تفسير القرطبي) .

وقال معاوية لكعب أنت تقول: إنّ ذا القرنين كان يربط خيله بالثريّا؟ فقال له كعب: إن كنت قلت ذلك فإنّ الله قال: (وآتيناه من كل شيء سبباً) الكهف ٨٤

٢. متطلّبات عصر الإمام الصادق (ع):

بعد الوقوف على مظاهر الفساد والانحراف التي عمّت ميادين الحياة في عصر الإمام الصادق (ع) نستطيع أن ندرك عمق المأساة التي كان الإمام (ع) قد واكبها منذُ نشأته حتى هذا التاريخ .

وفي هذا الظرف الذي خفّت فيه المراقبة بسبب ضعف الدولة الأموية، ووجد الإمام (ع) أنّ جانباً كبيراً من الإسلام قد أُقصي عن واقع الحياة، وأنّ قيم الجاهلية قد عادت تظهر للوجود، وأنّ الصيغ الغريبة عن الدين

أخذت تدخل في فهم القرآن والسنّة الشريفة وتسبّبت في تغيير مضمون الرسالة وجوهرها، لاحظ أنّ الأمر أخذ يزداد تفاقماً في أواخر العهد الأموي الذي نمت فيه مدارس فكرية وتيارات سياسية بعيدة عن الإسلام، وكان يرى (ع) أنّ الأكثرية الساحقة من الأمة قد ركنت إلى الطمع بسبب ما شاهدته من صور الظلم والتعسّف الذي قد ارتكب بحق كل مَن كان يعترض على سياسة الحكّام المنحرفين عن الدين . كل هذه الأمور قد لاحظها الإمام (ع) بدقّة وبدأ يعالجها بكل أناة. لنقرأ معاً حوار سدير الصيرفي مع الإمام (ع):

قال سدير الصيرفي : دخلت على أبي عبد الله (ع) فقلت له : والله ما يسعك القعود. فقال: ولِم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، والله لو كان لأمير المؤمنين (ع) ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عديّ.

فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف. قال: مائة ألف! قلت: نعم، ومائتي ألف؟ فقال: ومائتي ألف؟ قلت: نعم، ونصف الدنيا. قال: فسكت عنّي ثم قال: يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع (٣٠)؟ قلت: نعم. فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت، فركبت الحمار فقال: يا سدير، أترى، انزل بنا نصلّي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء، ونظر إلى غلام يرعى جداء (٣١) .

فقال والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود. ونزلنا وصلّينا فلمّا فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء، فعددتها فاذا هي سبعة عشر!) (٣٢) .

فالإمام (ع) إزاء هذا الواقع المملوء بالفساد والضياع قد وجد أنّ الأمر أحوج ما يكون إلى إيجاد تيّار إسلامي أصيل يحمل قيم الرسالة التي جاء بها الرسول (ص)، ولابدّ أيضاً أن يتم عزل الأمة عن الحكومات الظالمة لئلاّ تكون مرتعاً لمظالمها ، فعن طريق غرس القيم الإسلامية وإيجاد تيّار فاعل يساهم في اجتثاث المظالم أو تقليلها يمكن التحرّك لإصلاح الواقع الفاسد حيث إنّه قد يرغم الولاة على العدل استجابة لإرادة قطّاع كبير من الأمة حينما يرفض هذا القطاع الكبير الاستبداد ويدعو إلى العدل بوعي إسلامي عميق لقد تخلّى

الإمام الصادق (ع) عن ممارسة العمل المسلح ضد الحكّام المنحرفين بشكل مباشر، وكان موقفه هذا تعبيراً واقعياً عن اختلاف صيغ العمل السياسي التي تحدّدها الظروف الموضوعية وإدراكاً عميقاً لطبيعة العمل التغييري

فالإمام (ع) حاول أن ينشر قيمه ومفاهيمه الدعوية بعيداً عن التصريحات السياسية الثورية، واتّجه نحو بناء تيّار شعبي عامّ في الأمة كما ركّز على بناء الجماعة الصالحة الممثّلة لخط أهل البيت (ع) والإشراف عليها وتنظيم أساليب عملها في مواجهة الانحراف المستشري بحيث يجعلها كتلة مترابطة في العمل والتغيير وإعداد أرضية صالحة تؤدّي إلى قلب الواقع الفاسد على المدى القريب أو البعيد.

وقد استهدف الإمام (ع) في نشاطه الرسالي لونين من الانحراف :

اللون الأول: الانحراف السياسي المتمثّل في زعامة الدولة، واللون الثاني: الانحراف العقائدي والفكري والأخلاقي، ثم الانحراف السياسي عند الأمة.

كما اتّجه الإمام (ع) في حركته التغييرية الشاملة إلى حقلين مهمّين :

أحدهما: الانفتاح العام والشامل على طوائف الأمة واتجاهاتها السياسية والفكرية .

ثانيهما: مواصلة بناء جامعة أهل ألبيت (ع) العلمية .

وكلا الحقلين يعتبران من حقول النشاط العام ، وسوف نبحثه في هذا

اولا: المحور العقائدي السياسي:

وفي هذا المحور ركّز الإمام على عدّة نشاطات:

النشاط الأوّل: التثقيف على عدم شرعيّة الحكومات الجائرة ورتّب على ذلك تحريم الرجوع إليها لحل النزاع والخصومات كما ورد عنه: (إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه) (٣٣) .

وقال أيضاً: (أيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم) (٣٤) .

وعن أبي بصير عنه (ع) قال: (أيّما رجل كان بينه وبين أخ له ممارات في حق فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلاّ أن يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الذين قال الله عزّ وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) (٣٥) .

وعن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاء أيحل ذلك؟ فقال: مَن تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنّما تحاكم إلى طاغوت وما يحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً؛ لأنّه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) (٣٦) .

وفي توجيه آخر حرّم أيضاً التعاون مع الأنظمة الجائرة فمن توصياته بهذا الخصوص، قوله (ع): (إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد) (٣٧) .

النشاط الثاني: مارس فيه التثقيف على الصيغة السياسية السليمة من خلال تبيان موقع الولاية المغصوب واستخدم الخطاب القرآني في هذا المجال الذي حاولت فيه المدارس الفكرية الأخرى تجميد النص بحدود الظاهر. فقد علّق (ع) على قوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (٣٨) .

إنّ الله عزّ وجلّ اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبيّاً، وأنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً وان الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وأنّ الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: (إنّي جاعلك للناس إماماً) .

قال (ع): (فَمن عِظَمِها . أي الإمامة . في عين إبراهيم (ع) قال: ومن ذرّيتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين، قال: لا يكون السفيه إمام التقي).

كما فسّر (ع) قوله تعالى: (صبغة الله ومَن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) (٣٩) بأنّ الصبغة هي الإسلام وفي قول آخر عنه (ع) بأنّ الصبغة هي صبغ المؤمنين بالولاية، يعني الولاية لإمام الحق أمير المؤمنين (ع) في الميثاق.

كما نجده (ع) يتحدث عن الإمام أمير المؤمنين ويذكّر الناس بحديث الغدير، ذلك الحدث السياسي الخطير في حياه الأمة، ويذكّرهم به لئلاّ يتعرّض هذا الحدث للنسيان والإلغاء. قال في حق علي (ع) (المدعو له بالولاية المثبت له الإمامة يوم غدير خم، بقول الرسول (ص): ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى قال: فمَن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأعن مَن أعانه)

وعندما التقى وفد من المعتزلة في مستوى رفيع ضمّ أعلامهم ورؤوسهم فكان من بينهم : عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم، وذلك بعد قتل الوليد واختلاف أهل الشام ، وقد أجمع رأي المعتزلة على محمد بن الحسن للخلافة الإسلامية ، وبعد أن اسندوا أمرهم في الرأي إلى زعيمهم الروحي عمرو بن عبيد ودار حوار طويل بينه وبين الإمام خاطبه الإمام قائلاً : يا عمرو لو أنّ الأمة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ، ولا مؤنة فقيل لك : ولّها مَن شئت ، مَن كنت تولّي؟ وبادر عمرو فقال: أجعلها شورى بين المسلمين.

قال: بين كلّهم؟ قال: نعم . قال: بين فقهائهم وخيارهم؟. قال: نعم. قال: قريش وغيرهم؟ قال: قال له: العرب والعجم ؟ قال (ع): أخبرني يا عمرو أتتولّى أبا بكر وعمر أو تتبرّأ منهما؟. قال: أتولاّهما.

فقال له الإمام (ع): يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرّأ منهما فإنّه يجوز لك الخلاف عليهما، وأنت كنت تتولاّهما فقد خالفتهما. فقد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه، ولم يشاور أحداً، ثم ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور أحداً،

ثم جعلها عمر شورى بين ستة، فأخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم . أي في الستة الذين انتخبهم . بشيء ما أراك ترضى أنت ولا أصحابك به .

وسأل عمرو الإمام (ع) عما صنع عمر قائلاً: ما صنع؟ قال الإمام (ع): أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام، وأن يتشاور أولئك الستّة ليس فيهم أحد سواهم إلاّ ابن عمر، ويشاورونه، وليس له من الأمر شيء، وأوصى مَن كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيّام ولم يفرغوا ويبايعوا، أن تُضرب أعناق الستة جميعاً وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيّام وخالف اثنان أن يضرب أعناق الاثنين ... أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورى بين المسلمين؟ (٤٠) .

ثانيا : التربية الحوارية عند الامام (ع) :

أ . مواجهة التيّارات الإلحادية :

ومن الخطوات التي خطاها الإمام (ع) هي مواجهة الأفكار الإلحادية . سابقة الذكر . حيث ناقشها بعدّة أساليب حتى استفرغ محتواها ووقف أمام تحقيقها لأهدافها

نختار نماذج من تحرّك الإمام ونشاطه في هذا المجال .

١ . جرت بين الإمام وأحد أقطاب حركة الكفر والإلحاد (أبو شاكر الديصاني) عدّة مناظرات أفحمه الإمام فيها، وأبطل مزاعمه الواهية، وكان من بينها المناظرة التي وجّه فيها أبو شاكر السؤال التالي للإمام (ع): قائلاً: ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟ فأجابه الإمام (ع): (وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إمّا أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري. فإن كنت صنعتها فلا أخلو من أحد معنيين: إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث: أنّ لي صانعاً وهو ربّ العالمين) (٤١) .

٢ . دخل الديصاني على الإمام الصادق (ع) فقال له: يا جعفر بن محمد دُلّني على معبودي . . . وكان إلى جانب الإمام غلام بيده بيضة فأخذها منه، وقال له: (يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ

وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرى للذكر خُلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً ؟) .

وأطرق الديصاني مليّاً إلى الأرض، وأعلن التوبة والبراءة ممّا قاله (٤٢) .

٣ . ووفد زنديق آخر على الإمام (ع) وهو من الزنادقة البارزين في عصر الإمام الصادق (ع) وقد قدّم للإمام عدّة مسائل حسّاسة فأجاب عنها الإمام (ع) نذكر بعضاً منها :

١ . سأله: كيف يعبد اللهَ الخلقُ ولم يروه؟ فأجابه (ع): (رأته القلوب بنور الإيمان، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها، واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته) (٤٣) .

ويتضمّن جواب الإمام (ع) بعض الأدلة الوجدانية على وجود الخالق من خلقه للمجرّات في الفضاء والتي لا تعتمد على شيء سوى قدرة الله تعالى .

ثم إنّ العقول الواعية والقلوب المطمئنّة بالإيمان هي التي ترى الله بما تبصره من بدائع مخلوقاته؛ إذ الأثر يدلّ على المؤثّر والمعلول يدلّ على علّته .

٢ . وسأله : من أين أثبت أنبياءَ ورسلاً ؟

فأجاب (ع): (إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً، صانعاً، متعالياً عنّا، وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا أن يلامسوه ولا أن يباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، وعباد يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم. فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنّ له معبّرين هم أنبياء الله وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين عنه، مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيّدين من

عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو الأرض من حجّة يكون معه علمٌ يدلّ على صدق مقال الرسول ووجود عدالته.

وأضاف الإمام الصادق (ع) قائلا: (نحن نزعم أنّ الأرض لا تخلو من حجّة ولا تكون الحجة إلاّ من عقب الأنبياء وما بعث الله نبياً قطّ من غير نسل الأنبياء؛ وذلك أن الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً، وأخرج من آدم نسلاً طاهراً طيّباً، أخرج منه الأنبياء والرسل، هم صفوة الله وخلص الجوهر، طهروا في الأصلاب ، وحفظوا في الأرحام، لم يصبهم سفاح الجاهلية ولا شاب أنسابهم؛ لأنّ الله عزّ وجلّ جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه، فمَن كان خازن علم الله، وأمين غيبه، ومستودع سرّه، وحجّته على خلقه ، وترجمانه ولسانه لا يكون إلاّ بهذه الصفة ، فالحجّة لا تكون إلاّ من نسلهم، يقوم مقام النبي (ص) في الخلق بالعلم الذي عنده وورثه عن الرسول، إن جحده الناس سكت، وكان بقاء ما عليه الناس قليلاً ممّا في أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس، وإنّهم إن أقرّوا به وأطاعوه وأخذوا عنه ظهر العدل، وذهب الاختلاف والتشاجر، واستوى الأمر، وأبان الدين ، وغلب على الشك اليقين ، ولا يكاد أن يقرّ الناس به، ولا يطيعوا له، أو يحفظوا له بعد فقد الرسول ، وما مضى رسول ولا نبيّ قط لم تختلف أُمّته من بعده) .

وبهذا المستوى من الحوار وعمقه يستمرّ الإمام (ع) في أجوبته العملاقة حتى تصل الأسئلة والأجوبة إلى خمسة وتسعين (٤٤)، ونظراً لسعتها اقتصرنا على الثلاث الأول منها .

ب: طرح المنهج الصحيح لفهم الشريعة :

إنّ الإمام الصادق (ع) في الوقت الذي كان يواجه هذه التيارات الإلحادية الخطيرة على الأمة كان مشغولاً أيضاً بمواجهة التيّارات التي تتبنّى المناهج الفقهية التي تتنافى مع روح التشريع الإسلامي، والتي تكمن خطورتها في كونها تعرّض الدين إلى المحق الداخلي والتغيير في محتواه، من هنا كان الإمام (ع) ينهى أصحابه عن العمل بها حتّى قال لأبان: (يا أبان! إنّ السُنة إذا قيست محق الدين) (٥٠) .

وكان للإمام نشاط واسع لإثبات بطلان هذه المناهج وبيان عدم شرعيّتها .

لقد كان أبو حنيفة يتبنّى مذهب القياس ويعمل به كمصدر من مصادر التشريع في استنباط الأحكام ، لكنّ الإمام (ع) كان ينكر عليه ذلك ويبيّن له بطلان مذهبه .

وإليك بعض المحاورات التي جرت بينه وبين الإمام (ع):

ذكروا أنّه وفد ابن شبرمة مع أبي حنيفة على الإمام الصادق (ع) فقال لابن شبرمة : (مَن هذا الذي معك ؟) فأجابه قائلاً : رجل له بصر ، ونفاذ في أمر الدين .

فقال له (ع): (لعله الذي يقيس أمر الدين برأيه ؟) فأجابه : نعم .

والتفت الإمام (ع) إلى أبي حنيفة قائلاً له : (ما اسمك ؟) فقال : النعمان .

فسأله (ع): (يا نعمان! هل قست رأسك؟)

فأجابه: كيف أقيس رأسي ؟ .

فقال له (ع): ما أراك تحسن شيئاً . هل علمت ما الملوحة في العينين؟ والمرارة في الأذنين، والبرودة في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟

فبهر أبو حنيفة وأنكر معرفة ذلك ووجّه الإمام إليه السؤال التالي: (هل علمت كلمة أوّلها كفر، وآخرها إيمان؟) فقال : لا .

والتمس أبو حنيفة من الإمام أن يوضّح له هذه الأمور فقال له (ع): (أخبرني أبي عن جدّي رسول الله (ص) أنّه قال: إنّ الله تعالى بفضله ومنّه جعل لابن آدم الملوحة في العينين ليلتقطا ما يقع فيهما من القذى، وجعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدوابّ فإذا دخلت الرأس دابّ، والتمست إلى الدماغ ، فإن ذاقت المرارة التمست الخروج، وجعل الله البرودة في المنخرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ ، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد لذة استطعام كل شيء) .

والتفت أبو حنيفة إلى الإمام (ع) قائلاً: أخبرني عن الكلمة التي أوّلها كفر وآخرها إيمان؟

فقال له (ع): (إنّ العبد إذا قال: لا إله فقد كفر فإذا قال إلاّ الله فهو الإيمان) .

وأقبل الإمام على أبي حنيفة ينهاه عن العمل بالقياس حيث قال له: (يا نعمان حدثني أبي عن جدّي رسول الله (ص) أنّه قال: أوّل مَن قاس أمر الدين برأيه إبليس ، قال له الله تعالى: اسجد لآدم فقال: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (٥١) .

والتقى أبو حنيفة مرّة أخرى بالإمام الصادق (ع) فقال له الإمام: (ما تقول في محرم كسر رباعيّة ظبي؟).

فأجابه أبو حنيفة : يا بن رسول الله ما أعلم ما فيه .

فقال له (ع): (ألا تعلم أنّ الظبي لا تكون له رباعيّة ، وهو ثني أبداً ؟!)

ثم التقى أبو حنيفة مرّة ثالثة بالإمام الصادق، وسأله الإمام (ع) عن بعض المسائل، فلم يجبه عنها

وكان من بين ما سأله الإمام هو : (أيّهما أعظم عند الله القتل أو الزنا ؟) فأجاب : بل القتل .

فقال (ع): (كيف رضي في القتل بشاهدين ، ولم يرضَ في الزنا إلاّ بأربعة؟)

وهنا لم يمتلك أبو حنيفة جواباً حيث ردّ الإمام قياسه بشكل واضح .

ثم وجّه الإمام (ع) إلى أبي حنيفة السؤال التالي: (الصلاة أفضل أم الصيام؟) فقال: بل الصلاة أفضل.

فقال الإمام (ع): (فيجب . على قياس قولك . على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله تعالى قضاء الصوم دون الصلاة؟!) .

د: مواجهة التحريف والاستغلال السياسي للقرآن ومفاهيمه:

قام الإمام الصادق (ع) بحماية القرآن وصيانته من عملية التوظيف السياسي، التي تجعل النص القرآني خادماً لأغراض سياسيّة مشبوهة ، تحاول إسباغ طابع شرعي على الحكم الظالم وشلّ روح الثورة وإطفاء روح المقاومة في نفوس الأمة وبالتالي إسقاط شرعيّة القوى الرافضة لهذهِ النظم الظالمة ؛ حتى قيل في تفسير قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (٥٢) .

(أنّها قد نزلت في علي بن أبي طالب) (ع) (٥٣) .

كما زيّف الإمام (ع) النظرة الجامدة للنصّ القرآني والتي تحاول تعطيله عن المواكبة للواقع المتغيّر والمتطوّر وحبسه في حدود الظاهر، ولم يسمح بالتأويل الباطني الفاسد. كما قاوم بعنف التفسير الذي يعتمد الرأي بعيداً عن الأحاديث الصحيحة الواردة عن الرسول (ص) وأهل بيته المعصومين (ع) قال (ع) : (مَن فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه) .

قال (ع): (الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمّة من بعده) (٥٤)، وقال أيضاً: (نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله). وجاء عن زيد بن معاوية، عن الإمام الصادق (ع) في تفسير قول الله عزّ وجلّ : (وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم) (٥٥) ، (فرسول الله (ص) أفضل الراسخين في العلم قد علّمه الله عزّ وجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه) (٥٦) .

وجاء عنه (ع) في تفسير قوله تعالى: (بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم) أنّهم هم الأئمّة .

ودخل عليه الحسن بن صالح بن حي فقال له: يا بن رسول الله! ما تقول في قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء:٥٩؟ مَن أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ قال: (العلماء).

فلمّا خرجوا قال الحسن: ما صنعنا! ألا سألناه مَن هؤلاء العلماء؟!

فرجعوا إليه، فسألوه فقال: (الأئمة منّا أهل البيت) .

ثالثا : المحور الروحي والأخلاقي:

لاحظ الإمام الصادق (ع) تأثير موجات الانحراف الفكري والسياسي على الأمة ومدى إفسادها لعقول الناس، وما لعبته سياسة الأمويين من خلق أجواء ملائمة لطغيان النزعات الإلحادية والقبلية حتى عمّ الانفلات الأخلاقي، كما كثر في زمانه (ع) رفع شعار الورع والتقوى. كل ذلك أفقد الأمة قيمها وأبعدها عن الأخلاق التي أمر بها الرسول (ص) وأرادها لأُمّته .

من هنا كان دور الإمام (ع) وتوجّهه الروحي والأخلاقي مع الأمة في عدّة أبعاد :

البعد الأوّل: كونه (ع) القدوة الصالحة والمثال الواقعي الذي تتجسّد في شخصه أخلاق الرسالة ؛ ممّا يكون موقعاً لإشعاع الفضيلة ونموّها، ويكشف من جانب آخر زيف الأنانيّة ونزعات الذات .

البعد الثاني: تقديم مجموعة من الوصايا والرسائل والتوجيهات التربويّة والأخلاقية التي عالج من خلالها الخواء الروحي والانحراف الأخلاقي الذي نما في سنوات الانحراف .

أمّا في البعد الأول فنجد الإمام (ع) كان يدعو الناس إلى الفضيلة برفق ولين ويجادلهم بالتي هي أحسن، وكان يسمح للسائلين بطرح أسئلتهم مهما كانت وكان يوضّح لهم ما كان غامضاً عليهم.

كما كان لا يقبل من مقرّبيه أن يتشدّدوا بدعوتهم حيث كان يقول لهم: (لأحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم ، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ، وما يدخل به الأذى علينا، أن تأتوه فتؤنّبوه وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً) فقال له بعض أصحابه إذاً لا يقبلون منّا ، قال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم.

فالإمام هنا يوصي العالم من أصحابه أن لا يتخلّى عن رسالته في إرشاد الإنسان الجاهل المنتمي إلى مدرسة أهل البيت (ع) بحجّة تماديه وجرأته بارتكاب المخالفات ممّا يعكس الوجه السلبي لاتّباع الإمام فيؤذي دعاة الإصلاح .

ففي نظر الإمام (ع) لا يجوز تركه وإهماله إلاّ بعد اليأس من إصلاحه وإزالة الشك من ذهنه (٥٧).

البعد الثالث: وكان يحرص على شدّ أواصر المجتمع الإسلامي وإشاعة الفضيلة بين الناس ليقضي على العداوة والبغضاء، فكان (ع) يدفع إلى بعض أصحابه من ماله ليصلح بين المتخاصمين على شيء من حطام الدنيا من أجل القضاء على المقاطعة والهجران؛ لئلاّ يدفعهم التخاصم إلى الترافع لحكّام الجور والذي كان قد نهى (ع) عنه .

٣. دور الإمام الصادق (ع) في بناء الجماعة الصالحة:

لقد تحدّثنا عن طبيعة الظروف السياسية وتناقضاتها والمظاهر الحياتية المضطربة، والدور التخريبي الذي لعبته التيارات الفكرية والسياسية المنحرفة في ضمير الأمة وفكرها وثقافتها. وعلى رأس هذا المدّ المنحرف كانت سياسة الأمويين الظالمة التي استمرّت لزمن طويل نسبياً .

كما تحدّثنا عن خطّ الإمام (ع) ومنهجه الإصلاحي العام مع الأمة، حيث كانت الجامعة العلمية إحدى حلقات منهجه الإصلاحي الشامل .

ولم يقتصر نشاط الإمام (ع) على بناء الجامعة العلمية وغيرها من الأنشطة العامة؛ لأنّه كان يدرك جيداً أنّ هدفه الكبير هو الحفاظ على الإسلام الذي سوف يتعرّض للتعطيل إذا اقتصر على ذلك ولم يستهدف المحتوى الداخلي للأفراد، ولم يسع لبناء الشخصيّات الصالحة التي تمدّ الساحة الإسلامية العامّة بعوامل القوّة والبقاء والحفاظ على الأمة والدفاع عن مقدّساتها.

اولا: الهدف من إيجاد الجماعة الصالحة:

من هنا كان تحرّك الإمام نحو بناء الجماعة الصالحة بهدف تغيير المجتمع الإسلامي وفق أطروحة أهل البيت (ع)؛ لأنّ وجود مثل هذا التيّار المتماسك يوفّر جملة من المكاسب والمنافع والأهداف التي كان يسعى الإمام (ع) لتحقيقها في حركته الرساليّة.

إنّ الجماعة الصالحة تحقّق ديمومة خط أهل البيت (ع) حيث يشكّل وجودها خطوة عملية باتّجاه مشروعهم الكبير .

ونلخّص فيما يلي بعض النقاط التي يُحققها وجود هذه الجماعة الصالحة.

١ . المحافظة على المجتمع الإسلامي:

إنّ وجود هذا الخط في وسط الأمة سوف يوسّع من دائرة الأفراد الصالحين والواعين وكلّما اتّسعت هذه الدائرة كان الإمام (ع) أكثر اقتداراً على التغيير وإدارة العمل السياسي الذي يخوضه مع الحكّام .

ويمثّل هذا الخط القوّة التي تقف بوجه التحدّي الفكري والأخلاقي الذي واجهه العالم الإسلامي حينذاك، وقد كان من المشهود تأريخيّاً ما لهذه الجماعة الصالحة من دور فعّال ومتميّز في تزييف البنى الفكريّة والسياسية التي تعتمدها الفرق الضالّة من خلال مطارحاتهم ومناقشاتهم مع أقطاب تلك الفرق كالزنادقة والمجبّرة والمرجئة وغيرها (٥٨) .

وامتاز أصحاب الإمام الصادق (ع) عن غيرهم بالمواقف الشجاعة والتمسّك بالمثل والقيم العليا وعدم المداهنة وعدم الركون لإغراءات السلاطين، وتحمّلوا . جرّاء التزامهم بالقيم المُثلى . شتّى ألوان القمع والاضطهاد، وكان لمواقفهم الشجاعة الأثر الكبير في ثبات ومقاومة المجتمع الإسلامي أمام موجات الانحراف.

٢ . الحفاظ على الشريعة الإسلامية:

وقف الإمام الصادق (ع) ضدّ حملات التشويه التي أرادت أن تعصف بالشريعة الإسلامية وتعرّضها للانحراف الذي أصاب الشرايع الأخرى من خلال دخول أفكار غريبة عن الشريعة بين أتباعها، واستخدام أدوات جديدة لفهم الشريعة كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة .

ونتيجة للمستوى العلمي الرفيع الذي كان يتمتّع به أصحاب الإمام وشيعته لم تصبح مسألة الإفتاء والاستنباط خاضعة لمصلحة السلاطين وأهوائهم أو منسجمة مع متبنّياتهم الفكرية، بل بقي الفهم الصحيح للكتاب والسُنّة مستقلاً عن تلك المؤثّرات وبعيداً عن استخدام تلك الأدوات الدخيلة على التشريع . وعندما استخدمت الجماعات الأخرى تلك الأدوات الاجتهادية أدّت هذه الجرأة إلى آثار سلبيَّة ممّا اضطرّها إلى أن تلجأ إلى غلق باب الاجتهاد، وكان هذا القرار قد ترك هو الآخر آثاراً سلبية في المجتمع الإسلامي؛ لعدم قدرتها على معالجة التطوّرات الجديدة التي كانت تواجهها البلاد الإسلامية فيما بعد .

لقد أكّد الإمام الصادق (ع) قضية مهمّة واعتبرها رصيداً مهمّاً لفهم النصوص وتبيينها والاستنباط منها وتلك هي ملكة التقوى والعدالة التي لابدّ للفقيه أن يتمتّع بها ليكون حارساً أميناً للشريعة، والأمة التي تريد تطبيقها في الحياة.

والعدالة عند الإمام (ع) شرط في كثير من الممارسات الحياتية فهي شرط في إمام الجماعة وفي شهود الطلاق وفي القاضي والحاكم والوالي .

وهذه المزيّة لها دور كبير في حفظ الشريعة وحفظ النصوص الإسلامية بحيث تميز هذه المدرسة عن غيرها كما أنّ أصحاب الإمام (ع) لم يتعاملوا مع النصوص الواردة عن الرسول (ص) والأئمة (ع) كما تعاملوا مع النص القرآني القطعي الصدور، بل تناولوها بالدراسة والنقد والتحليل؛ لأنّ الراوي قد لا يكون معصوماً عندهم بالرغم من إيمانهم بعصمة الإمام المروي عنه.

٣ . المطالبة بالحكم الإسلامي:

إنّ القيادة السياسية حق مشروع للأئمة المعصومين من أهل البيت (ع) وفق النصوص الإسلامية الثابتة عن الرسول (ص) والتي تواترت عند مدرسة أهل البيت (ع).

ومن هنا كانت القيادة السياسية التي تولّت الحكم بعد الرسول (ص) مباشرة لا تحمل الصفة الشرعيّة بالرغم من نزول المسلمين عند إرادتها وعدم مواجهتها بالعنف، فضلاً عن الحكّام الأمويين والعباسيين الذين عاصرهم الإمام الصادق (ع) حيث مارسوا شتّى الطرق لإبعاد الإمام (ع) وآبائه الكرام عن هذا الموقع الريادي(٥٩).

والإمام (ع) كان يرى ضرورة العمل من أجل إيجاد الكيان الإسلامي الصحيح والمطلوب وذلك من خلال وجود المجتمع الإسلامي الصالح الذي يؤمن بالقيادة الشرعية الحقيقية المتمثّلة في الأئمة من أهل البيت (ع).

وهكذا كان الإمام (ع) يلفت النظر إلى ضرورة وجود هذه القاعدة الصالحة حين كان يجيب على التساؤلات التي كانت تدور في نفوس أصحابه كجوابه لسدير الصيرفي حيث جاء فيه بأنّ المطالبة بالحكم وإعلان الثورة المسلحة يعتمد الجماعة الصالحة التي تطيع وتضحّي وتتحمّل مسؤولية التغيير وتكون لها القدرة على التصدّي لكل عوامل الانحراف .

وهكذا تبدو أهمية السعي لتكوين وترشيد حركة الجماعة الصالحة في هذه المرحلة من حياة الإمام (ع) وتوسيع رقعتها في أرجاء العالم الإسلامي .

ومن هنا كان ترسيخ مبادئ وأهداف ومعالم وحيويّة الثورة الحسينية في نفوس الجماعة الصالحة من خطوات الإمام الكبيرة في هذا الصدد .

البناء الروحي والإيماني:

لقد تعرّض الواقع الإيماني والروحي في زمن الإمام الصادق (ع) إلى الخواء والذبول وبروز الأنانية وفصل الإيمان عن الأنشطة الحياتية الأخرى وإعطائه صورة مشوّهة، وقد جاء ذلك بسبب عبث التيارات الفكرية التي استندت إلى دعم السلاطين والتي كانت تؤمن هي الأخرى أيضاً بلزوم طاعة الحاكم الأموي والعباسي؛ تبريراً لدعمها للخط الحاكم .

من هنا بذل الإمام نشاطاً واسعاً لاستعادة الإيمان وبناء الذات وسموّها وفق الخط القرآني وترشيح قواعد إيمانية رصينة، والانطلاق بالإيمان إلى آفاق أرحب وأوسع بدل التقوقع والنظرة الأحادية المجزّئة للدّين ؛ لأنّ الإيمان بهذا المعنى يمنح المؤمن القوّة في اقتحام الميادين الصعبة وتحمّل المسؤوليات ويمدّه بالنشاط والحيوية في مواصلة العمل والجهاد .

كما بيّن الإمام (ع) أنّ القلب الخالي من مخافة الله . التي هي معيار الكمال والقوّة لقلب المؤمن . ليس بشيء، فالقلب المملوء خوفاً من الله الكبير المتعال تتصاغر عنده سائر القوى مثل قوّة السلطان وقوّة المال وكل قوّة بشرية، والقلب الذي لا يستشعر الرقابة الإلهية ويتغافل عن هيمنتها يكون ضعيفاً وساقطاً مهما بدا

قوياً وعظيماً. عن الهيثم بن واقد قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (مَن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومَن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء) (٦١) .

ومن الوسائل التي استخدمها الإمام (ع) في منهجه التغييري وبنائه للمجتمع الفاضل هو اهتمامه وتركيزه على النموذج الشيعي الذي يشكّل القدوة الحسنة في سلوكه ليكون عنصراً مؤثراً ومحفّزاً للخير ومشجّعاً لنمو الفضيلة في داخل المجتمع. وقد بذل الإمام (ع) جهداً منقطع النظير في تربيته وإعداده للنموذج القدوة وقد سلّحه بمختلف العلوم وأحاطه بجملة من الوصايا والتوجيهات العلمية والأخلاقية.

واستطاع الإمام بطاقاته الإلهية أن يصنع عدداً كبيراً من هؤلاء الذين أصبحوا فيما بعد قادةً ومناراً تهوي إليهم القلوب لتنهل من علومهم، وبقي اسمهم مخلّداً في التأريخ يتناقل المسلمون مآثرهم جيلاً بعد جيل.

البناء الاجتماعي:

رسم الإمام الصادق (ع) الخط العام للعلاقات الاجتماعية للجماعة الصالحة، وبيّن نظامها ووضع الأسس والقواعد المبدئية لهذا النظام ورسّخها في نفوسهم؛ ليتمكّن الفرد الصالح من العيش في المجتمع وفي الظروف الصعبة، ويمتلك القدرة في مواجهة المخططات التي تسعى لتفتيت مثل البناء الذي يهدف له الإمام وهو النظام الاجتماعي الذي خطط له الإمام، وأمدّه بعناصر البقاء والاستمرار ليمتدّ بجذوره في أوساط الأمة.

المبحث الثاني: مؤثرات المنهج التربوي في زمن الامام الصادق (ع):

١. المؤثرات التربوية في نهاية الحكم الاموي:

أدرك الامام الصادق (ع) طرفا كبيرا من العصر الأموي، وعاصر كثيرا من ملوكهم، وشاهد من حكمهم أعنف أشكاله، وقضى سنوات عمره الأولى حتى الحادية عشرة من عمره مع جده زين العابدين، وحتى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر ونشأ في ظلهما يتغذى من تعاليمهما وتنمو مواهبه وتربى تربيته الدينية، وتخرج من تلك المدرسة الجامعة فاختص بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ١١٤هـ، واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الأقطار الإسلامية.

وقد اتسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام بظهور الحركات الفكرية، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامي ، وأهمها عنده هي حركة الغلاة الهدامة ، الذين تطلعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بث روح التفرقة بين المسلمين، وترعرت بنات أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التي قضى عليها الإسلام ، فقد اغتنموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الإسلامي ، فكانوا يبثون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد ، ليغروا بها العامة ، فكان المغيرة بن سعيد يدعي الاتصال بأبي جعفر الباقر ويروي عنه الأحاديث المكذوبة ، فأعلن الإمام الصادق (ع) كذبه والبراءة منه، وأعطي لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تروي عنه ، فقال: "لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة، ثم إن الإمام قام بهداية الأمة إلى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الأمويين ومعارضيهم من العباسيين ، ففي تلك الظروف الصعبة والقاسية استغل الإمام الفرصة فنشر من أحاديث جده ، وعلوم آبائه ما سارت به الركبان ، وتربى على يديه آلاف من المحدثين والفقهاء . ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات – على اختلاف آرائهم ومقالاتهم– فكانوا أربعة آلاف رجل وهذه سمة امتاز بها الإمام الصادق عن غيره من الأئمة – (ع). إن الإمام (ع) شرع بالرواية عن جده وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبي (ص) بعد الغفلة التي استمرت إلى عام ١٤٣ هـ حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسربت إلى السنة ، العديد من الروايات الإسرائيلية والموضوعة من قبل أعداء الإسلام من الصليبيين والمجوس، بالإضافة إلى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرتزقة البلاط الأموي.

ومن هنا فقد وجد الإمام (ع) أن أمر السنة النبوية قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد (ع) للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة ، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسلام والتي تسرب الكثير منها نتيجة

الاحتكاك الفكري والعقائدي بين المسلمين وغيرهم إن تلك الفترة كونت تحديا خطيرا لوجود السنة النبوية، وخلطا فاضحا في كثير من المعتقدات ، لذا فإن الإمام (ع) كان بحق سفينة النجاة من هذا المعترك العسر. إن علوم أهل البيت (ع) متوارثة عن جدهم المصطفى محمد (ص)، الذي أخذها عن الله تعالى بواسطة الأمين جبرئيل (ع) ، فلا غرو أن تجد الأمة ضالتها فيهم (ع)، وتجد مرفأ الأمان في هذه اللجج العظيمة ، ففي ذلك الوقت حيث أخذ كل يحدث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضعيفة ومطعونة، أو أسانيد مشوشة ، تجد أن الإمام الصادق (ع) يقول: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله (ص)، وحديث رسول الله قول الله عز وجل، إن للإمام الصادق وراء ما نشر عنه من الأحاديث في الأحكام التي تتجاوز عشرات الآلاف، مناظرات مع الزنادقة والملحدين في عصره، والمتقشفين من الصوفية ، ضبط المحققون كثيرا منها، وهي في حد ذاتها ثروة علمية تركها الإمام (ع)، وأما الرواية عنه في الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ثلاثين ألف حديث حتى أن الحسن بن علي الوشاء قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد وأما ما أثر عنه من المعارف والعقائد فحدث عنها ولا حرج ، ولا يسعنا نقل حتى القليل منها، ومن أراد فليرجع إلى مظانها يقول "سيد أمير علي "بعد النقاش حول الفرق المذهبية والفلسفية في عصر الإمام: "ولم تتخذ الآراء الدينية اتجاها فلسفيا إلا عند الفاطميين، ذلك أن انتشار العلم في ذلك الحين أطلق روح البحث والاستقصاء، وأصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر أن زعامة تلك الحركة الفكرية إنما وجدت في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة، والتي أسسها حفيد علي بن أبي طالب المسمى بالإمام جعفر والملقب بالصادق، وكان رجلا بحاثة ومفكرا كبيرا جيد الإلمام بعلوم ذلك العصر، ويعتبر أول من أسس المدارس الفلسفية الرئيسية في الإسلام ولم يكن يحضر محاضراته أولئك الذين أسسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضرها الفلاسفة وطلاب الفلسفة من الأنحاء القصية ، وكان الإمام " الحسن البصري " مؤسس المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة ، وواصل

بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه ، الذين نهلوا من معين علمه الفياض وقد عرف واصل والإمام العلوي بدعوتهما إلى حرية إرادة الإنسان . . . (٧١) .

اولا :المستجدّات السياسية:

لقد تداعا النظام الأموي في هذه المرحلة التاريخية من حياته بعد أن فقد في نظر الأمة كلّ مبرّراته الحضارية ، عقائدية كانت أو سياسية ، ولم يبقَ في قبضته سوى منطق السيف الذي هو آخر مواطن القوّة التي كان يدير بها شؤون البلاد .

وحتى هذا المنطق لم يدم طويلاً أمام إرادة الأمة رغم صرامة آخر ملوك الأمويين (مروان) المعروف في حسمه .

لقد استحكمت قناعة الأمة وآمنت بضرورة التخلّص من الطغيان الأموي ، ولم يبق بعد شيءٌ بيد وعّاظ السلاطين ليرتشوا به ويدافعوا عن وجه الاستبداد الأموي الكالح فيوظّفوا القرآن والحديث لصالح مملكته ولزوم طاعة الأمة لحكّامها ؛ حيث تراكمت في ذهن الأمة وضميرها تلك المظالم التي ارتُكبت بحق ذريّة رسول الله (ص) بدءاً بسمّ معاوية للإمام الحسن (ع) وسبّه الإمام علي أخي رسول الله (ص) وابن عمّه وزوج ابنته وجعل السبّ سُنّةً، ثم قتل الحسين بن علي ريحانة الرسول (ص) وأهل بيته وخيرة أصحابه بأمر يزيد وعمّاله، وأخذه البيعة من أهل المدينة في واقعة الحَرّة الأليمة على أنّهم عبيد له بعد أن أباحها لجيشه ثلاثة أيام .

وقول عبد الملك بن مروان : (مَن أوصاني بتقوى الله ضُربت عنقه) (٧٢) . وقتل الطاغية هشام لزيد بن علي (ع) وصلبه وحرق جثمانه الشريف .

وفساد الولاة الأمويين بالإضافة إلى جبايتهم الضرائب الظالمة، وشقّ صف وحدة الأمة الإسلامية وتمزيقها إلى طوائف بإشاعتهم للروح القبلية حيث فرّقوا بالعطاء واستعبدوا الشعوب غير العربية .

وهكذا ظهرت إلى سطح الساحة الفكرية والفقهية آراء لا ترى أية شرعية للنظام الأموي وعبّرت عن ذلك في وسط الأمة وأصبح مدح العلويين أمراً تتناقله الناس رغم سلبية موقف السلطة منهم، بعد أن كان الخوف يمنعهم من التعبير عن رأيهم

وهكذا استعدت الأمة بفعل تراكم الظلم الأموي؛ لأنّ تتقبّل أي بديل من شأنه أن ينقذها من الكابوس الأموي، لعلّها تنعم بشيء من العدل والمساواة .

وهذا الجو قد شجّع على ظهور اتجاهات وادّعاءات سياسية تحرض الأمة وتدعوها إلى الانضمام تحت رايتها تحقيقاً لأطماعها في الخلافة، كما تطلّعت الأمة للمنقذ باحثة عن أخباره بشغف وأخذت فكرة المهدي المنتظر تشقّ طريقها في أوساط الأمة المظلومة.

ومن جانب آخر اتّسع خط الإمام (ع) وامتدّ وكثرت أنصاره واستلهمت الأمة ثقافته حيث إنّه قد أثّر في عقلها وقراراتها، ليس على المستوى الخاص الذي يحظى برعاية الإمام فحسب، أو في دوائر محدودة ، بل أصبح له وجود في مختلف البلاد الإسلامية وتألّق الإمام الصادق (ع) ودخل صيته في كل بيت حتى أصبح مرجعاً روحياً تهوى إليه القلوب من كل مكان وتلوذ به لحل مشكلاتها الفكرية والعقائدية والسياسية.

ولم يكن هذا الامتداد منحصراً بين عموم الناس وسوادها بل كان الإمام (ع) مرجعاً لعلمائها وموئلاً لساستها، فهذا سفيان الثوري يقول: دخلت على الإمام الصادق (ع) فقلت له: أوصني بوصيّة أحفظها من بعدك. قال: (وتحفظ يا سفيان؟ قلت: أجل يا بن رسول الله. قال: يا سفيان لا مروّة لكذوب ولا راحة لحسود ولا إخاء لملول ولا خلّة لمختال ولا سؤدد لسيّء الخلق) (٧٣) .

ودخل عليه مرة أخرى يطلب منه المزيد من التعاليم فقال (ع): (يا سفيان الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديث لم تروه أفضل من روايتك حديثاً لم تحصه، إنّ على كل حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً . ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه) (٧٤) وكانت لسفيان الثوري لقاءات أخرى مع الإمام (ع)، بل كانت علاقته به علاقة التلميذ بأستاذه .

وكان من جملة العلماء الذين يدخلون على الإمام للاستفادة منه: حفص بن غياث وهو أحد أعلام عصره وأحد المحدثين في وقته فكان يطلب من الإمام (ع) أن يرشده ويوصيه. فقال له الإمام (ع): (إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك أن لم يثن الناس عليك . إلى أن قال: إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب، ولا تكذب ولا تحسد، ولا ترائي، ولا تداهن) .

وشهد المنصور بحقّه وهو ألدّ أعدائه قائلاً: إنّ جعفر بن محمد كان ممّن قال الله فيه (ثم أورَثْنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات (٧٥) .

ولم يكن الإمام مرجعاً للعلماء والفقهاء والمحدّثين وقائداً للنهضة الفكرية والعلمية في زمانه فحسب ، بل كان مرجعاً للساسة والثوّار حيث كان الزعيم الحقيقي للخط العلوي الثائر ، حيث نجد زيداً الشهيد بن علي بن الحسين عليهماالسلام يرجع إليه في قضية الثورة ، كما كان زيد يقول بحق الإمام (ع) في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه ، وحجّة زماننا ابن أخي جعفر لا يضل مَن تبعه ولا يهتدي مَن خالفه (٧٦) .

ثانيا : الانحراف الفكريّ والعقائديّ:

في الفترة الواقعة بين سنة ٩٥هـ و١٢٤هـ. تعدّدت التيّارات الفكريّة والعقائديّة المنحرفة، وأصبحت ذات أتباع وأنصار، وتحوّلت إلى كيانات ذات إفرازات سياسيّة خالف الكثير منها الأسس الواضحة في العقيدة الإسلاميّة، فانتشرت أفكار الجبر والتفويض والإرجاء والتجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه. وتعدّدت تيّارات الغلوّ، وراجت الزندقة، وتزوير الحديث، وازداد الاهتمام بالصحابة كبديل عن أهل البيت (ع) ومن هنا حاولوا توسيع دائرة الصحبة والصحابة ليدخل في هذا العنوان كلّ من عاصر الرسول (ص) بشكلٍ من الأشكال وإن لم يتأثّر بثقافته وروحه. وقد وصف الإمام الرضا (ع) دور الحكّام في عملية التزوير للحديث قائلاً: "إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام:

أحدها: الغلوّ.

وثانيها: التقصير في أمرنا.

وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا

ثالثا : الانحراف السياسيّ:

حوّل الأمويّون الخلافة إلى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء، واستبدّوا بالأمر فلا شورى ولا استشارة إلّا للمنحرفين والفسّاق.

أمّا بالنسبة إلى حكّامهم والسياسة الّتي اتّبعوها فكانت على الشكل التالي:

كان الوليد بن عبد الملك جبّاراً عنيداً ظلوماً غشوماً ، وحاول سليمان بن عبد الملك من بعده أن يُصلح الأوضاع تقرّباً إلى الناس فأطلق السجناء، لكن سياسته العامّة لم تتغيّر لأنّ كثيراً من البلدان كان يتولّاها القساة الظلمة من أمثال والي العراق خالد بن عبد الله القسريّ واتّبع الوليد وسليمان ابنا عبد الملك سيرة أبيهما في قتل الرافضين للبيعة لهما.

وحينما تولّى عمر بن عبد العزيز الحكم اتّخذ سياسة جديدة تخالف من سبقه، فقام ببعض الإصلاحات كمنح الحريّة للمعارضين، وألغى سنّة سبّ أمير المؤمنين (ع) من على منابر المسلمين، وردّ فدكَ إلى أهل البيت (ع) ، وأمر بردّ المظالم ولكنّ حكمه لم يدم أكثر من سنتين وخمسة أشهر، ثمّ عاد الوضع إلى ما كان عليه سابقاً وكَثُرت في هذه المرحلة اختلافات البيت الأمويّ تنافساً على الحكم، كما كثرت الفتن الداخليّة. وقد أفتى بعض المتملّقين إلى الأمويّين أنّه ليس على الخلفاء حساب وكانت الأمّة الإسلاميّة محاطة بمخاطر شتّى، ففي سنة ١٠٤هـ ظفر الخزر بالمسلمين وانتصروا عليهم في بعض الثغور. وفي عهد هشام بن عبد الملك ازداد الإرهاب والتنكيل بأهل البيت (ع) وأتباعهم وسائر المعارضين. فقد أقدم هشام على سجن الإمام الباقر (ع) ثمّ أخرجه لتأثّر السجّانين به وأصدر أوامره بقتل بعض أتباع الإمام الباقر (ع) إلّا أنّ الإمام (ع) استطاع أن ينقذهم من القتل حيث استفادوا من أسلوب التقيّة الّذي أرشدهم إليه الإمام (ع) (٧٧) ٠

رابعا : الانحراف الاجتماعيّ والأخلاقيّ:

حوّل الأمويّون الأنظار إلى الغزوات وفتح البلاد طلباً للغنائم وإبعاداً للمعارضين وأدّى التوسّع في غزو البلاد المجاورة إلى خلق أنواع من الاضطراب في المجتمع الإسلاميّ مثل تشتيت الأُسَر بغياب المعيل أو فقدانه، وكثُر العبيد المأسورون (الجواري والغلمان) ممّا أدّى إلى التشجيع على اقتناء الجواري والمغنّيات. وانتقل هذا الانحراف من البلاط إلى الأمّة. وانشغل الحكّام باللهو وانساقوا وراء الشهوات دون حدود ومن هنا تطوّرت ظاهرة الغزل والتشبيب بالنساء في العهد الأمويّ كما يُفصح عن ذلك تأريخ الأدب العربيّ

خامسا :الانهيار الاقتصاديّ:

خالف الأمويّون الأسس الثابتة للنظام الاقتصاديّ الإسلاميّ الّتي تنصّ على أنّ الأموال هي أمانة الله عند الحاكم، وليست ملكاً شخصيّاً له، فتصرّف حكّامهم بالأموال وكأنّها ملكٌ شخصيّ لهم، فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم وأهوائهم، وبالأخصّ على ملذّاتهم. وكان للجواري والمغنّين نصيب كبير في بيت المال، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم والضمائر ويمنحونها لمن يشترك في تثبيت سلطانهم أو مدحهم والثناء عليهم، فقد مدح الشيبانيّ يزيد بن عبد الملك فأمر له بمائة ناقة، وكساه وأجزل صلته(٧٨)٠

وكان الحكّام يعيشون في أعلى مراتب الترف والبذخ، ويبذّرون أموال المسلمين على شهواتهم، وعلى المقرّبين لهم، في وقت كان يعيش فيه كثير من الناس حياة الفقر والجوع والحرمان.

وضاعف هؤلاء الحكّام الضرائب، فأضافوا ضرائب جديدة على الصناعات والحِرَف، خصوصاً في عهد هشام بن عبد الملك الّذي كان يُنفق ما تجمّع لديه منها على الشعراء المادحين له

وانساق الناس وراء شهواتهم ورغباتهم خصوصاً أتباع الأمويّين. وهكذا أخذ الناس يسعون للحصول على المال بأيّ وجه ما دام الحكّام لا همّ لهم إلّا كسب الأموال والترف في هذه الحياة الدنيا، ولزم من ذلك غياب كثير من مشاعر الرحمة والتعاطف والإيثار فيما إذا قيس وضع الأمّة إلى عصر الرسول (ص).

تراث الامام الصادق (ع):

خير ما نختتم به بحثنا المتواضع هو التحدث عن تراث سيدنا وامامنا الصادق (ع) وذلك عن طريق درج خصائص جامعته التربوية والعلمية وكما يلي:

١ . من مميّزات مدرسة الإمام الصادق (ع) واختلافها عن باقي المدارس أنّها لم تنغلق في المعرفة على خصوص العناصر الموالية فحسب ، وإنّما انفتحت لتضمّ طلاّب العلم من مختلف الاتّجاهات ، فهذا أبو حنيفة الذي كان يخالف منهج الإمام (ع) حيث سلك في القياس مسلكاً استوجب شدّة الإنكار عليه وعلى أصحابه ، وهو الذي أطلق على مؤمن الطاق اسم شيطان الطاق ، كان ممّن يختلف إلى الإمام الصادق (ع) ويسأله عن كثير من المسائل وقد روى عن الإمام الصادق (ع) وحدّث عنه واتّصل به في المدينة مدّة من الزمن، وناصر زيد بن علي وساهم في الدعوة إلى الخروج معه، وكان يقول: ضاهى خروج زيد خروج رسول الله (ص) يوم بدر.

٢ . انفتحت مدرسة الإمام (ع) على مختلف فروع المعرفة الإسلامية والإنسانية، فاهتمّت بالقرآن والسنّة والفقه والتأريخ والأصول والعقيدة والكلام والفلسفة الإسلامية، كما اهتمّت بعلوم أخرى مثل: علم الفلك، والطبّ، والحيوان، والنبات، والكيمياء، والفيزياء (٩٤).

٣ . لم تتّخذ مدرسة الإمام طابع الانتماء إلى الدولة الأموية أو العباسية، ولم تتلوّث بسياسة الحاكمين ولم تكن أداة لخدمة الحكّام، بل رأت الأمة أنّ هذه المدرسة هي التي تحقّق لها تطلّعاتها؛ إذ كانت ترى على رأسها وريث النبوّة وعملاق الفكر المحمّدي الإمام أبا عبد الله الصادق (ع) المعروف بمواقفه واستقامته حتى لقّب بالصادق لسموّ أخلاقه وعدم مساومته وخضوعه لسياسة الحكّام المنحرفين.

من هنا شكّلت مدرسته حصناً سياسياً وفكريّاً يلوذ به طلاّب الحقيقة ومَن كان يشعر بالمسؤولية ويريد التخلّص من التيه الذي خلّفته التيارات الفكرية والسياسية المتضاربة في أهدافها ومساراتها.

٤ . وتميّزت أيضاً جامعة الإمام الصادق (ع) بمنهجها السليم وعمقها الفكري، ولم تكن أطروحتها في الإعداد العلمي مبتنية على حشو الذهن، وإنّما كانت تعتمد الفكر والتعمّق والأصالة ونموّ الكفاءات العلمية ، وتعتبرها أُسساً مهمّة في المنهج العلمي والتربوي (٩٥).

٥ . أنتجت هذه الجامعة رموزاً للعلم والتقوى والاستقامة، وعرفت بالعطاء العلمي والديني للأمة وبما أبدعته في تخصّصاتها العلمية، وما حققته من إنجازات على صعيد الدعوة والإصلاح بين الناس، وأصبح الانتساب إلى مدرسة الإمام (ع) مفخرة للمنتسب، كما ناهز عدد طلاّبها الأربعة آلاف طالب .

٦ . واتّسعت هذه المدرسة . فيما بعد . وشكّلت عدّة فروع لها في الكوفة، والبصرة ، وقم ، ومصر .

٧ . إنّ الإمام (ع) لم يجعل من جامعته العلمية والجهد المبذول فيها نشاطاً منفصلاً عن حركته التغييرية وانشطته الأخرى، بل كانت جزءاً من برنامجه الإصلاحي؛ لأنّها كانت تساهم بحقّ في خلق المناخ المناسب لبناء الفرد الصالح، وكانت امتداداً واعياً ومؤثّراً في المسيرة العامّة للأمة، فضلاً عن النتائج السياسية الايجابية الخاصّة، حيث نجد الكادر العلمي الحاضر في مدرسة الإمام (ع) هو نفسه الذي يحضر في نشاطات الإمام الخاصّة.

٨ . تميّزت مدرسة الإمام الصادق (ع) بالارتباط المباشر بمصادر التشريع والمعرفة وهما الكتاب الكريم والسنّة النبوية الشريفة بنحو لا مثيل له.

ومن هنا حرص الإمام الصادق (ع) على أن يحقّق من خلال مدرسته إنجازاً بخصوص تدوين الحديث والحفاظ على مضمونه، بعد أن كان الحديث قد تعرّض في وقت سابق للضياع والتحريف والتوظيف السياسي المنحرف، بسبب المنع من تدوينه .

بينما كان الهدف البعيد من منع تدوين الحديث هو تغييب الحديث النبوي الذي كان يؤكّد ربط الأمة بأهل البيت (ع) فاستهدف الحكّام صرف الناس عن أهل البيت (ع)؛ لأنّ الحديث حين كان يؤكّد الارتباط بهم كان يحول بينهم وبين الانسياق وراء كلّ ناعق سياسي أو حاكم جائر .

يقول الإمام الصادق (ع): (... أما والله إنّ عندنا ما لا نحتاج إلى أحد والناس يحتاجون إلينا. إنّ عندنا الكتاب بإملاء رسول الله (ص)، وخطّه علي بيده صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها كل حلال وحرام).

وجاء عنه (ع) أنّه قال: (علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، وإن عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة (ع) وإن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه) (٩٦) .

٩ . وتميّزت أيضاً مدرسة الإمام (ع) بالاهتمام بالتدوين بشكل عام، بل ومدارسة العلم لإنمائه وإثرائه .

فكان (ع) يأمر طلاّبه بالكتابة ويؤكّد لهم ضرورة التدوين والكتابة كما تجد ذلك في قوله (ع): (احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها) (٩٧) .

الخاتمة:

أولا: النتائج :

١.يبقى الفكر الإسلامي الذي تحمله مدرسة أهل البيت (ع) يحمل الصفاء والأصالة وقد وجدت الباحثة أن الصحيفة السجادية تحمل الأمانة للرسالة النبوية وتصونها والرجوع اليها يُعدُّ رجوعاً إلى الينابيع الأصيلة والنقية ٠

٢.لقد كان الإمام يبحث في المضامين الراقية سواء في المجال الفكري ،أم التربوي، أم ألسياسي ، أم الاجتماعي ، أم الأخلاقي ، ويستكشف المفاهيم والنظريات ، والآراء الشديدة ،مما أغني ولا شكَّ مسيرة الفكر الإسلامي٠

٣.تميز الإمام الصادق (ع) بتربية روحية من خلال حياته المباركة ونستفيد من الدروس الروحية التي تضيء لنا السبيل والطريق فتكون بمثابة الضوء في الحياة اليومية ٠

٤.نظر الإمام (ع) إلى تربية الإنسان على إنها أمر أساسي و تذكير الإنسان بكونه شخصية ضعيفة أمام الشيطان والشهوات فلابد له من أن يسعى إلى تحصين نفسه أمام هذين العنصرين اللذان يدعوانه إلى الخطأ

وهو بهذا كأنه يريد أن يشير إليه بأنك ترتكب الخطأ فينبغي عليك أن تعمد إلى تحصين نفسك مقابله بحيث تؤمن من الوقوع فيه مرة ثانية لأن من الواضح أن من عرف الداء سعى لتحصيل الدواء ٠

٥. ثمّة ارتباط منظّم فكريّ وماليّ بين الأئمّة (ع) وأتباعهم، وكانت الأموال تحمل من أطراف العالم إلى المدينة، وكذلك الأسئلة الدينيّة تتقاطر عليها ٠

٦. اتساع الرقعة الموالية لآل البيت (ع) خاصّة البقاع الحسّاسة من العالم الإسلاميّ ٠

٧. تجمّع عدد غفير من المحدّثين والرواة الخراسانيّين والسيستانيّين والكوفيّين والبصريّين واليمانيّين والمصريّين حول الإمام.

٨. التزام أصحاب الأئمّة بالمبدأ الحركيّ الحكيم المسمّى بالتقيّة الذي يحول دون نفوذ أيّ عنصر أجنبيّ في تنظيم الإمام، كما يكمن أيضاً في عدم استطاعة الحركة الجهاديّة الشيعيّة من تحقيق أهدافها ومن استلام زمام الحكم ٠

٩. انتشرت في هذه المدة عقائد خاطئة واتجاهات منحرفة من الالحاد والزندقة ذات أصحاب تدافع عنها ولم تكن وليد هذا الظرف بالذات وإنما نشطت في هذا الجو حيث كان بعض الخلفاء يتبنى بعضاً منها ويسمح لانتشار البعض الأخر.

١٠. ظهور الكثير من الفرق والتيارات المنحرفة مما جعل الادعياء وهواة الرذيلة والذين زاد نشاطهم وشاع صيتهم وتعددت فرقهم في هذه المدة يطرحون أنفسهم قادة للأمة في الفكر والفقه والحديث بتشجيع من المنصور ومن تلك الفرق القدرية، والزيدية، والمعتزلة، والخوارج.

١١. كانت سياسية العباسيون عامة والمنصور خاصة هي سياسة اتخاذ (وعاظ السلاطين) بعد ان غُيب الامام الكاظم (ع) عن المسرح السياسي والفكري وهي سياسية بديل يرعاه الخليفة ويدعمه بما اوتي من قوة ليغطي له الفراغ من جانب وتؤيد له سياسته للعباد من جانب أخر ليوحي للأمة بأنه مع الخط الاسلامي السائرعلى نهج النبوة ٠

١٢. شددت السلطة المراقبة على الشيعة بعد استشهاد الإمام الصادق (ع) وعم الارتباك أوساطهم وشحنت الاجواء بالحذر والتحسب وكثرة انتشار الجواسيس ٠

التوصيات:

من خلال ما بحثنا عن الفكر التربوي لامام الامة وقائدها مؤسس المذهب الجعفري الامام الصادق ع ندرج اهم التوصيات التالية :

١. السير باتجاه وخطى الامام الصادق (ع) وكما رسمه الينا من خلال جامعته العلمية العملاقة ٠

٢. وضع منهج دراسي في جميع المراحل الدراسية عن السيرة العطرة لأهل بيت الرحمة (ع)٠

٣. نشر فكر اهل البيت وبصورة مستمرة من خلال القاء المحاضرات والخطب سواء في الجوامع والحسينايات او عن طريق المرئي والمسموع ٠

٤. تدريب وتوجيه عدد كثير من المحدثين عن فضائل وعلوم اهل البيت (ع) في شتى قاع العالم.

٥. الرجوع الى احكامهم واستلالهم في جميع قضايا المجتمع وخصوصا الفقهية منها وجعله قانونا ثابتا لاسيما في المحاكم الشرعية العراقية.

الهوامش:

١- ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، ص١٩٢

٢- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ص١٨٠

٣- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٢٨١

٤- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،١ /ص ٣٠٧

٥- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،١ /٣٠٦

٦- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ٢ / ص١٠٤

٧- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٣ /ص ١٧

٨- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ص١٧٢

٩- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ١ /ص ٢٢٩
١٠-الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ص١٧٩
١١-الشيخ الصدوق محمد بن بابويه ،الخصال، ص ١١
١٢-محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،٢/ص٦٥٧
١٣-الشيخ الصدوق ، الخصال، ص ٤٩
١٤-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/ص٢١٤. ٢١٧
١٥-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/٢٢٩ص
١٦-محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٤/ص١٣٨
١٧-محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٨/ص١٣٩
١٨-علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ،٣/ص١٩٤
١٩-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/ص٢٨٢
٢٠-احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص١٢٢.
٢١-الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ١ /ص ٤٠
٢٢-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧ /ص ١٥
٢٣-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦/ص٧٢
٢٤-محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٨/ص٢٧٧
٢٥-محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٥ /ص ١٢٧
٢٦-محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة، ٥ / ص١٧٢ – ١٧٣
٢٧-محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة، ٥ / ص١٧٥ – ١٧٦
٢٨-محمد بن احمد الذهبي ، ميزان الاعتدال، ١ /ص ٣٩٩
٢٩-احمد بن علي (الخطيب البغدادي)، تاريخ بغداد، ٤ /ص ١٤٨ . ١٥٠
٣٠-سورة الزمر ، الآية ٩
٣١-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧ / ص٣٦٨
٣٢-يَنبع حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر

٣٣- الجدي ، من أولاد المعز

٣٤- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،٢ /ص ٢٤٢

٣٥- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٨ /ص ٤

٣٦- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٨ /ص ٢

٣٧- سورة النساء ، ، الآية ٦٠

٣٨- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٢٧/ص١٣

٣٩- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٧/ص١٧٩

٤٠- سورة البقرة ، الآية ١٢٤

٤١- سورة البقرة ، الآية ١٣٨

٤٢- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/ ص١١٨ . ١٢٢

٤٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٣/ص٥٠

٤٤- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢ /ص ٧١ . ٧٢

٤٥- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/ص٧٧

٤٦- احمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢/٧٧ . ٧٨

٤٧- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،١ /ص ٢٦٩

٤٨- احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص٢٦٩

٤٩- احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص٢٩٠

٥٠- والإمام (ع) هنا في مقام نفي العلم بالغيب الاستقلالي الذي يدّعيه الغلاة ، لا العلم بالغيب الممنوح للنبي (ص) ولهم منه سبحانه .

٥١- احمد بن علي النجاشي ، الرجال ، ص ٢٩٢

٥٢- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ص٤٠٥

٥٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧/ص٢٢٦

٥٤- سورة البقرة ، الآية ٢٠٤ . ٢٠٥ .

٥٥- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ /ص ٧٣

٥٦- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،١ /ص ٢١٣
٥٧- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،١ /ص ٢١٧
٥٨- سورة آل عمران ، الآية ٧
٥٩- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،١ /ص ٢١٣
٦٠- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،٢ /ص ٦٢
٦١- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،٢ /ص ٦٣
٦٢- السيد محسن الامين العاملي ، في رحاب ائمة اهل البيت ، ١/ص ٦٤
٦٣- السيد محسن الامين العاملي ، في رحاب ائمة اهل البيت ، ١/ص ٦٦. ٦٧
٦٤- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،٢ /ص ٦٨
٦٥- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٧ /ص ٤٠٧
٦٦- الحسن بن علي الحراني ، تحف العقول ، ص ٣٦
٦٧- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٨ /ص ٤٠٠
٦٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٤ /ص ٣٩١
٦٩- السخيمة ، الحقد والضغينة حتى تسل سخيمته والسل الانتزاع والإخراج في رفق
٧٠- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٨ /ص ٥٤٩
٧١- محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٨/ص٥٤٢
٧٢- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨ /ص ٢٨٦
٧٣- محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي،١/ص٤٩
٧٤- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ص٢٥٩
٧٥- الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ٢/ ص٢٧٠
٧٦- جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٩
٧٧- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ص٢٦١
٧٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٢/ص١٦٥
٧٩- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص١٤٢

٨٠- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٢٩٩
٨١- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ص٢٦٩
٨٢- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ص٢٨٠
٨٣- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص١٤٢
٨٤- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٢/ص٣٤٠ . ٣٤٤
٨٥- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٢/ص٣٤٣
٨٦- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٩ /ص ٨٢
٨٧- محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك ، ٩ /ص ٨٥
٨٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧ /ص ١٧٢
٨٩- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٢٧٧
٩٠- محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة ، ٥ / ص٣٥١
٩١- محمد بن الحسن الحر العاملي ، اثبات الهداة ، ٥ / ص٤٦٥
٩٢- المخصرة ، شيء كالسوط ما يتوكّأ عليه كالعصا
٩٣- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٢٥٩
٩٤- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٢٨١
٩٥- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٢٥١
٩٦- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٢٨٨
٩٧- ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب، ٤/ص٣٤٥ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
١. اثبات الهداة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (م ١١٠٤ هجري) المطبعة العلمية، قم المقدسة.
٢. الاحتجاج: أبو منصور: أحمد بن علي الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.
٣. الارشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هجري) قم المقدسة _ ١٤٠٢ هجري.

٤. بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.
٥. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (م ٤٦٣ هجري) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
٦. تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ _ ٩١١ هجري) مطبعة المدني، القاهرة _ ١٣٨٣ هجري.
٧. تاريخ الطبري المسمّى (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير (م ٣١٠ هجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٨. تحف العقول: الحرّاني: الحسن بن علي (من أعلام القرن الرابع الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت _ ١٣٩٤ هجري.
٩. الخصال: الشيخ الصدوق: محمد بن بابويه (م ٣٨١ هجري) منشورات دار النشر الإسلامي، قم _ ١٤٠٣ هجري.
١٠. الرجال: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢ _ ٤٥٠ هجري) بيروت _ ١٤٠٩ هجري.
١١. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هجري) دار احياء الكتب العربية، القاهرة _ ١٣٧٨ هجري.
١٢. الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي (م ٨٥٥ هجري) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف _ ١٣٨١ هجري.
١٣. في رحاب أئمّة أهل البيت: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هجري) دار التعارف، بيروت _ ١٤٠٠ هجري.
١٤. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هجري) دار الكتب الإسلامية، طهران _ ١٣٩٧ هجري.
١٥. مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (م ٣٤٥ هجري) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت _ ١٩٦٥ م.
١٦. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ _ ٥٨٨ هجري) المطبعة العلمية، قم المقدسة.

ثورة البحارة في ألمانيا (٢٨ تشرين الاول ١٩١٨)- دراسة تاريخية

أ.د. عماد هادي عبد علي
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة
م.م. حوراء رزاق حسن
المكتبة المركزية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

سارت الاوضاع الداخلية في المانيا من سيئ الى اسوأ نتيجة الهزيمة العسكرية في الحرب العالمية الاولى رغم تواجد القوات الالمانية خارج الحدود الالمانية وفي مناطق متعددة من قارة أوربا، ورغم ان الجهود البحرية الكبيرة لم تنجح في اخراج المانيا منتصرة في الحرب، برغم الآمال الكبيرة التي علقت على السلاح البحري والمكانة العظيمة التي تمتعت بها البحرية الالمانية، اذ اعتقد الالمان ان شرف ووجود الاسطول البحري الالماني يستلزم هجوماً من الاسطول الالماني لتغيير مسار الحرب، مما مهد الطريق لجنود الاسطول الالماني في ميناء كييل Kiel لتنطلق ثورة البحارة التي حملت معها نهاية ال هوهنزوليرن Hohenzoliren.

مثلت ثورة البحارة في ميناء كييل Kieel احتجاجاً عميقاً على سوء الاوضاع الاقتصادية في المانيا، فقد كان الشعب مستعداً للتضحية في سبيل الطعام والسلام، بعد ان ايقن فشل الجيش الالماني في حسم الموقف العسكري لصالح المانيا اضافة الى انخفاض الروح المعنوية للجنود الالمان، اذ بلغ الامر ذروته في نهاية شهر تشرين الاول ١٩١٨ باندلاع ثورتهم التي لقيت تأييداً من سكان مدينة كييل لاسيما عمال الموانئ الذين اعلنوا الاضراب عن العمل ورفض الاوامر العسكرية الصادرة من ضباط الاسطول الالماني.

هدف البحث الى تسليط الضوء على حدث هام من أحداث التاريخ الالماني والمتمثل بثورة البحارة عام ١٩١٨ وأثرها في تشكيل حقبة جديدة بعد الحرب العالمية الاولى والمتمثلة بانتشار الافكار والأحزاب

الاشتراكية التي ادت دوراً كبيراً في نشوء جمهورية فايمار Vaimar ونظامها الديمقراطي الجديد الذي افتتح بتنازل القيصر وليم الثاني واسرته عن الحكم فضلاً عن تنازل جميع الامراء والحكام المحليين في الولايات الالمانية.

اعتمد البحث على جملة من المصادر الانكليزية والالمانية المترجمة الى اللغة الانكليزية كان من بينها كتاب المؤرخ الالماني فردريك ايجلس Friedricl Ehgels والمعنون الثورة الالمانية The German Revolutions والمطبوع في لندن عام ١٩٦٧،والذي يعد من اهم الكتب التي درست هذه المدة المعقدة والمتشابكة الاحداث في التاريخ الالماني والمتعلقة بهزيمتها في الحرب العالمية الاولى وميلاد النظام الجمهوري الالماني بعد الهزيمة وردود فعل الشارع الالماني على الهزيمة واثر العوامل الاقتصادية على حركة الشعب الالماني، فيما كانت دراسة اثمار كاظم سهيل الربيعي المعنونة التطورات السياسية الداخلية في جمهورية فايمار الالمانية (١٩١٩-١٩٣٣) والمقدمة الى كلية الآداب- جامعة بغداد عام ٢٠٠٢ والتي تعد من الدراسات الممتازة في توضيح اسباب الثورة ودوافعها ونتائجها وفق منظور تاريخي رصين، فيما عد كتاب عفيف الاخضر والمعنون الثورة الألمانية (١٩١٨-١٩١٩) والمطبوع في بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر عام ١٩٧٣ من اهم الكتب التي ركزت على اهمية الثورة وانتشار الفكر الاشتراكي في المانيا واثرها في الحركات الانفصالية في الولايات الالمانية بعد الهزيمة في الحرب العالمية الاولى.

المبحث الأول: الاوضاع الداخلية في المانيا قبيل نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٨:

اولاً: الاوضاع الداخلية عام ١٩١٨:

شهدت المانيا مجموعة من التطورات السياسية الداخلية التي أثرت وتأثرت بالعوامل العسكرية في الجبهات القتالية الالمانية وقد انتشرت في صيف عام ١٩١٧ في دوائر البلدان المتحاربة بعد ان عجز الجانبين المتحاربين عن الحصول على نصر حاسم في ميادين القتال زيادة على قيام الثورة البلشفية في روسيا [١]، كل ذلك ادى الى انتشار روح الهزيمة فضلاً عن انتشار الحركة السلمية والاشتراكية في المانيا[٢].

ادى ازدياد القلق والاضطراب في المانيا الى بذل الحكومة عدة وعود هامة لغرض السيطرة على حركة الجماهير الالمانية، فقد اعلن الامبراطور وليم الثاني William II (١٨٨٨-١٩١٨) [٣] في رسالة له في

عيد الفصح يوم ٧ نيسان ١٩١٧ عن الغاء نظام الانتخاب القائم على طريقة الطبقات الثلاث في بروسيا وتم ادخال نظام الانتخاب السري والمباشر في ١١ تموز ١٩١٧ في محاولة للسيطرة على التحركات الشعبية في بروسيا والولايات الالمانية الاخرى المناهضة للحرب، كما قدم المستشار تيو بالدفون بيتمان-هولويج Tio Paldvon Betman Holoug[٤] استقالته بعد ان فقد تأييد المحافظين والاحرار القوميين والمعتدلين كما اصبح غير مقبولاً لدى العسكريين، وفي نفس اليوم عين الدكتور غيورغ ميكايليس[٥] مستشاراً جديداً بناءً على رغبة القيادة العسكرية الالمانية بعد ان اصبح لودندروف Lundruff[٦] منذ ذلك الوقت المحرك الاول للشؤون السياسية والعسكرية[٧].

حل الكونت غورغ فون هيرتلنج Georg Von Hertleng[٨] محل المستشار ميكايليس بتاريخ ٣٠ تشرين الاول في رئاسة الحكومة الالمانية التي بدأت تغير اتجاهاتها من النصر النهائي والساحق على الحلفاء الى امكانية الحصول على صلحاً مقبولاً فقد اصدر الرايخشتاغ Richstag[٩] قراراً يحبذ فيه الصلح بشروط معقولة وبدون تحفظات وكانت هذه الخطوة بقيادة ماتياس ارزبرجر Mathias Arisberger[١٠] وحزبه الكاثوليكي الاوسط وقد تمت الموافقة على هذا القرار بموافقة ٢١٢ من حزب الوسط(واغلبه من الاشتراكين والاحرار القوميين ضد ١٢٦ من المحافظين والاحرار القوميين والاشتراكيين المستقلين)، واعلن المستشار الجديد ان اهدافه واضحة في حدود هذا القرار، ويبدو ان هذا القرار اشار الى تغيير المزاج العام الشعبي والالماني في اتجاهين اساسيين هما:

١- الاتجاه نحو قبول الصلح دون تحقيق نصر حاسم ما اوحى الى الشعب الالماني الى ان تضحياته ذهبت هدراً وان كل ما قدمه خلال أربع سنوات من الحرب وقد بلغت ١,٨٠٨,٠٠٠ مليون قتيل و٤,٢٤٧,٠٠٠ مليون جريح و٦١٨,٠٠٠ ألف اسير فضلاً عن التكاليف المادية المباشرة وغير المباشرة الهائلة التي تكلفتها المانيا طوال اربع سنوات واربعة اشهر من الحرب.

٢- اما الاشارة الثانية التي تضمنها القرار فقد تمثلت بصعود القوى والاحزاب الاشتراكية بصورة واسعة في اشارة هامة الى توجه الرأي الشعبي الالماني نحو الاشتراكية متمثلة بأحزابها الاشتراكي والاشتراكي المستقل والاحزاب الاشتراكية الصغيرة في الولايات الالمانية[١١].

ثانياً: الاوضاع العسكرية عام ١٩١٨:

حصل الالمان على مكاسب هائله في الجبهة الشرقية ففي ٢٨شباط ١٩١٨ تجددت المفاوضات بين الروس والالمان في بريست ليتوفسك[١٢]Brest Litovisk والتي اختتمت في ٣ أذار ١٩١٨ بعقد معاهدة بريست ليتوفسك والتي انهت الحرب في الجبهة الشرقية بين الالمان والروس والتي توجت بأنسحاب الروس من بولندا وليتوانيا واوكرانيا ودول البحر البلطيقي استونيا–ليتوانيا ولاتفيا وفنلندا وبلاد القوقاز،كما قامت المانيا بأحتلال جزر الأند[١٣]استجابة للحكومة الفنلندية وقد ارسل الالمان والنمساويين حملة لاجلاء البلاشفة[١٤]Blsavik من اوكرانيا واحتل الالمان كييف Keive في ٣ اذار ١٩١٨ واوديسيا Odisia في ١٣ اذار ونيكولايفNecolieve وخركوف Kerkove في ٨ نيسان ثم قاموا بغزو القرم[١٥]واستولوا على ميناء سيباستبول[١٦]في ١ أيار ١٩١٨ وتحولت اوكرانيا الى مخزن هائلاً للغلال لدول وسط اوربا والمانيا،واستولت القوات الالمانية على فنلندا،كما اجبرت المانيا رومانيا الى التنازل للحصول على امتياز استغلال آبار البترول في رومانيا لمدة ٩٠ يوماً[١٧].

لم تؤد المكاسب التي حصل عليها الالمان في الشرق الى تحسين الموقف مع دول الغرب، اذ ساد شعور عام في المانيا بأن الشروط التي فرضت على روسيا في معاهدة بريست ليتوفسك ومعاهدة بوخارست[١٨] Terety Buchrist دليل قاطع على النوايا التوسعية الالمانية، مما دعى الحكومات الغربية الى اتخاذ اجراءات اشد صلابة ضد الدولة الالمانية، كما قرر الالمان من جانبهم في ٢١ أذار الى ٥ نيسان البدء بهجوم الماني كبير في الجبهة الغربية مهدت له قذائف ٦٠٠٠ مدفع مع الغارات حيث تحطم خط الدفاع البريطاني وتوغل الالمان خلال ايام قليلة مسافة ٤٠ ميلاً داخل خط الدفاع البريطاني واستولوا على مونت ديديه Mont Dedeatt وساعدت النجدة السريعة الهائلة من الاحتياطي الفرنسي على وقف الهجوم الالماني الزاحف، واضطر الالمان الى التقهقر من نهر المارن واستعاد الفرنسيون سواسون Swason في ٢ أب ١٩١٨ حيث تعرض الالمان الى هجوم مضاد قام به الحلفاء قضى على خطة لودندروف في القيام بهجوم كبير في الفلاندرز Flanders[١٩]ولأنه ساعد الجنرال فوش Vosh [٢٠] على الاخذ بزمام المبادرة في العمليات العسكرية[٢١].

استسلمت القوات العثمانية امام الحلفاء ووقعت في ٣٠ تشرين الاول هدنة مودروس Modros[٢٢] واضطر العثمانيون الى فتح المضايق امام الحلفاء واطلاق سراح الاسرى وتسريح الجيوش العثمانية وقطع العلاقات مع دول الوسط ووضع الاراضي التركية تحت تصرف الحلفاء من اجل العمليات العسكرية،كما استسلمت بلغاريا في ٣٠ أيلول ١٩١٨ وابرمت الهدنة في سالونيكا وتقرر تسريح الجيش البلغاري ووضع اسلحته تحت حيازة الحلفاء ووضع جميع وسائل المواصلات تحت تصرف الحلفاء وتهيئة الاراضي البلغارية لخدمة عمليات الحلفاء الحربية، وفي ٣ تشرين الثاني عقدت الهدنة بين دول الحلفاء وامبراطورية النمسا–المجر وتضمن التسريح الكامل للجيوش النمساوية– المجرية وانسحاب القوات العسكرية المشاركة مع الالمان وتسليم نصف المعدات العسكرية والحربية والجلاء عن الاقاليم التي احتلتها القوات النمساوية والاقاليم المتنازع عليها بين النمساويين والايطاليين والسلاف واحتلال الحلفاء للمراكز الاستراتيجية وتسليم الاسطول النمساوي[٢٣].

ساهمت الظروف العسكرية في موافقة الحكومة الالمانية على البنود الاربع عشر[٢٤] اساساً للصلح واصر الحلفاء انهم لن يتفاوضوا الا مع حكومة ديمقراطية، واصبح الموقف الداخلي الالماني سيئاً، فضلاً عن قوة التيار الديمقراطي والشيوعي في المانيا، كما قبلت الحكومة الالمانية في ٢٧ تشرين الاول استقالة لودندروف وحل محله القائد فون جرونر Von Groner[٢٥] واصبح الوضع الداخلي مهيئاً للهدنة لاسيما بعد استئناف القوات الامريكية والبريطانية والفرنسية هجومها في سيدان[٢٦].ويمكن القول ان الاجواء السياسية الداخلية والعسكرية السيئة وفشل القوات الالمانية في ادامة زخم هجومها وارتدادهم عن مواقعهم هيأ الاجواء الداخلية للثورة في المانيا[٢٧].

ثالثاً: الاسطول البحري الالماني في الحرب العالمية الاولى:

دخلت المانيا الحرب العالمية الاولى بعد ان اسست اسطولاً بحرياً كبيراً استطاعت ان تشكل به تهديداً كبيراً على الاسطول البريطاني وطرقه الرئيسية، اذ كان للالمان اسطولاً رئيسياً يتكون من ١٣ بارجة مرابطة في بحر الشمال، وكانت هناك ثمان طرادات المانية مرابطة في قواعد اجنبية في الصين، ولما

اعلنت اليابان الحرب بتاريخ ٢٣ أب ١٩١٤ ابحر القائد الالماني الاميرال فون سبي Von Sipey الى سواحل امريكا الجنوبية ،وانضم الطرادان الالمانيان درسدن Dresdene من (جزر الهند الغربية) ولايبزج Laubzig من شاطئ كاليفورنيا الى سفن فون شبي عند جزيرة ايستر Oster في ١٢-١٨ تشرين الاول وسارت السفن الى سواحل شسكي، في حين كان الاسطول البريطاني يتكون من ٢٠ مدرعة كبيرة وعدد مماثل من الطرادات الحربية فضلاً عن طرادات ومدمرات وسفن حربية اخرى وكان مرابطاً في سكابافلو Scapaflow [٢٨] وكرومارتي Cromartie وروزيت Rozieut وكان ميناء هارتس Hartish قاعدة الغواصات والمدمرات البريطانية، وشكلت الحكومة البريطانية اسطولاً ثانياً مكوناً من مدرعات قديمة وقطعاً بحرية قديمة لحراسة بحر المانش[٢٩].

ظلت القطع البحرية الالمانية في موانئها رغم جهود الاميرال فون تيربتز Von Terbtez[٣٠] في محاولة لاتباع خطه نشيطة في الحرب ورغم ذلك لم يقم الالمان بأي عمل للحيلولة دون نزول قوات الحملة الانكليزية الى فرنسا، وظل العمل العسكري البحري بسيطاً حتى نشوب حرب الغواصات عندما قررت القيادة الالمانية استخدام الغواصات بشكل فاعل لتنفيذ خطتها القاضية بقطع خطوط الامدادات عن بريطانيا بواسطة ١٣٤ غواصة كانت تمتلكها البحرية الالمانية، وقد استمرت الحكومة الالمانية طول عام ١٩١٥-١٩١٦ بعدم القيام بأية اعمال عسكرية تلفت النظر في البحر اذ استمر الالمان في جهودهم البحرية في استخدام الغواصات والالغام للتقليل من تفوق الاسطول البريطاني كما توسعوا في عملياتهم ضد السفن التجارية[٣١].

انعقد في ٨ كانون الثاني ١٩١٦ اجتماعاً ضم كبار القادة والموظفين الالمان في مدينة بلس Plus تقرر فيه نهائياً استخدام حرب الغواصات الذي يشكل السبيل الوحيد لحمل بريطانيا على الاستسلام وتم تقرير خضوع بريطانيا في ستة اشهر عن طريق اغراق سفنها بمعدل ٦٠٠,٠٠٠الف طن شهرياً، وقد بنت القيادة العليا الالمانية تقديرها لكسب الحرب على ضرورة تدمير خطوط التموين الانكليزية وكانت الدلائل طيبة على نجاح تلك الخطة، اذ اغرقت الغواصات الالمانية في الشهور السته الاخيرة من عام ١٩١٦

عدداً من السفن الانجليزية بمعدل ما حمولته ٣٠٠,٠٠٠ طن شهرياً ،ومع بداية عام ١٩١٧ بلغت حرب الغواصات اوجها فتم في شهر نيسان ١٩١٧ اغراق ٨٧٥,٠٠٠ طن من السفن اكثر من نصفها بريطاني وفاق هذا الرقم التقديرات الالمانية والتي كان معدلها (٦٠٠,٠٠٠) الف طن، وفي شهر تشرين الاول بلغ مجموع ما اغرقه الالمان من السفن البريطانية ما حمولته ٨ ملايين طن وبالمقابل خسر الالمان خمسين غواصة، وبدأت الحملة الالمانية تفقد تأثيرها شيئاً فشيئاً بفضل الاجراءات البريطانية بالسير في القوافل التجارية في اسراب تحرسها سفن حربية على الجانبين وفي نفس الوقت ضاعف البريطانيين من عدد مدمراتهم وسفنهم الحربية المضادة للغواصات فضلاً عن اختراعهم القذائف البحرية التي تطلق تحت الماء ونظام الاستطلاع والكشف بواسطة الطائرات البحرية، كما ازداد عدد بناء السفن الى الحد الاقصى اذ كان الحلفاء يبنون من السفن الجديدة يفوق ما سبق اغراقه واخفقت المغامرة الالمانية في حرب الغواصات[٣٢].

شهدت القوات البحرية الالمانية هزائم متكررة اذ تحطمت في ٢٣ نيسان عام ١٩١٨ ثلاث طرادات المانية بعد ان هاجمت البحرية البريطانية القاعدة البحرية الالمانية في زيبروج Ziebrug فيما وقع هجوم مماثل في ميناء اوستند Ostend وقد استولى البريطانيون في ١٧-٢٠ تشرين الاول عام ١٩١٨ على زيبروج واوستند وبقية الموانئ الفرنسية الواقعة على بحر المانش[٣٣].

وبذلك يمكن القول ان الهزائم البحرية الالمانية وفشل الغواصات الالمانية في تحقيق اهدافها فضلاً عن عدم قدرة المانيا على الاستمرار في الحرب اضافة الى الاوضاع السياسية الداخلية المضطربة كانت سبباً في اندلاع ثورة البحارة عام ١٩١٨.

المبحث الثاني: ثورة البحارة في ميناء كييل:

اولاً: اسباب الثورة:

بدأت الاضطرابات في ميناء فلهلمسهافن[٣٤] Flmleshaven بتاريخ ٢٨-٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ والتي اشعلت فتيل الثورة وكان سببها الرئيسي خطة الانتحار التي اعدها الادميرال الالماني رينهارد شير Raunhard Shier [٣٥] لدخول البحرية الالمانية المعركة الحاسمة والاخيرة مع الاسطول الالماني.

علقت المانيا امالاً كبيرة على السلاح البحري والمكانة الكبيرة التي تمتع بها، ورغم ذلك لم تنجح القوات البحرية الالمانية في اخراج المانيا منتصرة في الحرب، بل على العكس من ذلك ساهمت حرب الغواصات التي انطلقت على نطاق واسع في الاول من شباط ١٩١٧ الى سحب الولايات المتحدة الامريكية الى دخول الحرب بإمكانياتها العسكرية والاقتصادية الهائلة، لذا اكد رينهارد شير القائد العام للسلاح البحري الالماني في مذكرة سرية "ان شرف ووجود الاسطول البحري الالماني يستلزم هجوماً من الاسطول الالماني في هذه المرحلة المتأخرة، واعترف بأن مسار الاحداث لا يمكن تغييره الا بهذه الطريقة"[٣٦].

كان الاميرال شير خائفاً من اعتقال الاسطول البريطاني للأسطول الالماني خلال المفاوضات واراد الحفاظ على شرف العلم الالماني على الرغم من المعركة التي عزم الاسطول الالماني خوضها عدت معركة انتحارية فقد كان ميزان القوى العملي للقطع الرئيسية للأسطول البريطاني متفوقاً بنسبة ٢-١ فقد كان لدى الالمان سفينتان فقط مزودة بالمدفعية عيار ٣٠٥ ملم وكان الاسطول البريطاني يضم ١٢ مدرعة بحرية كبيرة مع مدافع عيار ٣٤٣ ملم واثنين من المدرعات البحرية الفائقة السرعة والقوة مع مدافع عيار (٣٥٦ ملم) مع مدافع عيار ٣٨١ملم من البوارج الامريكية، وكان للبريطانيين تفوق كبير في السفن عالية السرعة اذ تجاوز التدريب القتالي للأسطول البريطاني بشكل ملحوظ الاسطول الالماني حيث كان الاسطول البريطاني اكثر نشاطاً واجرى تمارين مكثفة في حين اثر التقاعس المطول سلباً على الروح القتالية لطواقم السفن الالمانية[٣٧].

ترجع ثورة البحارة الى عدة اسباب يمكن اجمالها

أ- اسباب اقتصادية:

حاولت الحكومة الالمانية خلال سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى ان تفك ارتباطها بالاقتصاد العالمي وتبنى بالتعاون مع حلفائها اقتصاداً حربياً معتمداً على الاكتفاء الذاتيSelf-Sufficiency الذي يعتمد على الانتاج الزراعي الخاص والمواد الاولية الخاصة وكان من شأن الاختراعات العلمية ان تعزز القدرات الدفاعية الالمانية الى حد كبير، اذ برزت بالدرجة الاولى عملية الحصول على النتروجين الضروري للزراعة من الهواء بدلاً من نترات الصوديوم المتعذر استيرادها فضلاً عن كلفتها الاقتصادية الباهظة، كما

عملت القوانين الاقتصادية الحربية على تنظيم الاستيراد والتصدير وتقنين المواد الغذائية وايجاد منتجات بديلة[٣٨].

بذلت الحكومة الالمانية جهوداً واسعة للسيطرة على القطاع الاقتصادي والاشراف عليه فقد عملت على:

١- احداث نظام الجمعيات التسوق المركزية.

٢- شكلت في وزارة الحربية مركزاً للمواد الاولية المتعلقة بالحرب.

٣- تولت الدولة وبالتدريج التصرف بموارد الحبوب والاعلاف والفحم والزيوت والملابس والفواكه والخضار.

٤- تولت الدولة السيطرة والتصرف في شؤون القطاع السكني.

ويبدو مما تقدم ان الدولة اصبحت رغم نظامها الاستعماري الرأسمالي تطبق نظاماً اشتراكياً سيطرت فيه الدولة على كل مفاصل الحياة الاقتصادية والاجتماعية فأصبحت اشتراكية الدولة في اثناء الحرب حقيقة واقعة.

٥- عملت الدولة الالمانية على جعل كل قوة قادرة على العمل والانتاج في خدمة وتحت تصرف النظام العسكري في خطة هدفت الى عسكرة المجتمع الالماني بشكل شبه كامل[٣٩].

فشلت المجهودات التي بذلتها الدولة الالمانية بسبب النقص الحاصل والمتزايد في المواد الاولية والمواد الغذائية فلم يستطع البترول الروماني سد حاجة الجيش والشعب الالماني من هذه المادة، كما لم تستطع المواد والمنتوجات الزراعية التي حصلت عليها المانيا من البلقان واوكرانيا ان تسد النقص الحاصل في هذه المواد، فقد ساد جو من المجاعة والفساد، واصبح الوضع الالماني سيئاً جداً فكلما طال أمد الحرب ازداد تفوق الحلفاء وضوحاً وكان كل شهر يمر يدل على خسارة المانيا الحرب من الناحية الاقتصادية.

ب- الاسباب التقنية:

اصبح وضع الجيش الالماني من الناحية التقنية سيئاً بحدود صيف عام ١٩١٨، فقد كان على الجنود الالمان المعانين من سوء التغذية ونقص التسلح الصمود امام هجوم الامريكيين المتفوقين في كل

مضمار، فلم يستطع الالمان المحافظة على تفوقهم على الصعيد التسليحي الذي اظهروه في بداية الحرب، فالنقص الذي عانوا منه في مضمار الغواصات كان من شأنه اعاقة تحقيق الآمال الكبيرة التي عقدت على عملية ضرب الحصار البحري على انكلترا، كما ان المانيا فشلت في ادامة زخم تفوقها في مجال المدافع الثقيلة وتقنيات الغاز والتي افتقرت الى المقومات التي تجعلها قوة ضاربة في حرب بدأت من جديد تتحول الى حرب متحركة Bewegungskrieg، اما سلاح المدرعات التي اخطأ لودندروف في تقدير اهميته والذي تسبب في تحطيم الجبهة الالمانية[٤٠].

ت- السياسة الخارجية:

لم يؤد توسيع منطقة النفوذ الالمانية في شرق اوربا وتحرير دول البلقان القريبة منها وفنلندا واوكرانيا الى تحقيق هدف المانيا والمتمثل في تعزيز المقاومة الالمانية وصمودها في الحرب، فقد نشب نزاع مقيت حول مستقبل هذه البلدان التي توقعت الحصول على مساعدات مادية المانية لكن هذه المساعدات لم تمنح بالقدر المطلوب لتحقيق الهدف الالماني، فقد فشلت السياسة الالمانية الخارجية في

١- بولندا: فشلت المانيا في المحافظة على حلفائها وعلى بقاءها في بولندا، ولم يستطع حلفاء المانيا والذي قدم الدعم الالماني باستمرار في الوقوف امام الهجمات الروسية والصمود في وجههم.

٢- تمركز الروس في عام ١٩١٦ في ارمينيا.

٣- احتل الانكليز بغداد ويافا والقدس ولم يعد بالإمكان الابقاء على الاجزاء العربية من الامبراطورية العثمانية وراحت تلك الاجزاء تناضل فيما بعد في سبيل تحررها واستقلالها[٤١].

٤- تمكنت قوات الحلفاء من تقويض الجبهة البلغارية فقد خرقت قوات الحلفاء في شهر ايلول ١٩١٨ ونسفت الاساس لنظام السياسة الخارجية الالمانية واحتلت سالونيك واجزاء واسعة من البلقان فكان لابد من ترك الدولة العثمانية تواجه مصيرها بنفسها، كما لم يعد بالإمكان الدفاع عن رومانيا، ولم يعد هناك فرصة لإعادة بناء نظام السياسة الخارجية الالماني الممزق في مواجهة تكتل عالمي قوامه ٣٠ دولة حليفة ومرتبطة[٤٢].

ث- الصعيد الاستراتيجي:

بالغت قيادة الجيش الالماني العليا في تقدير قوتها في ربيع ١٩١٨ فأرادت وفقاً لتقاليد عسكرية قديمة حسماً سريعاً وواضحاً، إلا انها لم تحط احاطة كافية بمجمل الاوضاع المتغيرة في عام ١٩١٨،كما انها لم تكن قادرة على الحركة والاختراع الى درجة تمكنها من وضع تكتيك يتلائم مع الاوضاع الجديدة، واراد لودندروف يحدوه العناد والغضب والتطاول والغطرسة ان ينتزع الحسم الكبير، فأنقلب الحسم الى ضده وضد المانيا، فقد كانت معدات القوات التي استخدمت في الهجوم الالماني افضل ما استطاعت المانيا ان تقدمه وكانت روحها المعنوية عالية، إلا انها فشلت وكان فشلها عاملاً مؤثراً في هزيمتها والتي كانت سبباً مؤثراً في اندلاع ثورة البحارة في كييل عام ١٩١٨[٤٣]

ج – الاضرابات العمالية:

عمل الاشتراكيون الديمقراطيون والشيوعيون منذ فشل العرض الالماني للسلام في كانون الاول في عام ١٩١٦ بنشاط ونجاح متزايدين وباستمرار على الترويج لسلام فوري لا غالب فيه ولا مغلوب واستخدموا في ذلك شيئاً فشيئاً شعارات واساليب الثورة الروسية، وقد ارتقت هذه النجاحات الى مستوى نهج يقتدى به، اذ عمل الاشتراكيون الى نشر فكرة الاضرابات العامة التي نشطت في المانيا، كما عملت على شل السلطات الحاكمة والتي اثرت وبشكل كبير على القوات المسلحة بما فيها القوات البرية والبحرية فقد حدثت اضرابات عدة اهمها:

١- اضراب نيسان عام ١٩١٧.

٢- اضراب ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨، والذي عم اهم المدن الالمانية برلين–ميونخ–كييل–هامبورغ–نورمبيرغ وغيرها، كما عمت اضرابات جماهيرية كبرى في النمسا–المجر تعبيراً عن سخط الجماهير على الحرب والحرمان.

٣- اضراب شباط ١٩١٨.

وقد اثرت هذه الاضرابات في قطاع صناعة الاسلحة وعلى القوات البحرية[٤٤].

ح– الطابع الثوري:

اتسمت الاضرابات والتحركات الجماهيرية الالمانية بطابعاً ثورياً متأثراً في ذلك بما جرى في احداث الثورة الروسية عام ١٩١٧،اذ تشكلت مجالس عمالية لإدارة المناطق والمعامل والمصانع في معظم الولايات الالمانية بهدف تغير النظام الاساسي الالماني في هذه الولايات الالمانية، فقد حدث اول تمرد في اسطول اعالي البحار في صيف عام ١٩١٧ كان الهدف منه جعل الاسطول عاجزاً عن القتال عن طريق عصيان الاوامر، وكان قادة التمرد على صلة وثيقة بنواب مستقلين في الرايخشتاغ الالماني، وبالرغم من فرض عقوبات صارمة فقد استمرت حملة التحريض، وقد برهن الاسطول الالماني انه ارضية صالحة لتقبل الافكار الاشتراكية ذات الطابع الثوري لعدة اسباب اهمها:

١- حياة الرتابة والعطالة التي عاشها جنود البحرية على ظهور السفن بسبب عدم اعطائهم دوراً واسعاً في خطة الحرب التي وضعها القادة الالمان فقد بقي جنود البحرية باستثناء جنود الغواصات في مرافئهم في معظم فترات الحرب ولم يقوموا بأي دور طول سنوات الحرب.

٢- قلة المواد الغذائية وقسوة النظام العسكري في البحرية الالمانية والتي استنزفت قواهم وزادتهم استياءً[٤٥].

ويبدو مما تقدم ان هناك جملة من العوامل اسهمت في قيام ثورة البحارة في ٣ تشرين الاول ١٩١٨ منها ما يتعلق بالطبيعة الاقتصادية والتقنية والسياسة الخارجية الالمانية وفشلها فضلاً عن فشل الاستراتيجية الالمانية في تحقيق اهدافها ومن ثم العوامل الداخلية التي كانت السبب المباشر في قيام الثورة.

ثانياً: احداث ويوميات الثورة:

قررت القيادة الالمانية زج الاسطول الالماني في المعركة عام ١٩١٨ لتحسين الوضع العسكري بمجمله، وكان من الواضح ان القيادة الالمانية قررت الزج بثقلها العسكري كله طالما ان معاهدة السلام ستكون قاسية وبطبيعة الحال مذلة وغير مشرفة، لكن الاسطول الالماني اخفق في اداء مهمته بسبب تأثير العوامل الداخلية والاضرابات وحوادث العصيان، وكانت هذه التجربة المشينة والتي لم يكن لها ما يقابلها في الجيش، كما كان تأثير العمل الثوري واسعاً وكبيراً في الاسطول حتى انه وصل الى الخطوط الخلفية من الجبهة، إلا ان الجبهة ظلت بعيدة عن مؤثرات العمل الثوري حتى أب من عام ١٩١٨،لكن ما زعزع

الجبهة في ما بعد نفسياً وجسدياً زحف الحلفاء المنتصرين من منطقة الى اخرى والتأكد وبشكل متزايد من عدم جدوى المقاومة على ان ادراك ذلك اصبح محسوساً ولم يكن بحاجة الى أية دعاية أو دليل(٤٦).

اصدر شير القائد العام للأسطول الالماني في (كييل) بالتجمع في بحر الشمال بالقرب من ويلهلمشفن Wilhemshaven اذ كان مقدراً للقوات البحرية الاشتباك في اخر عملياتهم ضد الاسطول البريطاني، ساعين من وراء ذلك تخفيف الضغط على الجيوش الالمانية المتراجعة طوال الساحل البلجيكي، وكان قادة البحرية تواقين الى اظهار قوة الاسطول البحري وقدرته على القتال حتى لو كانوا يشكون بقدرته على النصر لاسيما وان قائد الاسطول الالماني شير كان قد استاء كثيراً لاكتشافه ان ايقاف حرب الغواصات هو احد الشروط الاساسية للحصول على الهدنة التي وافق عليها لودندروف بدون استشارة زميله في البحرية لذلك قرر قائد البحرية، ولشعوره بالإذلال ولغرض استعادة شرف البحرية الالمانية وامجادها للقيام في عملية هجومية اخيرة ضد الاسطول البريطاني(٤٧).

اصدرت القيادة الالمانية في ٢٤ تشرين الاول ١٩١٨ الاوامر بأبحار الاسطول الالماني في اعالي البحار الا ان البحارة رفضوا تنفيذ الاوامر، اذ ارتابت كوادر السفن البحرية بما خبئ لها في اروقة القيادة فرفض البحارة الانصياع معلنين التمرد على اوامر القيادة، وقد كان لهذا الرفض عوامل عديدة اهمها:

١- انخفاض الروح المعنوية لأفراد الاسطول البحري لاسيما وان الاسطول لم يكن بمستوى ما أحيط به من عظمه ومجد لاسيما وان القوات البريطانية دأبت على تضييق الخناق على الشواطئ الالمانية اثناء مدة المفاوضات من اجل الهدنة.

٢- حالة الفتور والخمول التي عانى منها الاسطول الالماني نتيجة لعدم مشاركة الاسطول بشكل فعال في المجهود الحربي باستثناء موقعة جتلند Jutland عام ١٩١٦ فقد ظل الاسطول مرابطاً في قاعدته لمدة سنتين، وقد ولدت هذه الحالة فقدان الروح القتالية لدى افراد الاسطول البحري فكان من الصعب اعادتهم بعد مدة الخمول الى حالة التأهب والاستعداد والهجوم مرة اخرى.

٣- انتشار اخبار الهدنة في كل انحاء المانيا واخذ افراد القوات المسلحة الالمانية يتطلعون الى حالة السلام وعودة المقاتلين الى ديارهم، لاسيما وان المفاوضات قطعت اشواطاً كبيرة بعد موافقة الحكومة الالمانية على شروط دول الوفاق التي كان من ضمنها انهاء حرب الغواصات.

٤- تمكن الخلايا الشيوعية من التغلغل في الاسطول البحري الالماني فقد اخذت مبادئ البلشفية تنتشر بشكل كبير بعد توقيع صلح بريست ليتوفسك Brest Litovisk في اذار ١٩١٨،وقد نشرت الخلايا الشيوعية اخباراً مفادها ان القيادة الالمانية قررت التضحية بالسفن الحربية وملاحيها في معركة مشتركة ضد الاسطول البحري البريطاني والامريكي معاً، ثم بدأت الاشاعات تتجه باتجاه انه لا يمكن انهاء الحرب الا بالثورة على الحكم القيصري والقيصر وليم الثاني(٤٨)

٥- وجود عدد من الضباط الالمان المتحمسين لفكرة ان التضحية بالأسطول الالماني في معركة كبيرة واخيرة ضد الاسطول البريطاني خير من الاستسلام، فقد كان الخطر حقيقياً يقتضي التصرف بسرعة فامتنع عدد من البحارة عن الابحار وبقي الاسطول في الميناء(٤٩)

بدأت بوادر العصيان تظهر بشكل ملموس، ففي ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ وبينما كان الاسطول الالماني في ميناء سيليج Schieleage يتأهب للهجوم على الاسطول الانكليزي، تظاهر جنود البحرية ضد ضباطهم وتمردوا على اوامرهم، وبادر قائد المدرعة تيرينجن Teriengin الى اطفاء المراجل والانوار وهكذا اضطر الاميرال فون هيبر Von Heaber الى ايقاف الهجوم، وفي ٣١ تشرين الاول ارسلت القيادة الالمانية النسافات والغواصات لإخضاع المدرعات المتمردة، وقد استسلم البحارة بعد طلقات الانذار واقتيد ٤٠٠ منهم(٥٠).

لقي البحارة المتمردون تأييداً كبيراً من سكان مدينة كييل لاسيما عمال الموانئ الذين اعلنوا الاضراب عن العمل، واخذت الجماهير الغاضبة تجوب مدينة كييل وتنتزع سلاح من يصادفها من ضباط الدوريات، وتسلحت الجماهير الغاضبة وعم الهيجان مدينة كييل وارجائها، وانضمت الوحدات التي تمردت في بداية الثورة وبلغ عدد المتمردين ٢٠ الفاً(٥١).

عقد البحارة المضربين في ١ تشرين الثاني ١٩١٨ اجتماعات عديدة ترأسها جنود اسطول كييل Keil مطالبين بإطلاق سراح رفاقهم المسجونين في احداث العصيان، وقد اطلق على مطالب العمال ماعرف بـ(١٤ نقطة كييل) مطالبين بالخبز والسلام، وقد سعت السلطات العسكرية في كييل في منع اجتماع البحارة لكن ذلك لم يمنع الجنود من التجمع في جماعات صغيرة ومناقشة القرار المناسب وقرروا القيام بمظاهرات احتجاجية في يوم الاحد ٣ تشرين الثاني الساعة الخامسة في ساحة السلاح بمدينة كييل، اذ وزعت في يوم ٣تشرين الثاني مناشير مكتوبة باليد تدعوا للاشتراك في المظاهرات، وفي الوقت نفسه امرت قيادة الجيش في المدينة بضرب الطبول لمقاومة انعقاد اجتماع جنود البحرية، وانطلقت دوريات البوليس العسكري داعية الجنود والبحارة الى العودة الى ثكناتهم أو قطع اسطولهم،لكن ذلك لم يمنع اجتماع البحارة والجنود في ساحة السلاح[٥٢].

دعى خطباء الحزب الاشتراكي الديمقراطي The Dimocratic Socilist Party [٥٣]والحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل The Socilist Dimocratic Party الجماهير الى الصبر والانتظار لكن الجماهير الغاضبة لم تستمع الى نصائحهم، وانطلقت المظاهرة التي كانت تنزع السلاح من تصادفهم في طريقها من الضباط والدوريات وتسلح الجماهير الغاضبة به[٥٤].

اطلقت بعض الدوريات النار على المظاهرة فسقط عدد من القتلى والجرحى من الجماهير وعم مدينة كييل الاضطراب والهيجان ما ادى الى اضطراب الاميرال سووخن Sawken حاكم مدينة كييل العسكري، وفي هذه الاجواء الارتجالية تدخلت الاحزاب السياسية الاشتراكية في فرض نفسها قائدة للثورة، اذ تدخل نوسكه[٥٥] Nosca زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي في اجتماع ضخم قائلاً "انه يحبذ القيام باصطلاحات عميقة، لكنه يعارض بشدة القيام بثورة عنيفة لن تحمل للشعب الالماني الا مزيداً من الالام بالإضافة الى المصائب التي يعاني منها" وفي نفس اليوم ٣ تشرين الثاني ١٩١٨ تمرد بحارة البارجة الالمانية ماركا جراني Marca Grany، كما قامت مظاهرات شعبية واسعة في مدينة ميونخ[٥٦]في اشارة الى توسع حركة الثورة في المدن الالمانية.

تعمقت الحركة الثورية في كييل واتسع نطاقها، فقد انضمت في ٤ تشرين الثاني ١٩١٨ الوحدات التي رفضت الانضمام للحركة الثورية وبلغ عدد الجنود المتمردين حوالي ٢٠,٠٠٠جندي وضابط، وقد اضطر الاميرال فون هيبر قائد منطقة كييل العسكرية الى التعامل مع الثورة بشكل سلمي ولم يعد يفكر في استخدام السلاح للتصدي للثورة، واعلن في اليوم نفسه انه على استعداد للاستماع لشكوى البحارة والجنود المتمردين وحدد موعداً للقائهم، ومن الجدير بالذكر ان البحارة وفي نفس اليوم كانوا قد اقدموا على عملية عفوية هامة تمثلت في انتخاب مجلس الجنود الاول للثورة الالمانية برئاسة الجندي البحار أرتلت Artelt ،وقد ارسل الجنود الذين نظموا انفسهم في مجلس مندوبهم، في حين استقبل الاميرال سوخون ارتلت بصفته تلك ليقدم له مطالب الجنود والبحارة وقد تضمنت:

١- زيادة عدد الاجازات.

٢- الغاء التحية العسكرية الاجبارية.

٣- تقليل مدة الخدمة لاسيما في مجال البحرية.

٤- انسحاب القوى والمفارز البوليسية من المدينة.

٥- تحرير جميع الجنود والبحارة المعتقلين على خلفية العصيان الثوري.

٦- تخلي الامبراطور وليم الثاني[٥٧]عن العرش.

وافق الاميرال على الاستجابة للمطالب غير السياسية للبحارة واعترف بمجلسهم، لكنه رفض الاستماع الى المطالبة بتخلي الامبراطور، مما ادى الى اعلان الاضراب العام في مساء ذلك اليوم، وقد ارسلت الحكومة الالمانية الى مدينة كييل وزير الدولة هاوسمات Hawsmat[٥٨] في حين عاد نوسكه الى كييل كممثل للحزب الاشتراكي الديمقراطي موفوداً من قبل فردريك ايبرت[٥٩] وفيليب شايدمان[٦٠]، وفي يوم ٥ تشرين الثاني سيطر البحارة على المرفأ بشكل كامل وقد استمرت الباخرة الحربية King وحدها بتعليق العلم الامبراطوري في حين طالب الثوار بنزع العلم الامبراطوري فرد عليهم آمر الباخرة بالرصاص ورد عليه الثوار البحارة فأردوه ومساعده قتيلين وانزل العلم الامبراطوري من الباخرة، واضطلع مجلس العمال والجنود بكافة السلطات الادارية في مدينة كييل[٦١].

بذل فردريك ايبرت قصارى جهده للعمل مع القوى القديمة وطالب في يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٨ بتنازل القيصر فيلهلم الثاني الذي كان في مقره في سبا Spa بعد ان وافق الحلفاء على تهدئة المفاوضات، اذ اعلن ايبرت في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ "اذا لم يتنازل القيصر فأن الثورة الاشتراكية لا يمكن تجنبها"[٦٢]

ثالثاً: نهاية الثورة ونتائجها:

عهدت حكومة ماكس بادنسكي Max Badniskie بقمع الانتفاضة الى احد زعماء اليمين الاشتراكيين الديمقراطيين وهو غوستاف نوسكه الذي وصل الى كييل لتهدئة الامور، اذ استخدم زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي اسلوب الوعد بالعفو عن البحارة في محاولة لإعادة البحارة الى وحداتهم وتسليم اسلحتهم وذخائرهم، لكن هذا الاسلوب فشل في ايقاف المد الثوري للبحارة ونظراً لعجزه عن المقاومة المسلحة اضطر الى استخدام تكتيكاً هاماً، اذ اعلن نفسه زعيماً للثورة واعطى لنفسه لقب حاكم كييل، وفي الوقت نفسه استولى البحارة في لوبك Lobek على المحطة ومركز البريد والتلغراف، وامتدت حركة الثورة الى حاميات هولشتاين Holisschtien وثغور نهر الالب، كما امتدت الثورة الى ميناء هامبورغ وقرر الحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل اعلان الاضراب العام في حين اعلن دوق مكلمبوغ Macliempurg إشاعة الديمقراطية في دستور المدينة[٦٣].وبذلك تكون ثورة البحارة في كييل ايذاناً بقيام انتفاضة اخرى اكثر اهمية منها في المانيا كلها.

استخدم نوسكه كل ما أوتي من دهاء وقسوة للقضاء على الثورة واعادة الانضباط الى الاسطول وعودة البحارة الى ثكناتهم بعد ان تعهد لهم بإيصال مطالبهم الى الحكومة في برلين، وبذلك تكون ثورة البحارة في كييل ايذاناً بقيام انتفاضة اخرى في ميونخ والولايات الالمانية الجنوبية والتي عرفت بانتفاضة سبارتكوس[٦٤].

بدأت الحركات الانفصالية تنتشر في جميع انحاء المانيا القيصرية ففي ميونخ قامت ثورة عارمة بتحريض من الحزب الاشتراكي المستقل ورفعوا شعار (البعد عن الامبراطورية...الانفصال عن بروسيا) واعلنوا بافاريا Pavaria[٦٥] دولة اشتراكية واتخذوا مصنعاً في بافاريا مقراً للحكومة، مما اضطر ملك بافاريا لويس الثالث LouisIII [٦٦] (١٩١٢-١٩١٨) الى التنازل عن العرش في بافاريا، وما ان حل تشرين

الثاني حتى انهارت جميع العروش الالمانية فقد انفصلت الولايات البولندية والدنماركية والالزاس واللورين عن الامبراطورية[٦٧].

اصدر وليم الثاني اوامره الى القائد العام للجيش بالعمل ضد الثورة باستخدام القوة لإعادة السلام الى البلاد ولكن قادة الجيش اخبروه ان الجيش لن يطيع الاوامر وان برلين تشهد مظاهرات حاشدة تطالب القيصر بالتنازل عن العرش، وقرر اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي تقديم انذار الى الامير ماكسMax بأنهم سوف ينسحبون من الحكومة مالم يتنازل القيصر عن الحكم ويتخلى ولي عهده عن حقه بالوراثة، تنازل القيصر يوم ٩ تشرين الثاني واختفى هو واصحابه بعد انتصار الثوار عليهم في كل مكان وسلم الامير ماكس فون بادن منصب مستشارية الرايخ الى نائبه فردريك ايبرت، حيث بدأ بتشكيل حكومة تضم جميع الاحزاب الاجتماعية وعملت لإحلال السلام واعلان الجمهورية[٦٨].

تنازل القيصر وليم الثاني عن العرش نزولاً عن رغبة الشعب الالماني وغادر في ١٠ تشرين الثاني الى هولندا، وتولى فردريك ايبرت وفيليب شايدمان تشكيل حكومة مؤقتة عرفت باسم حكومة المديرين لإدارة شؤون البلاد، وفي الساعة الحادية عشر من صباح يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٨وقعت المانيا الهدنة مع ممثلي الحلفاء[٦٩].

الخاتمة:

١- اندلعت ثورة البحارة في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٨ بعدما رفض الجنود والبحارة الاستجابة للأوامر التي صدرت من القيادة العليا في زج الاسطول وبشكل مباشر في معركة واسعة غير مضمونة النتائج، وكانت الثورة في ميناء كييل ثورة عفوية اندلعت من قبل الجنود والبحارة وقد ظلت هذه العفوية سمة هذه الثورة حتى تم قمعها أو استغلالها من قبل الاحزاب السياسية في البلاد.

٢- حاولت الاحزاب السياسية في المانيا استغلال الثورة وتنصيب نفسها قائدة لهذه الثورة، واستغلال نتائجها أحسن استغلال لتعزيز دورها (الاحزاب)، فقد نجح الحزب الاشتراكي الديمقراطي والديمقراطي الاشتراكي المستقل والنقابات العمالية في قمع الثورة اذ تحالفت الاحزاب والنقابات مع ضباط الجيش في القضاء على الثورة.

٣- اثرت الثورة الروسية عام ١٩١٧وبشكل مباشر في ثورة البحارة في ميناء كييل وعملت على ازدياد النشاط الاشتراكي والمطالبة العلنية بالثورة واعلان الجمهورية، لان ثورة البحارة عملت وبشكل مباشر بعد سيطرتها على الميناء بشكل كامل على تشكيل مجالس تشبه الى حد كبير (مجالس السوفيتات) لإدارة الميناء، ويمكن القول ان ثورة البحارة مهدت لثورة اخرى هي ثورة سبارتكوس الشيوعية في البلاد.

٤- كان من اهم اسباب ثورة البحارة في ميناء كييل العامل الاقتصادي المتعلق ببذل الحكومة الالمانية جهوداً واسعة للسيطرة على القطاع الاقتصادي والاشراف عليه باتخاذ اجراءات اشتراكية في مجتمع رأسمالي مما مهد لانتشار الخطوات والاجراءات الاشتراكية، ويبدو ان الدولة الالمانية رغم نظامها الاستعماري الرأسمالي طبقت اجراءات ونظاماً اشتراكياً سيطرت فيه الدولة على كل مفاصل الحياة الاقتصادية والاجتماعية فأصبحت اشتراكية الدولة الالمانية حقيقة واقعة في كل اجراءاتها.

٥- ساهمت ثورة البحارة في ميناء كييل بالإضافة الى مجموعة من الاسباب الاخرى تتعلق بنتيجة الحرب في انهيار القيصيرية الالمانية ونهاية اسرة ال هوهنزوليرن في المانيا، وتمهيد الطريق لتأسيس جمهورية فايمار.

٦- كانت الظروف مواتيه في شمال المانيا ومقاطعة كييل ومشجعة للقيام بمساندة ثورة البحارة في كييل، اذ عملوا على حمل السلاح بوجه السلطة المحلية، وتحولت الاضطرابات والتظاهرات الضخمة والتي لم تكن منظمة بالشكل المطلوب الى فوضى مصحوبة بالعنف والقسوة مما ادى الى شل مرافق الانتاج الاقتصادية عن العمل.

٧- لم تأخذ الثورة في ميناء كييل الالماني طابعاً متطرفاً كما حدث في روسيا عام ١٩١٧ رغم مشاركة عناصر يسارية في الثورة ذلك ان خطابات المتطرفين والشيوعيين قمعت بسرعة نسبياً في المانيا ودخلت البرجوازية الالمانية في تحالفات واسعه مع الجنرالات والضباط الذين اعتادوا على مواجهة القوى اليسارية المتطرفة للمحافظة على الاوضاع السياسية القائمة في البلاد وامتياز البرجوازيين والطبقات المختلفة في المانيا دون السماح للاشتراكيين في السيطرة على الاوضاع في البلاد.

٨- أدرك البحارة الالمان ان القيصر وحاشيته يمثلون العقبة الوحيدة امام مفاوضات السلام، فقد دفعت الاحداث القيادة العسكرية الى قرار الاستمرار في الحرب وعدم قبول الاذلال والاستسلام غير المشروط، وكان هذا دافعاً للبحارة للقيام بثورتهم.

الهوامش:

(١) الثورة البلشفية:اندلعت في روسيا بتاريخ ٨ اذار ١٩١٧اضراباً عاماً ولما ارادت الحكومة استخدام الجيش في القضاء على الاضراب تمرد الجيش وانضم الى جانب المضربين وقد بلغ الانحلال حده الاقصى في ١٤ أذار ١٩١٧ فقرر زعماء مجلس الدوما تكوين حكومة مؤقتة لاعادة النظام ،تم تنازل القيصر في ١٥ أذار ١٩١٧ فكانت المرحلة الاولى من الثورة الروسية،وفي ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ المصادف ٢٦ تشرين الاول استولى البلاشفة على بناية الحكومة وقبضوا على اغلب الوزراء في الحكومة المؤقته وفي اليوم نفسه اسس فلاديمير لينينFldemer Lenin اول مجلس للوزراء واصبح اول رئيس للوزارة في روسيا البلشفية وكانت هذه المرحلة الثانية من الثورة الروسية.للمزيد ينظر:

Anthony D. Agostino,The Russian Revolution١٩١٧-١٩٤٥,Praeger,United States of America,٢٠١١,p.p.٢٩-٣٠.

(٢) Louis L.Snyder,Documents of German History,New Jersey,١٩٥٨,p.١١٢؛A.J.Nicholls,Weimar and The Rise of Hitler,New York,١٩٥٣,pp.٦٦-٦٧.

(٣) وليم الثاني:(١٨٥٩-١٩٤١)ملك بروسيا وامبراطور المانيا ولد في ٢٧ كانون الثاني ١٨٥٩ وهو حفيد الامبراطور وليم الاول،تولى العرش في ١٥ حزيران ١٨٨٨ بعد والده الذي لم يستمر في الحكم اكثر من ثلاثة اشهر،تنحى عن العرش في ١٠ تشرين الثاني عام ١٩١٨ بعد هزيمة المانيا في الحرب العالمية الاولى،وابعد الى هولندا بعد تصاعد دعوات دول الوفاق والمعارضة الداخلية.ينظر:

L.Edward Purcell,David F.Buurg,Almanac of World War I,University Press of Kentucky,Lexington,١٩٩٨,pp.٢٨٢-٢٨٣؛Encyclopedia Britannica,U.S.A,INC,١٩٧٠.Vol.٢٣,p.٥٩٩.

(٤) بيتمان هولويج:مستشار المانيا منذ عام ١٩٠٩ حتى بداية الحر العالمية الاولى، كانت مهمته الاساسية في سياسته الخارجية تفريق التحالف الثلاثي بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية لكنه فشل،حاول توجيه الجيش الالماني للشرق

لمحاربة روسيا وتجنب استعداد فرنسا،افتقر الى القوة،كان مسؤلاً عن برنامج سبتمبر Sptember الذي حدد اهدافاً حربية هائلة،امضى سنواته الاخيرة في محاولة موازنة الانقسامات في المانيا.للمزيد من التفاصيل انظر:

Academic American Encyclopedia, Vol.٣,Arete Publishing Company,New Jersey , ١٩٨١,p.٣٩٨.

(٥) غيورغ ميكاياليس:(١٨٥٧-١٩٣٦) مستشار المانيا للمدة من ١٤ تموز ١٩١٧ لغاية ١ تشرين الثاني ١٩١٧ وجاء تعينه بناءاً على رغبة القيادة العسكرية الالمانية في محاولة منها لوضع مستشار قادر على التفاهم مع القيادات العسكرية لكسب الحرب أو وضع حداً مشرف لنهايتها.للمزيد من التفاصيل انظر:

Academic American Encyclopedia, Vol.٥,Op.Cit,p.٢٣٨.

(٦) لودندروف:(١٨٦٥-١٩٣٧) قائد عسكري ولد في مدينة (Kruszewnia) بالقرب من Bozen من عائلة بسيطة ،دخل الكلية الحربية وتخرج منها برتبة ضابط في كتيبة المشاة ١٨٩٤،تولى عام ١٩١٢ قيادة فرقة المشاة العسكرية وعند اعلان التعبئة العامة في المانيا عام ١٩١٤ تولى قيادة الجيش الالماني الثاني،ونجح في تحقيق نصر حاسم وسريع على حصن لييجLiege وسيطر عليه،عين في اب ١٩١٤ قائداً عاماً للعمليات العسكرية،تولى عام ١٩١٧ قيادة الجيش الثامن في الجبهة الشرقية،قدم استقالته في ٢٦ تشرين الاول ١٩١٨ ونقل الى منفاه في السويد.ينظر:

Encyclopedia Britannica,Vol.١٤,p.٤٠٢.

(٧) J.F.C,Fuller,Amilitary History of The Westren World,New York,١٩٥٦,p.١٣٤؛F.P.Chambers, The Age of Conflict,London,١٩٦٢,p.١٢٥.

(٨) غورغ فون هرتلنج:سياسي الماني ولد في ٣١ أب ١٨٤٣-٤ كانون الثاني ١٩١٩،تولى منصب المستشارية في الامبراطورية الالمانية من ١ تشرين الثاني ١٩١٧ لغاية ٣٠ أيلول ١٩١٨،درس في جامعة لودفيغ ماكسمليان وينتمي الى حزب الوسط،شغل منصب رئيس وزراء بافاريا من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩١٧،وزيراً لروسيا وبروسيا،وهو اول سياسي حزبي شغل منصب المستشار ،وهو استاذ الفلسفة بجامعة ميونخ،عضواً في البرلمان الامبراطوري عام ١٨٧٥.ينظر:

Encyclopedia Britannica,Vol.٨,p.٨١٦.

(٩) الرايخشتاغ:مصطلح الماني يعني الامبراطورية أو مملكة، استعملت خلال فترات متعددة من التاريخ الالماني جاءت لاول مرة عام ٩٦٢ مع تتويج القيصر اوتو الاول lotto ،وقد تأسس الرايخ الثاني في ١ كانون الثاني ١٨٧١ في ظل نظام اسرة ال هوهنزوليرن،ثم جاءت تسمية الرايخ الثالث في ظل حكم النازية وبعد ضم النمسا اصبحت التسمية رايخ المانيا الكبرى.للمزيد ينظر:

Eleanor L. Turk,The History of Germany,Greenwood Press, London, ١٩٩٩, pp.٢٣٢-٢٣٣.

(١٠) ماتياس ارزبرجر:(٢٠ ايلول ١٨٧٥-٢٦ أب ١٩٢١)سياسي الماني كان وزير المالية في جمهورية فايمار من عام (١٩١٩-١٩٢٠)كان بارزاً في حزب الوسط الكاثوليكي،تحدث ضد الحرب العالمية الاولى بصفته ممثلاً معتمداً لحكومة الرايخ،وقع الهدنة بين المانيا والحلفاء،تم اغتياله بسبب هذا العمل على يد منظمة القنصل الارهابية اليمينية،كان عضواً في البرلمان الالماني منذ عام ١٩٠٣،حاول اصلاح النظام الضريبي الالماني وتعزيز دور الحكومة المركزية،لكنه تعرض للانتقاد من الاحزاب المناهضة للجمهورية.للمزيد من التفاصيل ينظر:

John.R.P.Mckenzle,Weimvar Germany (١٩١٨-١٩٣٣),Paris,١٩٧١,,p.٢٥.

(١١) J.F.C,Fuller,Op.Cit,p.٢٣٨.

(١٢) معاهدة بريست ليتوفسك:وقعت في ٣ أذار عام ١٩١٨،بين المانيا من جهة وروسيا السوفيتية من جهة اخرى،حيث انتهت المشاركة الروسية في الحرب العالمية الأولى،وكان على الأتحاد السوفيتي الموافقة على الخسائر الأقليمية الهائلة ودفع التعويضات،الغيت المعاهدة بسبب الهدنة بين المانيا والقوى الغربية الموقعة في ١١تشرين الثاني ١٩١٨.ينظر:

Academic American Encyclopedia,Vol.٣ ,Op.Cit,p.٧٠٣.

(١٣) جزر الأند:مقاطعة ذات استقلال ذاتي،وتقع جزر الاند عند مدخل خليج بوسنيا،وتبلغ مساحتها١٥٢٢كيلو متر مربع،والاغلبية الساحقة من سكانها يتكلمون السويدية،وهي جزر صغيرة تبلغ ٦٥٥٤ جزيرة،واكبرها جزيرة الاند وتعتبر مفتاح البلطيق،وكانت فيها استحكامات وتحصينات عسكرية،دمرتها حملة انكليزية-فرنسية في حملة مشتركة في آب ١٨٥٤ خلال حرب القرم،ونصت معاهدة باريس على جعلها منزوعة السلاح.ينظر:مسعود الخوند،الموسوعة التاريخية الجغرافية، فلسطين-قبرص،ج١٤،(بيروت:اصدار خاص،١٩٩٩)،ص٣٠٧.

(١٤) البلاشفة:هم الاعضاء في حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي،ولكنهم انفصلوا في عام ١٩٠٣ بعد ظهور الخلافات الداخلية بين اعضاء الحزب الذين يريدون التغيير السلمي والذين يريدون التغيير الثوري،فأكثرية اعضاء الحزب كانوا يريدون التغيير الثوري وهم (الاكثرية)البلاشفة،اما الذين ارادوا التغيير السلمي هم (الاقلية) المناشفة،سار أغلب الحزب مع لينين الذي كان زعيماً للحزب البلشفي والبلاشفة،وكان الحزب البلشفي مؤسسة فريدة من نوعها تم تنظيمها كمجموعة جماعية لغرض محدد وهو الاستيلاء على السلطة وصنع ثورة من الاعلى اولاً في روسيا ومن ثم في بقية العالم.ينظر:

Richard Pipes,Russia Under The Bolshevik Regime,A Division of Random House,New York,١٩٩٤,p.p.٤-٥.

(١٥) William Carr,A History of German ١٨١٥-١٩٤٥,Edward Arneed Publishers Ltd, London,١٩٧٤,pp.٢٥٩-٢٦٠.

(١٦) ميناء سيباستبول:ميناء في شبه جزيرة القرم موطن الاسطول الروسي القديم منذ الحقبة السوفيتية،يطل على البحر الاسود،وقد اشتهرت المدينة بأنها مدينة الجهد العسكري الروسي ولها اهمية في تاريخ روسيا العسكري،يعود تاريخ تأسيس المدينة الى عام ١٧٨٣ بعد قيام روسيا القيصرية بغزو شبه جزيرة القرم عام ١٧٩٧ حيث تغير الاسم الى ايختار وفي ٢٦ نيسان ١٨٢٦ عاد للمدينة اسمها القديم سيفاستويول.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Great Soviet Encyclopedia,New York,١٩٧٩,Vol.٢٠,p.٣٢٧.

(١٧) Schuman Frederick,Inter National Politics,Craw Hill-Book Campany INC,New York,١٩٥٨,pp.٩٣-٩٤.

(١٨) معاهدة بوخارست:تمت في العاصمة الرومانية في ٢٨ ايارعام ١٨١٢ بين القوات الروسية والعثمانيين ،وقد انهت ٢٠ حرباً روسية-عثمانية امتدت اربع سنوات، وقد اكدت معاهدة بوخارست عام ١٩١٣ السيطرة الرومانية على جميع انحاء دوبرجا .ينظر:

Paul Robert Magocsi,A History of Ukraine The Land and Its Peoples,Second Edition, University of Toronto Press,London,٢٠١٠,p.٥٥٣

(١٩) الفلاندرز:الجزء الشمالي من بلجيكا،وتسمى فلاندرز بالفرنسية وويستوك في الفلمنكية،وكانت تتمتع بالحكم الذاتي،ويستخدم المصطلح للدلالة على غالبية البلجيك،والفلاندرز الحالية لاتعبر عن الفلاندرز القديمة،فالفلاندرز القديمة كانت تشمل أجزاء من فرنسا وهولندا حالياً.ينظر:

James Minahan,Encyclopedia of The Stateless Nations:Ethnic and National Groups Around The World,Vol.II,Greenwood Press,London,٢٠٠٢,p.٦٠٦.

(٢٠) الجنرال فوش:(٢ تشرين الثاني ١٨٥١-٢٠ أذار ١٩٢٩) قائد عسكري فرنسي عين قائداً عاماً لجيوش الحلفاء وهو المنصب الذي شغله حتى ١١ تشرين الثاني ١٩١٨،وافق على طلب الهدنة من قبل القادة الالمان،شارك في الحرب الفرنسية-البروسية والحرب العالمية الاولى،حاز على وسام جوفة الشرف ونيشان الاستحقاق الفرنسي.للمزيد من التفاصيل ينظر:بسام العسلي،الماريشال فرديناند فوش،ط١،(دمشق:١٩٨٣)،ص٣٤.

(٢١) Stevenson D.,French War Araims Against Germany ١٩١٤-١٩١٩,Oxfored University,Clarendon Press,١٩٨٢,pp.١٧٠-١٧٢؛ Temperley H.W,A History of The Peace Conference of Paris,Oxfored,University Press,١٩٦٩,Vol.٢,P.٢٣٨.

(٢٢) هدنة مودروس:وقعت هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ بين الدولة العثمانية ودول الحلفاء واوقفت العمليات العسكرية في الشرق الاوسط،وقد وقعها وزير الشؤون البحرية العثماني رؤوف اورباي بك والاميرال البريطاني سومرست على متن السفينة اتش ام.اس.اغا ممنون في ميناء مودروس في جزيرة لمينوس اليونانية،وقد اعقب الهدنة احتلال اسطنبول وتقسيم الامبراطورية العثمانية.للمزيد من التفاصيل ينظر:

E Fraim Karsh,Empires of The Sand:The Struggle for Mastery in the Middle East,Harvard University Press,٢٠٠١,p.٣٢٧.

(٢٣)Criss Bilge,Constantinople Under Allied Occupation ١٩١٨-١٩٢٣,London,١٩٩٩,pp.١٧-١٨؛Wiskemann Elizabeth,Europe of the Dictators ١٩١٩-١٩٤٥,Great Britain,C Nichollas and Company Ltd,١٩٦٦,pp.٣٣-٣٤.

(٢٤) مبادئ ويلسون الأربعة عشر:١- الغاء الدبلوماسية السرية،لأن المعاهدات والأتفاقيات السرية،سبب من اسباب التوتر بين الدول،٢- حرية الملاحة خارج المياه الأقليمية في زمن السلم والحرب على السواء،إلا في حالة اغلاق البحار بقرار من جميع الدول تنفيذاً لاتفاقيات مبرمة من قبل،٣- الغاء الحواجز الأقتصادية،وتحقيق المساواة في المعاملات التجارية بين كل الدول،٤- تخفيض التسلح بين الدول الى الحد الذي يحافظ على أمنها الداخلي فقط،٥- تتم تسوية المطالب الأستعمارية تسوية عادلة،مع الأهتمام بمصالح شعوب هذه المستعمرات عند اختيار الدول التي سيعيد اليها الأشراف على هذه المستعمرات،٦- الجلاء عن كل الأراضي الروسية ومنحها القرصة الكاملة لترقية شؤونها وتقديم المساعدات اللازمة لها،٧-عودة بلجيكا دولة مستقلة بحدودها القائمة،وتقديم الضمانات اللازمة على سيادتها واعتراف الدول بحيادها،٨- جلاء القوات الألمانية من كل الأراضي الفرنسية،بما في ذلك الألزاس واللورين والتي احتلتهما بعد معاهدة ١٨٧١،قبل خمسين عام،وعليها أصلاح ماافسدته،٩-تخطيط الحدود بين ايطاليا والنمسا على اساس مبدأ القومية،١٠-منح شعوب النمسا والمجر استقلالهما الأداري،ومنحها حرية تشكيل حكوماتها،١١-الجلاء عن اراضي رومانيا وصربيا والجبل الأسود،واعطاء الصرب منفذاً على البحر،وتسوية العلاقات بين دول البلقان على اساس مبدأ القومية،١٢- لجميع القوميات غير التركية التي تعيش تحت ظل الإمبراطورية العثمانية الحق في اكمال استقلالها وانشاء حكوماتها،ووفتح مضيقي البسفور والدردنيل امام جميع السفن،١٣- عودة بولندا دولة حرة مستقلة،ومنحها منفذاً على البحر،١٤-انشاء عصبة عامة

للدول،يربط بين اعضائها مواثيق خاصة مهمتها تعاون الحكومات فيما بينها على إقرار السلام العالمي،وتوفير الضمانات اللازمة لأستقلال الدول الأعضاء العظمى والصغرى على السواء،وحل النزاعات بالطرق السلمية قبل ان تتطور الى نزاعات وحروب.ينظر:بدر الدين محمد حسين محمد،أثر قرارات مؤتمر السلام في باريس ١٩١٩م على الأوضاع في أوربا(في الفترة ١٩١٩م-١٩٣٩م)،رسالة ماجستير،جامعة النيلين:كلية الآداب،٢٠١٧،ص٨-٩.

(٢٥) فون جرونر:قائد عسكري الماني عين قائداً للجيش الالماني عقب عزل فون لودندروف عن قيادة الجيش الالماني بعد نهاية الحرب العالمية الاولى،وقد تعهد بضم المدنيين والعسكريين لأي وفد يتفاوض لأجل الهدنة.للمزيد من التفاصيل ينظر:ت.ن.دوبوي،عباقرة الحرب،ترجمة:حسن حسن،(ط٢،بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٤)،ص٢٦٠-٢٦١.

(٢٦) سيدان:معركة بين الجيوش الالمانية وجيوش الحلفاء بعد دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب العالمية الاولى في ٦ نيسان ١٩١٨،والتي قام الحلفاء بهجوم معاكس على القوات الالمانية.للمزيد من التفاصيل ينظر:صلاح العقاد،الحرب العالمية الثانية(دراسة في تاريخ العلاقات الدولية)،(القاهرة:مكتبة الانجلو مصرية،١٩٦٣)،ص١٢٥-١٢٧؛ادموند تايلور،سقوط الاسر الحاكمة،ترجمة:علي عزت الانصاري واخرون،(القاهرة:مؤسسة سجل العرب،١٩٦٥)،ص٣١٠-٣١١.

(٢٧) Tschan Francis and Otherres,The First and Second World Wars,J.B, Lippincoot Company,Chicago,١٩٤٣,p.٣٤؛ Stratagigus,A Short History of the Farist World War,Faber and Faber Ltd,N.D London,pp.٢٧٧-٢٧٨.

(٢٨) ميناء سكابافالو:القاعدة البحرية الملكية البريطانية في سكتلندا،وهي مجموعة من المياه في جزر اوكني في المملكة المتحدة،استخدم الميناء كقاعدة للبحرية البريطانية،وقد اغرق فيها الاسطول الالماني بعد توقيع الهدنة بقيام الضباط الالمان بأغراق ٥٢ سفينة بحرية المانية من اصل ٧٤ سفينة المانية موجودة في الميناء.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Robert .K.Massie,Castles of Steel,Ballantine Book,London,٢٠٠٤,pp.٦٦-٦٧.

(٢٩) A Burt Robert,German Battleships ١٨٩٧-١٩٤٥,Arms and Armour Press,London,١٩٨٩, pp.٣٦-٣٧؛Speelman J.P,The Seven Years War,Global Views,London,٢٠١٢,P.٧٣.

(٣٠) فون تيربتز:اميرال الماني ووزير الشؤون البحرية الالمانية من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩١٦،ولد في ١٩ اذار ١٨٤٩-٦ اذار ١٩٣٠ في مدينة سفتلارن في المانيا،انتمى الى حزب الشعب الوطني الالماني،نال وسام الاستحقاق ونيشان فرسان العقاب الاسود ووسام جوفة النسر،عمل على بناء البحرية الالمانية عن طريق اصدار القوانين والتشريعات

اللازمة لبناء الاسطول الالماني المنافس للاسطول البريطاني.للمزيد من التفاصيل ينظر:زينب فاضل مايع ،الفريد فون تيربتز حياته ودوره السياسي والعسكري في المانيا١٨٤٩-١٩٣٠،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة المثنى،كلية التربية للعلوم الانسانية،٢٠٢٠،ص٣٤.

(٣١) E. Ambrose Stephen,Hand Book On German Military,Washington,١٩٤٥,pp.٤٣-٤٤ ؛Stevein Wiper,War Ship Pictorial Kriegson arine Type,VIIU Boats,Arizona,٢٠٠٣,p.٣٦.

(٣٢) Peters Wales,World Affairs Since ١٩١٩,Roy Publishers,Methune,١٩٧٢,p.١١.

(٣٣) The Editors,German Army,Navy Uniforms and Insignia ١٨٧١-١٩١٨,U.S.A,١٩٦٨,p.٣١٢.

(٣٤) ميناء فلهلمسافن:مدينة وميناء تقع شمال ولاية سكسونيا السفلى في شمال المانيا على بحر الشمال،يعتبر قاعدة للاسطول الالماني،وهو مصنع للبوارج والسفن الالمانية.للمزيد من التفاصيل ينظر:

https//ar.m.Wikipedia.org.

(٣٥) رينهارد شير:(٣٠ ايلول ١٨٦٣-٢٦ تشرين الثاني١٩٢٨)ادميرال البحرية الامبراطورية الالمانية،خاض العديد من المعارك البحرية مع الاسطول الالماني،حصل على وسام الاستحقاق والصليب الحديدي.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Wiki.http.s//arz.m.Wikipedia.org.w.

(٣٦) اثمار كاظم سهيل الربيعي،التطورات السياسية الداخلية في جمهورية فايمار الالمانية(١٩١٩-١٩٣٩)،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،٢٠٠٢،ص٢٤.

(٣٧)Cuzer Felhellm//ru.Wikipedia.org.

(٣٨) Berghahn.V.R,Modern Germany,Cambridge University Press,London,١٩٨٢,p.٦٣.

(٣٩) William Carr,A History of German ١٨١٥-١٩٤٣,Edward Arnold Publishers(Ltd), London,١٩٦٤,p.٣٥٥.

(٤٠) ادمون فرمي،اقطاب وقادة الثورة الالمانية الكبرى(١٩١٨-١٩٣٨)،ترجمة:خيرت فخري،(دمشق:دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة،١٩٤٥)،ص٣٤.

(٤١) المصدر نفسه،ص٣٥-٣٦.

(٤٢) دانييل غرين ،روزا لوكسمبورغ،ترجمة:ابراهيم لويس(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،)١٩٧٥،ص٣٤.

(٤٣) Walter.H,Russia and Weimar Republic,London,١٩٧٧,p.١٣٢ ؛Vermeil Edmond,Germany and The Third Reich,London,١٩٤٤,p.٢٤٣.

(٤٤) Berghahn.V.R,Op.Cit,pp.٦٣-٦٤.

(٤٥) محمد قاسم ،احمد نجيب هاشم،التاريخ الحديث والمعاصر،(القاهرة:دار المعارف،١٩٥٨)ص٢٦؛ادموند تايلور، المصدر السابق،ص٦٠٢.

(٤٦) بيير رونوفن،تاريخ القرن العشرين،ترجمة:نور الدين حاطوم،(لبنان:دار الفكر الحديث،١٩٦٩)،ص٢٥٧-٢٥٨.

(٤٧) اثمار كاظم سهيل الربيعي،المصدر السابق،ص٢٤.

(٤٨) المصدر نفسه،ص٢٦.

(٤٩) المصدر نفسه،ص٢٦-٢٧.

(٥٠) وليم غاري كار،احجار على رقعة الشطرنج،ترجمة:سعيد الجزائري،(بيروت:دار النفائس،١٩٧٣)،ص٢١١.

(٥١) المصدر نفسه،ص٢١٩.

(٥٢) A.Roseberg,The Birth of Germany Repobblic,Paris,١٩٣١.p.٢٤٧.

(٥٣) الحزب الاشتراكي الديمقراطي:من اقدم الاحزاب السياسية في المانيا واكبرها من حيث عدد الاعضاء،تأسس في ٢٣ أيار ١٨٦٣ انتجه اندماج الجمعية العامة للعمال الالمان وحزب العمال الاجتماعي الديمقراطي الالماني،تبنى الحزب افكار ماركس بشكل صريح عام ١٨٦١،حظر الحزب رسمياً عام ١٩٣٣ مع وصول النازية للسلطة وانتهى المطاف بأعضاءه الى السجن والتعذيب.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Wiki.http//ar.m.Wikipedia.org.w.

(٥٤)Tschan Francis and Others,Op.Cit,p.٤٣.

(٥٥) غوستاف نوسكه:(١٨٦٨-١٩٤٦)احد اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي،انضم الى الحزب عام ١٩١٤،عرف بقسوته وحبه الشديد للامبراطورية،رشح من قبل زعيم الحزب ايبرت لاعادة الامن الى كيل والقضاء على ثورة البحارة،اسند اليه منصب وزير الدفاع للمدة بين ١٩١٩-١٩٢٠،اكسبته قسوته في القضاء على حركات الشيوعيين في برلين لقب نوسكه السفاح.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Encyclopedia Britannica,Op.Cit,Vol.٨,p.٨٠٢.

(٥٦)Wood Derek.E,This Modern World,Heineman Educational Book, London, ١٩٧٦, p.١٣٢.

(٥٧)Paassant E.J,Short History of Germany ١٨١٥-١٩٤٥,Cambridge University Press,Cambridge,١٩٦٠,p.٢١٢.

(٥٨) هاوسمات:سياسي الماني برز في مهد القيصرية ،ارسلته الحكومة الالمانية القيصرية في محاولة لتهدئة الثورة في ميناء كييل لكنه فشل في تحقيق هدفه.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Wikipedia.https://llar.m.Wikipedia.org.

(٥٩) فردريك ايبرت(١٨٧١-١٩٢٥):كان اول رئيس للجمهورية الألمانية التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى،بحلول عام ١٩١٢ اصبح عضواً ديمقراطياً اجتماعياً في البرلمان الألماني(الرايخستاغ)،بصفته زعيماً للحزب خلال الحرب العالمية الأولى،تولى منصب المستشار،وتولى مهمته رسمياً من الأمير ماكس فون بادن،آخر مستشار ايام الأمبراطورية،ولم يستطع ايبرت الاستمرار في الحكم ،فقد مرت المانيا بأزمة سياسية عنيفة لم يسبق لها مثيل.ينظر:ج.آس.غرنفيل،الموسوعة التاريخية العسكرية الكبرى لأحداث القرن العشرين،ترجمة:علي مقلد،مج١،ط١،(بيروت:الدار العربية للموسوعات،٢٠١٢)،١٩٦؛

Academic American Encyclopedia,Op.Cit.Vol.٧, p.٣٥.

(٦٠) فيليب شايدمان:(١٨٦٥-١٩٣٩) احد اعضاء الحزب الديمقراطي الاشتراكي،يعد من ابرز مؤسسي جمهورية فايمار،وهو اول من اطلق الصيحة الاولى من على بناية الرايخشتاغ معلناً زوال الحكم الملكي في المانياً ومحيياً قيام الجمهورية الالمانية،عمل في الصحافة منذ ١٩٠٣،شغل منصب وزير بلا حقيبه في حكومة ماكس اوف بادن عام ١٩١٨،للمزيد من التفاصيل ينظر:

Encyclopedia Britannica,Op.Cit,Vol.١٠,p.٥٢٢.

٦١)) Volentin Veil,Chapters of German History,Transalated By E the Italbotunwin Brothers Limited Working,London,١٩٤٠,p.٢١٧.

(٦٢) Quoted in:Ibid.pp.٢٠٩-٢١٠.

(٦٣)Feldman Gerald,German Imperialism ١٩١٤-١٩١٨,Jone Wiley and Sons,INC,New York,١٩٧٢,p.٤٥.

(٦٤) Kochan Lionel,Russia and Weimar Republic,Bowes and Bowes Publishers Ltd,Cambridge,١٩٥٤,p.٥٦.

(٦٥) بافاريا:اوسع مقاطعة في المانيا،عاصمتها ميونخ،اصبحت اقليماً في جمهورية فايمار،وخسرت الكثير من حقوقها الخاصة،وخسرتها جميعها مع اعلان النازية للرايخ الثالث ١٩٣٣.ينظر،مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية المانيا–اوروبا،ج٣،(بيروت:دار رواد النهضة،د.ت)، ص٩٧.

(٦٦) لويس الثالث:ملك بافاريا،تسلم السلطة في بافاريا عام ١٩١٢ وتنازل عن العرش في بافاريا عام ١٩١٨،يحمل لقب كونت البلاتينات ودوق بافاريا ودوق فرانكوفيا وسوابيا.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Wiki.http.s//ar.m.Wikipedia.org.w.

(٦٧) Mckenzie John.r,Weimar Germany ١٩١٨–١٩٣٣,Blond Ford Press,New Jersey,١٩٧١,p.٧٨.

(٦٨)Ibid.pp.٢١٠–٢١١.

(٦٩) Deak.Istvan,Weimar Germanys,Left–Wing Intellectuals,University California,Lose Angeles,١٩٦٣,p.٦٥.

آثار تأجيل الدعوى الجزائية في ضوء التشريعات الجزائية الإجرائية العربية

أ.د. إسراء محمد علي سالم
الباحثة آلاء محمد صاحب
كلية القانون/ جامعة بابل

المقدمة:

تتعدد الآثار التي يمكن أن تترتب على تأجيل الدعوى الجزائية منها آثار إجرائية تتعلق بنظر الدعوى الجزائية وسرعة الفصل فيها، وأخرى آثار غير إجرائية تنعكس سلباً على الخصوم في الدعوى الجزائية وعمل الجهات المختصة بنظرها والفصل فيها، وتكمن أهمية دراسة هذه الآثار في أن تأجيل الدعوى الجزائية يمكن أن يكون في أغلب الأحيان ذات آثار مزدوجة فهو من جهة يمنع النظر في الدعوى الجزائية خلال مدة التأجيل في حين يؤمن انتقال الدعوى الجزائية إلى جلسة لاحقة، كما أن من شأنه أن يؤثر على سرعة الفصل بالدعوى الجزائية أما سلباً أو إيجاباً، ولذلك فإن الغرض من بحث هذه الآثار إنما يتحدد في بيان موقف التشريعات الجزائية الإجرائية من تنظيمها والتقليل من عواقبها بما يحقق المصلحة العامة والخاصة في ذات الوقت وخلق حالة من التوازن بين ما تعارض منها.

أولاً:- فكرة موضوع الدراسة:

نظم المشرع آلية سير الدعوى الجزائية ومنح للجهة القضائية المختصة صلاحية تأجيل الدعوى الجزائية كلما اقتضت الضرورة ذلك على أن يكون ذلك لمدة مناسبة لا تتجاوز الحد الأقصى المحدد قانوناً سواء أكان ذلك من تلقاء نفسها أو بطلب من أحد الخصوم، ويترتب على تأجيل الدعوى الجزائية عدد من الآثار السلبية، لا سيما في حالات التأجيل المتكررة، ومع ذلك فإن عامل الزمن مهم جداً في تهدئة النفوس وتقليل وتحجيم الأحقاد، فيكون للتأجيل أثر إيجابي في إتاحة الفرصة لتحقق ذلك، تمهيداً لتحقق أثر آخر له ذو طابع إجرائي يتجسد في سرعة حسم الدعوى الجزائية، وذلك بإتاحة الفرصة للخصوم

للتوصل إلى حصول الصلح بينهم وإنقضاء الدعوى الجزائية القائمة بينهم بما يكفل حسن سير العدالة في إطار الدعوى الجزائية وحفظ وقت العدالة من الهدر .

ثانياً :- أَهَميَة موضوع الدراسة:

تظهر أهمية البحث في موضوع آثار تأجيل الدعوى الجزائية في أن هذا الموضوع لم يحظَ بالعناية الكافية من شراح التشريع الجزائي الإجرائي والباحثين في مجاله، فلم نجد في ثنايا ما اطلعنا عليه من شروحات للتشريعات الجزائية الإجرائية محل الدراسة بيان وافي لها، لذلك فالبحث بهذا الموضوع يكون رافداً جيداً للمكتبة القانونيـــة.

ثالثاً:- إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في التعرف على أهم الآثار التي يمكن أن تترتب على تأجيل الدعوى الجزائية ومدى فعالية الحلول التي نظمها المشرع العراقي .

رابعاً : منهجية الدراسة:

إن دراسة موضوع آثار تأجيل الدعوى الجزائية ستكون - بعونه تعالى - على وفق المنهج التحليلي المقارن، ويقصد بالمنهج التحليلي عدم الوقوف عند ظاهر النصوص وإنما تحليلها للوصول إلى غاية المشرع في تحقيق الهدف من تأجيل الدعوى الجزائية ، أما المنهج المقارن فإنَّ الدراسات القانونية بصفة عامة لا تأتي ثمارها إلا من خلال دراسة مقارنة يتم من خلالها التعرض للقوانين الأُخرى.

خامساً:- هيكلية الدراسة:

سنتناول دراسة (آثار تأجيل الدعوى الجزائية – دراسة مقارنة) في مبحثين يسبقها مقدمة ، سنخصص المبحث الأول لآثار تأجيل الدعوى الجزائية المباشرة وذلك في مطلبين، نتناول في المطلب الأول الامتناع عن نظر الدعوى خلال مدة التأجيل ونقلها إلى أجل لاحق، ونوضح في المطلب الثاني تمديد توقيف المتهم الموقوف، وبالنسبة للمبحث الثاني فنستعرض فيه آثار تأجيل الدعوى الجزائية غير المباشرة من خلال مطلبين، سنتناول في المطلب الأول الأثر السلبي لتأجيل الدعوى الجزائية على سرعة إجراءاتها

، ونفرد المطلب الثاني لبيان الأثر الإيجابي لتأجيل الدعوى الجزائية على سرعة إجراءاتها ، وسنختم البحث بأهم ما سنتوصل إليه من استنتاجات ومقترحات ...سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: آثار تأجيل الدعوى الجزائية المباشرة:

يترتب على تأجيل الدعوى الجزائية بوصفه إجراءً قضائياً تنظيمياً عدد من الآثار الإجرائية المباشرة التي لا يمكن تلافيها ، ومع ذلك فإن تحقق جميع هذه الآثار بالنسبة لكل دعوى جزائية ليس بالأمر المحتوم ، فمن آثار التأجيل المباشرة ما يتحقق في كل دعوى جزائية وهي ترد في الحال على سير الدعوى الجزائية ، وتتمثل في امتناع الجهة القضائية المختصة عن نظر الدعوى الجزائية خلال مدة التأجيل ، وفي ذات الوقت انتقال الدعوى على حالها من الجلسة التي تقرر فيها التأجيل إلى الجلسة التي أجلت إليها الدعوى ، فضلاً عن آثار مباشرة أخرى يرتبها التأجيل في بعض الدعاوى الجزائية وليس جميعها كما هو الحال بالنسبة لأثر التأجيل على تمديد توقيف المتهم في الدعوى الجزائية التي يكون المتهم فيها موقوفاً، ولأجل التعرف على هذه الآثار المباشرة سيتم تناولها في فرعين وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: الامتناع عن نظر الدعوى خلال مدة التأجيل ونقلها الى أجل لاحق:

يتخذ تأجيل الدعوى الجزائية طابع التأقيت ، فهو إجراء مؤقت ينتهي بانقضاء مدة معينة ، ومن الآثار المباشرة المترتبة على اتخاذه وجوب امتناع الجهة القضائية التي قضت بالتأجيل عن النظر في الدعوى الجزائية خلال مدة التأجيل ، ويقصد بذلك الامتناع عن اتخاذ الإجـــراءات المتعلقة بالتحـقيق – سواء أكان ابتدائيا أو قضائياً– أو المحاكمة خلال مدة التأجيل ، فمدة الامتناع عن نظر الدعوى هي المدة الممتدة بين موعد إخاذ قرار التأجيل والموعد المحدد لنظر الدعوى الجزائية مجدداً بعد تأجيلها ، ومن الجدير بالذكر أن تحديد الموعد الأخير الذي تتحدد في ضوئه مدة الامتناع عن نظر الدعوى الجزائية يمكن أن يكون على صورتين ، الصورة الأولى يكون فيها موعد نظر الدعوى الجزائية مجدداً بعد التأجيل محدد بتأريخ معين ، ويكون ذلك بقيام محكمة الموضوع أثناء نظرها لإحدى الدعاوى الجزائية بتحديد تأريخ معين لاستكمال نظرها لهذه الدعوى[1]، وهي الصورة الأكثر شيوعاً في حالات تأجيل الدعوى

الجزائية ، وفي هذه الصورة تكون مدة التأجيل معلومة ، أما الصورة الثانية فيتحدد فيها موعد نظر الدعوى الجزائية مجدداً بعد تأجيلها بحصول واقعة معينة ، وبعبارة أخرى يكون ذلك معلقاً على حدوث أمر معين ، فتكون مدة التأجيل فيها غير معلومة المقدار ، فقد تطول أو تقصر تبعاً لحصول الواقعة المحددة لها، وتبعاً لذلك يمكن القول أن تأجيل الدعوى الجزائية يمكن أن يكون لأجل مسمى أو لأجل غير مسمى .

وفي الحقيقة تتفق التشريعات الجزائية الإجرائية محل الدراسة المقارنة في موقفها من اعتماد فكرة تأقيت إجراء تأجيل الدعوى الجزائية ، فبالنسبة للتشريع العراقي نجد أن المشرع قد بادر بكفالة فكرة التأقيت هذه بالنص الصريح في قانون أصول المحاكمات الجزائية ، بوصفها ضابطاً ضرورياً وهاماً لتأجيل الدعوى الجزائية تمليه ضرورة المحافظة على وقت الدعوى الجزائية بصفة خاصة ، وعدم إهدار وقت العدالة بصفة عامة ، فأوجب على محكمة الموضوع أن يكون تأجيل الدعوى الجزائية لمدة مناسبة [٢]، وإثبات كون مدة التأجيل مناسبة إنما يكون بإعطاء الجلسة التي أجلت إليها الدعوى الجزائية تأريخ محدد لا يخرج عن معيار المعقولية ، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن المشرع العراقي قد وضع لمدة تأجيل الدعوى في قانون المرافعات المدنية – بوصفه المرجع لكافة القوانين الإجرائية[٣] – حداً أقصى لا يتجاوز العشرين يوماً ، وذلك في الفقرة (٣) من المادة (٦٢) فقد نصت على أن " ...لا يجوز أن تتجاوز مدة التأجيل عشرين يوماً إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك..." ، ويتضح من النص أن الأصل هو عدم جواز تأجيل الدعوى الجزائية لمدة تزيد على عشرين يوماً ، أما استثناءً فيجوز تأجيلها إلى مدة تتجاوز هذا الحد الأقصى وذلك في حالات الضرورة ، ويؤخذ على المشرع أنه لم يحدد حالات الضرورة تلك حتى ولو على سبيل المثال ، كما أنه لم يضع معياراً معيناً لتحديدها وإنما ترك تقدير ذلك لسلطة محكمة الموضوع ، وهي لا تخضع في ذلك لرقابة جهة الطعن، ولا يخلو هذا الاستثناء من الخطورة إذ يمكن أن يكون تأجيل الدعوى الجزائية لمدة تتجاوز عشرين يوماً وسيلة لتأخير الفصل في الدعوى الجزائية خلال السقوف الزمنية المحددة لحسم الدعوى الجزائية ، لا سيما إذا لم يقتصر الأمر على تأجيلها لمرة واحدة فقط وإنما صاحب ذلك حالات تأجيل متكررة، وفضلاً عن ذلك فقد نظم المشرع العراقي إمكانية تأجيل الدعوى لمدة

غير محددة بتأريخ معين ، وإنما جعل تحديد هذه المدة معلقاً على حصول واقعة معينة ، وتحديداً عودة المتهم المعتوه إلى رشده في حالة تأجيل التحقيق أو المحاكمة بالنسبة للمتهم غير القادر على الدفاع عن نفسه لثبوت إصابته بعاهة عقلية [٤]، وهو بذلك لم يخرج عما أقر به لإجراء التأجيل من طبيعة مؤقتة ، وذلك لأن الأجل أما أن يكون مسمى أو غير مسمى ، أما التشريعات الجزائية الإجرائية الأخرى محل الدراسة المقارنة ، فقد نصت صراحة على تأقيت تأجيل الدعوى الجزائية بأجل مسمى كما في قانون الإجراءات الجنائية المصري[٥] وقانون الإجراءات الجزائية الإماراتي [٦] ، وقانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني [٧] ، وقانون الإجراءات الجزائية الجزائري [٨].

وتأسيساً على ما تقدم يختلف تحديد نطاق الامتناع عن نظر الدعوى الجزائية خلال مدة تأجيل الدعوى الجزائية تبعاً لكون التأجيل لأجل مسمى أو لأجل غير مسمى، فإذا كان تأجيل الدعوى الجزائية لمدة معلومة ، فإن المنع يشمل إجراءات الدعوى التي يتطلب اتخاذها انعقاد جلسة تحقيق أو محاكمة ، فلا يجوز مثلاً سماع شهادة مشتكي أو شاهد أو رأي خبير أو دفاع متهم خلال مدة التأجيل إلا في الموعد المحدد لنظر الدعوى ، ومع ذلك فإن هذا المنع لا يشمل إخاذ الإجراءات الضرورية والممهدة لإجراءات التحقيق أو المحاكمة كإجراء تكليف المتهم أو بقية الخصوم أو الشهود بالحضور أو إصدار قاضي التحقيق أو محكمة الموضوع أمر قبض بحق المتهم أو الشاهد وتنفيذه ، وكذلك أيضاً مخاطبة بعض الجهات المختصة ذات العلاقة كدائرة الأدلة الجنائية أو الدوائر الرسمية الأخرى ، وذلك تمهيداً لما يتطلبه استكمال نظرها في الجلسة اللاحقة .

أما إذا كان تأجيل الدعوى الجزائية لمدة غير معلومة الأجل فأن الواقع العملي استقر على أن الامتناع عن نظر الدعوى يشمل جميع إجراءات الدعوى الجزائية، سواء تلك التي تتخذ في جلسة التحقيق والمحاكمة، أو تلك الممهدة لاتخاذها، إذ أن التأجيل في هذه الحالة له آثار الوقف، ففي حالة تأجيل التحقيق أو المحاكمة بالنسبة للمتهم غير القادر على الدفاع عن نفسه لإصابته بعاهة عقلية لحين عودته إلى رشده لا يتخذ أي إجراء في الدعوى الجزائية خلال مدة التأجيل لحين عودة المتهم إلى رشده.

ومن الجدير بالذكر أن الامتناع عن نظر الدعوى لا يرافقه وقف سير الدعوى الجزائية وإنما تكون الدعوى خلال مدة التأجيل في حالة حركة إجرائية تطورية تتمثل في انتقال الدعوى الجزائية على حالها من الجلسة التي أجلت فيها الى الجلسة التي حددت لاستئناف النظر فيها ، وعليه يمكن القول أن لإجراء التأجيل أثر مزدوج فيما يتعلق بالدعوى الجزائية المؤجلة يتمثل في تعليق إجراءات الدعوى الجزائية خلال مدة التأجيل مع ضمان استمرار حركتها الى الجلسة اللاحقة في الوقت نفسه سواء أكانت محددة بأجل مسمى أو غير مسمى وهذا ما يميز التأجيل عن الوقف .

المطلب الثاني: تمديد توقيف المتهم الموقوف:

إذا كانت القاعدة العامة في القانون تنص على أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته إلا أن المحكمة قد ترى توقيف المتهم، و يراد به إجراء من اجراءات التحقيق الابتدائي ، وهو من أخطر تلك الاجراءات واكثرها مساساً بحرية المتهم، إذ بمقتضاه تسلب حرية المتهم طوال فترة توقيفه [٩]، وهذا الإجراء تقضيه ضرورات التحقيق ، كما قد يقتضيه الحفاظ على السلم الاجتماعي[١٠]، وقد نظم المشرع العراقي أحكام التوقيف في المواد (١٠٩ – ١١٣) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي[١١]، فقد أجاز توقيف المتهم بجريمة معاقب عليها بالحبس مدة تزيد على ثلاث سنوات أو بالسجن المؤقت أو المؤبد ، وذلك في الفقرة (أ) من المادة (١٠٩) من قانون أصول المحاكمات الجزائية ، التي نصت على أن " أ – اذا كان الشخص المقبوض عليه متهماً بجريمة معاقب عليها بالحبس مدة تزيد على ثلاث سنوات أو بالسجن المؤقت أو المؤبد ، فللقاضي ان يأمر بتوقيفه مدة لا تزيد على خمسة عشر يوماً في كل مرة ..." كما أوجب توقيف المتهم بجريمة عقوبتها الإعدام ، وذلك في الفقرة (ب) من المادة ذاتها فقد نصت على أن " ب – يجب توقيف المقبوض عليه اذا كان متهماً بجريمة معاقب عليها بالإعدام وتمديد توقيفه كلما اقتضت ذلك ضرورة التحقيق مع مراعاة المدة المنصوص عليها في الفقرة أ حتى يصدر قرار فاصل بشأنه من قاضي التحقيق أو المحكمة الجزائية بعد انتهاء التحقيق الابتدائي أو القضائي أو المحاكمة" فعبارة " كل مرة " الواردة في الفقرة (أ) تشير ضمناً إلى إمكانية تمديد توقيف المتهم سواء في مرحلة التحقيق الابتدائي ، أو

مرحلة المحاكمة لمدة لا تزيد على خمسة عشر يوماً ، أما الفقرة (ب) فقد أشارت إليه صراحةً بوصفه إجراءً وجوبياً، ويعد هذا التمديد في مرحلة المحـاكمة أثراً إجـرائياً لتأجيلها، إذ لو كانت المحاكمة قد تمت خلال الحد الأقصى المحدد قانوناً لمدة التوقيف وحسمت الدعوى وتقرر مصير المتهم خلال تلك المدة لانتفت الحاجة إلى تمديد توقيفه ،أما إذا قررت المحكمة تأجيل المحاكمة في الدعوى الجزائية ، فإن الأمر بحاجة إلى تمديد توقيف المتهم لاسيما إن مدة التأجيل غالباً ما تتجاوز الحد الأقصى لمدة التوقيف، والتمديد لغة يعني إطالة المدة أو إعطاء مهلة [١٢]، وهذا من أهم مضامين تأجيل الدعوى الجزائية ، ومع ذلك فقد وضع المشرع حد أقصى لتمديد مدة التوقيف لا يجوز تجاوزه وذلك في الفقرة (جـ) من المادة نفسها ، إذ نصت على أنه " جـ – لا يجوز أن يزيد مجموع مدد التوقيف على ربع الحد الأقصى للعقوبة ولا يزيد باية حال على ستة أشهر واذا اقتضى الحال تمديد التوقيف اكثر من ستة اشهر فعلى القاضي عرض الامر على محكمة الجنايات لتأذن له بتمديد التوقيف مدة مناسبة على ان لا تتجاوز ربع الحد الاقصى للعقوبة ...."، ويمكن اعتبار تمديد التوقيف في مرحلة التحقيق الابتدائي أثراً مباشراً لتأجيل التصرف بالدعوى الجزائية ، وهذا التأجيل تقتضيه ضرورة إتمام واستكمال الإجراءات التحقيقية في هذه المرحلة ، بمعنى إطالة مدة التحقيق لحين إتمام إجراءاته ويقتضي ذلك بالنتيجة تأجيل التصرف في الدعوى الجزائية[١٣] ، ومن خلال هذا التمديد يمكن أن نستدل على وجود تأجيل ضمني في مرحلة التحقيق الابتدائي ، وقد يستغل المشتكي بالدعوى الجزائية هذا الأثر المباشر للتأجيل للإضرار بالمتهم ، فيعمد إلى الطعن بالقرارات غير الفاصلة المتخذة بصدد الدعوى الجزائية التي يكون المتهم فيها موقوفاً ، أو يطلب التدخل تمييزاً فيها ، أو أي إجراء آخر يؤدي إلى إرسال إضبارة الدعوى الجزائية إلى الجهة المختصة ، مما ينتج عنه ضرورة تأجيل الدعوى الجزائية ، وذلك بقصد تأخير إطلاق سراح المتهم أطول وقت ممكن، ومن الجدير بالذكر أن رئاسة هيأة الإشراف القضائي قد عالجت ذلك في أحد إعداماتها إذ جـاء فيـه "... تنسب قيام محاكم التحقيق ومحاكم الموضوع بسرعة إرسال أضابير الدعاوى الخاصة بالمتهمين الموقوفين إلى محكمة التمييز الاتحادية عند حصول أي طعن تمييزي يكون القصد من وراءه

تأخير إطلاق سراح المتهم الموقوف وإبقائه موقوفاً أطول فترة ممكنة ويتولى رئيس محكمة الاستئناف المختص متابعة ذلك بكافة الوسائل وبالتنسيق مع رئاسة محكمة التمييز الاتحادية"[١٤] ، كما عالج مجلس القضاء الأعلى ذلك في أحد إعداماته إذ تضمن "...الزام القاضي الذي يقدم إليه الطعن أن يقوم بإحالته الى المحكمة المختصة بصرف النظر عن العنوان الذي كتبه المميز في عريضته التمييزية وكذا الحال بالنسبة للقرارات الإعدادية كسبا للوقت وللجهد وللوصول الى العدالة بيسر وسرعة "[١٥]، كما جاء في إعمام آخر له"...عند تكرار الطعن التمييزي بالقرارات الإعدادية فعلى المحكمة المختصة اتخاذ قراراها بعدم إرسال الدعوى والاكتفاء بإرسال لائحة الطعن على أن تلتزم محكمة الطعن بنظره خلال سبعة أيام من تاريخ وصوله إليها وتمضي محكمة الموضوع بنظر الدعوى خلال تلك الفترة" [١٦] ، الأمر الذي يقتضي تفعيل العمل بتلك الاعمامات من قبل كافة المحاكم والتأكيد عليها والتقيد بمضمونها .

المبحث الثاني: آثار تأجيل الدعوى الجزائية غير المباشرة:

إن تأجيل الدعوى الجزائية بوصفه إجراء يرتبط بعلاقة وثيقة بعامل الوقت في الدعوى الجزائية لذا يتسع نطاق آثاره ليشمل بصورة غير مباشرة الإطار العام لسرعة سير الدعوى الجزائية، والمدى الزمني المستغرق لإنجاز إجراءاتها وصولاً الى انقضائها بصدور حكم فاصل فيها سواء بالبراءة أو الإدانة، أو قبل ذلك لأي سبب من أسباب الانقضاء الأخرى ، وهذا الأثر يمكن أن يكون على صورتين متناقضتين، الأولى سلبية تتمثل بتأخير الفصل في الدعوى الجزائية والثانية إيجابية تتمثل في التسريع في انقضاء الدعوى الجزائية ، وهذا ما سيتم بيانه في مطلبين وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: الأثر السلبي لتأجيل الدعوى الجزائية على سرعة إجراءاتها:

لإيضاح الأثر السلبي لتأجيل الدعوى الجزائية على سرعة إنجاز إجراءاتها ينبغي التعرف على المقصود بهذه السرعة ، وأهميتها من حيث المصالح التي تحميها، فقد عرفت بأنها (الإسراع في إنجاز وإنهاء الإجراءات القضائية وفصل الدعوى الجزائية خلال مدة معقولة ومقبولة ، دون الإخلال بالضمانات المقررة لحق الدفاع)[١٧] ، ويتضح من تعريف أنها تؤكد على أن الأصل في الإجراءات الجزائية الإسراع

في إنجازها وإنهاءها في أقرب وأقصر وقت ممكن ، واستثناءً من ذلك يجوز التأخير المبرر في إنجازها إذا أخل الإسراع بالضمانات المقررة للمحاكمة العادلة .

والحقيقة أن السرعة في الإجراءات الجزائية كي تكون مثمرة ، ومجدية ، وذي فائدة بصدد حسم الدعوى الجزائية ، فإنها لابد أن تكون على مرحلتين، وتتمثل المرحلة الأولى في اتخاذ الإجراء المطلوب في الدعوى الجزائية دون تأخير أو إبطاء غير مبرر ، والمرحلة الثانية تتمثل في إنجاز وإنهاء ذلك الإجراء في أقصر وقت ممكن ، فلا تنصرف السرعة الى إنجازه وإنهائه فحسب وإنما تشمل أيضاً اتخاذه ، وعليه فإن السرعة في الإجراءات تعد مطلوبة ومهمة في كافة مراحل الدعوى الجزائية سواء مرحلة التحري وجمع الأدلة أو التحقيق الابتدائي أو المحاكمة والطعن ، وبقدر تعلق الأمر بموضوع الدراسة يمكن التساؤل هنا بصدد أثر تأجيل الدعوى الجزائية على سرعة اتخاذ الإجراءات الجزائية وإنجازها في مختلف مراحل الدعوى الجزائية ؟ والجواب على ذلك يقتضي إيضاح أثر التأجيل على سرعة إجراءات كل مرحلة من مراحل الدعوى الجزائية ، فبالنسبة لمرحلة التحري وجمع الأدلة[١٨] لا يمكن تصور أي تطبيق لتأجيل الدعوى الجزائية في هذه المرحلة ، ذلك لأن الهدف الأساس لإجراءات التحري وجمع الأدلة يكمن في معرفة الصورة الحقيقية لارتكاب الجريمة وكل ما يحيط بها من ظروف وملابسات الى جانب البحث عن العوامل المختلفة في ارتكابها ، وكذلك ملاحقة مرتكبها وجمع القدر الممكن من الأدلة والمعلومات المتعلقة بارتكابها والمحافظة عليها ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك ما لم تراعى السرعة في القيام بهذه الإجراءات بعد ارتكاب الجريمة سواء من حيث اتخاذها ومباشرتها أو إنجازها ، فالحكمة من السرعة في اتخاذ إجراءات التحري وجمع الأدلة تكمن في أنه كلما مضى وقت على ارتكاب الجريمة كلما زاد احتمال اختفاء الأدلة المتوفرة بصددها ، كالبصمات ومحو آثارها أو تشويه معالمها ، إذ أن الأدلة والآثار التي تتركها الجريمة المتوفرة بشأنها لا تبقى على حالها ، وإنما هي عرضة للزوال أو التغيير سواء أكان ذلك بفعل الإنسان – الحاضرين في مكان الحادث أو المتهم نفسه – أم بفعل الطبيعة ، فالتأخير في اتخاذ هذه الإجراءات أو تأجيل مباشرتها يؤدي الى ضياع تلك الآثار والأدلة مما يزيد غموض الجريمة ويعرقل مهمة التحقيق

، والتأجيل في هذه الحالة يعد تسويفاً ومماطلة كونه تأجيل غير مبرر قانوناً، في حين الإسراع في مباشرة التحري من شأنه ضمان سلامة هذه الآثار وعدم محوها أو ضياعها أو تشويهها وقد يهيئ الطريق الى الكشف عن أحداث الجريمة وملابساتها بسرعة ودقة أكثر .

وجدير بالذكر أن السرعة لا تقتصر فقط على البدء بمباشرة إجراءات التحري وجمع الأدلة ، فالأداء المطلوب لإجراءات التحري وجمع الأدلة يجب أن يكون على نحو من السرعة كون المهمة لا تحتمل التأخير فيها أو تأجيلها ، ولذلك نجد المشرع العراقي قد صرح بضرورة مراعاة السرعة في القيام بإجراءات التحري وجمع الأدلة سواء عند اتخاذها وبدأ مباشرتها أو أثناء إنجازها وإتمامها، معبراً عنها بألفاظ دالة على معناها وهي "فوراً" أو "على الفور" أو "في الحال"، وذلك في نصوص قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي المتعلقة بأحكام أعضاء الضبط القضائي[١٩] المكلفون بالتحري عن الجرائم وقبول الإخباريات والشكاوى التي ترد اليهم بشأنها ، وتقديم المساعدة لقضاة التحقيق والمحققين وضباط الشرطة ومفوضيها وتزويدهم بما يصل اليهم من المعلومات عن الجرائم وضبط مرتكبيها وتسليمهم الى السلطات المختصة ، فأوجب على عضو الضبط القضائي اتخاذ هذه الإجراءات وإنجازها بصورة فورية دون التأخير أو المماطلة ، فقد نصت المادة (٤١) من قانون أصول المحاكمات الجزائية على أن " .... وعليهم أن يثبتوا جميع الاجراءات التي يقومون بها في محاضر موقعة منهم ومن الحاضرين ، يبين فيها الوقت الذي اتخذت فيه الاجراءات ومكانها ويرسلوا الإخبارات والشكاوى والمحاضر والأوراق الاخرى والمواد المضبوطة الى قاضي التحقيق فورا " [٢٠]، ويلاحظ على النص أن المشرع أوجب على عضو الضبط القضائي بيان وقت اتخاذ إجراءات التحري وجمع الأدلة، وذلك لتحقيق عدة أغراض ، منها التأكد من فوريتها وعدم التسويف والمماطلة في اتخاذها، ويعتمد ذلك بالدرجة الأولى على مدى اقتراب اتخاذ هذه الإجراءات لزمان وقوع الجريمة ، وما مضى من مدة بين وقوعها ومباشرة التحري بصددها ، فتأجيل اتخاذ هذه الإجراءات يؤدي إلى صعوبة العثور على ما يفيد توضيح معالم الجريمة من أدلة وآثـار، كما أوجب على عضو الضبط القضائي السرعة في إتمام هذه الإجراءات ، وذلك بإرسال كل ما توصل إليه بنتيجة

التحري وجمع الأدلة الى قاضي التحقيق على الفور ، كالشكاوي والإخبارات والمواد المضبوطة نظراً لما لتلك الأشياء من دور كبير في التحقيق الابتدائي الذي يجري بشأن الجريمة المرتكبة لاحقاً ، وهذا ما يعطي مرحلة التحري وصف المرحلة المساعدة لمرحلة التحقيق الابتدائي، كما أوجب المشرع العراقي على عضو الضبط القضائي الفورية في اتخاذ إجراءات التحري وجمع الأدلة في حالة العلم بوقوع جريمة مشهودة ، معلقاً ذلك على ضرورة الانتقال الفوري الى محل الحادثة ، فقد نصت المادة (٤٣) على أن " على عضو الضبط القضائي في حدود اختصاصه المبين في المادة ٣٩ اذا أخبر عن جريمة مشهودة أو اتصل علمه بها أن يخبر قاضي التحقيق والادعاء العام بوقوعها وينتقل فوراً إلى محل الحادثة"[٢١] ، فيتضح من النص طبيعة التحرك المطلوب من عضو الضبط القضائي عندما يصل الى علمه وقوع جريمة مشهودة ، إذ يجب أن يتسم بالسرعة ، ويتحقق ذلك في سرعة إخبار قاضي التحقيق والادعاء العام بوقوعها ، والانتقال الفوري إلى محل الحادثة ، وهو ضمان حقيقي لسرعة اتخاذ إجراءات التحري وجمع الأدلة في محل الحادثة ، كتدوين إفادة المجنى عليه وسؤال المتهم عن التهمة المسندة اليه شفوياً ، وضبط الاسلحة ، وغير ذلك من الإجراءات ، فلا مجال لتأجيل اتخاذ أي منها ، كما نصت المادة (٤٤) على أن "لعضو الضبط القضائي عند انتقاله الى محل الجريمة المشهودة ..... أن يحضر في الحال كل شخص يمكن الحصول منه على ايضاحات بشأنها ...."[٢٢] ، فعبارة "في الحال" المذكورة في النص تدل على وجوب السرعة في إنجاز هذه الإجراءات ، ونصت الفقرة (أ) من المادة (٤٩) أيضاً على أن " أ– على اي مسؤول في مركز الشرطة عند وصول إخبار إليه بارتكاب جناية او جنحة ان يدون على الفور أقوال المخبر ويأخذ توقيعه عليها ويرسل تقريراً بذلك إلى حاكم التحقيق أو المحقق وإذا كان الإخبار واقعاً عن جناية او جنحة مشهودة فعليه ان يتخذ الاجراءات المبينة في المادة ٤٣ "[٢٣] .

أما بالنسبة لمرحلة التحقيق الابتدائي فإن من أهم الخصائص التي تتسم بها هذه المرحلة سرعة اتخاذ وإنجاز إجراءاتها، التي تستهدف الكشف عن حقيقة الجريمة المرتكبة، ووقائعها، وكيفية ارتكابها، والتوصل إلى معرفة مرتكبها ، وبيان درجة مسؤوليته بوصفه فاعلاً أو شريكاً تمهيداً لإحالته إلى المحكمة

المختصة لينال جزاءه العادل [٢٤]، ويتم ذلك من خلال تمحيص مختلف الأدلة القائمة والمعلومات المتوفرة التي جمعت في مرحلة التحري وجمع الأدلة وتدقيقها وتقديرها، بغية التمهيد لإصدار القرار المناسب بشأن صلاحية عرض الدعوى الجزائية على المحكمة المختصة، وإحالة المتهم اليها إذا كانت الأدلة المتوفرة ضده كافية لذلك، أو عدم إحالته وإخلاء سبيل المتهم وغلق التحقيق الابتدائي إذا لم يثبت صدور أي فعل جرمي منه، أو أن الأدلة غير كافية لتقديمه الى محكمة الموضوع[٢٥] ، والسرعة تتفق مع طبيعة التحقيق الابتدائي وأهدافه والغاية من تقريره ، فهي تحقق مصلحة المجتمع والمتهم في آن واحد إذ تساعد في حماية حق المجتمع بإنزال العقاب بالمجرم ، وتحقيق غرضه في الردع العام وذلك بضمان محاكمته في وقت قريب من ارتكاب الجريمة، كما أنها تضمن حماية الحرية الشخصية للمتهم كي لا يبقى فترة طويلة في مركز سلبي متمثل بالاتهام وانتظار مصير مجهول[٢٦]، أما إذا كان مذنباً فيما أتهم به ، فإن سرعة التحقيق تؤدي إلى التعجيل بتوقيع العقاب عليه ، وبذلك يستقر مركزه القانوني، بوصفه محكوم عليه يتم إيداعه في إحدى المؤسسات العقابية ويتلقى فيها معاملة قد تكون أفضل بكثير مما كان عليه أثناء التوقيف فضلاً عن تمتعه بعدد غير قليل من الحقوق كالزيارات وتلقي العلاج والخضوع لعملية الإصلاح والتأهيل[٢٧]، فالسرعة في إنجاز التحقيق الابتدائي تؤدي إلى تحديد موقف ووضع المتهم دون تأخير يلحق به ضرر يتعذر جبره [٢٨].

والسرعة المقصودة في إجراءات التحقيق الابتدائي يجب أن لا تفسر تفسيراً ضيقاً بأن تستند إلى المعنى اللفظي للسرعة الذي ينصرف الى إنجاز المهمة خلال فترة زمنية قصيرة ، إذ إن من شأن السرعة المطلقة أن تؤدي الى نتائج سلبية وغير مقبولة أسوة بما ينجم عن التأخير والإبطاء ، فالسرعة المقصودة تنصرف الى القيام بإجراءات التحقيق الابتدائي بالكيفية التي يتطلبها تحقيق الغاية منها دون أي تأخير غير مبرر ، وأن تعطى الإجراءات حقها من الناحية الزمنية لا سيما عندما يكون الإجراء ذات طبيعة فنية وتحتاج الى الخبرة والإتقان في العمل والدقة في التقدير[٢٩]، وعليه فإن السرعة مطلوبة في التحقيق الابتدائي ينبغي أن لا تؤثر في جودة التحقيق أو قيمة ما توصلت اليه السلطات التحقيقية ، وإنما يجب أن تؤدي

السرعة الى إنجاز المهام التحقيقية بصورة قانونية وكاملة دون إهمال أو مماطلة ، ومع ذلك فإن الأمر لا يخلو في مرحلة التحقيق الابتدائي من إمكانية تصور تحقق سبب لتأجيل التحقيق الابتدائي في الدعوى الجزائية سواء أكان ذلك بصورة صريحة أو ضمنية .

فبالنسبة لتأجيل التحقيق الابتدائي صراحة عالجه المشرع العراقي في المادة (٢٣١) من قانون أصول المحاكمات الجزائية في حالة عدم قدرة المتهم على الدفاع عن نفسه لإصابته بعاهة عقلية، والتي تم بيانها فيما سبق كسبب من أسباب تأجيل الدعوى الجزائية ، فالإجراءات التحقيقية يجب إن يراعى فيها عدم انتهاكها لحقوق المتهم ومن أهمها حقه في الدفاع ، لذلك فإن ضمان ممارسة هذا الحق ممكن أن يكون مبرراً لتأجيل التحقيق الابتدائي، فإذا ثبت عدم قدرة المتهم على الدفاع عن نفسه في مواجهة ما يتخذ بحقه من إجراءات تحقيقية بناءً على تقرير اللجنة المعنية بفحص المتهم عقلياً بعد إحالته عليها بقرار من قاضي التحقيق ، فعلى الأخير أن يتخذ قراراً بتأجيل التحقيق الابتدائي في الدعوى الجزائية المقامة بحق المتهم فيها لحين عودة رشده اليه ، كما يمكن أن يكون تأجيل التحقيق الابتدائي ضمنياً وذلك بإرجاء اتخاذ إجراء من إجراءاته لأسباب تتعلق بظروف المتهم أو بظروف الدعوى نفسها ، كما في حالة تأجيل استجواب المتهم ، فقد نصت الفقرة (أ) من المادة (١٢٣) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي على أن " أ- على قاضي التحقيق أو المحقق أن يستجوب المتهم خلال اربع وعشرين ساعة من حضوره بعد التثبت من شخصيته وإحاطته علماً بالجريمة المنسوبة اليه ، ويدون اقواله بشأنها مع بيان ما لديه من ادلة لنفيها عنه وله ان يعيد استجواب المتهم فيما يراه لازماً لاستجلاء الحقيقة " ويتضح من النص أن لقاضي التحقيق أو المحقق استجواب المتهم فور حضوره أو تأجيل ذلك إلى أي وقت آخر على أن يكون ذلك خلال أربع وعشرين ساعة، كما نصت الفقرة (ب)[٣٠]من المادة ذاتها على أن " قبل إجراء التحقيق مع المتهم يجب على قاضي التحقيق إعلام المتهم ما يلي : .... ثانياً: أن يكون له الحق في أن يتم تمثيله من قبل محامي، وإن لم تكن له القدرة على توكيل محام تقوم المحكمة بتعيين محام منتدب ...."[٣١] ونصت الفقرة (جـ) على أن "على قاضي التحقيق أو المحقق حسم موضوع رغبة المتهم في توكيل

محام قبل المباشرة بالتحقيق ، وفي حالة اختيار المتهم توكيل محامي فليس لقاضي التحقيق أو المحقق المباشرة بأي إجراء حتى توكيل المحامي المنتدب"[٣٢] ويتضح مما تقدم أن المشرع بالرغم من إنه أوجب على قاضي التحقيق أو المحقق استجواب المتهم ، خلال أربع وعشرين ساعة من حضوره ، إلا إنه في الوقت ذاته أوجب عدم المباشرة بأي إجراء إلا بعد تلبية رغبة المتهم في ممارسة حقه في أن يتم تمثيله من قبل محامي يتولى الدفاع عنه أما من اختياره أو يتم تعينه من قبل قاضي التحقيق ، وعليه فإن تأجيل جلسة الاستجواب لحين حصول التوكيل أمر وارد ، ويجب على قاضي التحقيق أو المحقق تأجيلها ولو بغير طلب من المتهم ، وبالرغم من أن المشرع لم يصرح بهذا التأجيل إلا أنه لا يمكن أن يكون هذا الإجراء إلا تأجيلاً ضمنياً للاستجواب تقتضته ضرورة عدم الإخلال بحق المتهم في الاستعانة بمحامي[٣٣] ، كونه يدخل في المعنى الواسع لمفهوم التأجيل والذي يشمل كل حالات التأخير لمدة من الزمن، وقد يستغرق ذلك مدة تزيد على أربع وعشرين ساعة ، إذ إن صيغة الإلزام بعدم مباشرة أي إجراء قبل توكيل محامي الواردة في الفقرة (جـ) من المادة (١٢٣) قد جاءت مطلقة دون التقييد بمدة معينة ، وقد يستغل المتهم ذلك ويماطل في مسألة توكيل المحامي مما يؤدي الى عرقلة سير الإجراءات التحقيقية وتأخيرها ، لذا فإن تحديد رغبة المتهم بتوكيل محامي بمدة معينة أمر غاية في الأهمية، ومن الجدير بالذكر أن ظاهر نص الفقرة (جـ) يشير إلى أن الغاية من تأجيل أو تأخير إجراءات التحقيق هنا، هي إتاحة الفرصة للمتهم لممارسة حقه في توكيل محامي فقط ، دون أن يشمل ذلك إتاحة الفرصة لحضور المحامي الذي تم توكيله ، وفي الواقع إن استجواب المتهم بحضور المحامي الذي اختاره أو الذي عينه له القاضي يعد ضمانة من ضمانات حقه في الدفاع [٣٤]، وقد يتخلف محامي المتهم عن الحضور لانتفاء علمه بوقت الاستجواب ، وعليه نقترح إعادة صياغة الفقرة (جـ) بحيث تتضمن عدم جواز المباشرة باستجواب المتهم إلا بعد تبليغ المحامي الوكيل أو المنتدب للدفاع عنه بالحضور في موعد الاستجواب على أن يكون ذلك قبل مدة مناسبة وتمكينه من الاطلاع على ما تم اتخاذه من إجراءات التحقيق الابتدائي قبل الاستجواب، فالتأجيل في هذه الحالة يحقق المصلحة العامة والخاصة في آن واحد، فالمصلحة العامة تتمثل في تنظيم

سير التحقيق الابتدائي وضمان سرعة إنجازه وعدم المماطلة فيه ، و المصلحة الخاصة تتمثل بحماية حق المتهم بالدفاع ، لذلك نقترح أن يكون النص كالآتي " جـ- على قاضي التحقيق أو المحقق حسم موضوع رغبة المتهم في توكيل محام قبل المباشرة بالتحقيق ، وفي حالة اختيار المتهم توكيل محامي فليس لقاضي التحقيق أو المحقق فى غير حالة التلبس وحالة الاستعجال بسبب الخوف من ضياع الأدلة المباشرة باستجواب المتهم إلا بعد تبليغ المحامي الوكيل أو المنتدب بالحضور وذلك قبل ثماني وأربعين ساعة قبل الاستجواب، والسماح له بالاطلاع على إضبارة إجراءات التحقيق في اليوم السابق على الاستجواب مالم يقرر قاضي التحقيق غير ذلك".

ومن المسائل الإجرائية الأخرى التي تحتم تأجيل التحقيق ضمناً لمدة من الزمن مما يؤثر سلباً على سرعة سير إجراءاته هي تأخر الجهات الرسمية ذات العلاقة في الإجابة على استفسارات قاضي التحقيق كتأخر إرسال تقرير بصمات الأصابع أو تأخر الخبير في تقديم تقريره أو تأخر إجابة الدوائر المعنية ، كما قد يجد قاضي التحقيق أن الضرورة تستدعى اتخاذ إجراء من إجراءات التحقيق الابتدائي خارج منطقة اختصاصه فينيب عنه قاضي التحقيق في تلك المنطقة للقيام بهذا الإجراء ، فقد نصت الفقرة (ب) من المادة (٥٦) من قانون أصول المحاكمات الجزائية على أن " ب – اذا دعت الضرورة إلى اتخاذ إجراء من إجراءات التحقيق خارج منطقة اختصاص القاضي فله أن ينيب عنه قاضي التحقيق في تلك المنطقة للقيام بهذا الإجراء ..."[٣٥] ، فيتضح من النص أن الإمر قد يتطلب تأخير التحقيق الابتدائي، من قبل قاضي التحقيق المنيب ، لمدة من الزمن لحين إتمام الإجراء التحقيقي المطلوب اتخاذه من قبل قاضي التحقيق المناب ، وهذا التأخير يدخل في المعنى الواسع للتأجيل .

ومن الجدير بالذكر أن المشرع العراقي قد حدد سقف زمني لإنجاز التحقيق الابتدائي في الدعوى الجزائية ، وذلك في الفقرة (١) من البند (ثانياً) من التعليمات الخاصة بحسم الدعاوى أمام المحاكم رقم (٤) لسنة ١٩٨٧ [٣٦] ، فقد نصت على أن " ١- يكون السقف الزمني الاقصى لإنجاز القضايا التحقيقية في محاكم التحقيق شهراً واحداً في المخالفات وشهرين في الجنح، وأربعة أشهر في الجنايات، اعتبارا من

تاريخ تسجيل الإخبار فيها..." وعدم حسم الدعاوى التحقيقية خلال السقف الزمني يتحقق فيه معنى التأخير وبالتالي يعد تأجيلاً ضمنياً يقتضيه إتمام إجراءات التحقيق الابتدائي، وذلك إما بسبب طبيعة الدعوى التي تتطلب إجراءات خاصة بها ، أو كان العائق في حسمها خلال هذه السقوف سبباً لا دخل لإرادة قاضي التحقيق فيه ، كما وإن أي نقص في إجراءات التحقيق من شانه أن يؤدي الى نقض الحكم أو القرار الفاصل في الدعوى .

أما بالنسبة لمرحلة المحاكمة وفيها يتحدد مصير المتهم فتقدير الأدلة فيها يكون نهائياً [٣٧] ، ولا يكون ذلك إلا بعد فحص وتمحيص للأدلة المعروضة أمام محكمة الموضوع كافة[٣٨] ، لتفصل أما بالإدانة إذا كانت الأدلة جازمة بذلك ، وأما بالبراءة إن لم تتوفر الأدلة الجازمة بالإدانة [٣٩]، والمدة التي تستغرقها المحاكمة وإصدار الحكم في الدعوى الجزائية من شأنها أن تؤثر في عدالة المحاكمة ونزاهتها ، فالعدالة تقتضي سرعة المحاكمة وعدم التأخير في حسم الدعوى، إذ إن العدالة البطيئة نوع من الظلم ، ومع ذلك فإن السرعة في المحاكمات الجزائية تختلف عن المحاكمات المتسرعة التي تجري مخالفةً لضمانات حق الدفاع ولضمانات المحاكمة العادلة [٤٠]، فالسرعة وإن كانت من مقتضيات العدالة فيجب أن لا يخرج ذلك عن نطاق المعقولية فيكون على حساب العدالة نفسها ، وإجراءات المحاكمة متعددة ومتنوعة وتختلف باختلاف درجة تعقيد وجسامة الواقعة محل الدعوى الجزائيــة ، ومع ذلك يمكن استخلاص توجه المشرع العراقي في قانون أصول المحاكمات الجزائية إلى وجوب الإسراع في إجراءات المحاكمة من خلال استقراء نصوصه دون أن يضع لذلك قاعدة محددة أو نص محدد يتضمن هذا التـوجه، إلا أن إجراءات المحاكمة عموماً في أغلب الأحيان لا يمكن أن تتم في جلسة واحدة لذلك تلجأ محكمة الموضوع الى تأجيل الدعوى الجزائية لإنجاز مهمتها بصورة دقيقة بما يضمن حسن سير العدالة وعدم الإخلال بحق الخصوم في الدفاع، مما يحقق التوازن بين مصالح الخصوم المتعارضة في الدعوى الجزائية ، كما يحقق التوازن بين المصلحة الخاصة المتمثلة بحق الدفاع والمصلحة العامة المتمثلة بحسم الدعوى الجزائية بأسرع وقت ممكن، فمرحلة المحاكمة أهم مرحلة في الدعوى الجزائية وللتأجيل فيها تطبيقاً واسعاً إذ تتحقق فيها أغلب

أسبابـه ، على أن يكون التأجيل لأسباب جدية وحقيقيــة ، والتأجيل إجراء تنظيمي وهو بهذا الوصف يمثل وسيلة لتنظيم الوقت اللازم لحسم الدعوى الجزائية بشكل منصف وعادل ، وعدم اتخاذه عند توفر مسوغاته يوصم المحاكمة بالتسرع وعدم العدالة ، إلا أن الإفراط في اتخاذه – سواء بصورة تأجيلات متكررة لذات السبب أو بصورة التأجيل لمدد طويلة– يؤدي إلى البطء والتأخير في حسم الدعوى الجزائية ، وما يسببه ذلك من إهدار لوقت العدالة و ضياع للحقوق وضعف الثقة بقدرة القضاء الجزائي على استحصالها ، وهذا ما يمثل الأثر السلبي للتأجيل على سرعة إجراءات الدعوى الجزائية متى استغرق حسم الدعوى الجزائية مدة طويلة تتجاوز حد المدة المعقولة ، ومن الجدير بالذكر أن المشرع العراقي حدد سقوفاً زمنية لحسم الدعوى الجزائية أمام محكمة الموضوع ، وتختلف هذه السقوف تبعاً لجسامة الجريمة فتكون في المخالفات والجنح شهرين وفي الجنايات ثلاثة أشهر من تاريخ إكمال التبليغات فيها ، وذلك وفقاً للفقرتين (٢ ، ٣) من المادة (٢) من تعليمات السقوف الزمنية الخاصة بحسم الدعاوى في المحاكم ، وحسم الدعاوى الجزائية خلال هذه السقوف الزمنية أمر وجوبي وليس جوازي ، فقد ألزم المشرع جميع المحاكم حسم الدعاوى التي تنظرها خلال السقوف الزمنية المحددة في هذه التعليمات ، الا اذا كانت طبيعة الدعوى تتطلب اجراءات خاصة بها أو كان العائق في حسمها خلال هذه السقوف سبباً لا دخل لإدارة المحكمة فيه، على ان تذكر المحكمة سبب تجاوز السقوف في محاضر الجلسات [٤١].

المطلب الثاني: الأثر الإيجابي لتأجيل الدعوى الجزائية على سرعة إجراءاتها.

على الرغم مما سبق بيانه من أثر سلبي لتأجيل الدعوى الجزائية على السرعة المطلوبة في اتخاذ وإنجاز الإجراءات الجزائية ، مما يؤدي الى تأخير حسم الدعوى الجزائية إلا أن النظر إليه من زاوية أخرى يمكن أن يكشف عن أثار إيجابية عديدة من أهمها تلك المترتبة على تحقق مسوغاته ، فتأجيل الدعوى الجزائية ضماناً لممارسة حق الدفاع من شأنه تحقيق المساواة بين الخصوم في تلك الدعوى، كما أن من آثار التأجيل لضمان حسن سير العدالة المساهمة في تبسيط إجراءات الدعوى الجزائية بهدف سرعة الفصل فيها ، ولا شك إن ذات الآثار من شأنها أن تترتب على التأجيل تحقيقاً للتوازن بين المصالح المتعارضة

في الدعوى الجزائية، وقد سبق بيان ما يترتب على تأجيل الدعوى الجزائية من تحقيق للمساواة بين الخصوم في ممارسة حقهم في الدفاع ، وتجنباً للتكرار ستقتصر الدراسة على بيان أثر التأجيل في تبسيط إجراءات الدعوى الجزائية وسرعة الفصل فيها ، فالسبل الكفيلة بتحقيق ذلك عديدة ، ومن أهمها قبول الصلح في جرائم معينة ، والتي لا تشكل خطورة بالغة على المجتمع فلا ضير عليه من قبول المصالحة فيها، كما أن من بين أسباب قبول الصلح في مثل هذه الجرائم هو إبعاد المتهم عن احتمالات تعرضه لعقوبة الحبس قصير المدة لما لها من آثار سلبية على المدان وعائلته ، ولكون هذه الجرائم تمس حق المشتكي أكثر من حق المجتمع فقد أجيز للمشتكي الصلح بشأنها ، هذا فضلاً عن أن في قبول الصلح تحقيق للاتجاه الساعي إلى سرعة الفصل في الدعوى الجزائية بما يحقق العدالة التصالحية[٤٢] ، وفي ذلك تعزيز لمصلحة المشتكي والمتهم وتحقيق التوازن بينهما ، وخفض لعدد الدعاوى المعروضة على المحاكم الجزائية ، مما يضمن حسن سير العدالة ، وقد أخذت التشريعات الجزائية الإجرائية محل الدراسة المقارنة بنظام الصلح في الدعاوي الجزائية المتعلقة بتلك الجرائم[٤٣] ، وقد حدد المشرع العراقي الدعاوي المشمولة بإمكانية الصلح فيها بالدعاوى التي يتوقف تحريكها على شكوى المجني عليه أو من يقوم مقامه قانوناً[٤٤]، وهي الدعاوى التي يغلب فيها الحق الخاص والمتعلقة بالجرائم المنصوص عليها في المادة (٣) من قانون أصول المحاكمات الجزائية، وقبول المصالحة يجب البت فيه من دون الحاجة الى إصدار قرار بالإدانة ثم إصدار قرار بقبول الصلح، ففي ذلك إطالة لأمد الإجراءات لا مسوغ له قانوناً مادام القرار الصادر بقبول الصلح يعد بحكم القرار الصادر بالبراءة ، وهو يناقض الإدانة ولا يجوز اجتماع قرارين متناقضين في جريمة واحدة [٤٥] ، وفي ذلك اختصار بالإجراءات مما يؤدي الى السرعة في حسم الدعوى الجزائية، وعلى الرغم من أن قبول الصلح يمكن أن يكون في مرحلتي التحقيق الابتدائي والمحاكمة حتى صدور قرار فاصل في الدعوى الجزائية[٤٦]، إلا أن مساعي الصلح بين طرفيها في مرحلة المحاكمة قد تتطلب فسحة من الزمن لتعطي نتائجها في الإصلاح بينهما، ويكون قرار تأجيل الدعوى الجزائية هو الحل القانوني السليم لمنح هذه الفسحة وإتاحة الفرصة لتسوية الأمر بينهما، فإذا نجحت هذه المساعي

وطلب المجني عليه أو من يقوم مقامه الصلح مع المتهم تصدر محكمة الموضوع قراراً بقبول الصلح ، مما يؤدي الى اختصار وتبسيط إجراءات الدعوى الجزائية وانقضائها قبل إصدار حكم أو قرار فاصل فيها ، وبذلك يكون لتأجيل الدعوى الجزائية دوراً إيجابياً في سرعة حسم الدعوى الجزائية لما له من أثر واضح في تيسير وقوع الصلح فيها .

ويضاف الى ذلك أن تأجيل الدعوى الجزائية قد يؤدي إلى تعديل مسار سير الدعوى الجزائية بالشكل الذي يحقق عدالة الحكم الصادر، ففي حالة إقراره لإتاحة الفرصة لحضور شاهد نفي أو إثبات في الدعوى، أو مفاتحة إحدى الجهات المختصة للاستفسار عن أمر جوهري في الدعوى، فإن ذلك قد يعدل من مسار الدعوى باتجاه معاكس لما اقتنعت به محكمة الموضوع قبل سماعها لشهادة الشاهد ، ففي إحدى الدعاوى الجزائية طلب المتهم التأجيل لمفاتحة إدارة أحد السجون حيث كان مودع فيه لقضاء عقوبة سجن صادرة بحقه وذلك لإثبات تواجده داخل السجن في وقت ارتكاب الجريمة المتهم بارتكابها، وبالرغم من إن الدعوى الجزائية المقامة ضده كانت مهيأة للحكم بإدانته إلا أن محكمة الموضوع استجابت لطلبه وقد أكدت إدارة السجن بأنه في كان نزيلا متواجد في السجن في ذلك الوقت مما أدى إلى تعديل مسار الدعوى والحكم ببراءته بدلاً من إدانته ، كما قد يطلب محامي الدفاع سماع شاهد لتحقيق شخصية المتهم فإن رفضت محكمة الموضوع التأجيل لإعلان الشاهد وبررت ذلك أن الدعوى في غير حاجة لمناقشته، فإن في ذلك إخلال بحق الدفاع لما ينطوي عليه من معنى القضاء في أمر لم يعرض عليها، وذلك لإحتمال أن تجيء أقوال الشاهد التي ستسمعها المحكمة ويباح للدفاع مناقشتها بما قد يتغير به وجه الرأي في الدعوى[٤٧]، ومن مفهوم المخالفة نخلص الى أن التأجيل يمكن أن يعدل من مسار الدعوى الجزائية، وبالتالي يترتب على التأجيل أثر إيجابي في حسم الدعوى الجزائية بحكم عادل ومنصف، وكذلك الحال بالنسبة للتأجيل لحضور الخبير القضائي الذي يكون لرأيه أثر واضح في نتيجة الدعوى .

الخاتمة:

أولا: الاستنتاجات:

١- إن تأجيل الدعوى الجزائية إجراء قضائي يتخذ بقرار مسبب من جهة قضائية مختصة من تلقاء نفسها أو بناءً على طلب من أحد الخصوم أو من يمثله لتعطيل السير في الدعوى الجزائية إلى ميعاد لاحق يؤخر نظر الدعوى لحين حلوله.

٢- يترتب على تأجيل الدعوى الجزائية آثار متنوعة ومتشعبة تنصرف الى الدعوى الجزائية ذاتها أو للخصوم فيها، ويضاف الى هذه الأثار المباشرة آثار أخرى غير مباشرة أهمها ما يتعلق بسرعة الفصل في الدعوى الجزائية، يضاف إلى ذلك آثاره غير الإجرائية غالباً ما تكون سلبية ومنها زيادة معاناة الخصوم لما يترتب عليه من هدر للوقت وزيادة لنفقات الدعوى المبذولة من قبل الخصوم ، وذلك بسبب إطالة الوقت المستغرق للفصل في الدعوى .

٣- لتأجيل الدعوى الجزائية أثر إيجابي في إتاحة الفرصة لتهدئة النفوس وتقليل وتحجيم الاحقاد، تمهيداً لتحقق أثر آخر له ذو طابع إجرائي يتجسد في سرعة حسم الدعوى الجزائية، وذلك بإتاحة الفرصة للخصوم للتوصل إلى حصول الصلح بينهم وانقضاء الدعوى الجزائية القائمة بينهم .

٤- إن تحقق جميع هذه الآثار بالنسبة لكل دعوى جزائية ليس بالأمر المحتوم ومع ذلك ينتج عن اتخاذه وجوب امتناع الجهة القضائية التي قضت بالتأجيل عن النظر في الدعوى الجزائية خلال مدة التأجيل، ويقصد بذلك الامتناع عن اتخاذ الإجـــراءات المتعلقة بالتحـقيق – سواء أكان ابتدائيا أو قضائياً– أو المحاكمة خلال مدة التأجيل.

ثانياً: المقترحات:

١- نقترح على المشرع العراقي إعادة صياغة الفقرة (ج) بحيث يكون النص كالآتي "ج- على قاضي التحقيق أو المحقق حسم موضوع رغبة المتهم في توكيل محام قبل المباشرة بالتحقيق، وفي حالة اختيار المتهم توكيل محامي فليس لقاضي التحقيق أو المحقق في غير حالة التلبس وحالة الاستعجال بسبب

الخوف من ضياع الأدلة المباشرة باستجواب المتهم إلا بعد تبليغ المحامي الوكيل أو المنتدب بالحضور وذلك قبل ثماني وأربعين ساعة قبل الاستجواب، والسماح له بالاطلاع على إضبارة إجراءات التحقيق في اليوم السابق على الاستجواب مالم يقرر قاضي التحقيق غير ذلك"

٢- نقترح تفعيل العمل بالاعمامات الصادرة من هيأة الإشراف القضائي ومجلس القضاء الأعلى قبل كافة المحاكم والتأكيد عليها والتقيد بمضمونها، والتي تهدف الى مواجهة حالات تأخير حسم الدعوى الجزائية والتخفيف من آثار تأجيل البت فيها.

الهوامش:

(١) د.أحمد مليجي ، ركود الخصومة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠، ص ١٧ .

(٢) المادة (١٦٢) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي .

(٣) المادة (١) من قانون المرافعات المدنية العراقي .

(٤) المادة (٢٣١) قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي .

(٥) المادة (٣٧٨) من قانون الإجراءات الجنائية المصري.

(٦) المادة (١٩٦) من قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي.

(٧) المادة ٢٤٩ من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني.

(٨) المواد (٢٧٨ ، ٣٠٣ ، ٣٥٠) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري.

(٩) سعيد حسب الله عبد الله ، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ ، ص٢٦٦.

(١٠) د. حمودي الجاسم ، دراسة مقارنة في قانون أصول المحاكمات الجزائية ،ج ١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٢، ص٥٩.

(١١) يقابلها المواد (١٣٤-١٤٣) من قانون الإجراءات الجنائية المصري ، والمواد (١٠٦-١١٠) من قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي ، والمادة (١٢٣- ١٢٥ مكرر) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري ، المواد (١٠٧-١١١) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني .

(١٢) جبران سعود، الرائد الصغير ، ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢، ص٥٤٨.

(١٣) إن التصرف في الدعوى الجزائية بغلقها سواء نهائياً أو مؤقتاً في حالة توفر أحد أسباب الغلق أو إحالتها على المحكمة المختصة إذا وجد قاضي التحقيق كفاية الأدلة للإحالة ، وقد نظم المشرع العراقي ذلك في المادة (١٣٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية ، يقابلها المواد (١٥٤-١٥٨) من قانون الإجراءات الجنائية المصري ، والمواد(١١٨-١٢١) من قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي ، والمواد (١٦٣، ١٦٤ ، ١٦٦) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، والمواد (١٢٢، ١٢٣، ١٢٥) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني .

(١٤) إعمام رئاسة هيأة الإشراف القضائي / لجنة الدراسات بالعدد ١٢٤ / دراسات / ٢٠١٦ الصادر في ٢٧ / ٩ / ٢٠١٦.

(١٥) إعمامات مجلس القضاء الاعلى / دائرة شؤون القضاة وأعضاء الادعاء العام بالعدد ٨١٦٥ / ق / أ في ٩/٣ /٢٠١٢.

(١٦) إعمامات مجلس القضاء الأعلى / دائرة شؤون القضاة وأعضاء الادعاء العام بالعدد ٨١٨ /ق/ أ في ٢٨ / ٧ / ٢٠١٦.

(١٧) سالم الشيباني ، الحماية الجنائية للحق في أصل قرينة البراءة دراسة مقارنه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص٤٧٣.

(١٨) يقصد بمرحلة التحري وجمع الأدلة (مرحلة تمهيدية سابقة على مرحلة التحقيق الابتدائي تهدف الى جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بالجريمة ومرتكبيها عن طريق التحري عنها والبحث عن فاعلها بشتى الطرق والوسائل القانونية ليتم إعداد العناصر اللازمة للبدء في التحقيق الابتدائي) ؛ د. محمد عودة الجبور ، الاختصاص القضائي لمأمور الضبط القضائي دراسة مقارنة ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦، ص١٤٢.

(١٩) عالج المشرع العراقي أحكام أعضاء الضبط القضائي من واجبات وحقوق في المواد (٣٩-٤٦) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي .

(٢٠) يقابلها المادة (٢٣) من قانون الإجراءات الجنائية المصري ، المادة (٣٦) من قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي ، في حين خلا قانون الإجراءات الجزائية الجزائري وقانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني من النص على ذلك .

(٢١) يقابلها المادة (٣١) من قانون الإجراءات الجنائية المصري ، والمادة (٤٣) من قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي ، والمادة (٤٢) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري ، والمادة (٣١) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني.

(٢٢) يقابلها المادة (٣٢) من قانون الإجراءات الجنائية المصري ، والمادة (٤٤) من قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي ، والمادة (٣٢) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني ، في حين خلا قانون الإجراءات الجزائية الجزائري من النص على ذلك .

(٢٣) يقابلها المادة (٢٤) من قانون الإجراءات الجنائية المصري في حين خلت التشريعات الجزائية الإجرائية الإخرى محل الدراسة من النص على ذلك

(٢٤) علي السماك ، الموسوعة الجنائية للقضاء الجنائي العراقي ، الجزء الأول ، مطبعة الجاحظ ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٤٧.

(٢٥) أ. عبد الأمير العكيلي ، مصدر سابق ، ص٢٨٤ .

(٢٦) د. جلال ثروت ، أصول المحاكمات الجزائية ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٦٩٨.

(٢٧) د. محمد سعيد نمور، ، أصول الإجراءات الجزائية – شرح لقانون أصول المحاكمات الجزائية ، ط١، دار الثقافة ، عمان، ٢٠٠٥، ص ٣٣٩.

(٢٨) د. محمد صبحي نجم ، الوجيز في قانون أصول المحاكمات الجرائية ، دار الثقافة للنشر ، الاردن ، ٢٠٠٦، ص٢٤٨.

(٢٩) يوسف مصطفى رسول ، المدد القانونية في الدعوى الجزائية دراسة تحليلية مقارنة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠١٧، ص١٣٦.

(٣٠) أضيفت الفقرتان (ب،ج) الى المادة (١٢٣) بمقتضى البند (ج) من القسم (٤) من مذكرة سلطة الائتلاف المؤقتة المنحلة رقم ٣ لسنة ٢٠٠٣.

(٣١) تقابلها المادة (١٠٠) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري ، والمادة (٧٦) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني ، في حين خلا قانون الإجراءات الجنائية المصري و قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي من النص على ذلك.

(٣٢) يقابلها المادة (١٢٤) من قانون الإجراءات الجنائية المصري والمادة (١٠٥) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري والمادة (٧٨) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني. في حين خلا قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي من النص على ذلك .

(٣٣) حق الاستعانة بمحامي (هو حق أصيل، وهو فرع من فروع حق أعلى وأشمل ألا وهو حق المتهم في الدفاع عن نفسه) للمزيد ينظر د. محمد مومن ، حق المتهم في الاستعانة بمحامي أثناء المحاكمة الجنائية ، مجلة الاجتهاد القضائي ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد ١٢ ، ٢٠١٦ ، ص١١٢.

(٣٤) د. سردار على عزيز ، ضمانات المتهم أثناء الاستجواب ، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية ، القاهرة ، ٢٠١٤، ص٦٩.

(٣٥) المادة (٧٠) من قانون الإجراءات الجنائية المصري ، والمادة (٦٨) من قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي ، والمادة (٨٤ ، ٩٤، ١٠٤) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني ، في حين خلا قانون الإجراءات الجزائية الجزائري من النص على ذلك ، وقد أجازت المادة (٨٠) منه للقاضي في هذه الحالة أن ينتقل بنفسه للقيام بجميع إجراءات التحقيق .

(٣٦) صدرت هذه التعليمات استنادا للفقرة (٢) من قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (٦٦٩) الصادر في ١٩٨٧/٨/٢٣.

(٣٧) د. محمد طراونة ، ضمانات حقوق الإنسان في الدعوى الجزائية ، دراسة مقارنة ، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٣ ، ص١٣٥ .

(٣٨) محمود صالح العادلي ، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب ،ج١، ط١، دار الفكر الجامعي الاسكندرية، ٢٠٠٣، ص٢٤٨.

(٣٩) د. محمود نجيب حسني ، شرح قانون الإجراءات الجزائية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٥، ص٦٢٨.

(٤٠) د.عمر فخري الحديثي ، حق المتهم في محاكمة عادلة ، دار الثقافة ، عمان ، ٢٠٠٥، ص١٣٢

(٤١) مقدمة تعليمات السقوف الزمنية الخاصة بحسم الدعاوى أمام المحاكم رقم (٤) لسنة ١٩٨٧.

(٤٢) يقصد بالعدالة التصالحية أية عملية تتيح للضحية والجاني أو أي أشخاص آخرين متأثرين بالجريمة أن يشاركوا في تسوية المسائل الناشئة عن تلك الجريمة ؛ هامل لفته العجيلي ، حق السرعة في الإجراءات الجزائية ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت، ٢٠١٢ ، ص١٢٨ .

(٤٣) عالج المشرع العراقي أحكام الصلح في المواد (١٩٤- ١٩٨) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي ، يقابلها المادتين (١٨-١٨ مكرر) من قانون الإجراءات الجنائية المصري ، في حين خلا قانون الإجراءات الجزائية الإماراتي من النص على ذلك ، واقتصرت المادة (٦) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري ، والمادة (٢٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني على بيان أثر الصلح في انقضاء الدعوى الجزائية .

(٤٤) المادة (١٩٤) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي .

(٤٥) د. براء منذر كمال عبد اللطيف وبهاء الدين عطية عبد الكريم وأبو عبيدة منذر كمال عبد اللطيف ، السبل الكفيلة لضمان سرعة الإجراءات الجزائية ، مجلة العلوم الإنسانية ، كلية التربية – صفي الدين الحلي ، جامعة بابل ، العدد الأول ، ٢٠١٧ ، ص٩١ .

(٤٦) المادة (١٩٤) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي .

(٤٧) د. حامد الشريف ، نظرية الدفوع أمام القضاء الجنائي ، دار الكتب القانونية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص٤٠

المراجع:

أ- المعاجم اللغوية:

١-جبران سعود، الرائد الصغير ، ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢.

ب-الكتب القانونية

١-أحمد مليجي ، ركود الخصومة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠

٢-د. جلال ثروت ، أصول المحاكمات الجزائية ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٣-د. حامد الشريف ، نظرية الدفوع أمام القضاء الجنائي ، دار الكتب القانونية ، القاهرة ، ٢٠٠٣.

٤-حمودي الجاسم ، دراسة مقارنة في قانون أصول المحاكمات الجزائية ،ج ١، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٦٢.

٥-سالم الشيباني ، الحماية الجنائية للحق في أصل قرينة البراءة دراسة مقارنه ، دار النهضة العربية، القاهرة ، ٢٠٠٦.

٦-د. سردار على عزيز ، ضمانات المتهم أثناء الاستجواب ، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة ، ٢٠١٤.

٧-سعيد حسب الله عبد الله ، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ ، ص٢٦٦.

٨-أ. عبد الامير العكيلي ود. سليم إبراهيم حربة ، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية ، ط١ ، المكتبة القانونية ، بغداد ، ٢٠٠٨ .

٩-د.علي السماك ، الموسوعة الجنائية للقضاء الجنائي العراقي ، الجزء الأول ، مطبعة الجاحظ ، بغداد ، ١٩٩٠ .

١٠- د.عمر فخري الحديثي ، حق المتهم في محاكمة عادلة ، دار الثقافة ، عمان ، ٢٠٠٥.

١١- د. محمد سعيد نمور ، أصول الإجراءات الجزائية – شرح لقانون أصول المحاكمات الجزائية ، ط١، دار الثقافة ، عمان ، ٢٠٠٥.

١٢- د. محمد صبحي نجم ، الوجيز في قانون أصول المحاكمات الجرائية ، دار الثقافة للنشر ، الاردن ، ٢٠٠٦.

١٣- د. محمد طراونة ، ضمانات حقوق الإنسان في الدعوى الجزائية ، دراسة مقارنة ، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٣.

١٤- د. محمد عودة الجبور ، الاختصاص القضائي لمأمور الضبط القضائي دراسة مقارنة ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦.

١٥- د. محمود صالح العادلي ، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب ،ج١، ط١، دار الفكر الجامعي الاسكندرية، ٢٠٠٣ .

١٦- د. محمود نجيب حسني ، شرح قانون الإجراءات الجزائية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٥.

١٧- هامل لفته العجيلي ، حق السرعة في الإجراءات الجزائية ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت، ٢٠١٢ .

١٨- يوسف مصطفى رسول ، المدد القانونية في الدعوى الجزائية دراسة تحليلية مقارنة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠١٧ .

ت- البحوث:

١-د. براء منذر كمال عبد اللطيف وبهاء الدين عطية عبد الكريم وأبو عبيدة منذر كمال عبد اللطيف ، السبل الكفيلة لضمان سرعة الإجراءات الجزائية ، مجلة العلوم الإنسانية ، كلية التربية – صفي الدين الحلي ، جامعة بابل ، العدد الأول ، ٢٠١٧ .

٢-د. محمد مومن ، حق المتهم في الاستعانة بمحامي أثناء المحاكمة الجنائية ، مجلة الاجتهاد القضائي ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد ١٢ ، ٢٠١٦ .

ث- القوانين والتعليمات:

١- قانون الاجراءات الجنائية المصري رقم (١٥٠) لسنة ١٩٥٠ المعدل .
٢- قانون الاجراءات الجزائية الجزائري رقم (٦٦-١٥٥) لسنة ١٩٦٦المعدل.
٣- قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١المعدل.
٤- تعليمات السقوف الزمنية الخاصة بحسم الدعاوى أمام المحاكم رقم (٤) لسنة ١٩٨٧.
٥- قانون الاجراءات الجزائية الإماراتي رقم (٣٥) لسنة ١٩٩٢ .
٦- قانون اصول المحاكمات الجزائية اللبناني رقم (٣٢٨) لسنة ٢٠٠١ .
٧- مذكرة سلطة الائتلاف المؤقتة المنحلة رقم ٣ لسنة ٢٠٠٣.

ج- المتفرقات:

١-إعمام رئاسة هيأة الإشراف القضائي / لجنة الدراسات بالعدد ١٢٤ / دراسات / ٢٠١٦ الصادر في ٢٧ / ٩ / ٢٠١٦ .

٢-إعمامات مجلس القضاء الاعلى / دائرة شؤون القضاة وأعضاء الادعاء العام بالعدد ٨١٦٥ / ق / أ في ٩/٣ /٢٠١٢.

٣-إعمامات مجلس القضاء الأعلى / دائرة شؤون القضاة وأعضاء الادعاء العام بالعدد ٨١٨ /ق/ أ في ٢٨ / ٧ / ٢٠١٦.

الخصائص المكانية والزمانية لقيم التبخر– نتح الممكن في العراق وأثرها على الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس

أ.د. ناصر والي فريح
الباحث ميثم عبد الكاظم حميدي
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط

المقدمة:

تعد دراسة خصائص التبخر – نتح من اهم الدراسات التي تحظى باهتمام الباحثين في المجال الزراعي ، وذلك لأنها المحددة لنوع المحصول ومقدار الاحتياجات المائية وطرائق الري المناسبة للزراعة المروية كما هو الحال في اغلب مناطق العراق .

ويشير مصطلح التبخر– نتح (Evapotranspiration) الى مجمل كميات المياه المستخدمة في عملية نمو النباتات في منطقة ما، على شكل نتح او بناء انسجة ،فضلاً عن الماء الذي يتبخر من التربة المجاورة او من الثلج المتراكم ،او تبخر المياه المحتبسة على الاشجار في منطقة معينة وخلال زمن محدد .[١]

والتبخر – نتح نوعان ،هما التبخر النتح الكامن (Potential Evapotranspiration) والتبخر – نتح الحقيقي (Actual Evapotranspiration) وما يهمنا في هذه الدراسة هو التبخر – نتح الكامن، وذلك من اجل التمكن من تحديد المستويات العظمى للاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس في المناطق المختلفة من العراق ، لما لذلك من فوائد على مستوى الخطط الانمائية وخطط تقنين المياه اللازمة للإرواء الزراعي في البلد، لاسيما مناطق الري الدائم والري التكميلي.

مشكلة الدراسة: ما هي خصائص التبخر– نتح في العراق، وما هي علاقتها بالاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس خلال المدة ١٩٧٥–٢٠١٤؟

فرضية الدراسة: هنالك علاقة بين التباين المكاني والزماني لقيم التبخر نتح الممكن والاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس خلال مدة الدراسة.

أهمية الدراسة: ان معرفة كمية التبخر– نتح امرا اساسيا وذا اهمية كبيرة لتقدير الاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية، والتي هي اهم الخطوات التي تساعد على التخطيط الزراعي الامثل من اجل تحقيق الامن الغذائي والذي يضمن التنمية المستدامة للموارد المائية.

أهداف الدراسة: يهدف البحث الى دراسة التباين المكاني والزماني لقيم التبخر– نتح الممكن في العراق للمدة بين (١٩٧٥– ٢٠١٤) وعلاقته بتباين الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس.

منهجية البحث: اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي القائم على اسلوب تحليل قيم التبخر نتح الممكن والمحسوبة على وفق معادلة بنمان – مونتيث والذي يعد الاساس في حساب الاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية ولعشر محطات ولمدة ٤٠ عام (١٩٧٥– ٢٠١٤) وتم ايجاد معامل الارتباط بيرسون في تفسير وتحليل العلاقات الاحصائية والارتباط بين المتغيرات .

الحدود المكانية والزمانية: تتمثل بالمساحة الكلية للعراق ضمن حدوده السياسية ، والذي يقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا بين خطي طول (٤٨,٤٥° و ٣٨,٤٥°) شرق كرنتش ودائرتي عرض (٢٩,٥° و ٣٧,٢٢ °) شمالا ، وقد تمَّ اختيار (١٠) محطات مناخية (الموصل ،كركوك، بيجي ،بغداد ، الرطبة ،الحي، النجف، العمارة ، الناصرية ، البصرة) الجدول (١) ، خريطة (١) . وحددت الدراسة زمانيا بالمدة بين (١٩٧٥–٢٠١٤) ، ولأربع دورات مناخية .

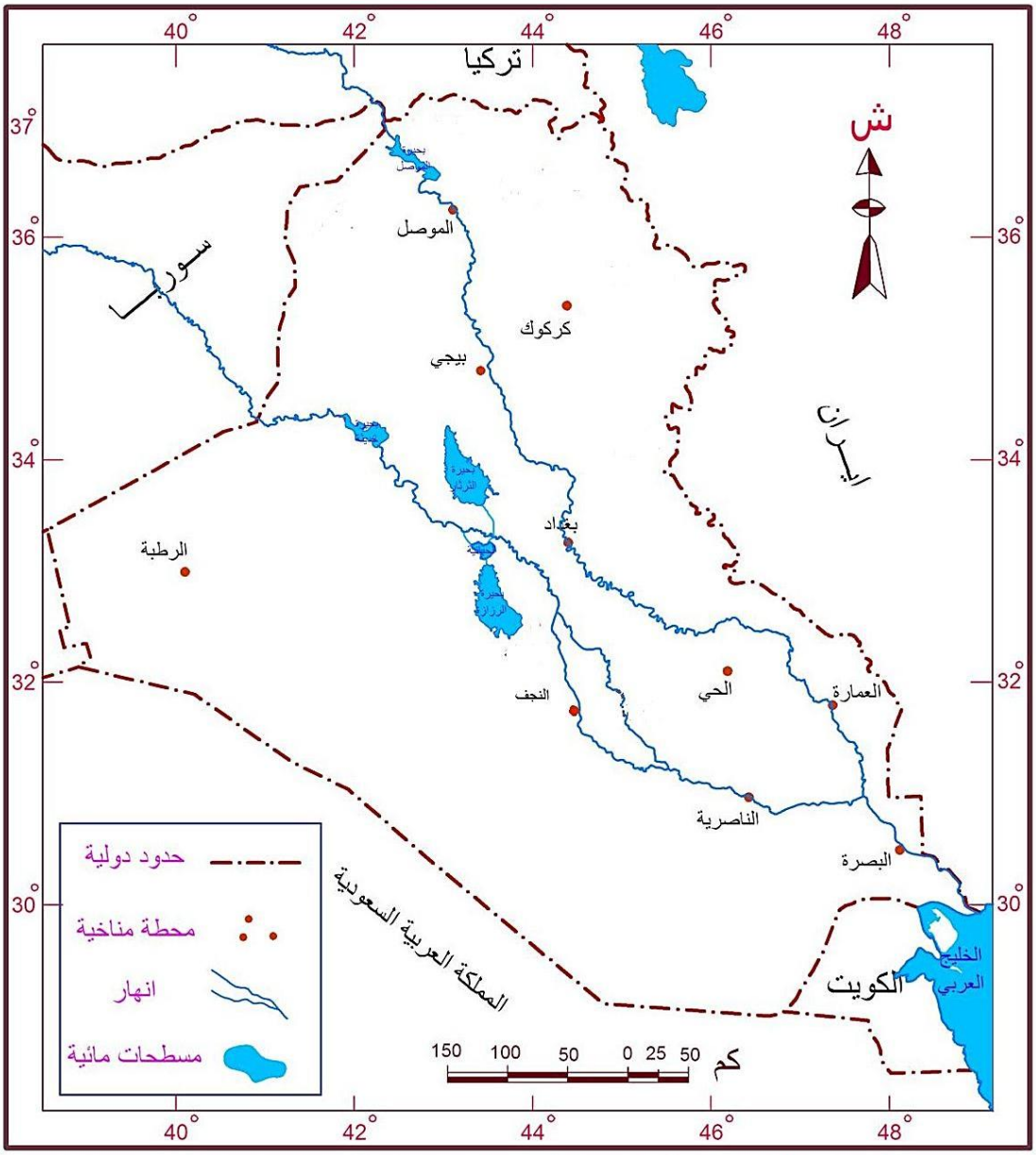
جدول (١) محطات الدراسة

المحطة	رمز المحطة	خط الطول (درجة)	دائرة العرض (درجة)	الارتفاع (متر)	مناخ المحطة حسب تصنيف كوبن
الموصل	٦٠٨	٤٣ ٠٩	٣٦ ١٩	٢٢٣	شبه جاف Bsh

كركوك	٦٢١	٤٤ ٢٤	٣٥ ٢٨	٣٣١	شبه جاف Bsh
بيجي	٦٣١	٤٣:٢٦	٣٤:٥٦	١١٥	شبه جاف Bsh
بغداد	٦٥٠	٤٤ ٢٤	٣٣ ١٨	٣١,٧	جاف BWh
الرطبة	٦٤٢	٤٠ ١٧	٣٣ ٠٢	٦٣٠,٨	جاف BWh
الحي	٦٦٥	٤٦:٠٥	٣١:٥٧	١٧	جاف BWh
النجف	٦٧٠	٤٤ ١٩	٣١ ٥٧	٥٣	جاف BWh
العمارة	٦٨٠	٤٧ ١٠	٣١ ٥٠	٩,٥	جاف BWh
الناصرية	٦٧٦	٤٦ ١٤	٣١ ٠١	٥	جاف BWh
البصرة	٦٨٩	٤٧ ٤٧	٣٠ ٣١	٢	جاف BWh

المصدر : ١) عمل الباحث بالاعتماد على : جمهورية العراق ،وزارة النقل ،الهياة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية ، بيانات غيرة منشورة ٢٠١٧. ٢) كريم دراغ محمد ، الاتجاهات الحديثة في مناخ العراق ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨١، ص ٧٢.

خريطة (١) المحطات المناخية لمنطقة الدراسة



المصدر : جمهورية العراق ، وزارة النقل، الهيأة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية ، قسم المناخ، اطلس مناخ العراق ، ١٩٩٠،ص٦.

أولا:- خصائص التبخر – نتح الممكن:

١- التباين المكاني:

توضح بيانات الجدول (٢) والشكل (١) ان المعدل السنوي لقيم التبخر – نتح الممكن قد بلغ مقداره السنوي في منطقة الدراسة (٢٠٠٠ملم) الا ان هذا المعدل قد تباين مكانيا، وذلك نتيجة لتباين العوامل المؤثرة على كمية التبخر– نتح (الاشعاع الشمسي ،الحرارة ، الرياح ، الرطوبة ...، فضلاً عن العوامل المتعلقة بالتربة والماء والنبات) .

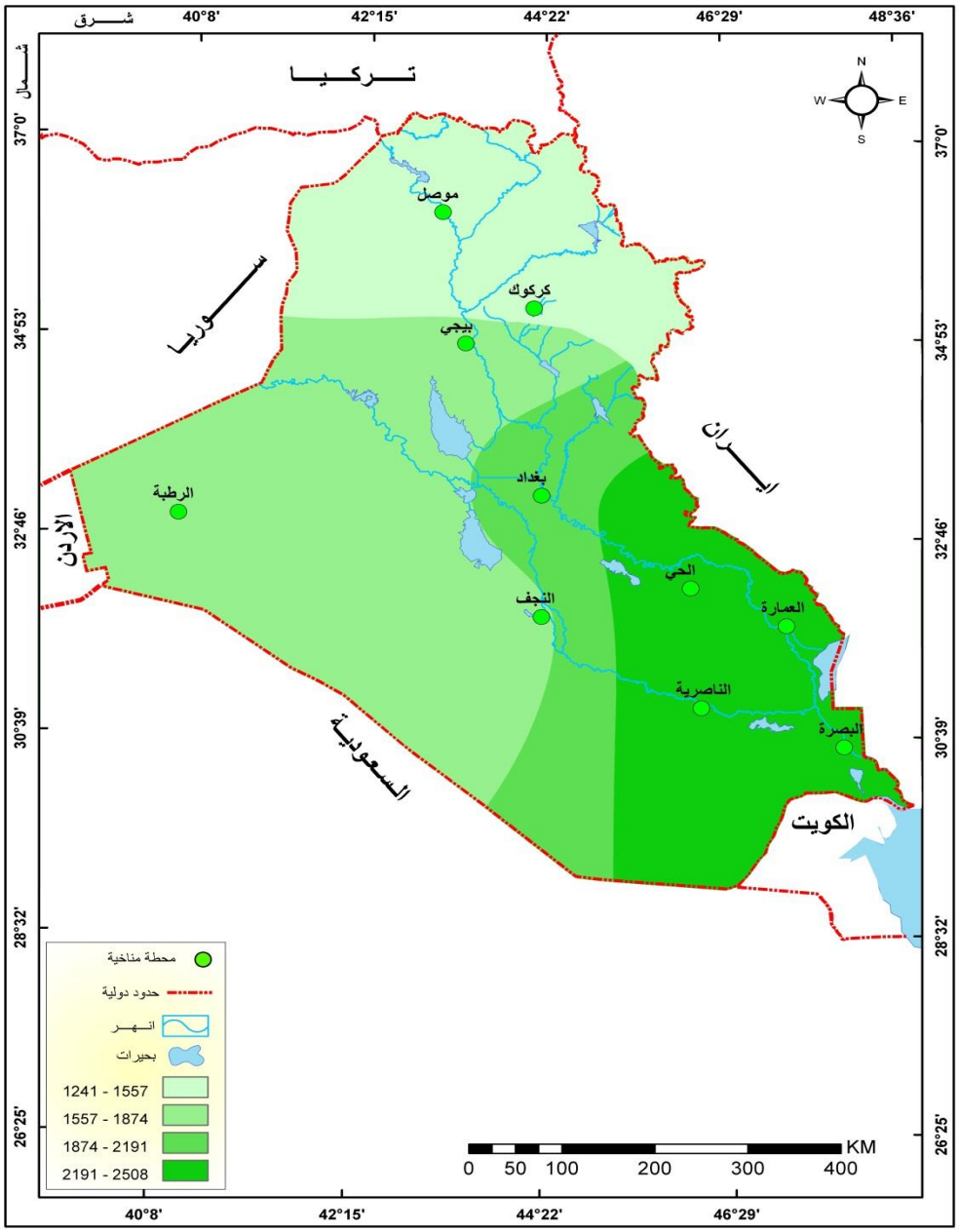
ويظهر من خلال الخريطة (٢) بان هنالك اربعة انطقه لقيم التبخر – نتح الممكن في العراق وهي كما يلي :

أ-نطاق التبخر النتح الممكن المنخفض ما بين (١٢٤١ملم) الى (١٥٥٧ ملم): وقد ضم هذا النطاق اغلب اجزاء المنطقة الشمالية من العراق والتي تتميز بتسجيلها قيم منخفضة للإشعاع الشمسي ودرجات الحرارة وسرع الرياح ، وتسجل في الوقت نفسه قيم مرتفعة للرطوبة النسبية وخصوصا خلال الفصل البارد المطير، وقد تمثل هذا النطاق بمحطات الموصل وكركوك ،والتي سجلت قيم تبخر نتح سنوية اقل من المعدل العام .اذ وصلت الى (١٣٥٦ملم)،(١٥٢٤ملم) ولكل منهم على التوالي .

ب- نطاق التبخر – نتح الممكن المعتدل ما بين (١٥٥٨ملم) الى (١٨٧٤ ملم): وشمل هذا النطاق مساحات واسعة من البادية الغربية والاجزاء الجنوبية من هضبة الجزيرة والاجزاء الشرقية من المنطقة المتموجة وكما موضح في خريطة (٢) وتمثل هذا النطاق بمحطات النجف والرطبة وبيجي ، والتي تميزت بتسجيلها قيم سنوية متدنية لسرع الرياح قياسا بالمحطات الاخرى في المنطقتين الوسطى والجنوبية مما انعكس تأثيرها في انخفاض قيم التبخر– نتح المسجلة في هذه المحطات والتي وصلت الى (١٨٢٨ملم)، (١٧٣٣ملم)، (١٦٢٦ملم) ولكل منهم على التوالي وهي اقل من المعدل السنوي العام .

ت- نطاق التبخر – نتح الممكن المرتفع ما بين (١٨٧٥ ملم) الى (٢١٩١ ملم): وضم هذا النطاق اجزاء من المنطقة الجنوبية الغربية من العراق واجزاء من المنطقة الوسطى الى الشمال من النطاق الاول، وقد مثلت محطة بغداد المناخية هذا النطاق والتي سجلت معدل سنوي للتبخر – نتح بلغ مقداره (٢٠٦٨ ملم) وهو اعلى من المعدل السنوي العام .

خريطة (٢) التوزيع المكاني للمعدلات السنوية لقيم التبخر– نتح الممكن في منطقة الدراسة للمدة (١٩٧٥-٢٠١٤)



المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (٢)

ث- نطاق التبخر- نتح الممكن المرتفع جدا ما بين (٢١٩٢ملم) الى (٢٥٠٨ ملم): ويضم الاجزاء الجنوبية الشرقية من العراق التي تتميز بارتفاع قيم الاشعاع الشمسي والحرارة وتسجل معدلات سرع رياح عالية نسبةً الى باقي مناطق العراق، وقد انعكست تأثيرات الخصائص المناخية ضمن هذا النطاق على قيم التبخر- نتح من التربة والمسطحات المائية ومن النباتات، مما يسهم في زيادة الاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية. ويشمل هذا النطاق محطات البصرة ،الناصرية، العمارة ،الحي التي سجلت معدلات تبخر نتح سنوية وصلت الى (٢٤٧٥ملم)(٢٤٨٨ ملم)(٢٤٨٥ ملم) والتي فاقت المعدل السنوي العام في منطقة الدراسة والبالغ (٢٠٠٠ ملم).

جدول (٢) المعدلات الفصلية والسنوية لقيم التبخر – نتح الممكن في منطقة الدراسة (ملم) للمدة (١٩٧٥-٢٠١٤)

المحطة	الفصل البارد	النسبة%	الفصل الحار	النسبة %	المعدل السنوي
الموصل	٢١٣	١٦	١١٤٣	٨٤	١٣٥٦
كركوك	٢٦٧	١٨	١٢٥٦	٨٢	١٥٢٤
بيجي	٢٦٤	١٦	١٣٦٢	٨٤	١٦٢٦
بغداد	٣٨٥	١٩	١٦٨٩	٨٢	٢٠٦٨
الرطبة	٣٤٩	٢٠	١٣٨٣	٨٠	١٧٣٣
الحي	٤٥٦	١٨	٢٠٣٠	٨٢	٢٤٨٥
النجف	٣٤٧	١٩	١٤٨١	٨١	١٨٢٨
العمارة	٤٢٤	١٨	١٩٩٢	٨٢	٢٤١٦
الناصرية	٤٧٤	١٩	٢٠١٤	٨١	٢٤٨٨

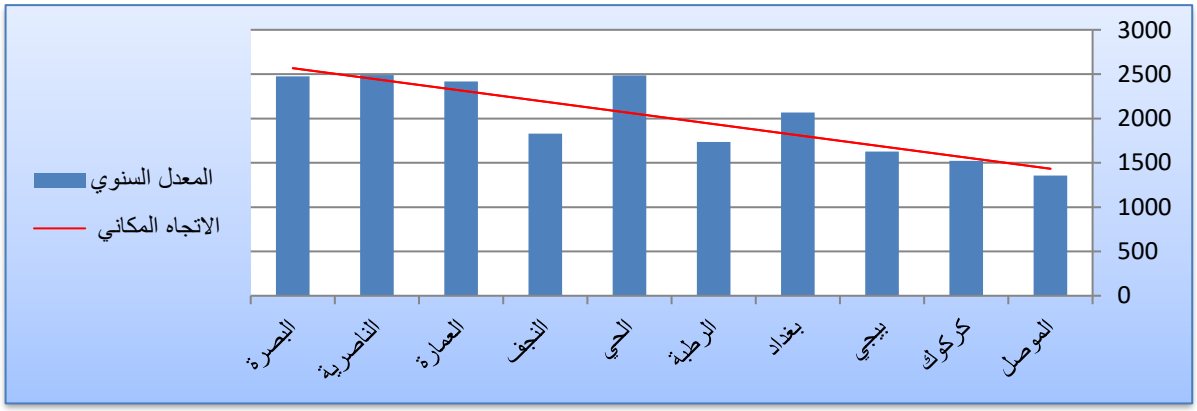
البصرة	٤٨٨	٢٠	١٩٨٧	٨٠	٢٤٧٥
المعدل الفصلي	٣٦٧	١٨	١٦٣٤	٨٢	٢٠٠٠

المصدر: ١) جمهورية العراق ،وزارة النقل ، الهيأة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية ،قسم المناخ ،بغداد، ٢٠١٦ بيانات غير منشورة.٢) ملحق (٣٢-٣٣)

ويشير الشكل (١) الى ان قيم التبخر السنوي تتناقص بشكل عام بالاتجاه من الجنوب الى الشمال نتيجة لتغير العوامل المؤثرة في التبخر- نتح وتأثير الموقع الجغرافي والفلكي واختلاف زاوية سقوط الاشعاع الشمسي وارتفاع المحطة وغيرها من العوامل المؤثرة.

شكل (١)

المعدلات السنوية لقيم التبخر – نتح الممكن (ملم) لمحطات منطقة الدراسة للمدة (١٩٧٥-٢٠١٤)



المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على جدول (٢)

٢- التباين الزماني:

ومن خلال الجدول (٣) فقد تباينت قيم التبخر – نتح الممكن المحسوب وفق معادلة بنمان – مونتيث (الفاو) في محطات الدراسة زمانيا ضمن مدة الدراسة (١٩٧٥-٢٠١٤) ، اذ سجل عام ١٩٩٠ اعلى معدل سنوي لقيم التبخر نتح المحسوب في منطقة الدراسة ، الذي وصل مقداره الى (٢٢٤٥ ملم) وهو

اعلى من المعدل السنوي العام والبالغ (٢٠٠٠ ملم) ، وبانحراف بلغ (٢٤٢ ملم) وبنسبة انحراف وصلت الى ١٢,١ %، في حين كان عام ٢٠٠٩ اقل السنوات في معدل التبخر – نتح ، اذ وصل مقداره الى (١٨٨٤ ملم) وهو اقل من المعدل السنوي العام بانحراف بلغ (١٢٠ ملم) وبنسبة انحراف وصلت الى ٦% . وقد تباينت المعدلات السنوية في المحطات التي تضمنتها الدراسة وعلى النحو التالي :

أ- محطة الموصل : سجلت محطة الموصل اعلى معدل سنوي لها خلال مدة الدراسة في عام ٢٠٠٠ وكان مقداره (١٥٩٠ملم)وهو اعلى من المعدل السنوي للمحطة والبالغ (١٣٥٦ملم) وبانحراف موجب مقداره ٢٣٤ملم وهو ما يمثل نسبه انحراف مقدارها ١٧,٣%عن المعدل السنوي للمحطة . في حين سجل عام ١٩٨٢ اقل معدل سنوي في المحطة خلال مدة الدراسة وبلغ مقداره (١١٩٣ ملم) وبانحراف سالب وصل الى (-١٦٣) وبنسبة انحراف ١٢%.

ب- محطة كركوك: بلغ اعلى معدل سنوي لقيم التبخر- نتح الممكن في محطة كركوك (١٧٩٧ملم) عام (٢٠٠٨) وبانحراف وصل الى (٢٧٢) وهو ما يزيد بنسبة ١٧,٩% من قيمة المعدل السنوي لهذه المحطة والبالغ (١٥٢٤ملم). وانخفضت قيم التبخر نتح المحسوب في محطة كركوك الى ادنى مستوياتها خلال عام ١٩٩٧ وقد وصلت الى (١٢٩٧ملم) وبانحراف بلغ (- ٢٢٧) وبنسبة انحراف ١٤,٩% .

ت- محطة بيجي : سجلت محطة بيجي اعلى معدل تبخر – نتح ممكن سنوي لها خلال عام (٢٠٠١) وكان مقداره ١٩٩٣ملم وهو اعلى من المعدل السنوي للمحطة والبالغ (١٦٢٦ملم)اي بانحراف وصل الى (٣٦٧ملم) وهو يمثل ما نسبته ٢٢,٦% من مجموع التبخر السنوي . في حين سجل عام ٢٠٠٧ اقل معدل للتبخر نتح السنوي خلال مدة الدراسة وكان مقداره (١٢٤٢ ملم) وهو اقل من المعدل العام لهذا المحطة بانحراف سالب بلغ (٣٨٤) وبنسبة انحراف وصلت الى ٢٣,٦%.

ث- محطة بغداد:- تباينت قيم التبخر- نتح السنوي في محطة بغداد زمانيا اذ سجلت اعلى معدل سنوي لهذه المحطة عام ٢٠٠٨ وكان مقداره ٢٢٣١ ملم وبانحراف وصل الى ١٦٢ملم عن المعدل العام في المحطة والبالغ ٢٠٦٨ملم وهو ما يمثل ٧,٨%من مجموع التبخر- نتح السنوي للمحطة وسجلت محطة

بغداد اقل معدل سنوي لها عام ١٩٩١ وكان مقداره ١٦٧٧ ملم وبانحراف سالب وصل الى (-٣٩٢ملم) وبنسبة انخفاض عن المعدل بلغت ١٨,٩%

ج- محطة الرطبة: تباينت قيم التبخر- نتح الممكن السنوي في محطة الرطبة خلال مدة الدراسة اذ سجلت المحطة اعلى مقدار لها خلال عام ١٩٧٨ وصلت الى (٢٠٨٦ملم) وبانحراف بلغ ٣٥٢ملم وبنسبة انحراف بلغت (٢٠,٣%) من المعدل السنوي العام في المحطة وسجلت عام ١٩٩٨ اقل قيم التبخر نتح خلال مدة الدراسة وقد وصلت الى (١٣٤٣ملم) وهي اقل من المعدل السنوي العام بـ(-٣٩١ملم) وبنسبة انحراف سالب بلغت ٢٢,٥% من مجموع التبخر- نتح الممكن السنوي.

ح- محطة الحي: تميزت محطة الحي بتسجيلها قيم تبخر وتبخر- نتح عالية نسبيا بما تتميز به المحطة من ارتفاع في قيم الحرارة و سرع الرياح قد تباينت هذه القيم خلال مدة الدراسة اذ سجل عام ١٩٧٨ اعلى معدل سنوي لقيم تبخر- نتح الممكن وصل الى (٢٩٤٣) وهو اعلى معدل سنوي سجل في محطات الدراسة بعد محطة العمارة وبفارق (٤٥٨ملم) اعلى من المعدل السنوي للمحطة والبالغ (٢٤٩٦)وبنسبة انحراف عن المعدل العام وصلت(١٨,٤%) في حين سجلت محطة الحي اقل معدل سنوي لقيم التبخر- نتح الممكن خلال عام ٢٠١٢ اذ وصل معدله الى (٢٠٠٦ملم) وهو اقل من المعدل السنوي بانحراف بلغ (-٤٨٠ملم) وهو يمثل نسبة انحراف (١٩,٣%) اقل من المعدل العام للمحطة .

خ- محطة النجف: سجلت محطة النجف معدل سنوي منخفض قياسا لدائرة العرض التي تقع عليها المحطة وقد وصل معدل التبخر- نتح الممكن في هذه المحطة الى اعلى قيمة خلال عام (١٩٩٠) اذ سجلت معدل سنوي بلغ (٢٢٤٦ملم) وهو اعلى من المعدل العام البالغ (١٧٩٤ملم) وبانحراف وصل الى (٤٥٢ملم) وبنسبة انحراف عالية وصلت الى (٢٥,٢%) عن المعدل العام للمحطة. وسجلت محطة النجف اقل معدل سنوي لقيم التبخر- نتح الممكن خلال مدة الدراسة في عام (٢٠٠٠) اذ وصل الى (١٥٣٣) وهو اقل من المعدل السنوي العام للمحطة بـ(-٢٦١ملم) وهو ما يمثل ١٤,٥% اقل من المعدل العام للمحطة .

د- محطة العمارة:- تباينت المعدلات السنوية لقيم التبخر- نتح الممكن في محطة العمارة عن المعدل السنوي البالغ (٢٤١٦ملم)اذ سجل عام ١٩٩٠ اعلى معدل سنوي خلال مدة الدراسة وصل الى (٢٩٥٥ملم) وبانحراف وصل الى (٥٣٩ملم) وهو اعلى انحراف موجب سجل في محطات الدراسة ومثل ما نسبته ٢٢,٣% من مجموع التبخر- نتح في ذلك العام ، اما اقل معدل سنوي لقيم التبخر- نتح الممكن فقد سجل عام (١٩٨٦) وبلغ (٢٠٩٢ملم) وهو اعلى من المعدل السنوي العام وبانحراف وصل الى (-٣٢٤ملم) وشكل نسبة ١٣,٤% من مجموع التبخر- نتح الممكن السنوي لذلك العام .

ذ- محطة الناصرية: سجلت محطة الناصرية قيم تبخر- نتح ممكن سنوي عالية نسيبا إذ وصل معدله في هذه المحطة الى(٢٤٨٨ملم)، وسجل عام ١٩٩٠ اعلى معدل تبخر- نتح سنوي في هذه المحطة خلال مدة الدراسة بلغ (٢٩٢٩ملم) وبانحراف وصل الى(٤٢٢ملم) وبنسبة(١٧,٧%) من مجموع تبخر- نتح الممكن خلال هذا العام، في حين سجل عام ٢٠٠٤اقل معدل تبخر- نتح سنوي في محطة الناصرية وقد وصل الى ٢١٣٨ملم وبانحراف سالب بلغ (-٤٥٠) ونسبته (١٤,١%) من المعدل العام لهذه المحطة .

ر- محطة البصرة: سجلت محطة البصرة اعلى معدل تبخر- نتح ممكن سنوي خلال عام ٢٠١٢ وقد بلغ (٢٩٤٠ملم) وهو اعلى من المعدل السنوي العام في المحطة والبالغ (٢٤٧٥ملم) وبانحراف موجب وصل الى (٤٦٦ملم) وبنسبة انحراف بلغت (١٨,٨%) من معدل التبخر نتح الممكن المسجل في هذه المحطة ، اما اقل معدل تبخر نتح في محطة البصرة فقد سجل عام ١٩٧٦ وقد بلغ (١٨٧٦ملم) وبانحراف سالب (-٥٩٩ملم) ومثل ما نسبته (٢٤,٢%) من معدل التبخر- نتح الممكن السنوي العام للمحطة .

جدول (٣) الانحراف ونسب الانحراف عن المعدل السنوي للتبخر – نتح الممكن في محطات الدراسة للمدة من (١٩٧٥-٢٠١٤)

المحطة	المعدل السنوي	اعلى معدل	السنة	الانحراف	نسبة الانحراف %	اقل معدل	السنة	الانحراف	نسبة الانحراف %
الموصل	١٣٥٦	١٥٩٠	٢٠٠٠	٢٣٤	١٧,٣	١١٩٣	١٩٨٢	١٦٣	١٢
كركوك	١٥٢٤	١٧٩٧	٢٠٠٨	٢٧٣	١٧,٩	١٢٩٧	١٩٩٧	٢٢٧	١٤,٩
بيجي	١٦٢٦	١٩٩٣	٢٠٠١	٣٦٧	٢٢,٦	١٢٤٢	٢٠٠٧	٣٨٤	٢٣,٦
بغداد	٢٠٦٨	٢٢٣١	٢٠٠٨	١٦٢	٧,٨٤	١٦٧٧	١٩٩١	٣٩٢	١٨,٩
الرطبة	١٧٣٣	٢٠٨٦	١٩٧٨	٣٥٢	٢٠,٣	١٣٤٣	١٩٩٨	٣٩١	٢٢,٥
الحي	٢٤٨٥	٢٩٤٣	١٩٧٨	٤٥٨	١٨,٤	٢٠٠٦	٢٠١٢	٤٨٠	١٩,٣
النجف	١٧٩٤	٢٢٤٦	١٩٩٠	٤٥٢	٢٥,٢	١٥٣٣	٢٠٠٠	٢٦١	١٤,٥
العمارة	٢٤١٦	٢٩٥٥	١٩٩٠	٥٣٩	٢٢,٣	٢٠٩٢	١٩٨٦	٣٢٤	١٣,٤
الناصرية	٢٤٨٨	٢٩٢٩	١٩٩٠	٤٤٢	١٧,٧	٢١٣٨	٢٠٠٤	٣٥٠	١٤,١
البصرة	٢٤٧٥	٢٩٤٠	٢٠١٢	٤٦٦	١٨,٨	١٨٧٦	١٩٧٦	٥٩٩	٢٤,٢
المعدل السنوي	٢٠٠٣	٢٢٤٥	١٩٩٠	٢٤٢	١٢,١	١٨٨٤	٢٠٠٩	١٢٠	٥,٩٨

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على: جمهورية العراق ، وزارة النقل ،الهيأة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية ،٢٠١٦،بيانات غير منشورة ، وباستخدام برنامج Excel

ثانيا: الاستهلاك المائي لمحصول زهرة الشمس:

يعد محصول زهرة الشمس من اهم المحاصيل الزيتية ، فهو ثاني محصول زيتي في العالم والاسم العلمي للنبات هو (Helianthus annuns) ، يسمى محصول زهرة الشمس ايضا بمحصول دوار الشمس ، لان ازهاره تدور مع دوران الشمس ، وتجود زراعة هذا المحصول في العديد من محافظات العراق وهو من المحاصيل الصيفية ، التي تنمو بين درجتي حرارة (٨-٣٠مْ) دون ان تنخفض كمية انتاجه ولكنه يكون سريع النمو بين درجتي حرارة (١٥ – ٣٠ مْ) اما في المراحل المتقدمة من عمر النبات فيحتاج الى جو دافئ ويكون موعد زراعته مع بداية شهر اذار وموعد النضج يكون في شهر حزيران .

تعد معرفة الاستهلاك المائي الخطوة الاولى في حساب الاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية المختلفة. ولقد تم حساب الاستهلاك المائي لمحصول زهرة الشمس في هذه الدراسة باعتماد مقادير التبخر نتح الكامن المحسوب و بطريقة بنمان – مونتيث ، وعلى وفق المعادلة التالية [٢]: ETc

$$ETc = ETo * Kc$$

حيث ان :

ETc : التبخر – نتح المحصولي (الاستهلاك المائي)

ETo : التبخر – نتح الكامن

Kc : معامل نمو المحصول

و تم قياس قيمة معامل المحصول Kc لكل مرحلة من مراحل نمو ه من التجارب الحقلية السابقة وسجلت هذه القيم في جداول نشرت في منشورات عديدة ، منها ورقة منظمة الاغذية والزراعة (FAO) رقم (٢٤) و(٥٦)، وقد اكدت منظمة الفاو انه في حال وجدت بيانات محلية كان لها الاولوية في الاعتبار .

جدول (٤) قيم معامل المحصول (kc) لمحصول زهرة الشمس

كانون الثاني	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	ايلول	تشرين الاول	تشرين الثاني	كانون الاول
		٠,٥٨	٠,٦٨	٠,٨٤	١,٠٢	٠,٤٩					

المصادر:

(١) نبيل ابراهيم الطيف، عصام خضير الحديثي ، الري اساسياته وتطبيقاته ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، ص ٢٢٤.

(٢) سلام هاتف احمد الجبوري، تأثير المناخ في حساب المقنن المائي لمحصول زهرة الشمس في محافظات الانبار ، بغداد ، واسط،، مجلة الاستاذ ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع لسنة ٢٠١٦،ص ٧٧.

إن قيمة Kc تؤخذ غالبا لثلاث مراحل نمو هي Kc ini والتي تأخذ عند فترة البذار و Kc mid تؤخذ عند منتصف الموسم واخيرا Kc end وتؤخذ عند مرحلة الحصاد ، ومن الممكن ان تأخذ قيم معامل المحصول على اساس شهري ومن خلال البحوث والدراسات الحقلية في المناطق المختلفة . وبشكل عام يزداد معامل المحصول بصورة تدريجية مع تقدم مرحلة النمو حتى يصل الى اقصى قيمة له عند مرحلة التزهير ثم يبدأ بالانخفاض حتى مرحلة اكتمال النضج والحصاد [٣].

يمتد فصل النمو لمحصول زهرة الشمس في منطقة الدراسة من بداية اذار الى نهاية شهر تموز ، ويتضح من بيانات الجدول (٥) ارتفاع قيم الاستهلاك المائي لهذا المحصول نتيجة للظروف المناخية ، التي انعكس اثرها في ارتفاع قيم التبخر نتح خلال فصل النمو والذي يقع اغلبه ضمن اشهر الفصل الحار من السنة ، بلغ معدل الاستهلاك المائي لمحصول زهرة الشمس في منطقة الدراسة حوالي(٨١٩ ملم) ، وقد تراوح ما بين اقل قيمة له في محطة الموصل (٥٧٥ ملم) ، واعلى قيمة (١٠٠٣ملم) في محطة البصرة في اقصى جنوب منطقة الدراسة .

ثالثاً: الاحتياجات المائية الكلية للمحصول:

يقصد بالاحتياج المائي الاستهلاك المائي (Cu) زائداً الضائعات الحقلية (الفواقد)، التي تتضمن الضائعات من الرشح العمودي تحت منطقة الجذور، والرشح الجانبي خارج حدود الارض المزروعة، والرشح والتبخر من السواقي الفرعية داخل الحقل، فضلا عن كمية الماء الاضافية اللازمة لغسل الاملاح والوصول الى حالة من التوازن الملحي في منطقة الجذور .

الاحتياج المائي للمحاصيل الشتوية = الاستهلاك المائي + ٥٨% منه للضائعات المائية ،نحو ٣٣% ضائعات حقلية ٢٥% ضائعات نقل .

الاحتياج المائي للمحاصيل الصيفية = الاستهلاك المائي + ٧٠% منه للضائعات المائية ،نحو ٤٠% ضائعات حقلية ٣٠% ضائعات نقل [٤].

اما الاحتياجات المائية الكلية فتحسب بالشكل التالي [٥]:

(الاحتياجات المائية الكلية) م^{٣} / دونم = الاحتياج المائي(ملم) * ٢,٥

١- الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس:

تبدا زراعة محصول زهرة الشمس مع بداية شهر اذار، وتزداد قيم الاحتياجات المائية للمحصول مع تقدم فصل النمو وارتفاع قيم التبخر والتبخر نتح في منطقة الدراسة خلال هذه الفترة ، ويوضح الجدول (٣٦) التغيرات المكانية لقيم الاحتياجات المائية للمحصول وكما يلي :

أ- وصل معدل قيم الاحتياج المائي لمحصول زهرة الشمس في منطقة الدراسة الى حوالي (١٣٩٣ ملم) وتباينت هذه القيم مكانيا اذ سجلت المحطات الشمالية اقل قيمها والتي وصلت الى (٩٧٨ ملم) في محطة الموصل ، وازدادت تدريجيا في المحطات الوسطى والجنوبية اذا وصلت قيم الاحتياج المائي الى ١٧٠٥ ملم في محطة الناصرية والبصرة .

ب- بلغت قيم الضائعات المائية لمحصول زهرة الشمس (٥٧٤ ملم) وهي تمثل ٧٠% من قيم الاستهلاك المائي للمحصول والبالغة (٨١٩ ملم).

جدول (٥) الاحتياجات المائية ومجاميع التبخر والتبخر – نتح الممكن (ملم) خلال فصل النمو لمحصول زهرة الشمس وللمدة (١٩٧٥-٢٠١٤)

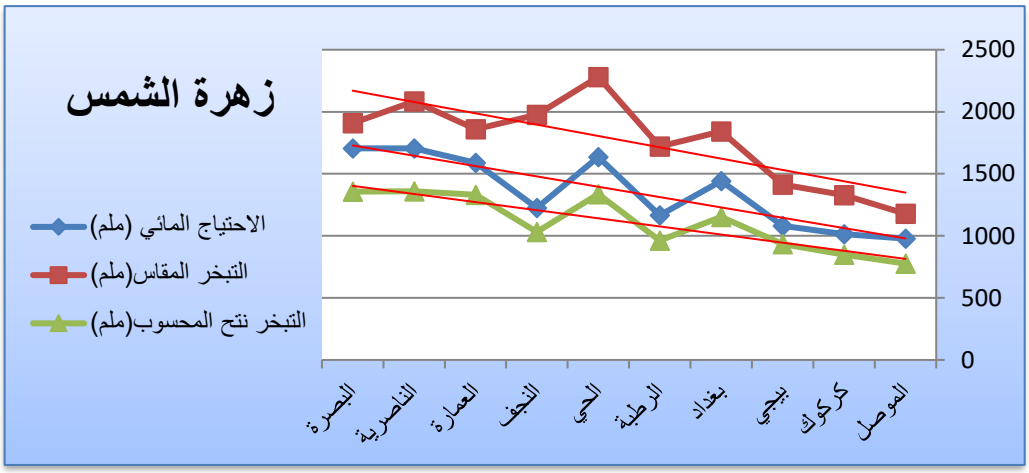
المحطة	التبخر حوض(A)	التبخر نتح (بنمان – مونتيث)	الاستهلاك المائي	ضائعات حقلية ٤٠%	ضائعات النقل ٣٠%	مجموع الضائعات ٧٠%	الاحتياج المائي	الاحتياجات الكلية م٣/دونم
الموصل	١١٧٨	٧٧٦	٥٧٥	٢٣٠	١٧٣	٤٠٣	٩٧٨	٢٤٤٥
كركوك	١٣٢٩	٨٤٩	٦٢٦	٢٥١	١٨٨	٤٣٩	١٠٦٥	٢٦٦٣
بيجي	١٤١٥	٩٣٣	٦٩٧	٢٧٩	٢٠٩	٤٨٨	١١٨٥	٢٩٦١
بغداد	١٨٤٠	١١٥٢	٨٤٧	٣٣٩	٢٥٤	٥٩٤	١٤٤١	٣٦٠٣
الرطبة	١٧٢١	٩٦١	٧٠٦	٢٨٢	٢١٢	٤٩٥	١٢٠٠	٣٠٠١
الحي	٢٢٨١	١٣٣٧	٩٨٨	٣٩٥	٢٩٦	٦٩٢	١٦٨١	٤٢٠٢
النجف	١٩٧٦	١٠٣١	٧٦٢	٣٠٥	٢٢٩	٥٣٤	١٢٩٦	٣٢٣٩
العمارة	١٨٥٩	١٣٣١	٩٨٤	٣٩٤	٢٩٥	٦٩٠	١٦٧٤	٤١٨٤
الناصرية	٢٠٨٣	١٣٥٩	١٠٠٢	٤٠١	٣٠١	٧٠٢	١٧٠٥	٤٢٦٢
البصرة	١٩١٠	١٣٥٧	١٠٠٣	٤٠١	٣٠١	٧٠٣	١٧٠٥	٤٢٦٣
معدل الموسم	١٧٥٩	١١٠٩	٨١٩	٣٢٨	٢٤٦	٥٧٤	١٣٩٣	٣٤٨٢

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على الملحق (٤٧)

ت- وصل مقدار الاحتياجات المائية الكلية لمحصول زهرة الشمس الى (٣٤٨٢ م^{٣}/ دونم) وتباينت قيمها مكانيا ، اذ سجلت المحطات الشمالية قيم متدنية وصلت الى (٢٤٤٥ م^{٣}/ دونم) في محطة الموصل في حين ارتفعت تدريجياً بالتجاه نحو المحطات الوسطى والجنوبية لتصل الى (٤٢٦٣ م^{٣}/ دونم) في كل من محطتي الناصرية والبصرة.

ث- من خلال بيانات الجدول (٥) والشكل البياني (٢) نلاحظ اتجاه الاحتياجات المائية الى التناقص بالاتجاه من المحطات الجنوبية نحو المحطات الشمالية من منطقة الدراسة، تماشيا مع انخفاض قيم التبخر والتبخر نتح الممكن بنفس الاتجاه.

شكل (٢) الاحتياج المائي ومجموع التبخر والتبخر نتح (ملم) لمحصول زهرة الشمس في محطات الدراسة للمدة (١٩٧٥- ٢٠١٤)



المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على جدول (٥)

رابعاً: التباين المكاني للاحتياجات المائية للمحصول:

زهرة الشمس من المحاصيل الصيفية التي يمتد فصل نموها ما بين شهر اذار وتموز وتتميز هذه الاشهر بارتفاع قيم التبخر والتبخر نتح، نتيجة ارتفاع قيم الاشعاع الشمسي ودرجات الحرارة وسرع الرياح وتناقص

قيم الرطوبة النسبية خلال هذه المدة مما ينعكس تأثيره في ارتفاع قيم الاحتياجات المائية للمحصول ، اذ بلغ مقدارها في منطقة الدراسة (٣٤٨٢ م٣ /دونم) وقد تراوحت ما بين (٢٤٤٥ م٣ / دونم) في محطة الموصل و(٤٢٦٣ م٣ / دونم) في محطة البصرة .

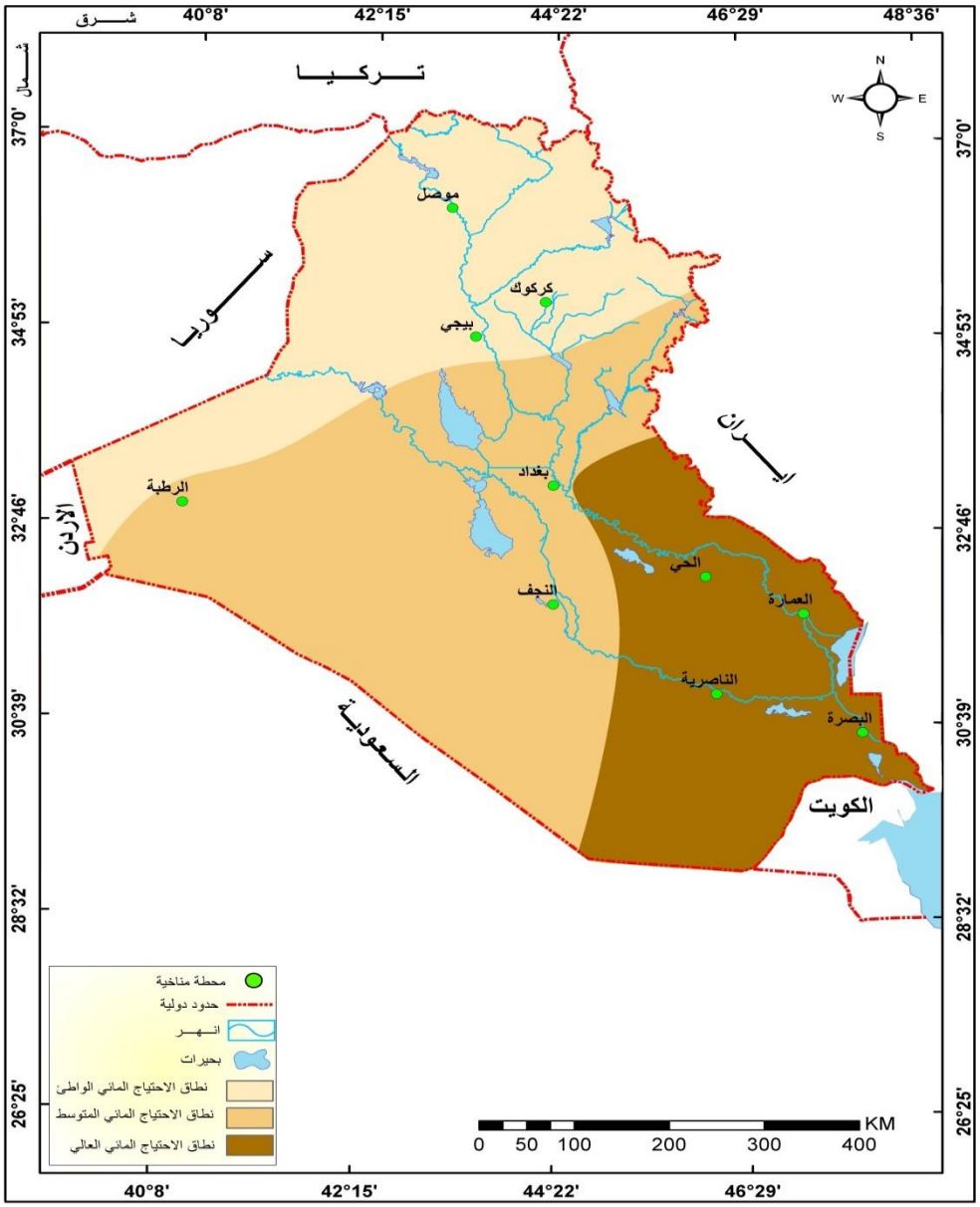
ويشير الشكل (٢) الى وجود تباين مكاني لقيم الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس اذ تسجل المحطات الشمالية قيم عالية نسبيا تتناقص تلك القيم بالاتجاه نحو الجنوب بالتوافق مع تناقص قيم التبخر والتبخر نتح والتي تتأثر بالخصائص المناخية لكل منطقة من مناطق العراق وتبين الخريطة (٣) وجود ثلاث أنطقة للاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس خلال مدة الدراسة (١٩٧٥- ٢٠١٤) وكما يلي :

١- نطاق الاحتياج المائي الواطئ (بين ٢٤٤٥- ٣٠٠١ م٣ / دونم)

يتمثل هذا النطاق بالأجزاء الشمالية من منطقة الدراسة، اذ تضمن هذا النطاق محطات الموصل وكركوك و بيجي والرطبة والتي تتميز بانخفاض قيم التبخر والتبخر نتح الممكن ، نتيجة الاعتدال قيم العناصر المناخية المؤثرة المسجلة في هذه المحطات ، وقد تراوحت قيم الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس ما بين (٢٤٤٥ م٣ /دونم) في محطة الموصل (٣٠٠١ م٣/ دونم) في محطة الرطبة الواقعة في الاجزاء القريبة من المنطقة الوسطى من العراق على ارتفاع (٣٠,٨ ٦ م) فوق مستوى سطح البحر اما مجموع الضائعات المائية لمحصول زهرة الشمس ضمن هذا النطاق والتي تشكل ٧٠ % من مجموع الاستهلاك المائي فقد تراوحت ما بين (٤٠٣ ملم) في محطة الموصل و(٤٨٠ ملم) في محطة الرطبة .

خريطة (٣) التوزيع المكاني لقيم الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس

خلال المدة (١٩٧٥-٢٠١٤)



المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (٥)

٢- نطاق الاحتياج المائي المتوسط ٣٠٠٢-٣٦٠٣ م٣ / دونم

يشغل هذا النطاق الاجزاء الوسطى من العراق ويتمثل بمحطات بغداد النجف والتي بلغ مقدار الاحتياجات المائية فيها (٣٦٠٣ م^{٣} / دونم) ،(٣٢٣٩ م^{٣} / دونم) ولكل منها على التوالي. يتميز هذا النطاق للتبخر والتبخر نتح الممكن اما مجموع الضائعات المائية لمحصول زهرة الشمس فقد تراوح ما بين (٥٠٤ ملم) في محطة النجف و(٥٩٣ ملم) في محطة بغداد .

٣- نطاق الاحتياج المائي العالي ٣٦٠٤ – ٤٢٦٣ م٣ / دونم

تصل اعلى قيم الاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس ضمن هذا النطاق وذلك لان المحطات الواقعة ضمن هذا الاقليم تسجل اعلى قيم التبخر والتبخر نتح الممكن في منطقة الدراسة نتيجة القيم المرتفعة للإشعاع الشمسي ودرجات الحرارة وسرعة الرياح فضلا انخفاض قيم الرطوبة النسبية في هذا النطاق ما عدا محطة البصرة التي تتعرض الى هبوب رياح دافئة رطبة من جهة الخليج العربي . وبشكل عام تتراوح قيم الاحتياجات المائية ضمن هذا النطاق ما بين (٤١٨٤ م^{٣} / دونم) في محطة العمارة (٤٢٦٣ م^{٣} / دونم) في محطة البصرة في حين تصل الى (٤٢٠٢ م^{٣} / دونم) ،(٤٢٦٢ م^{٣} / دونم) في كل من محطتي الحي والناصرية اما مجموع الضائعات المائية فقد تراوحت قيمتها ما بين(٦٩٠ ملم) في محطة العمارة و(٧٠٣ ملم) في محطة البصرة .

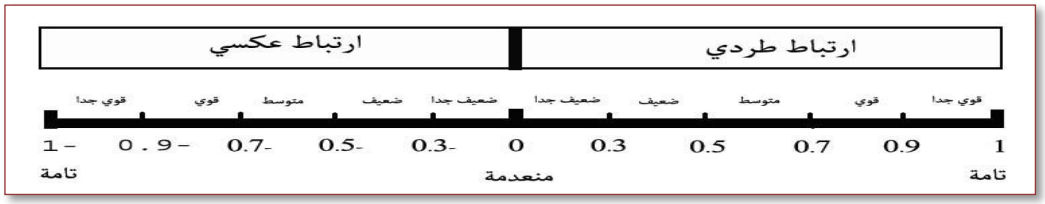
خامساً: علاقات الارتباط:

يعرف الارتباط correlation (بأنه الوسيلة الاحصائية المستخدمة لقياس العلاقة بين المتغيرات، واختبارها احصائيا لتحديد طبيعتها ، وفيما اذ كانت ذات دلالة احصائية ام انها ناتجة عن عامل الصدفة) ويمكن تصنيف طبيعة العلاقة بين اي متغيرين الى علاقة طردية واخرى سالبة.

ولفرض توضيح العلاقة ما بين كمية التبخر نتح الممكن والاحتياجات المائية، فقد استعان الباحث بالبرنامج الاحصائي spss٢٣ لإيجاد معامل الارتباط البسيط (بيرسون) والذي يستخدم مع المتغيرات الكمية ، وتتراوح قيم معامل الارتباط بيرسون (r) ما بين (+١) و(−١) اي (١+< r > ١−) ، فاذا كانت

قيمة (r) اكثر من صفر اي موجبة فأن العلاقة بين المتغيرين طردية اما اذا كانت سالبة اي اقل من الصفر فأن العلاقة عكسية ، وتوصف قوة العلاقة كما موضح في الشكل التالي:

شكل (٣) تصنيف نوع العلاقة وقوة الارتباط بين المتغيرين



المصدر : محمد ازهر السماك ،علي عباس العزاوي ، البحث الجغرافي بين المنهجية التخصصية والاساليب الكمية وتقنيات المعلوماتية المعاصرة (GIS) ،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،عمان ،٢٠١١،ص٢٤٤.

ويمكن معرفة كون العلاقة بين المتغيرين خطية اي ذات دلالة احصائية وليس ناتجة عن عامل الصدفة وذلك باستخدام اختبار (t-test) ،اذ تقارن قيمة (t) المحسوبة مع قيمة(t) الجدولية عند درجة حرية (n-k) وبمستوى المعنوية المطلوب ،فاذا كانت (t) المحسوبة اكبر من (t) الجدولية، ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تشير الى وجود علاقة بين المتغيرين ، اما اذا ظهرت قيمة(t) المحسوبة اقل من (t) الجدولية ، فذلك يؤشر الى عدم وجود علاقة خطية بين المتغيرين وعليه ترفض الفرضية البديلة وتقبل الفرضية الصفرية التي تشير الى عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين المتغيرين ، وعند استخدام البرامج الاحصائية يمكن معرفة الدلالة الاحصائية للعلاقة بيت المتغيرين وذلك من خلال قيمة (sig) فاذا كانت اقل من (٠,٠٥٠) فالعلاقة بين المتغيرين تكون علاقة خطية ومعنوية وذات دلالة احصائية اما اذ كانت اكثر من (٠,٠٥٠) فان العلاقة غير خطية وليست ذات دلالة احصائية ، اي لا توجد علاقة بين المتغيرين.

وتظهر بيانات الجدول (٦) والشكل (٤) وجود علاقة ارتباط طردية قوية بين التبخر- النتح الممكن والاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس في المحطات كافة وظهرت قيم (t) الحسابية أكبر من قيم (t)

الجدولية مما يشير الى وجود دلالة احصائية معنوية وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تشير الى وجود علاقة بين التبخر– النتح الممكن والاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس. كما يظهر معامل التحديد نسبة التأثير الذي يحدثه التبخر– النتح الممكن في احتياج المحصول من المياه ليتراوح بين (٩٨% – ٩٩,٨%) .

جدول (٦) العلاقة بين التبخر– نتح الممكن والاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس للمدة (١٩٧٥– ٢٠١٤)

المحطات	الارتباط (r)	الحسابية (T)	معامل التحديد R^2	المعنوية(P)
الموصل	٠,٩٩٥	٦١,٣٤	٠,٩٩٠	٠,٠٠٠
كركوك	٠,٩٩٢	٤٨,٣٤	٠,٩٨٤	٠,٠٠٠
بيجي	٠,٩٩٩	١٣٧,٧	٠,٩٩٨	٠,٠٠٠
بغداد	٠,٩٩٤	٥٥,٩٤	٠,٩٨٨	٠,٠٠٠
الرطبة	٠,٩٩٧	٧٩,٣٤	٠,٩٩٤	٠,٠٠٠
الحي	٠,٩٩٣	٥١,٧٣	٠,٩٨٦	٠,٠٠٠
النجف	٠,٩٩٥	٦١,٣٤	٠,٩٩٠	٠,٠٠٠
العمارة	٠,٩٩٠	٤٣,١٥	٠,٩٨٠	٠,٠٠٠
الناصرية	٠,٩٩٣	٥١,٧٣	٠,٩٨٦	٠,٠٠٠
البصرة	٠,٩٩٧	٧٩,٣٤	٠,٩٩٤	٠,٠٠٠

قيمة (t) الجدولية عند مستوى دلالة (٥%) ودرجة حرية (٣٨) = ٢,٠٢

المصدر:

عمل الباحث بالاعتماد الملاحق (٤٧)،(٢٠–٢٩) وباستخدام البرنامج الاحصائي spss٢٣ شكل (٤)

الاستنتاجات:

١- بينت الدراسة ان المعدل السنوي لقيم التبخر – نتح الممكن في منطقة الدراسة قد بلغ مقداره السنوي (٢٠٠٠ملم) الا ان هذا المعدل قد تباين مكانيا بين اجزاء منطقة الدراسة، وبشكل عام تتناقص قيم التبخر – نتح الممكن السنوي بالاتجاه من الجنوب الى الشمال نتيجة لتغير قيم العوامل المؤثرة في التبخر– نتح ، فضلا عن تأثير الموقع الجغرافي والفلكي واختلاف زاوية سقوط الاشعاع الشمسي وارتفاع المحطة وغيرها من العوامل المؤثرة.

٢- تباينت قيم التبخر – نتح الممكن في منطقة الدراسة فصلياً ، اذ سجلت اشهر الفصل الحار اعلى قيم التبخر – نتح الممكن ، والتي وصلت الى (١٦٣٤ ملم) وهي تمثل ٨٢ % من مجموع التبخر السنوي ، في حين تناقصت بشكل كبير خلال الفصل البارد لتصل الى (٣٦٧ ملم) وهي تمثل ١٨% من مجموع التبخر السنوي في منطقة الدراسة .

٣- تباينت قيم التبخر – نتح الممكن المحسوب وفق معادلة بنمان – مونتيث (الفاو) في محطات الدراسة خلال مدة الدراسة (١٩٧٥-٢٠١٤) ، اذ سجل عام ١٩٩٠ اعلى معدل سنوي لقيم التبخر نتح المحسوب في منطقة الدراسة ،اذ وصل مقداره الى (٢٢٤٥ ملم) وهو اعلى من المعدل السنوي العام والبالغ (٢٠٠٠ ملم) ، وبانحراف بلغ (٢٤٢ ملم) وبنسبة انحراف وصلت الى ١٢,١ %، في حين كان عام ٢٠٠٩ اقل السنوات في معدل التبخر – نتح ، اذ وصل مقداره الى (١٨٨٤ ملم) وهو اقل من المعدل السنوي العام بانحراف بلغ (١٢٠ ملم) وبنسبة انحراف وصلت الى ٦% .

٤- بلغ معدل الاستهلاك المائي لمحصول زهرة الشمس في منطقة الدراسة حوالي (٨١٩ ملم) ، وقد تراوح ما بين اقل قيمة له في محطة الموصل (٥٧٥ ملم) ، واعلى قيمة (١٠٠٣ملم) في محطة البصرة في اقصى جنوب منطقة الدراسة .

٥- وصل معدل قيم الاحتياج المائي لمحصول زهرة الشمس في منطقة الدراسة الى حوالي (١٣٩٣ ملم) وتباينت هذه القيم مكانيا اذ سجلت المحطات الشمالية اقل قيمها والتي وصلت الى (٩٧٨ ملم) في محطة

الموصل ، وازدادت تدريجيا في المحطات الوسطى والجنوبية اذا وصلت قيم الاحتياج المائي الى ١٧٠٥ ملم في محطة الناصرية والبصرة .

٦- بلغت قيم الضائعات المائية لمحصول زهرة الشمس (٥٧٤ ملم) وهي تمثل ٧٠% من قيم الاستهلاك المائي للمحصول والبالغة (٨١٩ ملم).

٧- وصل مقدار الاحتياجات المائية الكلية لمحصول زهرة الشمس الى (٣٤٨٢ م^{٣}/ دونم) وتباينت قيمها مكانيا ، اذ سجلت المحطات الشمالية قيم متدنية وصلت الى (٢٤٤٥ م^{٣}/ دونم) في محطة الموصل في حين ارتفعت تدريجياً بالتجاه نحو المحطات الوسطى والجنوبية لتصل الى (٤٢٦٣ م^{٣}/ دونم) في كل من محطتي الناصرية والبصرة.

٨- نلاحظ اتجاه الاحتياجات المائية الى التناقص بالاتجاه من المحطات الجنوبية نحو المحطات الشمالية من منطقة الدراسة ، تماشيا مع انخفاض قيم التبخر والتبخر نتح الممكن بنفس الاتجاه.

٩- وتظهر الدراسة وجود علاقة ارتباط طردية قوية بين التبخر- النتح الممكن والاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس في المحطات كافة وظهرت قيم (t) الحسابية اكبر من قيم (t) الجدولية مما يشير الى وجود علاقة احصائية معنوية بين التبخر- النتح الممكن والاحتياجات المائية لمحصول زهرة الشمس. كما يظهر معامل التحديد نسبة التأثير الذي يحدثه التبخر- النتح الممكن في احتياج المحصول من المياه ليتراوح بين (٩٨% - ٩٩,٨%) .

التوصيات :

١- الاهتمام بمحطات الرصد المناخية والزراعية والحرص على استمرارية ودقة القياسات للعناصر والظواهر المناخية المختلفة ، الامر الذي يساعد على توفير البيانات الدقيقة للعاملين والباحثين في مجالي الزراعة والري .

٢- ان يكون ترشيد استهلاك مياه الري من اهم الاولويات الاستراتيجية التي تهتم بها الدولة في الوقت الحاضر والمستقبل ، نظراً لما يتعرض له العراق من تناقص في موارده المائية لأسباب مناخية ، فضلاً عن سياسات دول الجوار ، كذلك سوء الادارة للموارد المائية المتاحة.

٣- اجراء الدراسات العلمية الكفيلة بتطوير اساليب وطرائق الري ،الى جانب الدراسات المتعلقة بالاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية المختلفة ، وايصال نتائج هذه الدراسات الى اصحاب القرار العاملين في قطاع الزراعة والري.

٤- تقنين مياه الري بالطريقة التي تراعي جميع العوامل المؤثرة ،ومنها التبخر ،لتوفير المياه ، وزيادة الانتاج ، ووقاية التربة من التملح والحفاظ على خصوبتها ،ووقاية المحاصيل الزراعية من الامراض المحبة للرطوبة العالية ،فضلاً عن توفير الطاقة والعمالة.

٥- تحسين شبكات الري من خلال تبطين قنوات النقل ، واستخدام الانابيب في نقل مياه الري ، لتقليل ضائعات النقل التي تتراوح نسبتها في منطقة الدراسة بين (٢٥-٣٠%) من مجموع الاحتياجات المائية.

٦- العمل على توعية المزارعين والفلاحين ،وتعريفهم بأهمية الحفاظ على المياه من خلال التزامهم بكمية الاحتياج المائي للمحصول على وفق الظروف المناخية ،ونوع المحصول ومرحلة نموه.

المراجع:

(١) دانيال هلل ، المدخل الى فيزياء التربة ، ترجمة جمال شريف دوغرامهجي ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ،الموصل ، ١٩٩٥،ص٤٢.

(٢) نبيل ابراهيم الطيف، عصام خضير الحديثي ، الري اساسياته وتطبيقاته ، مصدر سابق ، ص٢٠٨.

(٣) محمد علي عبود الجنابي واخرون ،الاستهلاك المائي لمحصول البصل تحت نظام الري بالتنقيط ، مجلة ديالى للعلوم الزراعية، العدد(٢) ، ٢٠١٠، ص١٤٠.

(٤) سلام هاتف احمد الجبوري ، اساسيات في علم المناخ الزراعي ،دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان ،ط١، ٢٠١٥، ص١٧٧.

(٥) عبد الله سالم عبد الله المالكي ، تأثير المناخ في تقدير الاحتياجات المائية لمحصولي زهرة الشمس والشعير في محافظات البصرة – ميسان – ذي قار ، مجلة آداب البصرة ، العدد (٤٤) ، ٢٠٠٧، ص١٩٧.

(٦) محمد ازهر السماك ،علي عباس العزاوي ، البحث الجغرافي بين المنهجية التخصصية والاساليب الكمية وتقنيات المعلوماتية المعاصرة (GIS) ،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،عمان ،٢٠١١،ص٢٤٤.

(٧) كريم دراغ محمد ، الاتجاهات الحديثة في مناخ العراق ، رسالة ماجستير، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨١، ص ٧٢.

(٨) جمهورية العراق ،وزارة النقل ،الهياة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية ، بيانات غير منشورة ٢٠١٦.

أثر أسلوب الموازنة التعاقدية على الأداء المالي للجامعات
دراسة حالة/ جامعة الكوفة

أ.م.د. عقيل حمزة الحسناوي
الباحث ليث مالك راضي
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تسعى أغلب دول العالم إلى تطوير واقعها الاقتصادي والاجتماعي والخدمي من خلال تحقيق جملة من الإصلاحات والتحسينات في انظمتها المالية والمحاسبية والإدارية المعتمدة وبالشكل الذي تواكب فيه التطورات المستمرة والاستغلال الأمثل للموارد المتاحة. في الوقت ذاته حكومات بعض الدول بالأخص الدول النامية تعاني من انتقادات عديدة نتيجة لسوء ادارتها في توزيع موارد البلد في برامج وخدمات تعود بالنفع على الشعب بصورة عادلة ومناسبة.

وعلى الصعيد ذاته يعاني العراق ومنذ عقود من الزمن من سوء اداء ادارة حكوماته المتعاقبة في توزيع الثروات وعملية ترشيد الإنفاق وتحقيق التنمية الاقتصادية بالرغم من توفر كافة الموارد المالية والبشرية. ويعد أسلوب إعداد الموازنة التقليدية المعتمد في الوحدات الحكومية العراقية واحد من أكثر العقبات والمشاكل التي توجه لها أسهم الانتقادات منذ فترة طويلة لقصورها الكبير في توفير المقومات الكفيلة لتقويم الأداء الحكومي والتحقق من الكفاءة والفاعلية في إنفاق الأموال المخصص لها وانجاز الأنشطة والبرامج المخطط لها.

ونظرا لأهمية وحساسية هذا الموضوع خصوصا في ضوء الازمات المالية والاقتصادية والسياسية التي يمرُ بها البلد خلال العقود الاخيرة من الزمن ولوقتنا الحاضر فقد جاءت هذه الدراسة لدراسة وتحليل وتقويم أسلوب إعداد الموازنة العامة للوحدات الحكومية بصورة عامة وللجامعات العراقية بصورة خاصة والوقوف على أبرز مواقع الضعف والمشاكل التي تعاني منها والاثار المترتبة عليها.

المبحث الأول: منهجية البحث:

١-١ مشكلة البحث:

يعد الأسلوب التقليدي المعتمد في إعداد الموازنات في مؤسسات التعليم العالي في العراق يعاني من عدة مشاكل في عدم تخصيص الاموال بالشكل الكفوء الذي يناسبها، ومن هذه المشاكل هو عدم اعطاء اهمية للبنود التي تخص البحث العلمي، إذ إن أغلب الجامعات تفتقر إلى المختبرات العلمية الحديثة وعدم مواكبتها إلى التطورات التي تحصل في أغلب جامعات العالم.

بناءً على ما تقدم يمكن بيان مشكلة البحث في "عجز أسلوب الموازنة التقليدية المتبع في مؤسسات التعليم العالي في العراق عن مواكبة التطورات الحاصلة في أغلب الجامعات العالمية وعدم قدرتها في ترشيد الانفاق وتقويم الأداء المالي لها".

١-٢ أهمية البحث:

تأتي اهمية هذه الدراسة نتيجة الدور الرئيسي الذي يلعبه أسلوب الموازنة التعاقدية في ترشيد الإنفاق العام وتقويم الأداء المالي في مؤسسات التعليم العالي في العراق. فضلاً عن مدى قدرة تلك المؤسسات لتحقيق الإِستِقلال المالي في ظل التطورات الحاصلة. اذ تُعد هذه الدراسة اضافة جديدة في مجال المحاسبة الحكومية لكونها تتضمن أسلوبا جديداً وهو أسلوب الموازنة التعاقدية والذي يلعب دورا كبيرا خصوصا في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية الحاصلة وضرورة توفير الموارد المالية لها. وتبرز ايضا اهمية هذه الدراسة من نظر الأكاديميين والمهنيين في دراسة مدى امكانية تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية خصوصا في ضوء بعض الاصوات الداعية إلى الإِستِقلال الاداري والمالي لمؤسسات التعليم العالي في العراق، ذلك كون الأسلوب التقليدي المتبع في تلك المؤسسات يفتقر إلى عملية التخطيط العلمي مما ينعكس سلبا على التخطيط للمستقبل وتقويم الأداء المالي لها.

١-٣ أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الاهداف الآتية :

١- تهدف هذه الدراسة إلى التحول في إعداد الموازنة العامة من الأسلوب التقليدي القديم إلى أسلوب الموازنة التعاقدية كونه الأسلوب الأمثل والذي سيساعد على ترشيد الانفاق من خلال تحقيق الرقابة المالية والادارية على أداء المؤسسات التعليم العالي في العراق.

٢- تهدف هذه الدراسة إلى عرض وتحليل أهم مؤشرات الأداء المالي التي يمكن أن تعتمد أساس لتقويم الأداء المالي للجامعات العراقية وفقاً لأسلوب الموازنة التعاقدية وأسلوب الموازنة التقليدية. فضلا عن بيان تأثير تطبيق الموازنة التعاقدية على مستوى الأداء المالي لتلك الجامعات العراقية.

١- ٤ فرضية البحث:

يمكن صياغة مشكلة الدراسة بفرضية اساسية مفادها "ان تطبيق الموازنة التعاقدية بشكل مناسب في الجامعات العراقية يساعد على ترشيد الانفاق وتعزيز الأداء المالي بالشكل الجيد مما يحقق الرقابة المالية والادارية على الانفاق العام للمؤسسات التعليمية في العراق".

المبحث الثاني: امكانية تطبيق الموازنة التعاقدية:

٢-١ ماهية الموازنة التعاقدية:

منذ فترة ليس بالطويلة كانت فكرة الموازنة التعاقدية من الافكار المؤثرة في عدد من الدول، ففي بريطانيا على سبيل المثال وضعت الإدارة المالية مبادرة لتطوير الموازنة على شكل عقد للأداء. وفي نيوزلندا وبعد صدور قانون المالية العامة لعام ١٩٨٩، كانت اول محاولة جدية لغرض التعاقد على الموازنة، وفي عام ١٩٩٦ وصفت وزارة المالية النيوزلندية النظام على النحو التالي :

"ان فكرة التعاقد هي اساسية لنظام ادارة القطاع العام، اذ يجب ان يتم تحديد المخرجات التي ينبغي ان يقدمها المدراء التنفيذيين بوضوح مع وصف السلع والخدمات التي يتعين انتاجها وبما في ذلك المعلومات المتعلقة بالجودة والكمية والتكلفة والوقت ومكان التسليم..... ، وان اتفاقات الشراء بين الوزرات والادارات لغرض تحديد المخرجات تكون مماثلة لأحكام وشروط عقود القطاع الخاص" (Robinson,

٧٦-٧٥: ٢٠٠٠). ولذلك فأن النظام النيوزلندي يعد على انه النموذج الاصلي للموازنة التعاقدية. وقد اكتسبت الموازنة التعاقدية النيوزلندية نمواً دولياً متزايداً في الآونة الاخيرة.

ويوضح سلوم والمهايني بان الموازنة التعاقدية هي علاقة تعاقدية تكون بين الاجهزة الحكومية و والجهات التنفيذية من اجل تنفيذ مشروع او امر معين على ان يتم قياسه كمياً مقابل مبلغ تدفعه الحكومة قبل وبعد واثناء تنفيذ المشروع لكي تحصل على تنفيذ المشروع بالوقت المناسب وبأقل تكلفة ممكنة بشرط على ان يتم تحقيق الاهداف المخطط لها (سلوم و المهايني،٢٠٠٧: ٢٠) .

ان هناك العديد من الدول تعتمد على هذا النوع من الاساليب في إعداد الموازنات سواء أكان على صعيد الدول ككل أم على صعيد الولايات والتنظيمات الحكومية الاخرى. فمثلا تقوم مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الامريكية بإعداد الموازنة التعاقدية من اجل تحديد النفقات المتعلقة بالخدمات التعاقدية التي تعرف بانها اية خدمات فنية واستشارية او شخصية تقدم للمدينة عن طريق العقد وليس الخدمات الشخصية التي تدخل ضمن موازنة النفقات (The Council of the City of New York, ٢٠١٧ :٦). ولذلك فأن الادارة تقوم بإعداد الموازنة التعاقدية كل ستة اشهر اي مرتين في السنة المالية. وفي كانون الثاني يتم إعدادها مع تقديرات القسم. وفي نهاية شهر نيسان يتم تقديمها إلى مجلس الموازنة التنفيذية .

ومما سبق ذكره يمكن تلخيص عدد من الخصائص التي تميز الموازنة التعاقدية عن غيرها من الموازنات العامة الاخرى وكما يلي:

١- تعمل الموازنة التعاقدية على خلق علاقة قائمة على التعاقد بين الجهات التشريعية والجهات التنفيذية من اجل تنفيذ مشروع او خدمة معينة.

٢- تقوم بتحويل العلاقة بين الحكومة والجهة المنفذة لمشروع معين من علاقة التمويل النقدي إلى علاقة تجارية قائمة على عملية البيع والشراء بالتزاماتها ونتائجها.

٣- يحدد أسلوب الموازنة التعاقدية الخدمات المرغوب في تقديمها للمواطنين خلال السنة المالية القادمة على شكل مناقصة تقوم على روح التنافس بين الاجهزة الحكومية والقطاع الخاص من اجل تنفيذ تلك الخدمات مقابل اسعار متفق عليها بموجب العقد .

٤- يساعد هذا الأسلوب من الموازنات على توفير امكانية لقياس المخرجات وتقويمها من ناحية الكفاءة والفاعلية .

٥- تعتمد الموازنة التعاقدية وبشكل مهم وكبير على التكلفة والوقت كعنصرين مهمين ضمن حسابات الموازنة العامة لكونها تعمل على ترشيد الانفاق العام.

٢-٢ المبادئ الاساسية للموازنة التعاقدية:

وفقاً لأسلوب الموازنة التعاقدية فأن وزارات الدولة والجهات غير المرتبطة بوزارة والاقاليم والمحافظات وكل التقسيمات الفرعية الاخرى تقوم بالإنفاق العام وفقاً للمبادئ الاساسية التالية:

١- التنافس والعلنية: وهي تستوجب ان تكون إجراءات التعاقد تنافسية وتامة وعادلة وعلنية إلى اقصى حد ممكن. اذ ينبغي ان تتضمن الاعلان عن الدعوات بشكل كافٍ وشفاف وضمن جداول زمنية محددة ومدروسة. كما ينبغي الالتزام بالموضوعية في معايير تقويم العطاءات والعلنية في فتح العطاءات. واستناداً لذلك يمنع وضع شروط للاشتراك والحد من التنافس دون مبررات تتعلق بجودة العمل المطلوب والغاية المنشودة منه. كما يجب اعتماد المناقصة العامة كلما كان ذلك ممكناً، ويجب ان تكون مدة الإعلان كافية لقيام الشركات والافراد بالاطلاع على شروط المناقصة وتهيئة عطاءاتهم على هذا الأساس.

٢- الشفافية ومنع تضارب المصالح: يمكن الاعتماد في هذا المبدأ على المعايير الدولية للشفافية والتي في ضوئها ينبغي ان يتم الإبلاغ والإفصاح ونشر التقارير عن التعاقدات الحكومية بصورةٍ شفافة وعبر القنوات العامة. كما ويجب ان تتسم إجراءات التعاقد بالأمانة والحيادية واخلاقيات المهنة والابتعاد عن منازعات المصالح الشخصية والتي يمكن حدها من خلال ما يلي:

- عدم وجود أية فائدة او مصلحة مشتركة للموظف والمسؤول الحكومي من المقاول المرتبط مع الدولة بعقد عام.
- عدم ارتباط موظفي الحكومة والمسؤولين فيها بأية علاقة أو تبعية مع مكاتب ومؤسسات مستفيدة من تنفيذ العقد من قبل المتعاقد معه (دليل تنفيذ العقود الحكومية في العراق، ٢٠١٤:١٢).

٣- الالتزام والتعهد: وهو ان يتم انجاز وتنفيذ القرارات التنموية وفقا لمنهجية واهداف تحدد دور كل شريك في ظل مناخ اداري فعال يتعهد كل طرف فيه بالالتزام بالدور المحدد له مسبقاً.

٤- الاستمرارية: غالبا ما يستمر تنفيذ المشروعات بين الحكومة والقطاع الخاص او القطاع العام إلى فترات طويلة وخلال هذه المدة من المحتمل ان تتغير سياسيات الدولة مما قد يؤدي بدوره إلى الغاء عقود المشاريع مع الجهة المنفذة، لذلك ينبغي الاخذ بنظر الاعتبار المدة الزمنية الملائمة عند تنفيذ المشروع ، كما يجب تحديد الاطار العام ومنهجية الادارة في ظل قوى السوق التي تحكم عملية التعاقد (إدارة الدراسات الاقتصادية والمالية ، ٢٠١٠ :٩).

٢-٣ الشروط الاساسية لإعداد العقد:

يرى Loevinsohn ان عملية التعاقد هي عبارة عن ألية للمشاريع المالية الخاصة بالوزارات والوحدات الحكومية وشركات التامين ومشاريع التطور لغرض الحصول على خدمات ذات كمية ونوعية محددة بناءً على اهداف معينة وبسعر ثابت وبفترة زمنية محددة ويتم تحديد ذلك بموجب العقد (Loevinsohn, ٢٠٠٨,١٠). أن عملية التعاقد للمشاريع التنفيذية تعتمد على الشروط التالية كما حددهما Robinson وهي (Robinson, ٢٠٠٠ :٨١) :

١- ان يتم تحديد المواصفات الدقيقة للنواتج (outcomes) السلع والخدمات التي يتعين تسليمها.

٢- تحديد الاسعار مقدما لتلك النواتج. فمن اجل زيادة الكفاءة يجب ان تعكس هذه الاسعار تكلفة الانتاج الفعال وليس كلفة الانتاج السائدة.

٣- وجود جزاءات مالية يمكن تطبيقها في حالة اخفاق الوكالة (الجهات المتعاقد معها) في الوفاء بمتطلبات عقد الشراء او عقد العمل المطلوب انجازه.

فكلما زاد مدى تلبية تلك المتطلبات الثلاثة كان هناك ضغط أكثر على الوكالات في عملية الشراء. وان تحقيق ذلك سوف يساعد على التحقق في نهاية كل سنة مالية من ان عقود الشراء قد تم الوفاء بها ام لا.

اما التعاقد المبني على الأداء فيعتمد على الشروط التالية (Loevinsohn, ٢٠٠٨:١٨) :

١- ان تكون هناك سلسلة واضحة من الاهداف والمؤشرات التي يمكن من خلالها قياس أداء الجهة المنفذة للخدمة .

٢- جمع البيانات عن مؤشرات الأداء للجهات المتعاقد معها لغرض تقديم الخدمة المحددة بنجاح .

٣- نتيجة الأداء للعقد المبرم تحدد طبيعة الاثار التي تترتب على نوعية العمل المنجز من قبل الاطراف المتعاقد معهم اما من خلال تقديم مكافآت لهم او فرض عقوبات عليهم.

٢-٤ متطلبات تطبيق الموازنة التعاقدية:

تتداخل الانظمة المالية والمحاسبية والقانونية بعضها مع البعض الاخر وتعمل سوية لتحقيق اهدافها العامة والخاصة والتي تنعكس بالمحصلة على مستوى الاقتصاد العام للدولة وطبيعة الأداء الحكومي خلال فترة معينة. ولأن الموازنة العامة للدولة هي الخطة والركيزة الاساسية التي تنطلق منها اغلب العمليات التشغيلية والاستثمارية على مستوى الدولة والوحدات الحكومية المختلفة، لذلك تتطلب عملية تحديث أسلوب الموازنة العامة ان يرافقها مجموعة من التحسينات والمقومات الاخرى التي تضمن نجاح عمل الموازنة الحديثة المقترح تطبيقها. وفيما يلي اهم المقومات والمتطلبات الضرورية لتطبيق الموازنة التعاقدية.

١- توفير نظام محاسبة التكاليف لإعداد وتقويم المشروع

ان عملية وضع التخصيصات في الموازنة تستوجب وجود دراسة كاملة وأن تتضمن فيها محاسبة التكاليف لما لها من فائدة في تقويم الأداء واحالة المشروع إلى التنفيذ ومنع الهدر في المال وترشيد

الانفاق في الوحدات الحكومية وان استخدام محاسبة التكاليف في إعداد الموازنة التعاقدية يعود إلى اسباب عديدة (جدوع ، ٢٠١٥ :٣٧) :

أ- تساعد على تحديد سعر السلعة او الخدمة التي يتم التعاقد عليها والمقدمة من قبل القطاع العام او القطاع الخاص إلى الوحدات الحكومية .

ب- تسهل من عملية اتخاذ القرار بشأن إحالة المشاريع إلى التنفيذ، واتخاذ قرار بشأن الجودة والتكلفة التي يتم تحديدها من قبل الجهة المستفيدة .

ت- تستخدم في تحديد الانحرافات السلبية والايجابية للمشروع عندما يتم تقويم الأداء .

ث- تساعد على تحديد المشاريع التي تستطيع الوحدات الحكومية او الدولة ان تقوم بتنفيذها دون الحاجة إلى مشاريع مع جهات اخرى.

٢- استخدام اساس الاستحقاق بدلا من الاساس النقدي:

يساعد النظام المحاسبي المستخدم في الوحدات الحكومية القائمة على اساس الاستحقاق متخذي القرار الحصول على معلومات أكثر دقة وتفصيلا عن الأداء المالي للوحدات الحكومية وبشكل يمكن من خلاله من تحقيق الرقابة المالية والادارية وترشيد عملية اتخاذ القرارات الحكومية وبشكل يلائم تحقيق الاهداف المرجوة. وأن استخدام هذا الأسلوب في عملية إعداد الموازنة يساعد على تحديد كلفة الخدمة المقدمة من قبل الوحدة بشكل دقيق وموثوق منه لأنه يعبر عن الكلفة الفعلية المرتبطة بالأداء او اكتمال الخدمة المقدمة وليس في نهاية السنة المالية. ومن ناحية الايرادات يتم تحصيلها استنادا إلى البرامج التي تقدمها الوحدة الحكومية، وان قياس كفاءة أداء تلك البرامج تكون من خلال مقابلة إيراداتها المتحققة خلال تلك الفترة وبغض النظر عند استلامها من عدمها بالكلف التي يتم انفاقها لإنجاز تلك البرامج سواء دفعت او بقيت مستحقة على الوحدة (غنام، ٢٠٠٦ :٨٥-٨٦).

وأن عملية التحول من الاساس النقدي إلى اساس الاستحقاق سوف يساعد الوحدات الحكومية في اعطائها صورة واضحة عن حساباتها المالية بشكل دقيق من خلال تطبيق مبدأ مقابلة الإيرادات بالمصروفات

بغض النظر عن التحصيل او السداد، مما يساعد الجهات الحكومية والجهات الرقابية في تقويم أداء تلك الوحدات الحكومية بصورة مستقلة وإجراء المقارنات الضرورية بين السنوات المختلفة او بينها وبين الوحدات الحكومية الاخرى (الخاقاني، ٢٠٠٥: ١٢٣).

٣- وضع مقاييس للأداء:

يستخدم مصطلح مقاييس الأداء للإشارة إلى نظام القياس، والذي يتضمن القواعد التي تجري على أساسها تقويم أداء كل برنامج من برامج الموازنة والأنشطة المتعلقة بها وفقاً طبيعة ونوع كل منها. وعند وضع مقاييس الأداء يستلزم اتخاذ الخطوات اللازمة لتحديد المقاييس الكمية المالية وغير المالية التي تقوم بها مدخلات البرنامج ومخرجاته وتقسيماته الفرعية بما يفيد في تقويم الأداء ومن أبرز هذه المقاييس (سلمان وياسين ، ٢٠١٦: ٤٩٥-٤٩٦):

- مقاييس رئيسية: وهي المقاييس التي تقيس النتائج النهائية بشكل إجمالي على مستوى كل برنامج ومتابعة اتجاه تطورها مقارنة بالسنة السابقة. وتتناول هذه المقاييس قياس نسبة تحقيق الأهداف والتطور في مستوى الخدمات المقدمة. وتساعد مقاييس الأداء الوحدات على زيادة قدرتها في تحديد فاعلية وكفاءة الخدمات المقدمة وتحسين المساءلة عن أداء البرنامج.

- مقاييس تحليلية: وهي مقاييس تقوم على التحليل والقياس الكمي على مستوى الأنشطة الرئيسة والفرعية داخل البرنامج الواحد.

وعند تصميم مقاييس الأداء ينبغي مراعاة أموراً عدة منها ارتباط المقاييس بالهدف الأساسي للبرنامج لكي تصبح معبرة عن مدى تحقيق الهدف، وأن تكون المقاييس شاملة لجميع أوجه النشاط وبشكل يتناسب وأهمية الأنشطة ومقدار اسهامها في انجاز البرنامج ككل وبشكل يمكن من تكوين رأياً واضحاً عن مدى انجاز الأهداف المحددة لكل برنامج. كما وتجدر الإشارة ايضا إلى أن اعتماد المقاييس المناسبة يتطلب ابتداء بناء قاعدة بيانات محاسبية ومعلومات إحصائية شاملة مبوبة بطريقة تسمح بقياس الانجاز الفعلي للبرنامج والأنشطة المنضوية ضمنه.

٤- تحويل العلاقة بين الحكومة والوحدات التابعة لها من علاقة تمويل إلى علاقة تجارية (اِستِقلال الوحدات)

ان قيام الحكومة في تمول الوحدات الحكومية جميعا ينتج عنه ضغط على الانفاق العام، وخصوصا الوحدات غير الهادفة للربح والتي قد يتسبب تمويلها تزايد في العجز المتراكم على الدولة، لذا اتجهت اغلب الحكومات إلى العمل على اِستِقلالية وحداتها.

وقد وفرت الموازنة التعاقدية فرصاً مهمة وكبيرة للقطاع العام من خلال الدخول في مناقصات والتنافس مع القطاع الخاص والفوز بتنفيذ بعضاً من المشاريع الكبيرة المطروحة من قبل الدولة من اجل تقديم الخدمات على اساس سعر يكون محدد بموجب العقد. وبذلك تحولت العلاقة بين الحكومة والوحدات الحكومية التابعة لها من علاقة تمويل نقدية إلى علاقة تجارية وتنافسية قائمة على البيع والشراء (جدوع ، ٢٠١٥: ٤١). كما ان الموازنة التعاقدية اعطت فرصة للوحدات الحكومية ان يكون تمويلها ذاتيا في المستقبل إذا ما حققت هذه الوحدات ارباحا تستطيع من خلالها تطوير مشاريعها وان تكون ذات قوة منافسة في السوق. ومما سبق يتضح لنا بأن تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية في الوحدات الحكومية المستقلة يساعد على تخفيف الضغط على الانفاق العام وتوفير فرص للوحدات الحكومية في التطور وتحقيق الارباح وقد تتجاوز الايرادات في بعض الوحدات مقدار التمويل الحكومي لها. وان الخطوات الاساسية لإعداد الموازنة التعاقدية في الوحدات الحكومية هي كما يلي (مصدر سابق: ٤١):

١- تحديد البرامج الاساسية التي ترغب الوحدة في تنفيذها لغرض تحقيق اهدافها.

٢- تطوير النظام المحاسبي والمالي باستخدام اساس الاستحقاق للقياس المالي، بحيث يمكن حصر التكاليف المختلفة للبرامج والانشطة والمشاريع لغرض تقويم الأداء وترشيد استخدام الاموال.

٣- احتساب كلفة كل برنامج بعد استخدام اساس الاستحقاق .

٤- تحديد الاسعار التنافسية في السوق المحلي .

٥- تحديد اسعار البرامج التي سوف يتم التعاقد عليها مع الدولة .

٦- إعداد هيكل الموازنة التعاقدية .

المبحث الثالث: تأثير تطبيق الموازنة التعاقدية على مستوى الأداء المالي:

٣-١ نبذه تعريفية عن جامعة الكوفة:

ان جامعة الكوفة هي صرح فكري وعرفي قادر على صياغة الاطر العلمية المستقبلية بأشكالها ومكوناتها كافة في ضوء حاجات المجتمع، لاستثمار التراث الاسلامي الكبير الذي تمتاز به مدينة النجف الاشرف، والمعبر عن الامتداد العميق لأرث مدرسة الكوفة واظهارها بمظهر علمي اكاديمي. اذ تعد فكرة تأسيس جامعة الكوفة الى عام ١٩٤٦م حين تصدى نخبة من رجال العلم والثقافة والادب لهذا المشروع العلمي والثقافي ولأسباب سياسية وادارية عديدة لم يرى النور هذا المشروع وبعد ذلك قامت جمعية منتدى النشر في النجف بتبني فكرة تأسيس كلية الفقه عام ١٩٥٨م لتكون النواة الاولى لجامعة الكوفة ، وفي عام ١٩٦٨م اسس مجلس التخطيط العلمي ليتبنى موضوع انشاء جامعة الكوفة وقرر ان تكون نواتها الاولى كلية الزراعة إلا ان هذا المشروع الاخير لم يرى النور ايضا ، وقد شهد عام ١٩٧٧ استحداث لكلية الطب في الكوفة وكان ارتباطها بالجامعة المستنصرية وفي عام ١٩٨٧/١٢/٢٣ تم اصدار قرار بتأسيس جامعة الكوفة مع جامعة تكريت وجامعة القادسية وجامعة الانبار .

٣-٢ مؤشرات الأداء المالي لجامعة الكوفة:

لغرض تقويم الأداء المالي في جامعة الكوفة تم اختيار نوعين من المؤشرات وهي مؤشرات الكلفة ومؤشرات الربحية فقط لكون الدراسة الحالية تتعامل مع أسلوب الموازنة التعاقدية التي تستهدف ترشيد عنصر التكاليف فقط مما يحصل تأثيرها بجانبين هما الكلفة والربحية ولا يتعداهما في التأثير على الايراد بناءً على ذلك فان مؤشرات الكلفة والربحية سيتم احتسابها على مستوى الطالب ولكل برنامج، والآتي توضيح لهذه المؤشرات:

١- مؤشرات الكلفة: وتركز على تحليل تكلفة الطالب ولكل كلية من كليات جامعة الكوفة وتتضمن المؤشرات الاتية:

أ- التكلفة السنوية لكل طالب بكالوريوس.

ب- التكلفة السنوية لكل طالب ماجستير.

ت- التكلفة السنوية لكل طالب دكتوراه.

ث- التكلفة السنوية لكل طالب دبلوم عالي.

٢- مؤشرات الربحية: وتركز على تحليل ربحية الطالب ولكل كلية من كليات جامعة الكوفة وتتضمن المؤشرات الاتية :

أ- الربحية السنوية لكل طالب بكالوريوس.

ب- الربحية السنوية لكل طالب ماجستير.

ت- الربحية السنوية لكل طالب دكتوراة.

ث- الربحية السنوية لكل طالب دبلوم عالي.

٣-٢ تقويم الأداء المالي وفقاً لأسلوب الموازنة التقليدية :

مؤشرات كلفة الطالب الواحد لكل برنامج وفقاً لأسلوب الموازنة التقليدية :

تتم في هذا الخطوة احتساب كلفة الطالب الواحد حسب كل برنامج وفقا لأسلوب الموازنة المطبقة حاليا وهو أسلوب الموازنة التقليدية. وقد تم احتساب هذه الكلفة بالاعتماد على البيانات الفعلية لإنفاق الكليات لسنة ٢٠١٧. فضلا عن ذلك فقد تم توزيع تكاليف رئاسة الجامعة والاقسام الداخلية والمراكز الاخرى التابعة للجامعة على اساس نسبة التكاليف الفعلية للكليات للسنة المذكورة. وتكون كلفة الطالب الواحد حسب كل كلية كما في الجدول ادناه:

جدول (١) مؤشرات كلفة الطالب الواحد حسب كل برنامج ووفقا لأسلوب الموازنة التقليدية

ت	اسم الكلية	كلفة الطالب البكالوريوس	كلفة طالب الدبلوم العالي	كلفة طالب الماجستير	كلفة طالب الدكتوراه
١	كلية الطب	١٢,٠٠٨,٢٠٣	١٣,٢٠٩,٠٢٣	١٥,٠١٠,٢٥٣	١٨,٠١٢,٣٠٤
٢	كلية طب الاسنان	٧,٤٧٢,٥٧٥			
٣	كلية الصيدلة	٥,٦٢٠,١١٤		٧,٠٢٥,١٤٢	
٤	كلية الطب البيطري	١٢,٥٣٠,٠٥٩		١٥,٦٦٢,٥٧٤	
٥	كلية التمريض	٣,٩٠٤,٣٧٦		٤,٨٨٠,٤٧٠	
٦	كلية الهندسة	٦,٢٣٢,٨٤٧	٦,٨٥٦,١٣٢	٧,٧٩١,٠٥٩	
٧	كلية العلوم	٤,٨٥٨,٩٠٧		٦,٠٧٣,٦٣٤	٧,٢٨٨,٣٦٠
٨	كلية علوم الحاسوب	٤,١٤٣,١٤٥	٤,٥٥٧,٤٥٩	٥,١٧٨,٩٣١	
٩	كلية التخطيط العمراني	٥,١٦١,٥٥٥			
١٠	كلية الادارة والاقتصاد	٢,٢٠٢,٦٨٩	٢,٤٢٢,٩٥٧	٢,٧٥٣,٣٦١	٣,٣٠٤,٠٣٣
١١	كلية الزراعة	٥,٥٣٩,٢٩١		٦,٩٢٤,١١٤	٨,٣٠٨,٩٣٧
١٢	كلية الاثار والتراث	٤,٠٤٢,٩٨٣			
١٣	كلية القانون	٢,٤٣٧,٨٦٢		٣,٠٤٧,٣٢٨	
١٤	كلية التربية للبنات	٣,٤٣٧,١٣٧		٤,٢٩٦,٤٢١	٥,١٥٥,٧٠٥
١٥	كلية التربية الاساسية	١,٨٣٠,٦٥٥		٢,٢٨٨,٣١٩	

١٦	كلية التربية	٢,٩٠٣,٦٠٨		٣,٦٢٩,٥١٠	
١٧	كلية التربية البدنية	٣,٩٨٠,٤١٩		٤,٩٧٥,٥٢٤	
١٨	كلية العلوم السياسية	٢,٠٦٥,٠٦١			
١٩	كلية الآداب	٣,١٠٣,٨٨٣		٣,٨٧٩,٨٥٤	٤,٦٥٥,٨٢٤
٢٠	كلية اللغات	٣,٦٥٤,١٨٤			
٢١	كلية الفقه	٢,٥٠٢,٥٤٩		٣,١٢٨,١٨٦	٣,٧٥٣,٨٢٤

المصدر : إعداد الباحث

٢- مؤشرات ربحية الطالب الواحد لكل برنامج وفقاً لأسلوب الموازنة التقليدية :

تقيس مؤشرات الربحية في الدراسة الحالية ربحية الطالب لأربعة مستويات كما هو الحال في قياس مؤشرات الكلفة في الفقرة السابقة من خلال مقابلة تكلفة الطالب الواحد مع الاسعار التنافسية في السوق والتي تم تحديدها بالاعتماد على أسعار الكليات الاهلية المناظرة او الاسعار الموازية الصادرة من وزارة التعليم العالي البحث العلمي أيهما أعلى، و كما تم ذكره في المبحث السابق، والجدول التالي يبين اسعار البرامج الدراسية لسنة ٢٠١٧ المعتمدة في هذه الدراسة :

جدول (٢) اسعار البرامج الدراسية لسنة ٢٠١٧

ت	اسم الكلية	بكالوريوس	الدبلوم العالي	الماجستير	الدكتوراه
١	كلية الطب	١٢,٠٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
٢	كلية طب الاسنان	١٣,٣٥٠,٠٠٠			
٣	كلية الصيدلة	١٠,٦٢٥,٠٠٠		٥,٠٠٠,٠٠٠	
٤	كلية الطب	٢,٠٠٠,٠٠٠		٥,٠٠٠,٠٠٠	

	البيطري				
٥	كلية التمريض	٥,٠٠٠,٠٠٠		٥,٠٠٠,٠٠٠	
٦	كلية الهندسة	٤,٤٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	
٧	كلية العلوم	٢,٠٠٠,٠٠٠		٥,٠٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
٨	كلية علوم الحاسوب	٣,٣٥٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	
٩	كلية التخطيط العمراني	٢,٠٠٠,٠٠٠			
١٠	كلية الادارة والاقتصاد	٢,٤٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
١١	كلية الزراعة	٢,٠٠٠,٠٠٠		٥,٠٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
١٢	كلية الاثار والتراث	١,٠٠٠,٠٠٠			
١٣	كلية القانون	٢,٦٠٠,٠٠٠		٤,٠٠٠,٠٠٠	
١٤	كلية التربية للبنات	٢,٠٠٠,٠٠٠		٥,٠٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
١٥	كلية التربية الاساسية	١,٠٠٠,٠٠٠		٤,٠٠٠,٠٠٠	
١٦	كلية التربية	١,٠٠٠,٠٠٠		٤,٠٠٠,٠٠٠	
١٧	كلية التربية البدنية	٢,٠٠٠,٠٠٠		٥,٠٠٠,٠٠٠	

١٨	كلية العلوم السياسية	١,٠٠٠,٠٠٠			
١٩	كلية الآداب	٢,٣٥٠,٠٠٠		٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
٢٠	كلية اللغات	١,٩٥٠,٠٠٠			
٢١	كلية الفقه	١,٤٠٠,٠٠٠		٤,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠

المصدر: إعداد الطالب

ولغرض قياس الربحية سيتم تحديد ربحية الطالب لكل برنامج دراسي من خلال مقابلة تكلفة الطالب الواحد المبينة في الجدول (١) مع اسعار البرامج الدراسية الخاص بكل برنامج والمبينة في الجدول (٢). والجدول (٣) يوضح نتائج قياس مؤشرات الربحية في جامعة الكوفة وفقا للموازنة التقليدية لسنة ٢٠١٧.

جدول (٣) مؤشرات ربحية الطالب الواحد حسب كل برنامج وفقا لأسلوب الموازنة التقليدية

ت	اسم الكلية	ربحية او (خسارة) طالب البكالوريوس	ربحية او (خسارة) طالب الدبلوم العالي	ربحية او (خسارة) طالب الماجستير	ربحية او (خسارة) طالب الدكتوراه
١	كلية الطب	(٨,٢٠٣)	(٩,٢٠٩,٠٢٣)	(١٠,٠١٠,٢٥٣)	(١٢,٠١٢,٣٠٤)
٢	كلية طب الاسنان	٥,٨٧٧,٤٢٥			
٣	كلية الصيدلة	٥,٠٠٤,٨٨٦		(٢,٠٢٥,١٤٢)	
٤	كلية الطب البيطري	(١٠,٥٣٠,٠٥٩)		(١٠,٦٦٢,٥٧٤)	

٥	كلية التمريض	١,٠٩٥,٦٢٤		١١٩,٥٣٠	
٦	كلية الهندسة	(١,٨٣٢,٨٤٧)	(٢,٨٥٦,١٣٢)	(٢,٧٩١,٠٥٩)	
٧	كلية العلوم	(٢,٨٥٨,٩٠٧)		(١,٠٧٣,٦٣٤)	(١,٢٨٨,٣٦٠)
٨	كلية علوم الحاسوب	(٧٩٣,١٤٥)	(٥٥٧,٤٥٩)	(١٧٨,٩٣١)	
٩	كلية التخطيط العمراني	(٣,١٦١,٥٥٥)			
١٠	كلية الادارة والاقتصاد	١٩٧,٣١١	١,٥٧٧,٠٤٣	٢,٢٤٦,٦٣٩	٢,٦٩٥,٩٦٧
١١	كلية الزراعة	(٣,٥٣٩,٢٩١)		(١,٩٢٤,١١٤)	(٢,٣٠٨,٩٣٧)
١٢	كلية الاثار والتراث	(٣,٠٤٢,٩٨٣)			
١٣	كلية القانون	١٦٢,١٣٨		٩٥٢,٦٧٢	
١٤	كلية التربية للبنات	(١,٤٣٧,١٣٧)		٧٠٣,٥٧٩	٨٤٤,٢٩٥
١٥	كلية التربية الاساسية	(٨٣٠,٦٥٥)		١,٧١١,٦٨١	
١٦	كلية التربية	(١,٩٠٣,٦٠٨)		٣٧٠,٤٩٠	

١٧	كلية التربية البدنية	(١,٩٨٠,٤١٩)		٢٤,٤٧٦	
١٨	كلية العلوم السياسية	(١,٠٦٥,٠٦١)			
١٩	كلية الآداب	(٧٥٣,٨٨٣)		١٢٠,١٤٦	٣٤٤,١٧٦
٢٠	كلية اللغات	(١,٧٠٤,١٨٤)			
٢١	كلية الفقه	(١,١٠٢,٥٤٩)		٨٧١,٨١٤	١,٢٤٦,١٧٦

المصدر : إعداد الباحث

٤-٣-٣ تقويم الأداء المالي وفقا لموازنة التعاقدية:

١- مؤشرات كلفة الطالب الواحد حسب كل برنامج وفقا لأسلوب الموازنة التعاقدية:

تتم في هذا الخطوة احتساب كلفة الطالب الواحد حسب كل برنامج وفقا لأسلوب الموازنة التعاقدية وكما تم توضيحه في المبحث السابق. فضلا عن ذلك فقد تم توزيع تكاليف رئاسة الجامعة والاقسام الداخلية والمراكز الاخرى التابعة للجامعة على أساس نسبة التكاليف الفعلية للكليات للسنة المذكورة. وتكون كلفة الطالب الواحد حسب كل كلية كما في الجدول ادناه:

جدول (٤) مؤشرات كلفة الطالب الواحد حسب كل برنامج ووفقا لأسلوب الموازنة التعاقدية

ت	اسم الكلية	كلفة الطالب البكالوريوس	كلفة طالب الدبلوم العالي	كلفة طالب الماجستير	كلفة طالب الدكتوراه
١	كلية الطب	٨,٥٧٠,١١٧	٩,٤٢٧,١٢٩	١٠,٧١٢,٦٤٧	١٢,٨٥٥,١٧٦
٢	كلية طب الاسنان	٥,١٩٦,٦٣٣			
٣	كلية	٤,٠٤٤,٨٢٧		٥,٠٥٦,٠٣٤	

	الصيدلة				
٤	كلية الطب البيطري	٨,٩٥٠,٤٣٥		١١,١٨٨,٠٤٣	
٥	كلية التمريض	٢,٧١٥,٤٠٤		٣,٣٩٤,٢٥٥	
٦	كلية الهندسة	٤,١٧١,٤٩١	٤,٥٨٨,٦٤٠	٥,٢١٤,٣٦٤	
٧	كلية العلوم	٣,٣٩٩,٨٧٦		٤,٢٤٩,٨٤٥	٥,٠٩٩,٨١٤
٨	كلية علوم الحاسوب	٢,٨٣٥,٣٢٨	٣,١١٨,٨٦١	٣,٥٤٤,١٦٠	
٩	كلية التخطيط العمراني	٣,٦٣٣,٧٤٧			
١٠	كلية الادارة والاقتصاد	١,٤٩١,٦٥٧	١,٦٤٠,٨٢٣	١,٨٦٤,٥٧١	٢,٢٣٧,٤٨٦
١١	كلية الزراعة	٣,٨٦٥,٣١٢		٤,٨٣١,٦٤٠	٥,٧٩٧,٩٦٨
١٢	كلية الاثار والتراث	٢,٧٩٦,٠٣١			
١٣	كلية القانون	١,٦٧٩,٤٩٣		٢,٠٩٩,٣٦٦	
١٤	كلية التربية للبنات	٢,٣٥٥,٥٨٥		٢,٩٤٤,٤٨١	٣,٥٣٣,٣٧٧
١٥	كلية التربية	١,٢٥١,٤٧٦		١,٥٦٤,٣٤٤	

	الاساسية				
١٦	كلية التربية	١,٩٨٩,٨٦٣		٢,٤٨٧,٣٢٩	
١٧	كلية التربية البدنية	٢,٧٩٢,١٩٧		٣,٤٩٠,٢٤٧	
١٨	كلية العلوم السياسية	١,٤١٠,٥٨٦			
١٩	كلية الآداب	٢,١٠٥,٧٩١		٢,٦٣٢,٢٣٨	٣,١٥٨,٦٨٦
٢٠	كلية اللغات	٢,٥١٧,٣٣٧			
٢١	كلية الفقه	١,٧١٥,٧٦٨		٢,١٤٤,٧١١	٢,٥٧٣,٦٥٣

المصدر : إعداد الباحث

٢- مؤشرات ربحية الطالب الواحد حسب كل برنامج وفقاً لأسلوب الموازنة التعاقدية:

تتم في هذه الخطوة تحديد ربحية كل طالب حسب كل برنامج وكل كلية. يتم احتساب ربحية الطالب الواحد حسب كل برنامج وكل كلية نتيجة مقارنة جدول (٤) الخاص بكلفة الطالب الواحد وفقاً لأسلوب الموازنة التعاقدية مع جدول (٢) الخاصة بأسعار البرامج الدراسية.

جدول (٥) مؤشرات ربحية الطالب الواحد حسب كل برنامج وفقا لأسلوب الموازنة التعاقدية

ت	اسم الكلية	ربحية او (خسارة) طالب البكالوريوس	ربحية او (خسارة) طالب الدبلوم العالي	ربحية او (خسارة) طالب الماجستير	ربحية او (خسارة) طالب الدكتوراه
١	كلية الطب	٣,٤٢٩,٨٨٣	(٥,٤٢٧,١٢٩)	(٥,٧١٢,٦٤٧)	(٦,٨٥٥,١٧٦)
٢	كلية طب الاسنان	٨,١٥٣,٣٦٧			
٣	كلية الصيدلة	٦,٥٨٠,١٧٣		(٥٦,٠٣٤)	

٤	كلية الطب البيطري	(٦,٩٥٠,٤٣٥)		(٦,١٨٨,٠٤٣)	
٥	كلية التمريض	٢,٢٨٤,٥٩٦		١,٦٠٥,٧٤٥	
٦	كلية الهندسة	٢٢٨,٥٠٩	(٥٨٨,٦٤٠)	(٢١٤,٣٦٤)	
٧	كلية العلوم	(١,٣٩٩,٨٧٦)		٧٥٠,١٥٥	٩٠٠,١٨٦
٨	كلية علوم الحاسوب	٥١٤,٦٧٢	٨٨١,١٣٩	١,٤٥٥,٨٤٠	
٩	كلية التخطيط العمراني	(١,٦٣٣,٧٤٧)			
١٠	كلية الادارة والاقتصاد	٩٠٨,٣٤٣	٢,٣٥٩,١٧٧	٣,١٣٥,٤٢٩	٣,٧٦٢,٥١٤
١١	كلية الزراعة	(١,٨٦٥,٣١٢)		١٦٨,٣٦٠	٢٠٢,٠٣٢
١٢	كلية الاثار والتراث	(١,٧٩٦,٠٣١)			
١٣	كلية القانون	٩٢٠,٥٠٧		١,٩٠٠,٦٣٤	
١٤	كلية التربية للبنات	(٣٥٥,٥٨٥)		٢,٠٥٥,٥١٩	٢,٤٦٦,٦٢٣
١٥	كلية التربية الاساسية	(٢٥١,٤٧٦)		٢,٤٣٥,٦٥٦	
١٦	كلية التربية	(٩٨٩,٨٦٣)		١,٥١٢,٦٧١	
١٧	كلية التربية البدنية	(٧٩٢,١٩٧)		١,٥٠٩,٧٥٣	
١٨	كلية العلوم السياسية	(٤١٠,٥٨٦)			
١٩	كلية الآداب	٢٤٤,٢٠٩		١,٣٦٧,٧٦٢	١,٨٤١,٣١٤
٢٠	كلية اللغات	(٥٦٧,٣٣٧)			
٢١	كلية الفقه	(٣١٥,٧٦٨)		١,٨٥٥,٢٨٩	٢,٤٢٦,٣٤٧

المصدر: إعداد الباحث

٤-٣-٤ المقارنة بين المؤشرات المالية وفقاً لأسلوب الموازنة التقليدية وأسلوب الموازنة التعاقدية:

يلخص الجدول (٦) النتائج الرئيسة للدراسة من خلال مقارنة كل من المؤشرات الكلفة ومؤشرات الربحية المعدة وفقا لأسلوب الموازنة التقليدية مع تلك المعدة وفقا لأسلوب الموازنة التعاقدية المشار اليها في المبحث الثاني من هذه الدراسة. يكشف هذا الجدول الاثار المباشرة لتطبيق الموازنة التعاقدية على اجمالي التكاليف في جامعة الكوفة وما يترتب عليه من اثار ايجابية على مؤشرات الأداء المالي للجامعة المعتمدة في هذه الدراسة (مؤشرات الكلفة ومؤشرات الربحية).

جدول (٦) المقارنة بين المؤشرات المالية وفقً لأسلوب الموازنة التقليدية وأسلوب الموازنة التعاقدية

الكلية	البرنامج	أسلوب الموازنة التقليدية		أسلوب الموازنة التعاقدية		المقارنة	
		الكلفة	الربحية	الكلفة	الربحية	الكلفة	الربحية
كلية الطب	البكالوريوس	١٢,٠٠٨,٢٠٣	(٨,٢٠٣)	٨,٥٧٠,١١٧	٣,٤٢٩,٨٨٣	(٣,٤٣٨,٠٨٦)	٣,٤٣٨,٠٨٦
	الدبلوم العالي	١٣,٢٠٩,٠٢٣	(٩,٢٠٩,٠٢٣)	٩,٤٢٧,١٢٩	(٥,٤٢٧,١٢٩)	(٣,٧٨١,٨٩٤)	٣,٧٨١,٨٩٤
	الماجستير	١٥,٠١٠,٢٥٣	(١٠,٠١٠,٢٥٣)	١٠,٧١٢,٦٤٧	(٥,٧١٢,٦٤٧)	(٤,٢٩٧,٦٠٦)	٤,٢٩٧,٦٠٦
	الدكتوراه	١٨,٠١٢,٣٠٤	(١٢,٠١٢,٣٠٤)	١٢,٨٥٥,١٧٦	(٦,٨٥٥,١٧٦)	(٥,١٥٧,١٢٨)	٥,١٥٧,١٢٨
كلية طب الاسنان	البكالوريوس	٧,٤٧٢,٥٧٥	٥,٨٧٧,٤٢٥	٥,١٩٦,٦٣٣	٨,١٥٣,٣٦٧	(٢,٢٧٥,٩٤٢)	٢,٢٧٥,٩٤٢
كلية الصيدلة	البكالوريوس	٥,٦٢٠,١١٤	٥,٠٠٤,٨٨٦	٤,٠٤٤,٨٢٧	٦,٥٨٠,١٧٣	(١,٥٧٥,٢٨٧)	١,٥٧٥,٢٨٧
	الماجستير	٧,٠٢٥,١٤٢	(٢,٠٢٥,١٤٢)	٥,٠٥٦,٠٣٤	(٥٦,٠٣٤)	(١,٩٦٩,١٠٨)	١,٩٦٩,١٠٨
كلية الطب البيطري	البكالوريوس	١٢,٥٣٠,٠٥٩	(١٠,٥٣٠,٠٥٩)	٨,٩٥٠,٤٣٥	(٦,٩٥٠,٤٣٥)	(٣,٥٧٩,٦٢٤)	٣,٥٧٩,٦٢٤
	الماجستير	١٥,٦٦٢,٥٧٤	(١٠,٦٦٢,٥٧٤)	١١,١٨٨,٠٤٣	(٦,١٨٨,٠٤٣)	(٤,٤٧٤,٥٣١)	٤,٤٧٤,٥٣١
كلية التمريض	البكالوريوس	٣,٩٠٤,٣٧٦	١,٠٩٥,٦٢٤	٢,٧١٥,٤٠٤	٢,٢٨٤,٥٩٦	(١,١٨٨,٩٧٢)	١,١٨٨,٩٧٢
	الماجستير	٤,٨٨٠,٤٧٠	١١٩,٥٣٠	٣,٣٩٤,٢٥٥	١,٦٠٥,٧٤٥	(١,٤٨٦,٢١٥)	١,٤٨٦,٢١٥
كلية الهندسة	البكالوريوس	٦,٢٣٢,٨٤٧	(١,٨٣٢,٨٤٧)	٤,١٧١,٤٩١	٢٢٨,٥٠٩	(٢,٠٦١,٣٥٦)	٢,٠٦١,٣٥٦
	الدبلوم العالي	٦,٨٥٦,١٣٢	(٢,٨٥٦,١٣٢)	٤,٥٨٨,٦٤٠	(٥٨٨,٦٤٠)	(٢,٢٦٧,٤٩٢)	٢,٢٦٧,٤٩٢
	الماجستير	٧,٧٩١,٠٥٩	(٢,٧٩١,٠٥٩)	٥,٢١٤,٣٦٤	(٢١٤,٣٦٤)	(٢,٥٧٦,٦٩٥)	٢,٥٧٦,٦٩٥
كلية	البكالوريوس	٤,٨٥٨,٩٠٧	(٢,٨٥٨,٩٠٧)	٣,٣٩٩,٨٧٦	(١,٣٩٩,٨٧٦)	(١,٤٥٩,٠٣١)	١,٤٥٩,٠٣١

العلوم	الماجستير	٦,٠٧٣,٦٣٤	(١,٠٧٣,٦٣٤)	٤,٢٤٩,٨٤٥	٧٥٠,١٥٥	(١,٨٢٣,٧٨٩)	١,٨٢٣,٧٨٩
	الدكتوراه	٧,٢٨٨,٣٦٠	(١,٢٨٨,٣٦٠)	٥,٠٩٩,٨١٤	٩٠٠,١٨٦	(٢,١٨٨,٥٤٦)	٢,١٨٨,٥٤٦
كلية علوم الحاسوب	البكالوريوس	٤,١٤٣,١٤٥	(٧٩٣,١٤٥)	٢,٨٣٥,٣٢٨	٥١٤,٦٧٢	(١,٣٠٧,٨١٧)	١,٣٠٧,٨١٧
	الدبلوم العالي	٤,٥٥٧,٤٥٩	(٥٥٧,٤٥٩)	٣,١١٨,٨٦١	٨٨١,١٣٩	(١,٤٣٨,٥٩٨)	١,٤٣٨,٥٩٨
	الماجستير	٥,١٧٨,٩٣١	(١٧٨,٩٣١)	٣,٥٤٤,١٦٠	١,٤٥٥,٨٤٠	(١,٦٣٤,٧٧١)	١,٦٣٤,٧٧١
كلية التخطيط العمراني	البكالوريوس	٥,١٦١,٥٥٥	(٣,١٦١,٥٥٥)	٣,٦٣٣,٧٤٧	(١,٦٣٣,٧٤٧)	(١,٥٢٧,٨٠٨)	١,٥٢٧,٨٠٨
كلية الادارة والاقتصاد	البكالوريوس	٢,٢٠٢,٦٨٩	١٩٧,٣١١	١,٤٩١,٦٥٧	٩٠٨,٣٤٣	(٧١١,٠٣٢)	٧١١,٠٣٢
	الدبلوم العالي	٢,٤٢٢,٩٥٧	١,٥٧٧,٠٤٣	١,٦٤٠,٨٢٣	٢,٣٥٩,١٧٧	(٧٨٢,١٣٤)	٧٨٢,١٣٤
	الماجستير	٢,٧٥٣,٣٦١	٢,٢٤٦,٦٣٩	١,٨٦٤,٥٧١	٣,١٣٥,٤٢٩	(٨٨٨,٧٩٠)	٨٨٨,٧٩٠
	الدكتوراه	٣,٣٠٤,٠٣٣	٢,٦٩٥,٩٦٧	٢,٢٣٧,٤٨٦	٣,٧٦٢,٥١٤	(١,٠٦٦,٥٤٧)	١,٠٦٦,٥٤٧
كلية الزراعة	البكالوريوس	٥,٥٣٩,٢٩١	(٣,٥٣٩,٢٩١)	٣,٨٦٥,٣١٢	(١,٨٦٥,٣١٢)	(١,٦٧٣,٩٧٩)	١,٦٧٣,٩٧٩
	الماجستير	٦,٩٢٤,١١٤	(١,٩٢٤,١١٤)	٤,٨٣١,٦٤٠	١٦٨,٣٦٠	(٢,٠٩٢,٤٧٤)	٢,٠٩٢,٤٧٤
	الدكتوراه	٨,٣٠٨,٩٣٧	(٢,٣٠٨,٩٣٧)	٥,٧٩٧,٩٦٨	٢٠٢,٠٣٢	(٢,٥١٠,٩٦٩)	٢,٥١٠,٩٦٩
كلية الاثار والتراث	البكالوريوس	٤,٠٤٢,٩٨٣	(٣,٠٤٢,٩٨٣)	٢,٧٩٦,٠٣١	(١,٧٩٦,٠٣١)	(١,٢٤٦,٩٥٢)	١,٢٤٦,٩٥٢
كلية القانون	البكالوريوس	٢,٤٣٧,٨٦٢	١٦٢,١٣٨	١,٦٧٩,٤٩٣	٩٢٠,٥٠٧	(٧٥٨,٣٦٩)	٧٥٨,٣٦٩
	الماجستير	٣,٠٤٧,٣٢٨	٩٥٢,٦٧٢	٢,٠٩٩,٣٦٦	١,٩٠٠,٦٣٤	(٩٤٧,٩٦٢)	٩٤٧,٩٦٢
كلية	البكالوريوس	٣,٤٣٧,١٣٧	(١,٤٣٧,١٣٧)	٢,٣٥٥,٥٨٥	(٣٥٥,٥٨٥)	(١,٠٨١,٥٥٢)	١,٠٨١,٥٥٢

التربية للبنات	الماجستير	٤,٢٩٦,٤٢١	٧٠٣,٥٧٩	٢,٩٤٤,٤٨١	٢,٠٥٥,٥١٩	(١,٣٥١,٩٤٠)	١,٣٥١,٩٤٠
	الدكتوراه	٥,١٥٥,٧٠٥	٨٤٤,٢٩٥	٣,٥٣٣,٣٧٧	٢,٤٦٦,٦٢٣	(١,٦٢٢,٣٢٨)	١,٦٢٢,٣٢٨
كلية التربية الاساسية	البكالوريوس	١,٨٣٠,٦٥٥	(٨٣٠,٦٥٥)	١,٢٥١,٤٧٦	(٢٥١,٤٧٦)	(٥٧٩,١٧٩)	٥٧٩,١٧٩
	الماجستير	٢,٢٨٨,٣١٩	١,٧١١,٦٨١	١,٥٦٤,٣٤٤	٢,٤٣٥,٦٥٦	(٧٢٣,٩٧٥)	٧٢٣,٩٧٥
كلية التربية	البكالوريوس	٢,٩٠٣,٦٠٨	(١,٩٠٣,٦٠٨)	١,٩٨٩,٨٦٣	(٩٨٩,٨٦٣)	(٩١٣,٧٤٥)	٩١٣,٧٤٥
	الماجستير	٣,٦٢٩,٥١٠	٣٧٠,٤٩٠	٢,٤٨٧,٣٢٩	١,٥١٢,٦٧١	(١,١٤٢,١٨١)	١,١٤٢,١٨١
كلية التربية البدنية	البكالوريوس	٣,٩٨٠,٤١٩	(١,٩٨٠,٤١٩)	٢,٧٩٢,١٩٧	(٧٩٢,١٩٧)	(١,١٨٨,٢٢٢)	١,١٨٨,٢٢٢
	الماجستير	٤,٩٧٥,٥٢٤	٢٤,٤٧٦	٣,٤٩٠,٢٤٧	١,٥٠٩,٧٥٣	(١,٤٨٥,٢٧٧)	١,٤٨٥,٢٧٧
كلية العلوم السياسية	البكالوريوس	٢,٠٦٥,٠٦١	(١,٠٦٥,٠٦١)	١,٤١٠,٥٨٦	(٤١٠,٥٨٦)	(٦٥٤,٤٧٥)	٦٥٤,٤٧٥
كلية الآداب	البكالوريوس	٣,١٠٣,٨٨٣	(٧٥٣,٨٨٣)	٢,١٠٥,٧٩١	٢٤٤,٢٠٩	(٩٩٨,٠٩٢)	٩٩٨,٠٩٢
	الماجستير	٣,٨٧٩,٨٥٤	١٢٠,١٤٦	٢,٦٣٢,٢٣٨	١,٣٦٧,٧٦٢	(١,٢٤٧,٦١٦)	١,٢٤٧,٦١٦
	الدكتوراه	٤,٦٥٥,٨٢٤	٣٤٤,١٧٦	٣,١٥٨,٦٨٦	١,٨٤١,٣١٤	(١,٤٩٧,١٣٨)	١,٤٩٧,١٣٨
كلية اللغات	البكالوريوس	٣,٦٥٤,١٨٤	(١,٧٠٤,١٨٤)	٢,٥١٧,٣٣٧	(٥٦٧,٣٣٧)	(١,١٣٦,٨٤٧)	١,١٣٦,٨٤٧
كلية الفقه	البكالوريوس	٢,٥٠٢,٥٤٩	(١,١٠٢,٥٤٩)	١,٧١٥,٧٦٨	(٣١٥,٧٦٨)	(٧٨٦,٧٨١)	٧٨٦,٧٨١
	الماجستير	٣,١٢٨,١٨٦	٨٧١,٨١٤	٢,١٤٤,٧١١	١,٨٥٥,٢٨٩	(٩٨٣,٤٧٥)	٩٨٣,٤٧٥
	الدكتوراه	٣,٧٥٣,٨٢٤	١,٢٤٦,١٧٦	٢,٥٧٣,٦٥٣	٢,٤٢٦,٣٤٧	(١,١٨٠,١٧١)	١,١٨٠,١٧١

المصدر: إعداد الباحث

يتضح لنا من الجدول (٦) ان تطبيق الموازنة التعاقدية قد ساهم بشكل ملموس في تحسين مؤشرات الأداء المالي لجامعة الكوفة بالمقارنة مع الموازنة التقليدية المعتمدة حاليا ، اذ تشير النتائج إلى انخفاض مؤشرات التكلفة ولجميع كليات الجامعات وبرامجها الدراسية وبنسب متفاوتة بلغت اعلاها لبرنامج البكالوريوس في كلية الطب البيطري (٣,٥٧٩,٦٢٤ دينار) واقلها في كلية التربية الاساسية (٥٧٩,١٧٩ دينار)، بينما في برنامج الدبلوم العالي فان اعلاها كلية الطب والتي تبلغ (٣,٧٨١,٨٩٤ دينار) واقلها كلية الادارة والاقتصاد (٧٨٢,١٣٤ دينار)، وايضا فيما يخص برنامج الماجستير فان اعلاها تكون من حصة كلية الطب البيطري والتي تبلغ (٤,٢٩٧,٦٠٦ دينار) واقلها هي كلية التربية الاساسية وتبلغ (٧٢٣,٩٧٥ دينار)، واخيرا برنامج الدكتوراه فان اعلاها تكون كلية الطب وتبلغ (٥,١٥٧,١٢٨ دينار) واقلها كلية الادارة والاقتصاد وتبلغ (١,٠٦٦,٥٤٧ دينار).

من جانب أخر شهدت مؤشرات الربحية ارتفاعاً ملحوظا بعد تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية وبلغ اعلاها لبرنامج البكالوريوس في كلية الطب البيطري (٣,٥٧٩,٦٢٤ دينار) وأقلها في كلية التربية الاساسية (٥٧٩,١٧٩ دينار)، بينما في برنامج الدبلوم العالي فان اعلاها كلية الطب والتي تبلغ (٣,٧٨١,٨٩٤ دينار) وأقلها كانت كلية الادارة والاقتصاد (٧٨٢,١٣٤ دينار)، وايضا فيما يخص برنامج الماجستير فان اعلاها تكون من حصة كلية الطب البيطري والتي تبلغ (٤,٢٩٧,٦٠٦ دينار) وأقلها هي كلية التربية الاساسية وتبلغ (٧٢٣,٩٧٥ دينار)، وأخيرا برنامج الدكتوراه فان اعلاها تكون كلية الطب وتبلغ (٥,١٥٧,١٢٨ دينار) واقلها كلية الادارة والاقتصاد وتبلغ (١,٠٦٦,٥٤٧ دينار) . إذ يرجع سبب هذا التفاوت اساسا إلى تقليص التكاليف الاجمالية للكليات وبنسب غير متساوية لان تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية يستهدف تحديد التكاليف الحقيقة وليس التكاليف الفعلية للنشاط. ان هذا الفرق الملحوظ بين كلفة وربحية كل برنامج المعد وفقا لأسلوب الموازنة التعاقدية مقارنةً بأسلوب الموازنة التقليدية

المطبقة حاليا في الجامعة. وبالتالي يتبين لنا الدور الكبير الذي يلعبه أسلوب الموازنة التعاقدية في ترشيد الانفاق في الجامعة، مما ادى إلى تقليل كلفة الطالب الواحد وزيادة ربحية الطالب الواحد حسب كل برنامج دراسي . ويترتب على ذلك اقتران هدف تحسين الأداء المالي وتعزيز فاعلية الانشطة التعليمة في الجامعات الحكومية مع تعزيز الصلاحيات المالية لتلك الجامعات بالشكل الذي يسهم في تحقيق فاعلية التكلفة. وفي هذا السياق فان ادارات الجامعات الحكومية وبهدف تحقيق اهدافها التعليمة والمالية ينبغي ان تتبنى تطبيق الموازنات التعاقدية بدلا من اعتماد موازنة التقليدية المطبقة حاليا. ان التأثير الاساسي الذي يمكن ملاحظته في تحليلنا لمؤشرات الأداء المالي في جامعة الكوفة هو إمكانية تقليص التكاليف الكلية للنشاط والذي يتطلب في الضرورة منح الجامعات صلاحيات مالية واسعة في ادارة شؤونها المالية، اي العمل كوحدة مستقلة من الناحية المالية. هذه الصلاحيات تتضمن قدرة الجامعة على الاحتفاظ والتصرف بالفائض المالي المتوفر لديها نهاية السنة المالية، مما يسهل عملية المساءلة وتقويم الأداء للوحدات الادارية والاكاديمية في الجامعة. فضلا عن ذلك فان تطبيق الموازنة التعاقدية يوفر حافزا لتقليص النفقات غير الضرورية او التي يمكن تجنبها على العكس مما هو الحال في ظل الموازنات التقليدية التي تدفع الادارات إلى صرف جميع ارصدة التخصيصات قبل نهاية كل سنة لتجنب عودتها إلى خزينة الدولة.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:

١- إن تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية في الجامعة يتطلب التخلي عن الالتزام بالتخصيصات الواردة في الموازنة العامة للدولة والعمل على إعداد موازنة خاصة بالجامعة تتناسب مع مصادر تمويلها الجديدة، والتي تعتمد على المنح الحكومية الدراسية والبحثية، فضلاً عن مصادر التمويل الذاتي الاخرى.

٢- يتطلب تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية وجود قوانين وأنظمة وتعليمات جديدة بخصوص صلاحيات الصرف بشكل يتلاءم مع الموازنة التعاقدية.

٣- ان تطبيق الموازنة التعاقدية قد يساهم بشكل ملموس في تحسين مؤشرات الأداء المالي لجامعة الكوفة بالمقارنة مع الموازنة التقليدية المعتمدة حاليا. إذ تشير نتائج الدراسة إلى انخفاض مؤشرات التكلفة ولجميع كليات الجامعات وبرامجها. ومن جانب اخر شهدت مؤشرات الربحية ارتفاعاً ملحوظا بعد تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية، ويرجع سبب هذا التفاوت أساسا إلى تقليص التكاليف الإجمالية للكليات وبنسب غير متساوية لأن تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية يستهدف تحديد التكاليف الحقيقة وليس التكاليف الفعلية للأنشطة.

٤- ان لأسلوب الموازنة التعاقدية دوراً كبيراً في ترشيد الانفاق في الجامعة، مما يؤدي إلى تقليل كلفة الطالب الواحد وزيادة ربحية الطالب الواحد حسب كل برنامج دراسي، ويترتب على ذلك اقتران هدف تحسين الأداء المالي وتعزيز فاعلية الانشطة التعليمة في الجامعات الحكومية مع تعزيز الصلاحيات المالية لتلك الجامعات بالشكل الذي يسهم في الارتقاء بأدائها.

٥- ان تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية يعطي للجامعة صلاحيات في الاحتفاظ والتصرف بالفائض المالي المتوفر لديها نهاية السنة المالية للاستفادة منه في الفترات اللاحقة، مما يسهل عملية المساءلة وتقويم الأداء للوحدات الادارية والاكاديمية في الجامعة.

التوصيات:

١- ضرورة العمل على تعديل وتحديث التشريعات والقوانين والأنظمة والتعليمات المالية والمحاسبية والرقابية وبما يتلاءم مع طبيعة التحسينات المقترحة لتطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية.

٢- ضرورة العمل على تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية في إعداد الموازنة العامة للوحدات الحكومية بدلا من أسلوب الموازنة التقليدية المتبع حاليا. إذ إن أسلوب الموازنة التعاقدية سيساعد الوحدات الحكومية في القيام بالمهام الخاصة بها وتحقيق الرقابة المالية والادارية، فضلا عن امكانية ترشيد الانفاق العام وتعزيز الأداء المالي لها.

٣- ضرورة السعي في تحقيق الاستقلال المالي للجامعات العراقية عند تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية. إذ إن الاستقلال المالي يمكن الجامعات من تحديد الرسوم الدراسية، وتجميع الاحتياطات وترحيل التمويل الحكومي الفائض، واقتراض الأموال، واستثمار الأموال في الأصول (سواء المالية أو المادية)، وامتلاك الأراضي والمباني وبيعها، وتقديم خدمات تعاقدية. وأن الاستقلال المالي للجامعات سيمكنها من تحديد الموازنات التي تتلاءم مع أهدافها وخططها وبرامجها.

٤- يدعو الباحث إلى ضرورة إعداد هيكلاً تنظيمياً جديد للجامعة بشكلٍ يتلاءم مع العمل الرقابي ويمنع من تداخل المسؤوليات والمهام وعلى ان يكون متوافقا مع متطلبات أسلوب الموازنة التعاقدية.

٥- الحاجة إلى تحديد مجموعة من المؤشرات الخاصة بتقويم الأداء سواء من الجانب المالي أو غير المالي من أجل التعرف على كفاءة وفاعلية وجودة اداء الجامعة وبما يتناسب مع اساليب تقويم الأداء الحديثة المتبعة في الجامعات العالمية الرصينة.

المراجع:

اولا: المراجع العربية:

١-سلوم ، حسن عبد الكريم ، المهايني ،محمد خالد (٢٠٠٧). الموازنة العامة للدولة بين الإعداد والتنفيذ والرقابة ، مجلة الادارة والاقتصاد ، عدد ٦٤.

٢-دليل تنفيذ العقود الحكومية في العراق (٢٠١٤). الإطار القانوني للتعاقد في القطاع العام.

٣-جدوع ، ياسر حامد عباس (٢٠١٥). مدى امكانية تطبيق أسلوب الموازنة التعاقدية في إعداد الموازنة الاردنية. رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والاعمال، جامعة جدارا ، الاردن.

٤-غنام ، فريد أحمد عبد الحافظ (٢٠٠٦). إطار مقترح لإعداد وتطبيق موازنة البرامج والأداء في فلسطين. رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التجارة ، الجامعة الإسلامية – غزة.

٥-الخاقاني، ميثم مالك (٢٠٠٥). الافصاح في النظام المحاسبي الحكومي: دراسة مقارنة لعينة من الدول. رسالة ماجستير، جامعة بغداد.

٦-سلمان ، عامر محمد وياسين ، سناء احمد (٢٠١٦). إطار مقترح لتطبيق موازنة البرامج والأداء في بيئة الوحدات الحكومية العراقية ، مجلة العلوم الاقتصادية والادارة ، المجلد ٢٢، العدد ٩٢، ص: ٤٩٠-٥١٧.

ثانيا: المراجع الإنكليزية:

١- Robinson, Marc, (٢٠٠٠). Contract Budgeting, Public Administration Vol. ٧٨, No. ١, p. ٧٥-٩٠.

٢- The Council of the city of New York (٢٠١٧). Report of the Finance Division on the Fiscal ٢٠١٨ Preliminary Budget and the Fiscal ٢٠١٧ Preliminary Mayor's Management Report for the Department of Cultural Affairs.

٣- Loevinsohn, Benjamin (٢٠٠٨). Performance based contracting for health service in developing countries. The International Bank for Reconstruction and Development / The World Bank, Washington DC.

دلالة ألفاظ الزيادة في القرآن الكريم

أ.م.د. مريم عبد الحسين التميمي
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

سمما لا شك فيه إن الألفاظ القرآنية تشتمل على مضامين خاصة عالية لا يتضمنها كتاب غير القرآن الكريم، ولأجل تسليط الضوء على دلالات تلك الألفاظ، قامت دراسات الألفاظ القرآنية التي من خلالها يتم التعرف على بعض الغايات والمقاصد الإلهية من وراء استعمال لفظة معينة في مكان ما من النص القرآني، وما هذا البحث إلا محاولة من تلكم المحاولات. فلقد حاول في مبحثين تسبقهما مقدمة أن يبين أثر الاستعمال القرآني في تحويل بعض دلالات الكلمات من الدلالة اللغوية المركزية إلى مسار دلالي آخر، فدرس لفظ الزيادة واتساعه الدلالي في المبحث الأول، وتقلبه بين الحقيقة والمجاز في المبحث الثاني، وقد خرج بنتائج في هذا المجال.

المبحث الأول: التوسع الدلالي في ألفاظ الزيادة:

يعد تعميم الدلالة من نتائج التطور الدلالي الطبيعية فكما يصيب الدلالة التخصيص يصيبها التعميم أيضا ((غير أن تعميم الدلالات أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها، واقل أثرا في تطور الدلالات وتغيريها)) [١] في اللغات، وكذلك في القرآن الكريم.

((وينحصر التعميم في إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله))[٢] ـ ويفسر بعضهم ((توسيع المعنى على انه نتيجة إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ: فالطفل الذي يستخدم كلمة ((عم)) مع كل رجل قد اسقط الملامح التمييزية للفظ كالقرابة واكتفى بملمحي الذكورة والبلوغ)) [٣]، وذلك لقصور المحصول اللغوي لدى الأطفال وقلة تجاربهم مع الألفاظ[٤]. لذا فالتعميم أندر من التخصيص لأنه يفتقر إلى الدقة والتحديد في دلالة الألفاظ سوى بعض الحالات التي تقترن بقرائن لفظية أو مقامية أو حالية ((ومن هذا التعميم تحويل الإعلام إلى صفات، فالعلم (قيصر) قد يطلق ويراد منه العظيم الطاغية

و(حاتم) الكريم المضياف))[٥]. ففي مثل حالات التعميم هذه ينصرف الذهن إلى المدح أو الذم أو التهكم كما أن التعميم يندر في القرآن الكريم. ومثال ذلك: قوله تعالى: ((وزاده بسطة في العلم والجسم.....)) البقرة:

زاده: بمعنى وسع الله عليه بالخير وزاد فيما عنده[٦]

وزاده أيضا بمعنى ((أعطاه الله من العلم والجسم قدرا يزيد على ما أعطى أهل زمانه))[٧]. ((وقد يكون المعنى أعطاه الله سبحانه وتعالى من العلم والجسم قدرا يزيد على ما أعطى أهل زمانه من السعة والتفضل))[٨]

((وهو إشارة إلى اتساع وجود الإنسان في أنوار العلم والقوة، أي أن الإنسان بالعلم والحكمة والقوة الجسمية الكافية يزداد سعة في وجوده))[٩].

وبهذا توسعت دلالة الفعل زاد لأن الاستعمال القرآني نقل دلالته من الزيادة المادية إلى الزيادة المعنوية في العلم والحكمة وبذلك صارت دلالته على الزيادة في وجود الإنسان نفسه فضلا عن دلالته على إعطاء الصفات الخاصة التي تؤهل الإنسان لتسلم القيادة التي يجب توافرها في كل ملك أو قائد[١٠].

وكذلك قوله تعالى: ((لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)) ق: ٣٥.

مزيد: الاستكثار من الشيء والزيادة فيه يقال (عند الله المزيد من النعيم)[١١].

وقيل أن معنى مزيد: ((الزيادة على ما يشاءون من جنس ما يشتهون فإذا شاءوا رزقا أعطوا منه أكثر مما شاءوا وأفضل وأعجب[١٢].

أي زيادة في كرامتهم عند الله، وزيد في إكرامهم بان لهم ما يشاءون ما لم يروه حين الدخول، وبأن الله سبحانه وتعالى وعدهم بالمزيد من لدنه[١٣].

مما تقدم نلاحظ أن القرآن الكريم وسع دلالة لفظة (مزيد) بإضافة معنى إبدال الزيادة بالخيرات بالزيادة في الكرامة إلى دلالته الأولية وبهذا انتقلت الزيادة من المادية إلى المعنوية.

قوله تعالى: ((وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)) البقرة: ١٩٧.

الزاد: هو الطعام الذي يتخذ للسفر[١٤].

((الزاد: هو المذخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت، والتزود: اخذ الزاد))[١٥]

وتزود: اتخذ زادا[١٦]. وقالوا كذلك انه ((كل من انتقل معه بخير من عمل أو كسب فقد تزود))[١٧]. أو ((تزودوا بالأعمال الصالحة))[١٨]. وقال بعضهم ((تزودوا لسفر الدنيا بالطعام وتزودوا لسفر الآخرة بالتقوى فان خير الزاد التقوى))[١٩].

وهناك من فصل في معنى الزاد، وقالوا أن الإنسان له سفران: سفر في الدنيا، وسفر من الدنيا، فالسفر في الدنيا لابد له من زاد، وهو الطعام والشراب والمركب والمال، والسفر من الدنيا لابد فيه أيضا من زاد، وهو معرفة الله ومحبته والإعراض عما سواه[٢٠]، وهذا الزاد خير من الزاد الأول لوجوه.

منها: أن زاد الدنيا يخلصك من عذاب موهوم، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب متيقن. ومنها: أن زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم. ومنها: أن زاد الدنيا يوصلك إلى منصة الشهوة والنفس، وزاد الآخرة يوصلك إلى عتبة الجلال والقدس[٢١].

وقيل أن خير الزاد لهذا السفر هو التقوى ، أي فعل الطاعات وترك المعاصي ، وترك ما يوجب سخط الله تعالى، والتقوى هي الارتباط الوثيق مع مالك الدنيا والآخرة[٢٢]. وبذلك نجد معنى الزاد اللغوي هو الطعام والشراب الذي يتخذ للسفر ومعناه في الاستعمال القرآني هو معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، لأن زاد الدنيا يخلص الإنسان من عذاب موهوم وزاد الآخرة يخلصه من عذاب متيقن. وبهذا توسعت دلالة الفعل زاد.

قوله تعالى: ((إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم.....) آل عمران: ٠٩٠

ازداد: ازداد الأمر صعوبة، وزاد على الشيء ضعفه [٢٣].

وقيل: أن الذين ازدادوا كفرا، هم اليهود الذين كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن [٢٤].

ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت، وعداوتهم له، ونقضهم ميثاقه، وفتنتهم للمؤمنين، وصدهم عن الإيمان به، وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم نتربص بمحمد ريب المنون [٢٥].

وقيل أيضا: ((ازدادوا كفرا، معناه كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرا إلى كفرهم))[٢٦]. وقد اختلفوا فيما يزداد به الكفر، والضابط أن المرتد يكون فاعلا للزيادة بان يقيم ويصر فيكون الإصرار كالزيادة، وقد يكون فاعلا للزيادة بان يضم إلى ذلك الكفر كفرا آخر، لأن أهل الكتاب كانوا مؤمنين بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث، ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه في كل وقت، وإنكارهم لكل معجزة تظهر [٢٧].

أي أن تكرار المعاصي يؤدي إلى الزيادة في الكفر، لأن الكفر بحد ذاته لا زيادة ولا نقصان فيه بل هو إنكار وعدم استجابة لأوامر الله سبحانه والانتهاء عن نواهيه، إنما الزيادة تقع حينما ينغمس الإنسان في المعاصي ويقوم بعملها مرة بعد مرة مع الإصرار عليها.

وبهذا توسعت دلالة الفعل ازدادوا، لأن هذه المعاني المذكورة تدل على التكرار وان القرآن الكريم سمى تكرار الكفر بالزيادة والازدياد.

قوله تعالى: ((ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله)) النور: ٣٨.

يزيد : بمعنى زاده الله خيرا ووسع عليه وزاد فيما عنده [٢٨].

وقيل: أن معنى (ويزيدهم من فضله)) ((يوسع عليهم بأنه تعالى يجزيهم بأحسن الأعمال ولا يقتصر على قدر استحقاقهم بل يزيدهم من فضله من التضعيف))[٢٩]

وقيل أيضا ((ويزيدهم من فضله)) أي، ((يعطيهم من فضله الذي لا حدود الله ولا قيود))[٣٠]

وقيل أيضا بأن الزيادة من فضله هي زيادة اجر الرهبان أن آمنوا بمحمد (ص) حينما تبلغهم دعوته، أو هي زيادة فضل الصلاة في المساجد إن كان المراد بالبيوت مساجد الإسلام [٣١]

وبهذا توسعت دلالة الفعل (يزيد) لأنه دل على مضاعفة الأجر وإعطاء الأجر أكثر من الاستحقاق وهذا ليس في أصل معناه اللغوي فضلا عن زيادة الفضل في الدنيا، وهذا يشير إلى الزيادة الدنيوية والآخروية.

قوله تعالى: ((وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)) البقرة: ٥٨.

نريد بمعنى الزيادة والزيادة بمعنى النمو وهي خلاف النقصان[٣٢]، ((وهو الاستحقاق من الثواب تفضلا ، وقيل أن المراد به أن يزيدهم الإحسان على ما سلف من الإحسان بإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام))[٣٣]

اذن فمعنى (سنزيد المحسنين، وعد بالزيادة من خيري الدنيا والآخرة))[٣٤]

فالزيادة الموعودة يمكن أن تكون من منافع الدنيا وان تكون من منافع الدين.

أما الاحتمال الأول: وهو أن تكون من منافع الدنيا فالمعنى أن من كان محسنا بهذه الطاعة فانا تزيده سعة في الدنيا وتفتح عليه قرى غير هذه القرية، والمقصود بالقرية هنا (بيت المقدس)[٣٥]

وأما الاحتمال الثاني، وهو أن تكون من منافع الآخرة فالمعنى إن من كان محسنا بهذه الطاعة والتوبة فانا نغفر له خطاياه ونزيده على غفران الذنوب إعطاء الثواب الجزيل كما قال تعالى ((للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)) أي نجازيهم بالإحسان إحسانا وزيادة [٣٦]. ((وسنزيد المحسنين)) أي، ((إن المحسنين سينالون المزيد من الأجر فضلا عن غفران الخطايا)) [٣٧]

وبهذا توسعت دلالة الفعل (سنزيد) لأن معنى الزيادة في هذا الفعل تتضمن النعمة بفتح القرية (بيت المقدس) والجزاء يوم القيامة بغفران الذنوب والتجاوز عن السيئات أي الإثابة في الدنيا والآخرة .

قوله تعالى: ((وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا.....) الأنفال: ٢.

زادتهم: ((الزيادة خلاف النقصان والمزيد من كل شيء الاستكثار منه والزيادة فيه))[٣٨] . وقيل: أن معنى ((زادتهم آياته))، زادتهم تبصرة ويقينا على يقين، وزادتهم تصديقا مع تصديقهم، بما انزل الله إليهم قبل ذلك وكل ما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم[٣٩]. أي أن قلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده ايمانا، وما ينتهي به إلى الاطمئنان، وان إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده ايمانا، فان القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه الإيقاعات[٤٠]. وقيل: أن زيادة الإيمان هو قوة اليقين في نفس المؤمن، وإعادة النظر فيها، ودفع الشك العارض للنفس، فتلك القوة هي المعبر عنها بالزيادة[٤١].

وبهذا نجد أن الفعل (زاد) قد تغيرت دلالته وذلك بحسب ما سبقه من حرف أو أداة أو بحسب نسبته إلى الألفاظ المختلفة فنجده هنا قد تغيرت دلالته إلى التوسع بعد أن نسب إلى الإيمان وذلك لأنه أصبح يعني القوة التي تحمي إيمان المؤمن وتحصنه ضد الشك وذلك بإعمال نظره في آيات الله التي تدفع عنه السقوط في مهاوي (وساوس) النفس وغيرها .

قوله تعالى: ((من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه)) الشورى: ٢٠

نزد: بمعنى ((زاده الله خيرا وزاد فيما عنده))[٤٢]. وقيل: أن معنى (نزد له في حرثه)، ((أي تعطيه بالحسنة عشرا إلى ما شئنا من الزيادة على ذلك، ومن عمل للدنيا دون الآخرة أعطيناه نصيبا من الدنيا دون الآخرة))[٤٣].

وبذلك نجد أن الاستعمال القرآني أعطى الزيادة معنى جديدا فقد حددها بالمضاعفة عشر مرات في موضع وأشار بهذا اللفظ إلى المجازاة على العمل ومضاعفة الثواب.

وقيل: أيضا نجازيه بعمله ونضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحدة عشرة ونزيد على ذلك ما نشاء[٤٤].

وهذا معنى ثان للزيادة وهو أكثر من العشرة، وان الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده جميعا ويرزقهم على حسب مشيئته وقد شاء في من أراد الآخرة وعمل لها أن يرزقه ويزيد عليه ومن أراد الدنيا وعمل لها أن يؤتيه منها وما له في الآخرة من نصيب[٤٥] .

ومن خلال ما تقدم تلحظ أن للفعل زاد في الآية المتقدمة أكثر من دلالة ومعنى فمرة يعبر القرآن بهذا الفعل عن المضاعفة عشر مرات، ومرة يعبر به عن مضاعفة الأجر أكثر من عشر مرات إلى ما شاء عطاءه الجزيل أن يصل، ومرة يعبر به عن الأجر في الآخرة والعطاء في الدنيا فمن كل ما تقدم نلاحظ أن دلالة الفعل زاد قد توسعت لتدل على جميع المعاني المتقدمة مجتمعة والله أعلم.

قوله تعالى: ((والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقواهم)) محمد: ١٧.

زادهم: ((أصل يدل على الفضل))[٤٦]

وزاد – زيدا، وزيادة: نما وكثر، وزاد فيه وتجاوز ما ينبغي))[٤٧] وقيل: أن ((زادهم)) بمعنى ((زادهم الله، أو زادتهم قراءة القرآن، أو النبي (ص) (هدى)) [٤٨] أي وسع الله عليهم بالإيمان والبداية حتى أوصلهم إلى التقوى التي هي أشمل وأوسع درجات الإيمان وأعلاها.

وقيل: أيضا ((زادهم استهزاء المنافقين إيمانا وظلما وبصيرة وتصديقا لنبيهم (ص)))[٤٩]

وقيل أيضا أنهم كانوا مهتدين فزادهم على الاهتداء هدى حتى ارتقوا من درجة المهتدين إلى درجة الهادين

ويحتمل أن يكون قوله ((زادهم هدى)) إشارة إلى العلم، وأفاد من ذلك أنهم ازداد علمهم [٥٠]

وأن من معاني الزيادة في الهدى هي شرح الصدر للإيمان ورسوخه فيه والتمتع بالحصانة التي تمكن الإنسان في مخالفة هواه فضلا عن تضمن الفعل معنى توسيع علمهم [٥١]

وبذلك توسعت دلالة الفعل (زاد).

قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)) يونس: ٢٦. الزيادة: ((هي ما زاد على الشيء)) [٥٢] أي ((أن ينضم إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخرمن نفسه، يقال زدته فازداد))[٥٣]

((والزيادة: هي على ما يعقله الإنسان من الفضل الإلهي))[٥٤].

وقيل: أيضا إن الزيادة هي النظرة إلى وجه الله، إشارة إلى إنعام وأحوال لا يمكن تصورها في الدنيا [٥٥]

وهناك من فصل في معنى الزيادة وعدد لذلك أوجه منها: إن الزيادة هي التفضل على قدر الاستحقاق على طاعاتهم من الثواب أو هي المضاعفة المذكورة في قوله ((فله عشر أمثالها))

وهو قول منقول عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة [٥٦].

ومنها: الزيادة هي ما أعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم عليها في الآخرة وهو منقول عن أبي جعفر الباقر (ع)[٥٧].

ومنها: عن علي (ع) قيل: ((إن الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب وقيل: أيضا إن الزيادة هي ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا))[٥٨].

فكل هذه المعاني المتقدمة تعد معان ثانوية موسعة لمعنى الزيادة، حيث توسع المعنى لتوسع دلالته في كل ما سبق.

المبحث الثاني: ألفاظ الزيادة بين الحقيقة والمجاز:

١- الفاظ الزيادة الحقيقية

الحقيقة : عرف ابن جني (٣٩٢هـ) الحقيقة بأنها : (ما أقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة)[٥٩]

وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : (فالحقيقة الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير)[٦٠]

كما سنلحظ ذلك في النصوص القرآنية

قوله تعالى (قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) الفرقان : ٦٠

زاد بمعنى زاده الله خيراً ووسع عليه وزاده فيما عنده [٦١]

((وزادهم نفوراً)) معناه عندما رأى المشركون رسول الله (ص) يسجد تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين ،فزادهم سجوده نفوراً [٦٢]

وقيل ايضًا ((وزادهم نفورًا)) ،((أي زادهم ذكر الرحمن تباعدًا عن الايمان ،والمعنى انهم ازدادوا عند ذلك نفورًا عن الحق وقبول قول النبي (ص)))[٦٣]

فالزيادة هنا حقيقية ((فأسند زيادة النفور الى القول لأنه سبب تلك الزيادة فهم كانوا اصحاب نفور من سجوده لله سبحانه وتعالى فلما أمروا بالسجود للرحمن زادوا بعدًا عن الايمان))[٦٤]

قوله تعالى : ((ولا تزد الظالمين الا ظلالا)) نوح : ٢٤

تزد:((الزيادة خلاف النقصان والمزيد من كل شيء الاستكثار منه والزيادة فيه))[٦٥]

((ولا تزد الظالمين الا ظلالا)) أي هلاكا ، وقيل الا فتنة بالمال والولد ،وقيل الا ذهابا عن الجنة والثواب ، وقال اخرون لا تزدهم الا منعا عن الطاعات عقوبة لهم على كفرهم فأنهم اذا اضلوا استحقوا

منع الالطاف التي تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها ويتمثلون ولا يجوز ان يفعل بهم الظلال عن الحق والايمان [٦٦]

وقيل : انه دعاء من نوح (ع) على الظالمين بالضلال والمراد به الضلال مجازاة دون الضلال الابتدائي فهو دعاء منه ان يجازيهم الله بكفرهم وفسقهم فضلا عن دعائه عليهم بالهلاك [٦٧]

فالزيادة هنا حقيقية ، لأن هذا الدعاء انبعث من قلب جاهد طويلا وعانى كثيرا، وانتهى يعد كل وسيلة اتبعها لهدايتهم الى اقتناع بأن لا خير في القلوب الظالمة الباغية العاتية ، التي لا تستحق الهدى ولا تستأهل النجاة [٦٨]

قوله تعالى: ((ولا تزد الظالمين إلا تباراً)) نوح:٢٨

تزد: بمعنى الزيادة والزيادة النمو وهي خلاف النقصان[٦٩].

((ولا تزد الظالمين إلا تبارا)) أي هلاكا ودمارا وقال أهل التحقيق دعا نوح (ع) دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فاهلك من كان منهم على وجه الأرض ونرجو أن يستجيب أيضا دعوته للمؤمنين فيغفر لهم[٧٠]. ((والظاهر أن المراد بالتبار ما يوجب عذاب الآخرة وهو الضلال وهلاك الدنيا بالفرق))[٧١].

وقيل: التبار الهلاك والخسار، وهو تخصيص للظالمين من قومه بسؤال استئصالهم بعد أن شملهم وغيرهم بعموم قوله ((لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)) حرصا على سلامة المجتمع الإنساني من شوائب المفاسد وتطهيره من العناصر الخبيثة[٧٢].

فالزيادة هنا حقيقية لأن التبار ليس من الزيادة المدعو بنفيها فانه أراد أن لا يزدهم الله سبحانه وتعالى من الأموال والأولاد لأن في زيادة ذلك لهم قوة على أذى المؤمنين[٧٣].

قوله تعالى: ((لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا.....)) التوبة: ٤٧.

زاد: بمعنى زاده الله خيرا ووسع عليه وزاد فيما عنده[٧٤].

((ما زادوكم إلا خبالا)) معناه لو خرج هؤلاء المنافقون مع المسلمين إلى الجهاد ما زادوهم بخروجهم إلا شرا وفسادا، وقيل غدرا ومكرا وقيل عجزا وجبنا، أي إنهم كانوا يجبنوهم عن لقاء العدو بتهويل الأمر عليهم [٧٥]

وقيل: ما زاد المنافقون المسلمين قوة بخروجهم بل زادوهم اضطرابا وفوضى. ولأسرعوا بينهم بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذيل[٧٦].

فكأنه قيل: ما زادوكم شيئا إلا خبالا. والخبال، الفساد والشر [٧٧]. فالزيادة هنا حقيقية لأن الفساد هو الذي يوجب اختلاف الرأي وهو من أعظم الأمور التي يجب الاحتراز عنها في الحروب لأن عند حصول الاختلاف في الرأي يحصل الانهزام

والانكسار على أسهل الوجوه[٧٨].

٢ – آيات الفاظ الزيادة المجازية

المجاز: المجاز لغة من ((جزت الطريق، وجاز الموضع جوزا، ومجازا، وجازه، سار فيه وسلكه، والمجاز والمجازة: الموضع)) [٧٩].

وعند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) من: ((جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز المكان الذي وضع به أولا)[٨٠] .

أما الأصل الاصطلاحي: فنجده فيما وضعه أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

فقال: ان المجاز هو ((دلالة على جميع الصور البيانية تارة، أو على المعنى المقابل للحقيقة تارة أخرى، بل على معالم الصور الفنية المستخلصة من اقتران الألفاظ بالمعاني))[٨١].

أما عند ابن جني فالمجاز هو ما يقابل الحقيقة: ((الحقيقة ما اقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك))[٨٢].

ويرى السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) أن المجاز : ((الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع))[٨٣]

يبدو أن هناك علاقة بين استعمال المجاز لغة واستعماله اصطلاحا فكما يستطيع الإنسان الانتقال من موضع إلى موضع آخر فكذلك الكلمة تستطيع أن تتخطى حدودها من موقع إلى آخر مع إرادة المعنى الجديد بقرينة تدل على ذلك، وهو ما يسمى اليوم بالانزياح، أي انزياح المعنى إلى دلالة أخرى[٨٤].

ويتناول المجاز عملية تطوير اللفظ المنقول، وحمله على المعنى المستحدث بما لا يستوعبه اللفظ نفسه[٨٥].

كما سنلحظ ذلك في النصوص القرآنية.

قوله تعالى: ((فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير)) هود: ٦٣ تزيد: ((الزيادة خلاف النقصان والمزيد من كل شيء الاستكثار منه والزيادة فيه))[٨٦]. ((فما تزيدونني غير تخسير)) أي ما تزيدونني بقولكم" أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا" غير نسبتي إياكم إلى الخسارة [٨٧].

وقيل: ((المعنى ما تزيدونني إلا بصيرة في خسارتكم))[٨٨] .

وقيل: ((معناه أن أجبتكم إلى ما تدعوني إليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران))[٨٩]، أي إذا اتبعهم فيما هم عليه من الكفر الذي يدعونه إليه لم يزداد إلا خسرانا في الدين فيصير من الهالكين الخاسرين[٩٠]

أي فما دعائكم اياي الا سعي في خسراني، الزيادة هنا مجازية لأن المراد بها حدوث حال لم يكن موجودا لأن ذلك زيادة احوال الانسان أي فما يحدث لي ان اتبعتكم وعصيت الله الا الخسران[٩١]

قوله تعالى: (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتًا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) فاطر : ٣٩.

يزيد : بمعنى الزيادة والزيادة النمو وهي خلاف النقصان [٩٢].

((ولا يزيد الكافرين عند ربهم إلا مقنا)) إي شد البغض

((ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا)) ((اي خسرانًا وهلاكًا))[٩٣].

وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار .

وهو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله (ص)، فمن كفر منهم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسارة الاخرة [٩٤].

أي أن كفرهم يورث لهم مقتًا عند ربهم والمقت شدة البغض لأن فيه اعراضا عن عبوديته واستهانة بساحته، ويورث لهم خسارا في انفسهم لانهم بدلوا السعادة الإنسانية شقاء، ووبالا سيصيبهم في مسيرهم ومنقلبهم الى دار الجزاء [٩٥]

لأن الخسار من تبعات تبديل الإيمان كفرًا والسعادة شقاء وهو امر من عند انفسهم واما المقت وشدة البغض فمن عند الله سبحانه وتعالى [٩٦].

فالزيادة هنا مجازية لأن الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيد إلا المقت، ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا يفيدهم إلا الخسارة، لان العمر كرأس مال من اشترى به رضا الله ربح، ومن اشترى به سخطه خسر [٩٧]

والخسار: مصدر خسر مثل الخسارة ،وهو: نقصان التجارة ، وهذا معنى جديد واستعير هنا لخيبة العمل ،فشبه عملهم في الكفر بعمل التاجر الخاسر، فالزيادة هنا غير حقيقة لأنه كلما ازداد بيعا ازدادت خسارته حتى تفضي به إلى الإفلاس [٩٨]

قوله تعالى: ((فلما جاءهم نذيرٌ ما زادهم إلا نفورا)) فاطر: ٤

زاد: ((أصل يدل على الفضل))[٩٩]. ، و((زاد – زيدا وزيادة نما وكثر، وزاد فيه وتجاوز ما ينبغي))[١٠٠]

((ما زادهم إلا نفورا...)) بمعنى لما جاءهم الرسول (ص) ما زادهم شيئا وإنما زادهم نفورا، فالزيادة هنا بمعنى التغيير، والاستثناء تأكيد للشيء بما يشبه ضده فالمعنى لم يزدهم شيئا وحالهم نفسها[١٠١]

((ما زادهم)) إسناد مجازي، لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه، أي استكبارا وعلوا في الأرض، أي بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله (ص) والمؤمنين[١٠٢]

فالزيادة هنا مجازية لأنهم صاروا أضل مما كانوا يقولون نحن سنكون أهدى[١٠٣].

فالزيادة هنا بمعنى النقصان من الخير لأن الرسول أو مجيئه إليهم ليس هو ما يزيدهم، ولكنه سبب تقوية نفورهم أو استمرار نفورهم[١٠٤].

قوله تعالى: ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)) الإسراء: ٨٢.

يزيد: بمعنى الزيادة والزيادة النمو وهي خلاف النقصان[١٠٥].

أي بمعنى: كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين، يزدادون به إيمانا، ويستصلحون به دينهم، ولا يزداد به الكافرون ((إلا خسارا)) أي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم[١٠٦] . وقيل: معناه إنهم لا يزدادون به إلا خسارا أي يخسرون الثواب ويستحقون العقاب لكفرهم به وتركهم التدبر له والتفكر فيه، أي أن القرآن يظهر خبث سرائرهم وما يأتمرون به من الكيد والمكر للنبي (ص) فيفتضحون بذلك[١٠٧] . فالزيادة هنا مجازية، لأن الخسار هو النقص في رأس المال فللكفار رأس مال بحسب الأصل وهو الدين الفطري الذي تلهم به نفوسهم الساذجة ثم أنهم بكفرهم بالله وآياته خسروا فيه ونقصوا [١٠٨]. لأن كل آية من آيات القرآن من أمره ونهيه ومواضعه وقصصه ووعده ووعيده، مشتملة على هدي وصلاح حال المؤمنين الذين يتبعونه . ومشتملة بضد ذلك على ما يزيد غيظ المستمرين على الظلم، فيزدادون بالغيظ كراهية للقرآن، ويزدادون بذلك خسارة بزيادة آثامهم[١٠٩] .

قوله تعالى: ((واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً)) نوح: ٢١.

يزد: ((الزيادة خلاف النقصان والمزيد من كل شيء الاستكثار منه والزيادة فيه))[١١٠].

وقيل: ((إن معناه اتبع الفقراء والسفلة الرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والأولاد إلا هلاكا في الدنيا وعقوبة في الآخرة))[١١١]. لأن المال والأولاد وإن كانا من جملة المنافع في الدنيا إلا إنهما لما صارا سببا للخسارة في الآخرة فكأنما صارا محض الخسار[١١٢].

وقيل: أيضا قد أغراهم المال والولد بالضلال والإضلال، فلم يكن وراءهما إلا الشقاء والخسران[١١٣].

فالزيادة هنا مجازية، لأنهم اتبعوا أهل الأموال والأولاد التي لم تزدهم تلك الأموال والأولاد إلا خسارا، لأنهم استعملوها في تأييد الكفر والفساد فزادتهم خسارا إذ لو لم تكن لهم أموال ولا أولاد لكانوا اقل ارتكابا للفساد [١١٤].

قوله تعالى: ((ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا)) الإسراء: ٦٠.

يزيد: بمعنى زاده الله خيرا ووسع عليه وزاد فيما عنده [١١٥].

((فما يزيدهم...)) أي ذلك التخويف والرهبان بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نرسل من الآيات ((إلا طغيانا كبيرا)) أي عتوا في الكفر عظيما وتماديا في الغي كبيرا لأنهم لا يرجعون عن ذلك[١١٦].

والمعنى نخوف الناس بالموعظة والبيان أو بالآيات المخوفة التي هي دون الآيات المهلكة المبيدة، فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا أي إنهم لا يخافون من تخويفنا حتى ينتهوا عما هم عليه بل يجيبوننا بالطغيان الكبير فهم يبالغون في طغيانهم ويفرطون في عنادهم مع الحق[١١٧]

فالزيادة هنا مجازية، لأنها خرجت من الإنذار إلى زيادة الاعتبار وهذا يدل على قسوة قلوبهم وتماديهم في الغي والطغيان[١١٨].

وقيل: هذه زيادة في تسلية النبي (ص) حتى لا يأسف من أن الله لم يرهم آيات، لأن النبي (ص) حريص على إيمانهم، فان الله سبحانه وتعالى خوفهم بالقحط والجوع حتى رأوا الدخان بين السماء والأرض فسألوا الله فكشفه فقال تعالى ((إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون)) فذلك وغيره من التخويف الذي سبق لم يزدهم إلا طغيانا[١١٩].

الخاتمة:

في هذه الكلمة الختامية، يمكن تقرير عدد من النتائج التي توصل إليها البحث، التي سأكتفي بعرض ملخص لأهمها:

١- من خلال دراستنا وتتبعنا لألفاظ الزيادة في القرآن الكريم وجدنا أن الاستعمال القرآني وسع دلالة كثير من ألفاظ الزيادة وبذلك نقلها من نطاق الدلالة المعجمية الضيقة إلى رحاب الدلالات الاصطلاحية.

٢- استعمل القرآن بعض ألفاظ الزيادة استعمالا حقيقيا، وأكثر الألفاظ التي استعملت حقيقية هي لفظة (تزد) كما في قوله تعالى: ((ولا تزد الظالمين إلا تباراً)) نوح: ٢٨

٣- استعمل القرآن بعض ألفاظ الزيادة استعمالا مجازيا، وأكثر الألفاظ استعملت مجازية هي لفظة (يزيد) في قوله تعالى: ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)) الإسراء: ٨٢. فخرجت لفظة (يزيد) في هذه الآية من المعنى الحقيقي (الزيادة) إلى المعنى المجازي (النقصان).

هذه أهم نتائج البحث وقد عرضتها بإيجاز وقد فصلت في ثنايا البحث. وأخيرا أسأل الله العزيز القدير أن يوفقنا لمرضاته وخدمة كتابه المعجز والحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

(١) دلالة الالفاظ ، ١٥٤ .

(٢) اللغة لفندريس . ٢٥٨ .

(٣) علم الدلالة ،٢٥٤ .

(٤) ينظر : دلالة الالفاظ ،١٥٤-١٥٥ .

(٥) م ن ، ١٥٥ .

(٦) ينظر : لسان العرب ،٢:١٩٩ .

(٧) مفردات الفاظ القرآن ، ٣٨٥.

(٨) م ن.

(٩) ينظر: مجمع البيان ،١و٢:٦١٣،تفسير الامثل ،٢:١٢٥،

(١٠) ينظر : مواهب الرحمن ،٤: ١٢٧.

(١١) ينظر : معجم جمهرة اللغة ، ٢ : ٢٦١ .

(١٢) ينظر : التفسير الكبير ،٢٨: ١٥٥-١٥٦، الميزان ،١٤و١٨: ٣٢٨،

(١٣) ينظر :التحرير والتنوير ،٢٦: ٣٢١-٣٢٢ .

(١٤) ينظر : لسان العرب،٢: ٤٧٣ .

(١٥) مفردات الفاظ القرآن ،٣٨٦ .

(١٦) لسان العرب ،٣ : ١٩٨ .

(١٧) معجم مقاييس اللغة ،٣: ٢٦ .

(١٨) النكت والعيون ، ١: ١٤٢ .

(١٩) بحر العلوم للسمر قندي ١: ١٦٧ .

(٢٠) ينظر : التفسير الكبير ، ١: ٤٧٣-٤٧٤ .

(٢١) م ن .

(٢٢) ينظر : مواهب الرحمن ،٣: ١٥٣-١٥٤ .

(٢٣) ينظر : اساس البلاغة ،١: ٤١٤ .

(٢٤) ينظر: تفسير الكشاف ، ١: ٣٧٤ .

(٢٥) ينظر : الكشاف ،١: ٣٧٤ .

(٢٦) تفسير مجمع البيان ،١و٢: ٧٩١ .

(٢٧) ينظر : التفسير الكبير ،٨: ١١٤ .

(٢٨) ينظر : لسان العرب ،٢: ١٩٩ .

(٢٩) التفسير الكبير ، ٢٤: ٧.

(٣٠) في ظلال القرآن ، ١٨: ٢٥٢٠-٢٥٢١ .

(٣١) ينظر : التحرير والتنوير ، ١٨: ٢٥٠ .

(٣٢) ينظر: لسان العرب ،٢ : ١٩٨ .

(٣٣) تفسير مجمع البيان ،١و٢: ٢٤٨ .

(٣٤) تفسير التحرير والتنوير ، ٢: ٥١٦ .

(٣٥) ينظر : التفسير الكبير ، ١: ١٨٧ .

(٣٦) م ن .

(٣٧) تفسير الامثل ، ١: ١٩٦ .

(٣٨) جمهرة اللغة ، ٢: ٢٦١ .

(٣٩) ينظر : تفسير مجمع البيان ، ٤: ٧٩٩، الميزان ، ٩: ٧، ١٠: ٨ .

(٤٠) ينظر : في ظلال القرآن ٩: ١٤٧٥ .

(٤١) ينظر : التفسير الكبير ،١٥ : ٩٧ ، تفسير الحرير والتنوير ، ٩: ٢٥٨-٢٥٩ .

(٤٢) لسان العرب ، ٢: ١٩٩ .

(٤٣) تلخيص البيان ، ٢١٧ .

(٤٤) ينظر : مجمع البيان ٩: ٤١ .

(٤٥) ينظر : الكشاف ، ٤ : ٢١٢ ،الميزان ، ١٨ : ١٩١ .

(٤٦) معجم مقاييس اللغة ، ٤٤٥ .

(٤٧) المعجم الوسيط ، ١: ٤١٠ .

(٤٨) تفسير مجمع البيان ، ٩ : ١٥٤ .

(٤٩) م ن .

(٥٠) ينظر : التفسير الكبير ، ٢٨ : ٥٢ .

(٥١) ينظر : التحرير والتنوير ، ٢٦: ١٠٢ .

(٥٢) المعجم الوسيط ، ١ : ٤١١ .

(٥٣) مفردات الفاظ القرآن ، ٣٨٥ .

(٥٤) الميزان ، ١٠ : ١٩٨ .

(٥٥) ينظر : مفردات الفاظ القرآن ، ٣٨٥ .

(٥٦) ينظر : مجمع البيان ، ٥ : ١٥٧-١٥٨ .

(٥٧) م ن .

(٥٨) تفسير الكشاف ، ٢ : ٣٣٠ .

(٥٩) الخصائص ، ٢: ٤٤٤ وينظر : المثل السائر ، ١: ٥٩ .

(٦٠) الصاحبي ، ١٩٧ .

(٦١) ينظر : لسان العرب ، مادة (زاد) ، ٢ : ١٩٩ .

(٦٢) ينظر : التفسير الكبير ، ٢٤ : ٩١-٩٢ .

(٦٣) تفسير مجمع البيان ، ٧ :٢٧٥ .

(٦٤) تفسير التحرير والتنوير ، ١٩ ، ٦٣ .

(٦٥) جمهرة اللغة ، ٢ : ٢٦١ .
(٦٦) ينظر : مجمع البيان ، ١٠ : ٥٤٨ .
(٦٧) ينظر : الميزان ، ٢٠ : ٢١٣ .
(٦٨) ينظر : في ظلال القرآن ، ٢٩ : ٣٧١٦ .
(٦٩) ينظر : لسان العرب ، ٢: ١٩٨ .
(٧٠) ينظر : ينظر تفسير مجمع البيان ،١٠ : ٥٤٩ .
(٧١) الميزان ، ٢٠ : ٢١٤ .
(٧٢) ينظر : التحرير والتنوير ، ٢٠ : ٢١٥ .
(٧٣) م ن .
(٧٤) ينظر :لسان العرب ، ٢ : ١٩٩ .
(٧٥) ينظر : مجمع البيان ، ٥: ٥٥ .
(٧٦) ينظر : في ظلال القرآن ، ١٠ : ١٦٦٣ .
(٧٧) ينظر : الكشاف ، ٢ : ٢٦٧-٢٦٨ .
(٧٨) ينظر : التفسير الكبير ، ١٦ : ٦٥-٦٦ .
(٧٩) لسان العرب ، مادة (جاز) ، ٥: ٣٢٦ .
(٨٠) اسرار البلاغة ، ٢٨١ .
(٨١) الحيوان ، ٥: ٢٣-٢٤ .
(٨٢) منهج الشريف الرضي في حقائق التأويل ، ١١٤ .
(٨٣) مفتاح العلوم ، ١٧٠ .
(٨٤) ينظر :منهج الشريف الرضي في حقائق التأويل ، ١١٥ .
(٨٥) م ن .
(٨٦) جمهرة اللغة ، ٢ : ٢٦١ .
(٨٧) ينظر : مجمع البيان ، ٥ : ٢٥٦ .
(٨٨) الميزان ، ١٠ : ٣٠٩ .

(٨٩) تفسير مجمع البيان ، ٥: ٢٦٥ .
(٩٠) ينظر : التفسير الكبير ، ١٨ : ١٦ .
(٩١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ : ١١٢ .
(٩٢) ينظر : لسان العرب ، ٢ : ١٩٨ .
(٩٣) مجمع البيان ، ٨ : ٦٤٢ .
(٩٤) ينظر : الكشاف ، ٣ : ٥٩٨–٥٩٩ .
(٩٥) ينظر : تفسير الميزان ، ١٧ : ٢٥ .
(٩٦) م ن .
(٩٧) ينظر : التفسير الكبير ٢٦ : ٢٩ .
(٩٨) ينظر : التحرير والتنوير ، ٢٢ : ٣٣٤ .
(٩٩) معجم مقاييس اللغة ، ٤٤٥ .
(١٠٠) المعجم الوسيط ، ١ : ٤١٠ .
(١٠١) ينظر : التحرير والتنوير، ٢٢: ٣٣٤ .
(١٠٢) ينظر: الكشاف، ٣ : ٦٠٠ .
(١٠٣) ينظر : التفسير الكبير، ٢٦: ٣٠ .
(١٠٤) ينظر : التحرير والتنوير ، ٢٢ : ٣٣٤ .
(١٠٥) ينظر : لسان العرب ، ٢ : ١٩٨ .
(١٠٦) ينظر : الكشاف ، ٢ : ٦٦٢ .
(١٠٧) ينظر : مجمع البيان ، ٥ : ٦٧٣ .
(١٠٨) ينظر : الميزان ، ١٣ و١٤ : ٧٩ .
(١٠٩) ينظر : التحرير والتنوير ، ١٥ : ١٨٩ – ١٩٠ .
(١١٠) جمهرة اللغة ، ٢ : ٢٦١ .
(١١١) مجمع البيان ، ١٠ : ٥٤٦ – ٥٤٧ .
(١١٢) ينظر : التفسير الكبير ، ٣٠ : ١٢٥ .

(١١٣) ينظر : في ظلال القرآن ، ٢٩ : ٣٧١٥ .

(١١٤) ينظر : التحرير و التنوير ، ٢٩ : ٢٠٧ .

(١١٥) ينظر : لسان العرب ، ٢ : ١٩٩ .

(١١٦) ينظر : مجمع البيان ، ٥: ٦٥٥.

(١١٧) الميزان ،١٤: ٦٠ .

(١١٨) ينظر : التفسير الكبير ، ٢٠: ١٩٠

(١١٩) ينظر : التحرير والتنوير ، ١٥: ١٤٨-١٤٩.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر:

١- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٢ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق ريثر، مكتبة المثنى، ط٢، بغداد، ١٩٧٩م.

٣- تليخص البيان في مجازات القرآن، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، مكتبة الخلاني العامة، بغداد

٤ - تهذيب التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق حسين بركة الشامي، ط١، ١٩٩٨م، مطبعة دار السلام.

٥- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت٣٢١هـ)، مكتبة المثنى، بغداد.

٦- الحيوان، أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٣م.

٧- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.

٨- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق مصطفى الشريف، بيروت، ١٩٦٤م.

٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار بيروت، ١٩٥٥م.

١١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير (ت٦٣٧ هـ)، تحقيق د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة، ط١، مكتب نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م.
١٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، ط٨، طهران.
١٣- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٩٨٦م.
١٤- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٤، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٦م.
١٥- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق د. محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
المراجع:
١٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، تحقيق محمد علي آذرشب، ج١ط٣ مؤسسة النشر الإسلامي.
١٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٢٨٤هـ)، دار سحنون، تونس.
١٨- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ٦، دار المعارف، مصر،
١٩- دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، تحقيق كمال محمد بشير، ط١، مكتبة الشباب المسيرة، ١٩٨٦م.
٢٠ - علم الدلالة السوله ومباحثه في التراث العربي)، منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العربي ،دمشق، ٢٠٠١م.
٢١- علم الدلالة، احمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، لا، الكويت، ١٩٨٢م. ٢٢- علم الدلالة، ترجمة منذر عباسى، ١٠، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م.
٢٢ - علم الدلالة ، ترجمة منذر عياشي ، ط ١ ، الكويت ، ١٩٨٢ .
٢٣- علم الدلالة العربي، فايز الداية، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
٢٤ - اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدوخلي، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي: ١٩٥٠. - فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، «٢، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٤م.
٢٥ - فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، ط٢ ، دار الفكر الحديث ، لبنان ، ١٠٦٤م .

٢٦- في ظلال القرآن، محمد قطب، ط١، دار الشروق، ١٩٧٢م ٢٧ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ
١٩٨٧م.
٢٧ – المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
٢٨ – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق ابراهيم مصطفى و غيره، ج١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،
٢٩ – مواهب الرحمن في تفسير القرآن، للسيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ط٣، مطبعة الديواني، بغداد،
١٩٨٩م.
٣٠- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة السيدة معصومة.
الرسائل الجامعية:
١- اثر أفعال الجوارح في تطوير المنهج الدلالي للعربية، مريم عبد الحسين مجبل التميمي، رسالة دكتوراه ٢٠٠٦ م ، جامعة الكوفة كلية التربية للبنات.
٢- منهج الشريف الرضي في حقائق التأويل، سلوى خضير بوهان، رسالة ماجستير، ٢٠٠٦م، جامعة الكوفة، كلية الدراسات الإسلامية.

التصنيف الائتماني لوكالة فيتش ودوره في منح القروض وجذب الودائع
دراسة تحليلية في مصرف الأهلي المتحد

أ.م.د. حيدر جواد المرشدي
الباحث مصطفى عبد الوهاب محمد
كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة

إن التطورات السريعة التي تشهدها الاسواق العالمية وحجم المعاملات الكبير كذلك حجم الصفقات التجارية، كل ذلك ادى الى توفر المزيد من الائتمان ورؤوس الأموال، وان عملية منح الائتمان تحتاج الى معلومات سريعة ودقيقة، وبما انه في الوقت الحاضر قد تعددت وتطورت انشطة المقترضين، فبذلك نلاحظ ان البيانات المالية لم تعد كافية وحدها لاتخاذ قرار الائتمان من قبل مانحي القروض في منح القرض من عدمه. حيث نجد ان هناك حاجة لسد الفجوة بين المتعاملين من حيث المعلومات ، هذا بدوره ادى الى ظهور وكالات عالمية مهمتها توفير المعلومات بشأن الوضعية الائتمانية للمقترض وتسمى بـ (وكالات التصنيف الائتماني) والتي قارب عددها حوالي اكثر من ١٥٠ وكالة تصنيف ائتماني ، ولكن من اهما ثلاث وهي وكالة مودز لخدمة المستثمرين (Moody s Investors Service)، وكالة ستاندرد اند بورز (Standard & Poor)، وكالة فيتش للتصنيف (Fitch Ratings) ، ومن هذا المنطلق اصبح موضوع التصنيف الائتماني بشكل عام والتصنيف الائتماني للمصارف بشكل خاص يحظى باهتمام واسع من قبل ذوي الاختصاص من المصرفيين والسلطات النقدية، وتقوم وكالات التصنيف الائتماني بإعطاء درجات التصنيف للمصارف حيث تعبر هذه الدرجة عن رأي وكالة التصنيف في مدى امكانية دخول المصرف في صعوبات مالية، اذ يهدف التصنيف في جوهره في الكشف عن الجدارة الائتمانية للجهة المقترضة وتحديد مدى قدرتها على الوفاء بالتزاماتها المالية عند الاستحقاق. وتعتمد وكالات التصنيف

الائتماني على مزيج من المدخلات الكمية والكيفية التحليلية لأداء المؤسسة المعنية فقد جاءت هذه الدراسة لتبين أهم المعايير والمؤشرات المعتمدة عند منح درجة التصنيف الائتماني للمصارف .

يحاول البحث الحالي تحديد دور التصنيف الائتماني، بوصفه متغيراً مستقلا في منح القروض وجذب الودائع المصرفية، اذ ان التصنيف الائتماني هو أحد الاساليب المهمة في تنفيذ التغير في المصارف، لأنه من الممكن ان يساعد المصارف على تحقيق ميزة تنافسية .

كما وتحددت مشكلة البحث عن طريق استعراض مجموعة من الحقائق الاكاديمية من اجل تحديد الفجوة المعرفية بين متغيرات البحث الرئيسية، وهي التصنيف الائتماني والودائع والقروض المصرفية، واثارة مجموعة من التساؤلات التي تستفهم حول طبيعة العلاقة بين هذه المتغيرات. وإن هدف الدراسة الحالية هو بيان العلاقة بين متغيراتها الأساسية، ولتحقيقه تم رسم المخطط الفرضي.

أولاً: أهمية البحث :

تبْرز أهميةٌ هذا البحث في تسليط الضوء على التصنيف الائتماني ، وبيان اهميته للقطاع المصرفي في ظل غياب الدراسات التي تعنى بالتصنيف الائتماني للمصارف ، وتقوم عملية التصنيف الائتماني بدورها في تعزيز الثقة بالملاءة المالية للمصارف والمؤسسات المالية، وعدم تعرضها لأخطار عالية تمس وضعها السوقي وقدرتها على الوفاء بما عليها من التزامات تجاه الدائنين، ومنهم المودعون وأصحاب الحقوق بوجه عام، ومن هنا فإن عملية التصنيف الائتماني في غاية الأهمية وخصوصاً بعد أن تزايد الإعلان عن مستويات التصنيف التي تبادر بها المؤسسات الائتمانية العالمية حتى أصبحت من المعايير المعتمدة لدى البنوك المركزية ولها انعكاساتها على علاقات المصارف في الأوساط التجارية المحلية والدولية، ومع الأهمية المتنامية للتصنيف الائتماني أصبحت المصارف تضعه في قمة اعتباراتها وتسعى إلى أن يعكس التصنيف سلامة أحوالها المالية ، بل هناك من يجعل التصنيف إحدى الوسائل الدعائية الى حد ما ولاسيما مع تزايد الحاجة الى ادوات تساعد على اتخاذ القرارات المتعلقة بالإقراض ، فضلا عن تحليل

درجة التصنيف الائتماني التي حصلت عليها المصارف عينة البحث من وكالة (فيتش) وكيفية الحصول عليها .

ثانيا: مشكلة البحث:

تعد عملية التصنيف الائتماني واحدة من اهم مؤشرات المخاطرة الائتمانية وذلك لان نتائج التصنيف توضح قدرة المقترض على الوفاء بالتزاماته المالية في الوقت المحدد ، وعند تحليل قدرة المصرف عينة البحث على الوفاء بالتزاماته نلاحظ انه حصل على درجات تصنيف مختلفة وهذه الدرجة اولدت عدة تساؤلات والتي يمكن تأطيرها من خلال التساؤلات الاتية :

١- ماهي ألية التقييم للمصارف والمتبعة من قبل وكالات التصنيف الائتماني؟

٢- هل هناك دور للتصنيف الائتماني في منح القروض وجذب الودائع؟

ثالثا: أهداف البحث:

يسّعى البحث الى تحقيقٌ الاهداف الاتيةٌ :

١. توضيح ماهية التصنيف الائتماني وأنواعه.

٢. التعرف على اهم وكالات التصنيف الائتماني العالمية .

٣. دراسة وتحليل درجات التصنيف الائتماني للمصرف عينة البحث .

٤. بيان دور التصنيف الائتماني في منح القروض وجذب الودائع .

رابعا: فرضية البحث:

إن فرضية البحث هي عبارة عن تخمينات ذكية غير مؤكدة لكنها ممكنة الاختبار ، وان البحث الحالي يتكون من فرضية رئيسة واحدة وهي " هناك دور للتصنيف الائتماني في منح القروض وجذب الودائع

خامسا: منهجية البحث

استعمل البحث الحالي المنهج الوصفي التحليلي في اختبار فرضياته من خلال دراسة الارتباط والتأثير بين المتغيرات الرئيسية ، وجمع البيانات الخاصة بعينة البحث.

كما استخدم البحث الحالي عدد من الاساليب والادوات الاحصائية و منها الآتي:

١- الارتباط باستعمال معامل ارتباط بيرسون لمتغيرات الكمية .

٢- الانحدار الخطي البسيط

٣- اختبار (f)

٤- اختبار معنوية (t)

٥- اختبار معامل التفسير او التحديد (R^2)

٦- اختبار (P)

المبحث الأول: الاسس النظرية التصنيف الائتماني:

مفهوم التصنيف الائتماني:

وضع العديد من الكتاب والباحثين في مجال التصنيف الائتماني عدة مفاهيم للتصنيف الائتماني هو تقييم الجدارة الائتمانية على اساس التوقعات او تنبؤات تستند على رأي وكالة التصنيف الائتماني لكيفية تصرف الجهة المدينة في المستقبل. (Mounayar, ٢٠٠٦:١٤) ، كما تعرف وكالة (S&P) التصنيف الائتماني بانه الدرجة التي تعبر عن رأي وكالة التصنيف الائتماني بالمقدرة المالية والرغبة في الدفع لمقابلة الالتزامات المالية بالشكل الكامل وفي الوقت المحدد (S&P,٢٠١١:١) ، وبعضهم الاخر يعبر عن التصنيف الائتماني (الجدارة الائتمانية التي يتم اعدادها على اساس التنبؤات والتوقعات (Mounayar, ٢٠٠٦:١٤).

ويعول كثيرا على درجة التصنيف الائتماني التي تمنحها وكالات التصنيف، بخاصة الحكومات والمؤسسات المالية المصرفية في توقع حدوث مخاطر عدم الدفع بناء على معايير كمية ونوعية، إذ أصبحت أسواق رأس مال حساسة لدرجات التصنيف الائتماني التي تصدرها وكالات التصنيف الائتماني، ذلك أنها تؤثر في قدرة الشركات والدول عمى الدخول إلى أسواق رأس المال الدولية والحصول على التمويل المطلوب (Piero Cinquegrana ، ٢:٢٠٠٩)،

كما و ان الهدف الرئيس للتصنيف الائتماني هو تقديم المعلومات للمستثمرين ومساعدتهم على تحديد الاحتمال النسبي لخسارة اموالهم على استثماراتهم اي ان التصنيف الائتماني يعد بمثابة مؤشر للمخاطرة الاستثمارية (Asgharian,٢٠٠٥:٢٤) .

وكالات التصنيف الائتماني

كما يمكن تعريفها على انها مؤسسات تتولى تصنيف وتنقيط خطر مؤسسة ما بقصد اعلام تلك المؤسسة الخاضعة للتصنيف، وكذلك مختلف المتعاملين والمستثمرين الذين يرغبون في شراء او تملك الاوراق المالية التي تقوم بطرحها تلك المؤسسة بمدى قدرتها على الوفاء بالتزاماتها المالية في الآجال المحددة (Ilanah Jospè et autre ،٢٠١٢: ٢٨).

ظهرت عدة وكالات تصنيف ائتماني منها المحلية والاقليمية والعالمية والتي اغلبها هي شركات مساهمة خاصة تحصل على ايراداتها من الجهات طالبة التصنيف ، واهم تلك الوكالات هي وكالة S&P (Standard &Poor) ومقرها الولايات المتحدة ، واحتكرت هذه الوكالة التصنيف الائتماني السيادي ١٢٧ حول العالم بالإضافة الى وكالة مودز لخدمة المستثمرين (Moods Investment Service) والتي تأسست عام ١٩٠٩ وقامت بالتصنيف السيادي ل١١٣ دولة فضلا عن ١٢٠٠٠ تصنيف للشركات و ٢٥٠٠٠ تصنيف لسندات المالية العامة ، والوكالة المهمة الاخرى هي وكالة فيتش (Fitch Rating) والتي تأسست عام ١٩١٣ ومقرها باريس والتي تعد الرائدة في تقديم حلول لإدارة المثال ، تستند تصنيفاتها على احتمال التخلف عن السداد في المقابل ، تستند Moody's إلى تصنيفاتها على الخسارة المتوقعة (Financial Crisis Inquiry Commission،٢٠١٠ :٤) .

و تبني وكالات التصنيف الائتماني تصنيفاتها الائتمانية على اساس عنصري المخاطرة و الأمان، وهذه تتحدد من خلال مدى قدرة الحكومة على الوفاء بالتزاماتها المالية، وقد اعتمدت وكالات التصنيف الائتماني نوعين من مستوى المخاطر الائتمانية هما درجة الاستثمار ودرجة المضاربة (Bahena, :٢ ٢٠١٠

التصنيف الائتماني للمصارف:

تمثل التصنيفات الائتمانية للمصارف حكم محللي الائتمان على قدرة المصرف على الوفاء بالتزاماته المالية، نظرًا لأن التصنيفات الائتمانية تستحوذ على جانب مهم من مخاطر الائتمان (Ping ، ٢٠١٥: ١ Lin)

خطوات التصنيف الائتماني للمصارف:

عندما يقدم المصرف طلبا لوكالة التصنيف الائتماني من أجل الحصول على درجة تصنيف ائتماني، فإن وكالة التصنيف تقوم باتباع الخطوات التالية (Fitch Ratings،٢٠١٤: ٢)

- تحليل البيئة الاقتصادية والتشغيلية للمصرف
- إعداد الاستبيان المتعلق بالمصرف
- الاجتماع بإدارة المصرف
- تحليل بيانات المصرف
- اختيار النموذج المناسب لإجراء التصنيف الائتماني
- اعداد مسودة التقرير
- اجتماع لجنة الائتمان وتحديد درجة التصنيف الائتماني
- نشر درجة التصنيف الائتماني
- اجراء التعديل على مسودة التقرير وتوزيعها على لجنة الائتمان

جدول (١) درجات التصنيف الائتماني للمصارف

درجات التصنيف الائتماني للمصارف	
A	أعلى جودة وأعلى درجة من الاستقرار المالي في المستقبل ضمن بيئة تشغيلية مستقرة ومتوقعة جدا ، المصرف قوي جدا.
B	جودة قوية ودرجة جيدة من الاستقرار المالي في المستقبل ضمن بيئة تشغيلية مستقرة ومتوقعة جدا ، المصرف قوي .
C	تصنيف مقبول ومناسب لجودة الائتمان والاستقرار المالي ضمن بيئة تشغيلية مستقرة ومتوقعة ،والمصرف في وضع مناسب .
D	تصنيف متواضع من الجودة والاستقرار المالي في المستقبل ذلك أن المصرف يملك عددا من نقاط القوة الداخلية أو الخارجية ومنها فروع مصرفية ضعيفة، أو بيانات مالية تعاني من قصور، أو بيئة تشغيلية غير مستقرة. ومن الممكن أن يحتاج المصرف إلى المساعدات الخارجية في المستقبل سواء من قبل المؤسسين أو المساهمين أو الحكومة او من جهات أجنبية.
E	تصنيف ضعيف لجودة الائتمان ولدرجة الاستقرار المالي ن المصرف لديه مخاطر مرتفعة، وهناك احتمالية حاجة المصرف الى الدعم والمساعدة الخارجية او انه سيحتاجها فعلا، ويرجع سبب ذلك الى عدة امور منها : _ فروع المصرف ضعيفة جدا _ البيانات المالية سيئة _ بيئة تشغيلية غير مستقرة .
F	وتشير الى ان المصرف قد دخل في حالة العجز عن السداد او انه سيدخل في حالة العجز اذا لم يتلق الدعم الخارجي من الحكومة او صناديق الائتمان او عملية احتواء من طرف مؤسسة مالية اخرى او تمويل من حملة الاسهم والمالكين .

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على (Fitch Ratings،٢٠٠٩: ١٦)

كما تضيف وكالة فيتش للتصنيف الائتماني (+) او (−) على يمين درجة التصنيف التي هي ادنى من A والاعلى من E للدلالة على الجودة الائتمانية للمصارف التي تقع في النهاية العليا او الدنيا لدرجة التصنيف . (Fitch Ratings،٢٠١٤: ٢٧)

معايير تصنيف المصارف حسب وكالة فيتش:

تصنيفات القدرة على الاستمرار:

يتم تعيين تصنيفات القدرة على الاستمرار استنادًا إلى عوامل تحريك التصنيف الخمسة التالية:

- ❖ البيئة التشغيلية (Operational environment)
- ❖ ملف تعريف الشركة (Company profile)
- ❖ الإدارة والاستراتيجية (Management and strategy)
- ❖ الإقبال على المخاطر (Risk appetite)
- ❖ الملف المالي (Financial file)

الملف المالي:

اولا: جودة الأصول:

ويعتمد هذا التقييم على النسب التالية:

١- مخصص القروض المشكوك في تحصيلها الى اجمالي القروض

$$\text{نسبة التغطية} = \frac{\text{القروض المشكوك في تحصيلها}}{\text{اجمالي القروض}} \times ١٠٠\%$$

جدول (٢) درجة العامل الضمنية لجودة الأصول

درجة العامل الضمنية	Aa	a	Bbb	bb	B ومادونها
Aa	١>	٣>	٦>	١٤>	١٤<
A	٠,٢٥>	٢>	٥>	١٢>	١٢<
Bbb		٠,٥>	٤>	١٠>	١٠<
Bb			٠,٧٥>	٥>	٥<
B وما دونها				١>	١<

المصدر: (Fitch Ratings،٢٠٠٩ :٣٧)

٢- نمو إجمالي القروض (%)

ويمكن احتساب هذه النسبة من خلال المعادلة الاتية :,

$$\text{نسبة النمو} = \frac{\text{السنة الحالية – السنة السابقة}}{\text{السنة السابقة}} \times ١٠٠\%$$

٣- مخصصات القروض المعدومة الى القروض المشكوك في تحصيلها

ويمكن احتساب هذه النسبة من خلال المعادلة الآتية:

$$= \frac{\text{القروض المعدومة}}{\text{المشكوك في تحصيلها}} \times ١٠٠\%$$

٤- رسوم انخفاض قيمة القروض/متوسط إجمالي القروض

ويمكن احتساب هذه النسبة من خلال المعادلة التالية :

$$\text{نسبة تكلفة المخاطر} = \frac{\text{رسوم انخفاض قيمة القروض}}{\text{متوسط اجمالي القروض}} \times ١٠٠\%$$

ثانياً : الإيرادات والربحية

ويعتمد هذا التقييم على النسب التالية :

١- الارباح التشغيلية / الاصول المرجحة بالمخاطر

يمثل البسط الربح التشغيلي قبل اقتطاع الضريبة ،اما المقام هو الاصول المرجحة بالمخاطر المبلغ عنها (Fitch Ratings،٢٠١٨:٨٥)

ويمكن احتسابها من خلال المعادلة :

$$\text{الارباح التشغيلية الى الاصول المرجحة بالمخاطر} = \frac{\text{الربح التشغيلي}}{\text{الاصول المرجحة بالمخاطر}} \times ١٠٠\%$$

جدول (٣) درجة العامل الضمنية للإيرادات والربحية

درجة العامل الضمنية	aa	a	bbb	bb	B وما دونها
Aa	٣,٧٥<	١,٥<	٠,٥<	٠,٢٥-<	٠,٢٥->
A	٤<	٢<	٠,٧٥<	٠<	٠>
Bbb		٤,٢٥<	١,٥<	٠,٢٥<	٠,٢٥>
Bb			٤,٧٥<	١,٢٥<	١,٢٥>
B وما دونها				٥<	٥>

المصدر : (Fitch Ratings،٢٠٠٩ :٣٩)

٢- صافي دخل الفوائد/ الأصول المدرة للربح

غالبًا ما يُطلق على هذه النسبة صافي هامش الفائدة. ويمثل البسط إجمالي إيرادات الفوائد إضافةً إلى توزيعات الأرباح المستلمة مطروحا منها إجمالي نفقات الفوائد، بينما يكون المقام اجمالي الأصول مطروحا منه النقد والأصول الثابتة والأصول غير الملموسة والأصول الضريبية وغيرها من الأصول غير المدرة للربح (Fitch Ratings،٢٠١٨:٨٥).

$$\text{صافي هامش الفائدة} = \frac{\text{صافي دخل الفوائد}}{\text{الاصول المدرة للربح}} \times ١٠٠\%$$

٣- نفقات غير الفوائد الى إجمالي الإيرادات:

غالبًا ما يطلق على هذا المقياس نسبة التكلفة أو الدخل. ويمثل البسط تكاليف الموظفين مضافًا إليه النفقات التي تعتبرها فيتش غير تشغيلية، ويتألف المقام من جميع الإيرادات التشغيلية. (Fitch Ratings،٢٠١٨:٨٥).

$$\text{نسبة التكلفة} = \frac{\text{نفقات غير الفوائد}}{\text{اجمالي الايرادات}} \times ١٠٠\%$$

٤- رسوم انخفاض قيمة القروض /الربح التشغيلي قبل انخفاض القيمة:

يقيس هذا المقياس مقدار أرباح المصرف التي تستهلكها رسوم انخفاض القيمة. ويمثل البسط إجمالي رسوم انخفاض القيمة من القروض، بينما يمثل المقام الربح التشغيلي (كما هو الحال في المقياس اعلاه) مطروحًا منه البسط. (Fitch Ratings،٢٠١٨:٨٥).

رسوم انخفاض قيمة القروض الى الربح التشغيلي قبل انخفاض القيمة =

رسوم انخفاض قيمة القروض

_____ ×١٠٠%

الربح التشغيلي قبل انخفاض القيمة

٥- الربح التشغيلي الى متوسط إجمالي الأصول:

هذا المقياس يشبه المقياس الاول للإيرادات والربحية، ولكن في صورة أولية ، ويمثل البسط الشيء نفسه، بينما المقام هو متوسط إجمالي الاصول، ولا يجرى أي تعديل بما يعكس مدى خطورة نشر رأس المال والتمويل . (Fitch Ratings،٢٠١٨:٨٥).

الربح التشغيلي

الربح التشغيلي الى متوسط إجمالي الأصول = _____ ×١٠٠%

متوسط اجمالي الاصول

٦- صافي الدخل الى متوسط إجمالي حقوق الملكية

يُسمى هذا المقياس عادةً العائد على حقوق الملكية. ويمكن احتساب هذه النسبة من خلال المعادلة الاتية:

صافي الدخل

العائد على حقوق الملكية = _____ ×١٠٠%

متوسط اجمالي حق الملكية

ثالثاً : رأس المال والرفع المالي

١- رأس المال الأساسي الى الاصول المرجحة بالمخاطر

وتحتسب هذه النسبة من خلال المعادلة الاتية :

رأس المال الأساسي الى الاصول المرجحة بالمخاطر = رأس المال الاساسي / الاصول المرجحة بالمخاطر ×١٠٠%

جدول (٤) درجة العامل الضمنية لرأس المال والرفع المالي

درجة العامل الضمنية	aa	a	bbb	bb	B وما دونها
aa	١٦<	١٠<	٨<	٦<	٦>
a	١٨<	١٤<	٩<	٧<	٧>
bbb		١٩<	١٣<	٨<	٨>
bb			٢٠<	١٢<	١٢>
B وما دونها				٢٢<	٢٢>

المصدر : (Fitch Ratings،٢٠٠٩ :٤٠)

٢- نسبة رأس المال التنظيمي لحقوق الملكية العادية من المستوى الأول

ويمثل البسط رأس مال حقوق الملكية العادية من المستوى الأول(CET١) والمقام يمثل الأصول المرجحة بالمخاطر. (Fitch Ratings،٢٠١٨:٨٦)

٣- حقوق الملكية العامة الى الأصول الملموسة

ويمكن احتساب هذه النسبة من خلال المعادلة الاتية:

حقوق الملكية العامة

حقوق الملكية العامة الى الأصول الملموسة = _____ ×١٠٠%

الأصول الملموسة

٤- القروض المشكوك في تحصيلها مطروحا منها مخصصات القروض المعدومة الى رأس المال الأساسي

رابعا : التمويل والسيولة:

١- القروض الى ودائع العملاء

يستثني البسط والمقام القروض والودائع لدى المصارف الأخرى واتفاقيات إعادة الشراء، ولكن يُدرج جميع القروض والودائع الأخرى .

جدول (٥) درجة العامل الضمنية للتمويل والسيولة

درجة العامل الضمنية	Aa	A	bbb	bb	B ومادونها
aa	٧٥>	١٢٥>	١٩٠>	٢٥٠>	٢٥٠<
a	٦٠>	٩٠>	١٥٠>	٢٠٠>	٢٠٠<
bbb		٥٥>	١٢٥>	١٧٠>	١٧٠<
bb			٥٠>	١٤٠>	١٤٠<
B وما دونها				٤٥>	٤٥<

المصدر : (Fitch Ratings،٢٠٠٩ :٤٢)

٢- نسبة تغطية السيولة:

ويمكن احتسابها وفق المعادلة الاتية :

أصول عالية السيولة

نسبة تغطية السيولة = _____ ×١٠٠%

التدفقات التقديرية الخارجة في فترة مدتها ٣٠ يوما

٣- ودائع العملاء الى إجمالي التمويل

ودائع العملاء

ودائع العملاء الى إجمالي التمويل = _____ ×١٠٠%

إجمالي التمويل

المصرف الاهلي المتحد:

يرجع تاريخ هذا المصرف إلى عام ١٩٤١ عندما أنشئ البنك الإمبراطوري الإيراني على يد مجموعة من المستثمرين البريطانيين. وقد كان هذا البنك امتداداً لفروع أخرى في العراق وإيران. وبعد سنتين تغير أسم البنك إلى البنك البريطاني في إيران والشرق الأوسط. وفي الخمسينيات من القرن العشرين ونتيجة لتوتر العلاقات بين بريطانيا وإيران تم تغيير أسم البنك إلى البنك البريطاني للشرق الأوسط، وفي عام ١٩٧١ تم تأميم البنك وتحويله إلى بنك الكويت والشرق الأوسط بعد سن قانون يمنع مزاولة البنوك الأجنبية للأنشطة المصرفية في الكويت. في عام ٢٠٠٨ تحول البنك للعمل بالنظام الإسلامي وصاحب ذلك تغيير أسم البنك ليصبح البنك الأهلي المتحد، وقد أتى قرار تحويل تعاملات البنك لتتوافق مع المبادئ الإسلامية السامية على غرار الاستراتيجية الحكيمة والرؤية الثاقبة التي اعتمدها المساهمون الرئيسيون. وتمّ وضعها موضع التنفيذ من قبل الإدارة التنفيذية للبنك تحت إشراف مجلس إدارتها. وهكذا، استطاع " البنك الأهلي المتحد- الكويت" ان يخطو بكل ثقة وفخر في حقل الصناعة المصرفية الإسلامية، متخطياً الحواجز والصعوبات، متصدراً المصارف الإسلامية ورائداً في زرع الثقة المتبادلة وحصاد النجاحات المشتركة، كما ويقدم مجموعة من الخدمات المصرفية الالكتروني والتي تتمثل بالاتي : (www.ahliunited.com)

✓ بوابة الدفع الإلكتروني:

- ✓ خدمة الرسائل النصية القصيرة
- ✓ الخدمة المصرفية عبر الإنترنت
- ✓ نقاط البيع
- ✓ أجهزة السحب الآلي خارج الفروع
- ✓ خدمة "حياكم" الهاتفية
- ✓ الخدمة المصرفية عبر الهواتف الذكية
- ✓ خدمة E-School
- ✓ خدمة سدد أقساطك

تحليل معايير التصنيف الائتماني للمتغير المستقل:

نبدأ اولا بتحليل معايير التصنيف للمتغيرات المستقلة وهي (جودة الاصول، التمويل والسيولة، الايرادات و الربحية، راس المال و الرفع المالي) عبر مؤشراتها الفرعية وكالاتي:

أ- جودة الاصول :

الجدول (١٥) يوضح احتساب جودة الاصول للمصرف الاهلي المتحد، وعبر مؤشراته الاربعة وهي (القروض المشكوك في تحصيلها\إجمالي القروض، نمو إجمالي القروض، مخصصات القروض المعدومة\القروض المشكوك في تحصيلها، رسوم انخفاض قيمة القروض\متوسط إجمالي القروض)، و كالاتي:

جدول (١٥) احتساب جودة الاصول للمصرف الاهلي المتحد

السنوات	المؤشرات				المتوسط الحسابي
	القروض المشكوك في تحصيلها\إجمالي	نمو إجمالي القروض	مخصصات القروض المعدومة\القروض	رسوم انخفاض قيمة القروض\متوسط	

	القروض		المشكوك في تحصيلها	إجمالي القروض	
٢٠٠٩	٥,١٩	٥,٩٨	٠,٣١	٠,٥٢	٣,٠٠٥
٢٠١٠	٣,٠١	٣,١٣	٠,٨	٠,٤١	١,٨٣٨٥
٢٠١١	٢,٨٨	٠,٤٨	٠,٠٥	١,٠٧	١,١٢٢٥
٢٠١٢	٢,٨١	-٦,٨٢٠	٠,٢٨	١,٣٣	٢,٨١٣
٢٠١٣	٣,٠٨	٢٣,٨٩	٠,١٩	١,٠٩	٧,٠٦٤٧٥
٢٠١٤	٣,١٨	١٥,٨٥	٠,٥٥	١,٩٥	٥,٣٨٧٧٥
٢٠١٥	٢,٥٣	٨,٠٥	٠,٢٠	٠,٩٧	٢,٩٤٣٥
٢٠١٦	٢,٦	٠,٩٥	٠,١٤	١,٢٦	١,٢٤٠٥
٢٠١٧	٢,٣	-١,٢٢	٠,٦٤	١,٢	٠,٧٣٠٢٥
٢٠١٨	١,٣٢	٤,٧٥	٠,٣٥	٠,٨٨	١,٨٢٧
المتوسط الحسابي	٢,٨٩	٦,٨٧	٠,٣٥٥٥	١,٠٧٢٥	
اعلى قيمة	٥,١٩	٢٣,٨٩	٠,٨	١,٩٥	
اقل قيمة	١,٣٢	-١,٢٢	٠,٠٥	٠,٤١	

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على بيانات المصرف من (٢٠٠٩-٢٠١٨)

من الجدول (١٥) يتضح ان هنالك انخفاض في نسب مؤشر القروض المشكوك في تحصيلها الى اجمالي القروض خلال مدة الدراسة اذ بلغ المتوسط (٢,٨٩) ، وقد سجل عام ٢٠٠٩ ما نسبته (٥,١٩)

و هي اعلى نسبة محققة على مدى سنوات الدراسة للمصرف الاهلي المتحد ، وسجلت انخفاضاً متكرراً من عام ٢٠١٠-٢٠١١ وبقيت في حالة تذبذب حتى عام ٢٠١٨ اذ بلغت (١,٣٢) و هي اقل نسبة محققة طيلة مدة الدراسة للمصرف الاهلي المتحد ، وهذا يدل على ان المصرف حسن من قدرته في تقليص الديون المشكوك في تحصيلها خلال مدة الدراسة ، و هو ما اثر بشكل ايجابيا في معيار القدرة على الاستمرار و بالتالي انعكس ذلك على التصنيف الجيد الذي حصل عليه المصرف ، و يتضح أيضا انه حقق وسطاً حسابياً وهو (٦,٨٧١١) في نسبة نمو اجمالي القروض، و كذلك ان هناك تذبذب في هذه النسبة خلال مدة الدراسة حيث بلغت في عام ٢٠٠٩مانسبته (٥,٩٨) اما بقية الاعوام فكان هناك تذبذب في هذه النسبة ما بين ارتفاع وانخفاض حيث سجلت عام ٢٠١٧ تراجعاً في معدل نمو القروض وذلك بنسبة (١,٢٢) ،ويعود سبب انخفاض معدل النمو خلال هذا العام لأمور تتعلق بإدارة المصرف المانح للائتمان والذي يقوم بدوره بتحليل نوع القرض وتقييم الزبائن المحتمل تعرضهم للتعثر المالي وتقييم الضمانات المتعلقة بالإقراض اما في عام ٢٠١٨ فقد عاودت النسبة بالارتفاع لتصبح بنسبة (٤,٧٥) ، اما فيما يخص مؤشر مخصص القروض المعدومة الى القروض المشكوك في تحصيلها فقد شهدت تفاوت ما بين ارتفاع و انخفاض خلال مدة الدراسة اذ سجلت اقل نسبة خلال عام ٢٠١١ ما بنسبته (٠,٠٥) واعلى نسبة خلال عام ٢٠١٢ ما بنسبته (٠,٨٠) ، و بالنسبة لمؤشر رسوم انخفاض قيمة القروض الى متوسط اجمالي القروض فقد حقق وسط حسابي وهو (١,٠٧٢٥)، و كان في حالة تذبذب ايضا خلال مدة الدراسة وقد سجلت ادنى نسبه لهذا المؤشر في عام ٢٠١٠ حيث بلغت (٠,٤١) وشهدت اعلى نسبة في عام٢٠١٤ بنسبة (١,٩٥).

ب- التمويل والسيولة:

الجدول (١٦) يوضح احتساب التمويل و السيولة للمصرف الاهلي المتحد، و عبر مؤشراته الثلاثة و هي (القروض\ ودائع العملاء، نسبة تغطية السيولة، ودائع العملاء\إجمالي التمويل) ، و كالاتي :

الجدول (١٦) احتساب التمويل والسيولة للمصرف الاهلي المتحد

السنوات	المؤشرات			المتوسط الحسابي
	القروض\ ودائع العملاء	نسبة تغطية السيولة	ودائع العملاء \إجمالي التمويل	
٢٠٠٩	٧٨,٥٣	٧٨,٠٣	٨٢,٩٨	٧٩,٨٥
٢٠١٠	٧٤,٩٢	٧١,٨٥	١١٤,٥٦	٩٤,٧٤
٢٠١١	٦٩,٩٧	٦٨,٤٢	١٧٠,٩١	١٠٣,١٠
٢٠١٢	٧٥,٢	٥٥,١١	١٥٠,٩٢	٩٣,٧٤
٢٠١٣	٧٦,٦٥	٥٩,٩١	١٤٥,٦٧	٩٤,٠٨
٢٠١٤	٧٧,٢٤	٥٦,٣١	١٣٦,٩٨	٩٠,١٨
٢٠١٥	٧٦,٧٢	٥٥,٠٨	٢٧٠,٨	١٣٤,٢٠
٢٠١٦	٨٤,٧٢	١٠١,٨٦	٦٠,١	٨٢,٢٣
٢٠١٧	٨٥,٢٩	١٠٠,٧٧	١٤٢,١٥	١٠٩,٤٠
٢٠١٨	٨٣,٧١	١٠٠,٣٩	١٣٢,٥١	١٠٥,٥٤
المتوسط الحسابي	٧٨,٣٠	٧٥,١٠	١٤٠,٧٦	
اعلى قيمة	٨٥,٢٩	١٠١,٨٦	٢٧٠,٨	
اقل قيمة	٦٩,٩٧	٥٥,٠٨	٦٠,١	

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على بيانات المصرف من (٢٠٠٩-٢٠١٨)

نلاحظ من الجدول (١٦) الذي يمثل التمويل والسيولة للمدة (٢٠٠٩-٢٠١٨) لمصرف الاهلي المتحد ان اغلب المؤشرات المذكورة في الجدول قد ارتفعت جميعها خلال عام ٢٠١٧ مقارنة مع عام ٢٠٠٩ ، وإن ارتفاع نسبة تغطية السيولة لدى المصرف يعطيه قدرة عالية للوفاء بالتزاماته تجاه المودعين في حال حدوث سحوبات كبيرة ومفاجئة، وهذا يدعم حالة الاستقرار المالي للمصرف ،حيث ارتفعت النسبة في عام ٢٠١٧ لتصبح (١٠٠,٧٧) بعد ان كانت (٧٨,٠٣) خلال عام ٢٠٠٩ ، اما نسبة ودائع العملاء الى اجمالي التمويل فقد ارتفعت من (٨٢,٩٨) في عام ٢٠٠٩ الى (١٣٢,٥١) عام ٢٠١٨ ، ويعود هذا الارتفاع الى التحسن النسبي للوضع الاقتصادي خلال عام ٢٠١٧ والذي انعكس على ارتفاع نسبة الايداعات لدى المصرف.

ت- الإيرادات والربحية:

الجدول (١٧) يوضح احتساب الايرادات و الربحية للمصرف الاهلي المتحد، وعبر مؤشراته الستة و هي (الارباح التشغيلية \ الاصول المرجحة بالمخاطر، صافي دخل الفوائد\ الأصول المدرة للربح ، نفقات غير الفوائد\إجمالي الإيرادات ، رسوم انخفاض قيمة القروض \الربح التشغيلي قبل انخفاض القيمة ، الربح التشغيلي\متوسط إجمالي الأصول ، صافي الدخل\متوسط إجمالي حقوق الملكية) ، و كالاتي :

جدول (١٧) احتساب الايرادات و الربحية لمصرف الاهلي المتحد

السنوات	المؤشرات						المتوسط
	الارباح التشغيلية \ الاصول المرجحة بالمخاطر	صافي دخل الفوائد\متوسط الأصول المدرة للربح	نفقات غير الفوائد\إجمالي الإيرادات	رسوم انخفاض قيمة القروض \الربح التشغيلي قبل انخفاض القيمة	الربح التشغيلي\متوسط إجمالي الأصول	صافي الدخل\متوسط إجمالي حقوق الملكية(%)	

٢٠٠٩	٠,٦٦	٢,٦٥	٠,٢١	٥,١١	٠,٤٢	٤,٣١	٢,٢٣
٢٠١٠	١,٤٤٥	٢,٥٢٩	٠,٢٣	٣,٩٩٢	٠,٩٧٤	٠,١٢١	١,٥٥
٢٠١١	١,٦	٢,٥١٤	٠,٢٤	٢,١٥٥	١,٠٠١	٠,٩١٥	١,٤٠
٢٠١٢	٢,٢٩٤	٢,٨٤٨	٠,٢١	١,٤٣٦	١,٤٤٤	٠,١٣٩	١,٤٠
٢٠١٣	٢,٥٦٨	٢,٦٠٣	٠,٢	٠,٩٦٩	١,٤٨	٠,١٤٤	١,٣٣
٢٠١٤	٢,٢٥٧	٢,٣٠٥	٠,٢١	٠,٢٤٤	١,٣٩	٠,١٢٤	١,٠٩
٢٠١٥	١,٧١٤	٢,٥٣٢	٠,٢	٠,١٤٢	١,٢٤٢	٠,١	٠,٩٩
٢٠١٦	١,٤٤	٢,٤٥١	٠,٢	٠,٣٠٦	٠,٩٩١	٠,٨١	١,٠٣
٢٠١٧	١,٥٩٩	٢,٩٠٨	٠,٢٢	٠,٢٦٨	١,٢٠٨	٠,٠٩٦	١,٠٥
٢٠١٨	١,٦٠٣	٢,٦٤٧	٠,٢	٠,٨٩١	١,٣٥٢	٠,١٠٥	١,١٣
المتوسط	١,٧٢	٢,٦٠	٠,٢١	١,٥٥	١,١٥	٠,٦٩	
اعلى قيمة	٢,٥٧	٢,٩١	٠,٢٤	٥,١١	١,٤٨	٤,٣١	
اقل قيمة	٠,٦٦	٢,٣١	٠,٢٠	٠,١٤	٠,٤٢	٠,١٠	

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على بيانات المصرف من (٢٠٠٩-٢٠١٨)

لقد أظهرت نسب مؤشر الايرادات والربحية خلال مدة الدراسة (٢٠٠٩- ٢٠١٨) ان المؤشر في حالة مستقرة خلال مدة الدراسة، وتبين ذلك من خلال احتساب المؤشرات الواردة في الجدول (١٧) اعلاه، ونلاحظ ان اغلب النسب قد انخفضت في عام ٢٠١٨ بالمقارنة مع عام ٢٠٠٩ وهذا مؤشر جيد بالنسبة للمصرف والذي انعكس بشكل ايجابي بالنسبة لمعيار القدرة على الاستمرار، وعند تحليل نسبة الارباح

التشغيلية الى الاصول المرجحة بالمخاطر نلاحظ ان اعلى نسبة قد سجلت في عام ٢٠١٣ وذلك ما نسبته (٢,٥٦٨) واقل نسبة هي (٠,٦٥٥) في عام ٢٠٠٩

وعند العودة الى الجدول نفسه نلاحظ ان نسبة صافي دخل الفوائد الى الاصول المدرة للربح قد سجلت ما نسبته (٢,٦٤٧) في عام ٢٠١٨ ، اما اعلى نسبة فقد سجلت في عام ٢٠١٧ وذلك بنسبة (٢,٩٠٨) .

اما مؤشر نسبة نفقات غير الفوائد الى اجمالي الايرادات فنلاحظ ان هذه النسبة في حالة تحسن خلال مدة الدراسة حيث انخفضت الى (٠,٢) في عام ٢٠١٨ بعد ان كانت (٠,٢١) في عام ٢٠٠٩ ، وعند العودة الى الجدول نلاحظ ايضا ان مؤشر نسبة رسوم انخفاض قيمة القروض الى الربح التشغيلي قبل انخفاض القيمة قد انخفضت وبشكل ملحوظ خلال المدة حيث اصبحت (٠,٨٩١) في عام ٢٠١٨ بعد ان كانت خلال عام ٢٠٠٩ بنسبة (٥,١١١) .

اما بالنسبة لمؤشر الربح التشغيلي الى متوسط اجمالي الاصول فقد كان في حالة تذبذب خلال مدة الدراسة حيث ارتفعت النسبة في عام ٢٠١٣ لتصبح (١,٤٨٠) ثم عاودت بالانخفاض وبشكل تدريجي خلال الاعوام ٢٠١٤ الى ٢٠١٧ .

كما تشير النتائج ايضا الى ان مؤشر نسبة صافي الدخل الى متوسط اجمالي حقوق الملكية هو في حالة تذبذب طفيف مع وجود انخفاض ملحوظ بين عام ٢٠٠٩ وعام ٢٠١٨ .

ث- رأس المال والرفع المالي:

الجدول (١٨) يوضح احتساب راس المال والرفع المالي للمصرف الاهلي المتحد، وعبر مؤشراته الاربعة وهي (رأس المال الأساسي \ الاصول المرجحة بالمخاطر، نسبة رأس المال التنظيمي لحقوق الملكية العادية من المستوى الأول، حقوق الملكية العامة \ الأصول الملموسة، القروض المشكوك في تحصيلها مطروحا منها مخصصات القروض المعدومة \ رأس المال الأساسي) ، و كالاتي :

جدول (١٨) احتساب راس المال و الرفع المالي للمصرف الاهلي المتحد

السنوات	المؤشرات				المتوسط
	رأس المال الأساسي \ الاصول المرجحة بالمخاطر	نسبة رأس المال التنظيمي لحقوق الملكية العادية من المستوى الأول	حقوق الملكية العامة \ الأصول الملموسة	القروض المشكوك في تحصيلها مطروحا منها مخصصات القروض المعدومة \ رأس المال الأساسي	
٢٠٠٩	١٤,٤٩	١٥,٢٦	٣,٠٥	٣٢,٧٣	١٦,٣٨
٢٠١٠	١٣,٨٦	١٦,٩٧	٣,١٨	٤,٣٨	٩,٦٠
٢٠١١	١٤,٣٨	١٨,١٨	٣,٠٦	١٩,٣٢	١٣,٧٤
٢٠١٢	١٤,٨٢	١٦,٣٨	٢,٨٩	١٤,٢٣٣	١٢,٠٨
٢٠١٣	١٥,٨٥	١٥,٨٦	٢,٠٢	٢٠,١٤٥	١٣,٤٧
٢٠١٤	١٤,٤٩	١٥,١١	٢,٥٥	١٢,٠٨٥	١١,٠٦
٢٠١٥	١٤,٠٣	١٤,٣٢	٠,٩٤	١٥,٣٥	١١,١٦
٢٠١٦	١٧,٨٦	١٧,٠٣	٥,٩	١٢,٩٣٢	١٣,٤٣
٢٠١٧	١٦,٠١	١٦,٨	٧,١٢	٨,٧٧٩	١٢,١٨
٢٠١٨	١٤,٥٢	١٥,٣٥	٤,٤١	٥,١٨٦	٩,٨٧
المتوسط	١٥,٠٣	١٦,١٣	٣,٥١	١٤,٥١	
اعلى قيمة	١٧,٨٦	١٨,١٨	٧,١٢	٣٢,٧٣	
اقل قيمة	١٣,٨٦	١٤,٣٢	٠,٩٤	٤,٣٨	

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على بيانات المصرف من (٢٠٠٩-٢٠١٨)

يوضح الجدول (١٨) تحليل مؤشرات راس المال والرفع المالي للمدة (٢٠٠٩-٢٠١٨) لمصرف الاهلي المتحد ، والنظرة الاولية تعطي دلالة واضحة على التطور الحاصل في الملاءة المالية من اجل تحسين بيئة العمل المصرفي من خلال ارتفاع نسب رأس المال المصرفي ونموها بشكل ملحوظ ، ويمكن الاستدلال على ذلك ، عند النظر الى قيم متوسط نسب مؤشر رأس المال نلاحظ ان اعلى قيمة للمتوسط بلغت (١٦,٣٨) عام ٢٠٠٩ ، وهذه النسبة تمثل ضعف الحدود المقررة بموجب مقررات لجنة بازل للرقابة المصرفية ، و ادنى قيمة للمتوسط بلغت (٩,٦٠) وهي اعلى من الحد المقرر من قبل لجنة بازل ، اما نسبة راس المالي الاساسي الى الاصول المرجحة بالمخاطر قد كانت في حالة ارتفاع خلال المدة ٢٠٠٩ -٢٠١٧ ثم عاودت الانخفاض عام ٢٠١٨ لتصبح بنسبة (١٤,٥٢) بعد ان كانت بنسبة (١٦,٠١) في عام ٢٠١٧ .

كما ان نسبة راس المال التنظيمي قد انخفضت ايضا عام ٢٠١٨ لتصبح ما نسبته (١٥,٣٥) بعد ان كانت (١٥,٢٦) خلال عام ٢٠٠٩ وهذا يدل على ان هناك انخفاضاً ملحوظاً في نسبة رأس المال التنظيمي لحقوق الملكية العادية من المستوى الاول وذلك بمقدار (١٧,٣٠).

اما فيما يخص نسبة حقوق الملكية العامة الى الاصول الملموسة فقد شهدت حالة من التذبذب خلال مدة الدراسة ابتداء من عام ٢٠٠٩ وذلك بنسبة (٣,٥) اما الاعوام ٢٠١٠-٢٠١٢ فقد كانت نسبها شبه مستقرة حيث تتراوح بنسبة (٣%) ، ثم انخفضت النسبة خلال الاعوام ٢٠١٣-٢٠١٥ لتصبح بنسبة (١%) ثم عاودت الارتفاع لتصبح خلال عام ٢٠١٨ بنسبة(٤).

كما يبين الجدول (١٨) ان نسبة القروض المشكوك في تحصيلها مطروحا منها مخصصات القروض المعدومة الى راس المال الاساسي فقد شهدت حالة من التذبذب خلال مدة الدراسة ما بين ارتفاع وانخفاض الا انها انخفضت في عام ٢٠١٨ لتصبح بنسبة (٥,١٨٦) وذلك بعد ان كانت خلال عام

٢٠٠٩ بنسبة (٣٢,٧٣) ، ويعود سبب هذا الارتفاع والانخفاض الى التغير الحاصل في نسبة القروض المتعثرة خلال مدة الدراسة .

مما تقدم يتضح ان نسب المؤشرات في حالة انخفاض خلال مدة الدراسة وهذا يدل على ان المصرف في حالة تحسن وهذا ما اثر بشكل ايجابي في معيار القدرة على الاستمرار وبالتالي انعكس ذلك على التصنيف الجيد الذي حصل عليه المصرف .

تحليل علاقات الارتباط بين متغيرات الدراسة:

تخصص هذه الفقرة باختبار فرضيات الدراسة و الخاصة بالارتباط ، اذ يتم اولا حساب قيمة الارتباط (R) وبعدها اختبار معنوية علاقة الارتباط بواسطة اختبار المعنوية (P) ، و قام الباحث باحتساب معامل ارتباط بيرسون للمتغيرات الكمية ، و ذلك عن طريق اخذ الاوساط الحسابية للمتغيرات المستقلة و كذلك المتغيرات التابعة ، وبحسب الاتي:

١- اختبار فرضيات الارتباط للمصرف الاهلي المتحد

أ-الفرضية الرئيسة الاولى : و التي تنص على :

" توجد علاقة ارتباط معنوي لجودة الاصول على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح عدم وجود علاقة ارتباط معنوية بين جودة الاصول و بين القروض لمصرف الاهلي المتحد، اذ بلغت قيمة الارتباط (٠,٠٤٢-)، وان هذه العلاقة هي علاقة غير معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اعلى من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول (٤٢) بقيمة(٠,٠٩) و من هنا نستدل على رفض الفرضية.

ب- الفرضية الرئيسة الثانية : و التي تنص على :

" توجد علاقة ارتباط معنوي للتمويل والسيولة على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد".

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح وجود علاقة ارتباط معنوية بين التمويل والسيولة وبين القروض لمصرف الاهلي المتحد، اذ بلغت قيمته الارتباط (٠,٤٠٦)، وان هذه العلاقة هي علاقة

معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اقل من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول(٤٢) بقيمة(٠,٠٢) و من هنا نستدل على قبول الفرضية.

ج- الفرضية الرئيسة الثالثة : والتي تنص على :

" توجد علاقة ارتباط معنوي للإيرادات والربحية على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد".

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح وجود علاقة ارتباط معنوية بين الايرادات و الربحية و بين القروض للمصرف الاهلي المتحد، اذ بلغت قيمته الارتباط (٠,٨٢٤-)، وان هذه العلاقة هي علاقة معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اقل من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول(٤٢) بقيمة(٠,٠٠٣) و من هنا نستدل على قبول الفرضية.

د-الفرضية الرئيسة الرابعة : و التي تنص على :

"توجد علاقة ارتباط معنوي لراس المال و الرفع المالي على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح عدم وجود علاقة ارتباط معنوية بين راس المال و الرفع المالي وبين القروض لمصرف الاهلي المتحد، اذ بلغت قيمته الارتباط (٠,٠٢)، وان هذه العلاقة هي علاقة غير معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اعلى من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول(٤٢) بقيمة(٠,٩٥) و من هنا نستدل على رفض الفرضية.

هـ- الفرضية الرئيسة الخامسة : و التي تنص على :

" توجد علاقة ارتباط معنوي لجودة الاصول على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح عدم وجود علاقة ارتباط معنوية بين جودة الاصول وبين الودائع لمصرف الاهلي المتحد ، اذ بلغت قيمته الارتباط (٠,٠٥)، وان هذه العلاقة هي علاقة غير معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اعلى من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول (٤٢) بقيمة (٠,٨٧) و من هنا نستدل على رفض الفرضية.

و- الفرضية الرئيسة السادسة : والتي تنص على :

" توجد علاقة ارتباط معنوي للتمويل والسيولة على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد".

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح وجود علاقة ارتباط معنوية بين التمويل و السيولة و بين الودائع لمصرف الاهلي المتحد ، اذ بلغت قيمته الارتباط (٠,٥١٢)، وان هذه العلاقة هي علاقة معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اقل من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول (٤٢) بقيمة(٠,٠١) و من هنا نستدل على قبول الفرضية.

ز- الفرضية الرئيسة السابعة: والتي تنص على :

" توجد علاقة ارتباط معنوي للإيرادات والربحية على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح وجود علاقة ارتباط معنوية بين جودة ل والقروض لمصرف الاهلي المتحد، اذ بلغت قيمته الارتباط (٠,٨٧٥-)، وان هذه العلاقة هي علاقة معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اقل من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول(٤٢) بقيمة(٠,٠٠١) و من هنا نستدل على قبول الفرضية.

ح- الفرضية الرئيسة الثامنة : والتي تنص على

" توجد علاقة ارتباط معنوي لراس المال والرفع المالي على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

من خلال النتائج الواردة ضمن الجدول (٤٢) يتضح عدم وجود علاقة ارتباط معنوية بين راس المال و الرفع المالي وبين الودائع لمصرف الاهلي المتحد ، اذ بلغت قيمته الارتباط (٠,٠٦)، وان هذه العلاقة هي علاقة غير معنوية بين المتغيرات تبعا لقيمة (p) التي ظهرت بمستوى معنوية اعلى من الحد المسموح و هو (٠,٠٥) اذ ظهرت بالجدول(٤٢) بقيمة(٠,٩٨) و من هنا نستدل على رفض الفرضية.

جدول (٤٢) اختبار فرضيات الارتباط لمصرف الاهلي المتحد

ت	المتغيرات	R	P	المعنوية	النتيجة
١	$y_{11} \longleftrightarrow X_{11}$	-٠,٠٤٢	٠,٠٩	غير معنوي	مرفوض
٢	$y_{11} \longleftrightarrow X_{12}$	*٠,٤٠٦	٠,٠٢	معنوي	مقبول
٣	$y_{11} \longleftrightarrow X_{13}$	**-٠,٨٢٤	٠,٠٠٣	معنوي	مقبول
٤	$y_{11} \longleftrightarrow X_{14}$	٠,٠٢٠	٠,٩٥	غير معنوي	مرفوض
٥	$y_{12} \longleftrightarrow X_{11}$	٠,٠٥	٠,٨٧	غير معنوي	مرفوض
٦	$y_{12} \longleftrightarrow X_{12}$	** ٠,٥١٢	٠,٠١	معنوي	مقبول
٧	$y_{12} \longleftrightarrow X_{13}$	** -٠,٨٧٥	٠,٠٠١	معنوي	مقبول
٨	$y_{12} \longleftrightarrow X_{14}$	٠,٠٠٦	٠,٩٨	غير معنوي	رفض

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد نتائج برنامج spss v.٢٤

(*) تعني الارتباط معنوي عند مستوى دلالة (a=٠,٠٥)

(**) تعني الارتباط معنوي عند مستوى دلالة (a=٠,٠١)

١- اختبار فرضيات التأثير لمصرف الاهلي المتحد:

أ- الفرضية الرئيسة الاولى : والتي تنص على "يوجد تأثير معنوي لجودة الاصول على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد "

ان قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اقل من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة غير معنوية و هي (٠,٠١٤).

اما قيمة (t) المحسوبة فأنها كانت غير مقبولة لأنها اقل من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (-٠,٠١٢).

ان قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني أن :

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالقروض (y) انه يتأثر عكسيا بجودة الاصول وبنسبة هي (٤,٢%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,٠٠٢) ، والتي تعني ان نسبة ما تفسرة جودة الاصول من التغير الذي يحصل بالقروض هو (٠,٢%) ، و من خلال النتائج المذكورة اعلاه يتم رفض الفرضية.

ب- الفرضية الرئيسة الثانية: "يوجد تأثير معنوي للتمويل والسيولة على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

ان قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اعلى من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة معنوية وهي (٦,٣١).

اما قيمة (t) المحسوبة فأنها كانت مقبولة لأنها اعلى من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (٢,٥١٢).

ان قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني ان :

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالقروض (y) انه يتأثر ايجابيا بالتمويل والسيولة وبنسبة هي (٤٠,٦%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,١٦٥) ، والتي تعني ان نسبة ما تفسره التمويل و السيولة من التغير الذي يحصل بالقروض هو (١٦,٥%) ، ومن خلال النتائج المذكورة يتم قبول الفرضية.

ت- الفرضية الرئيسة الثالثة: "يوجد تأثير معنوي للإيرادات والربحية على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

ان قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اعلى من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة معنوية وهي (١٦,٩٦٦).

اما قيمة (t) المحسوبة فأنها كانت مقبولة لأنها اعلى من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (-٤,١١٩).

إن قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني ان:

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالقروض (y) انه يتأثر عكسيا بالإيرادات والربحية وبنسبة هي (٨٤,٢%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,٦٨)، والتي تعني ان نسبة ما تفسره الايرادات والربحية من التغير الذي يحصل بالقروض هو (٦٨%)، ومن خلال النتائج المذكورة اعلاه يتم رفض الفرضية.

ث- الفرضية الرئيسة الرابعة: "يوجد تأثير معنوي لراس المال والرفع المالي على القروض على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

ان قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اقل من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة غير معنوية وهي (٠,٠٠٣) وهي غير معنوية.

اما قيمة (t) المحسوبة فأنها كانت غير مقبولة لأنها اقل من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (٠,٠٥٦).

ان قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني أن :

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالقروض (y) انه يتأثر براس المال والرفع المالي وبنسبة هي (٢%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,٠٠٠٤) ، والتي تعني ان نسبة ما تفسره جودة الاصول من التغير الذي يحصل بالقروض هو (٠,٠٤%) ، و من خلال النتائج المذكورة اعلاه يتم رفض الفرضية.

ج- الفرضية الرئيسة الخامسة: " يوجد تأثير معنوي لجودة الاصول على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

إن قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اقل من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة غير معنوية وهي (٠,٠٢٦).

اما قيمة (t) المحسوبة فأنها كانت غير مقبولة لأنها اقل من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (٠,١٦).

ان قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني أن :

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالودائع (y) انه يتأثر ايجابيا بجودة الاصول و بنسبة هي (٥,٧%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,٠٠٣) ، والتي تعني ان نسبة ما تفسرة جودة الاصول من التغير الذي يحصل بالودائع هو (٠,٣%) ، و من خلال النتائج المذكورة اعلاه يتم رفض الفرضية.

ح- الفرضية الرئيسة السادسة: "يوجد تأثير معنوي للتمويل والسيولة على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

ان قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اعلى من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة معنوية وهي (١١,٣٨).

اما قيمة (t) المحسوبة فأنها كانت مقبولة لأنها اعلى من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (٣,٣٧٤).

ان قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني أن :

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالودائع (y) انه يتأثر ايجابيا بالتمويل والسيولة وبنسبة هي (٥١,٢%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,٢٦٢) ، والتي تعني ان نسبة ما تفسرة التمويل و السيولة من التغير الذي يحصل بالودائع هو (٢٦,٢%) ، و من خلال النتائج المذكورة اعلاه يتم قبول الفرضية.

خ- الفرضية الرئيسة السابعة: "يوجد تأثير معنوي للإيرادات والربحية على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

ان قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اعلى من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة معنوية و هي (٢٦,٠٦٤).

اما قيمة (t) المحسوبة فأنها كانت مقبولة لأنها اعلى من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (-٥,١٠٥).

ان قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني ان :

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالودائع (y) انه يتأثر عكسيا بالإيرادات والربحية وبنسبة هي (٨٧,٥%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,٧٦٥) ، والتي تعني ان نسبة ما تفسرة الايرادات والربحية من التغير الذي يحصل بالودائع هو (٧٦,٥%) ، و من خلال النتائج المذكورة اعلاه يتم قبول الفرضية.

د- الفرضية الرئيسة الثامنة: "يوجد تأثير معنوي لراس المال والرفع المالي على الودائع على مستوى مصرف الاهلي المتحد"

ان قيمة (f) المحسوبة والتي تقيس معنوية نموذج الانحدار البسيط كانت اقل من الجدولية وهي (٤,٩٦) عند مستوى معنوية (٥%) اذ سجلت قيمة غير معنوية وهي (٠,٠٠٠٣) وهي غير معنوية.

اما قيمة (t) المحسوبة فإنها كانت غير مقبولة لأنها اقل من الجدولية وهي (٢,٢٢٨) عند مستوى معنوية (٥%) ، بقيمة هي (-٠,٠١٨).

ان قيمة المعامل المعياري للانحدار (b) تعني ان :

يظهر من معادلة الانحدار الخاصة بالودائع (y) انه يتأثر عكسيا براس المال والرفع المالي وبنسبة هي (٠,٦%)

اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,٠٠٠٠٣٦) ، والتي تعني ان نسبة ما يفسره راس المال و الرفع المالي من التغير الذي يحصل بالودائع هو (٠,٠٠٣٦%) ، و من خلال النتائج المذكورة اعلاه يتم رفض الفرضية.

جدول (٤٦) اختبار فرضيات التأثير لمصرف الاهلي المتحد

المتغير المستقل	α	β	T المحسوبة	F المحسوبة	R^2	المتغير التابع	المعنوية	النتيجة
X_{11}	٢٢٣٠٦٦٨,٧٢٤	-٠,٠٤٢	-٠,٠١٢	٠,٠١٤	٠,٠٠٢	Y_{11}	غير معنوية	رفض
X_{12}	٨٥٨٢٨٢,١٩٩	٠,٤٠٦	٢,٥١٢	٦,٣١	٠,١٦٥	Y_{11}	معنوية	قبول
X_{13}	٤٠٧٠٩٥٢,٥٣٠	-٠,٨٤٢	-٤,١١٩	١٦,٩٦٦	٠,٦٨	Y_{11}	معنوية	قبول
X_{14}	٢١٢١٥٦٢,٦٢٥	٠,٠٢	٠,٠٥٦	٠,٠٠٣	٠,٠٠٠٤	Y_{11}	غير معنوية	رفض
X_{11}	٢٧٤٧٢٨٦,٩٢٥	٠,٠٥٧	٠,١٦	٠,٠٢٦	٠,٠٠٣	Y_{12}	غير معنوية	رفض
X_{12}	٩٩٣٢٩٢,٦٧٢	٠,٥١٢	٣,٣٧٤	١١,٣٨	٠,٢٦٢	Y_{12}	معنوية	قبول
X_{13}	٤٨٩٨٨٤٩,٤٧٤	-٠,٨٧٥	-٥,١٠٥	٢٦,٠٦٤	٠,٧٦٥	Y_{12}	معنوية	قبول
X_{14}	٢٨١٨٠٤١,٣٣٧	-٠,٠٠٦	-٠,٠١٨	٠,٠٠٠٣٢	٠,٠٠٠٠٣٦	Y_{12}	غير معنوية	رفض

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS V.٢٤

- قيمة f الجدولية هي (٤,٩٦) ، اما t الجدولية هي (٢,٢٢٨).

الاستنتاجات والتوصيات:

أولا: الاستنتاجات:

١. أظهرت نتائج الاحصاء الوصفي وجود علاقة طردية ما بين التصنيف الائتماني كمتغير مستقل، والقروض والودائع المصرفية كمتغير تابع لمصرف الاهلي المتحد ..

٢. ان لمؤشر جودة الاصول، تأثير غير معنوي في مصرف الاهلي المتحد .

٣. ان لمؤشر الايرادات والربحية تأثير معنوي على القروض والودائع في مصرف الاهلي المتحد .

٤. لمؤشر التمويل والسيولة تأثير معنوي على القروض والودائع لمصرف الاهلي المتحد .

٥. لمؤشر رأس المال والرفع المالي تأثير غير معنوي على القروض والودائع لمصرف الاهلي المتحد .

التوصيات:

١. ضرورة حصول المصارف العامة والخاصة على التصنيف الائتماني من قبل وكالات التصنيف الائتماني العالمية ، من اجل تطبيق مقررات لجنة بازل ٢ ، وتحديد نقاط القوة التي تتمتع بها المصارف ونقاط الضعف التي تعاني منها.

٢. وضع قوانين وتشريعات توضح تعامل المصارف والمؤسسات مع وكالات التصنيف الائتماني العالمية ، و الحصول على درجة التصنيف الائتماني.

٣. نوصي المصارف العراقية باستخدام التصنيف الائتماني لكونه معتمداً عالمياً، والذي تقوم به وكالات تصنيف ذات مقبولية دولية .

٤. إشاعة ثقافة التصنيف الائتماني في الهيكل التنظيمي بمختلف وحداته واقسامه بالمصرف، وكذلك الاهتمام بالأداء المالي والزبائني والعمليات الداخلية مما يقوي الهيكل التنظيمي وبالتالي تحقيق الاهداف التي وضعتها ادارة المصرف.

المراجع:

a- Messages and atarih

١-An-Ping Lin ،٢٠١٥ ، Management Earnings Guidance and Future Credit Rating Agency Actions ،A Dissertation Presented in Partial Fulfillment ،ARIZONA STATE UNIVERSITY.

b- Research and reports

١- Standard & Poors " Sovereign Government Rating Methodology and Assumption " the McGraw- Hill , NY , ٢٠١١.

٢- Joyce Michel Mounayar, "Credit Risk: The Major Determinations of Credit Risk Ratings", American University of Beirut, Beirut, ٢٠٠٦,.

٣- Fitch Ratings, "Definitions of Ratings and Other Scales", Fitch Ratings, NY, ٢٠٠٩.

٤- Ratings- Definitions of Ratings and Other Forms of Opinion – Jan ٢٠١٤.

٥- Amanda J. Bahena, What Role Did Credit Rating Agencies Play in the Credit Crisis?, ٢٠١٠.

٦- The Reform of the Credit Rating Agencies: A Comparative Perspective Piero Cinquegrana ٢٠٠٩.

٧- Fitch Ratings Definitions of Ratings and Other Forms of Opinion ٢٠١٨.

النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣

أ.م.د. صبا قيس الياسري
الباحثة نور مجبل عزيز
كلية التربية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

اهتم هذا البحث بدراسة (النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣) وتضمن أربعة فصول، اختص الفصل الأول بالإطار المنهجي للبحث، وتمثل بمشكلة البحث، وهدفه وحدوده، أما المشكلة فتمثلت في التساؤل حول: ما هي النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣؟، وأما الهدف فتمثل في: تعرف النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣، فيما تناولت حدود الدراسة النصب الفنية في الجامعة الكوفة للمدة ما بين (٢٠٠٣-٢٠١٩). أما الفصل الثاني فتناول الإطار النظري للبحث، وشمل مبحثين، تناول الأول مفهوم النظام التربوي، أما المبحث الثاني فاختص بالنصب الفنية واستعراض الدراسات السابقة. اما الفصل الثالث فتناول إجراءات البحث، وتمثلت بمجتمع البحث، الذي شمل النصب الفنية في جامعة الكوفة للمدة ما بين ٢٠٠٣-٢٠١٩، وعينة البحث، التي تم اختيار الأعمال الفنية الموجودة في مجمع الكليات التابعة لجامعة الكوفة، ومنهج البحث، إذ اعتمدت الباحثتان المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى، وأداة البحث، وتم الاعتماد على ما أسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات بوصفها أداة للبحث. أما الفصل الرابع فشمل نتائج البحث، ومن ثم الاستنتاجات، والمصادر والمراجع.

الفصل الاول: الإطار المنهجي:

مشكلة البحث:

تغيرت ملامح المجتمع العراقي بعد (٢٠٠٣) وتغيرت معه النظم والسياقات في كل انشطة المجتمع وليس النشاط الفني فقط، ولكن التغيير الذي اصاب الجانب الفني وخاصة مجال فن النحت المتجلي في النصب

الفنية– موضوع الدراسة – تحديداً، فالإنتاج الفني يُعد موضوعا رمزيا حاملا للقيمة الجمالية ومرتبطاً بالمجتمع، والمجال الفني يقدم من خلال الشكل للعناصر المتمثلة والفاعلة قيمتها، وللوصول الى دراسة دقيقة للمجال الفني المتجلي بالنصب الفنية ضمن النظم التربوية بمؤسساتها التعليمية. تم تحديد النصب الفنية في الجامعة الكوفة مجتمع للدراسة، ومن هذا المنطلق تبلورت تساؤلات كثيرة هل للنصب الفنية في جامعة الكوفة منظومة مجتمعية تحكمها، وانتهت تساؤلات مشكلة البحث بـ((ما هي النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣؟))

أهمية البحث:

تأتي اهمية البحث الحالي من كونه يبين الدور الهام للنصب الفنية من حيث تنمية الوعي التربوي والاجتماعي والثقافي، ويلقي الضوء على واقع النصب الفنية الموجودة بعد ٢٠٠٣ في جامعة الكوفة، ويساعد في تنمية الحس الجمالي، واشباع حاجة الانسان الداخلية للتعبير والتواصل مع الماضي والمستقبل مع الالتزام بالمعايير التربوية للبلد وتطور مفهومها (النُصب الفنية النحتية) والحفاظ عليها.

هدف البحث: تعرف النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣.

حدود البحث: النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣، في المبنى الرئيسي الذي يحوي رئاسة جامعة الكوفة، للمدة من (٢٠٠٣–٢٠١٩).

مصطلحات البحث:

النظم التربوية: اصطلاحاً:

يعرفه الخوالدة بأنه: "أحد الانظمة الفرعية العاملة في الكيان الاجتماعي وهو الجهاز المسؤول عن السياسة التعليمية، وتنظيمها وادارتها وتنفيذ اجراءاتها وتطويرها، حتى يتمكن من اشباع الحاجات التعليمية المطلوبة للمجتمع والتكيف مع مستجداتها التي تفرضها التغيرات الاجتماعية والثقافية. وهو نظام مركب من مكونات ثلاثة هي: المدخلات والعمليات والمخرجات، وان احكام العلاقة بين هذه المكونات مسألة في غاية الاهمية لإنجاح النظام التربوي وتحقيق اهدافه"[١].

النظم التربوية اجرائيا:

هي جزء من النظم المكونة للمجتمع الانساني والمسؤولة عن استجابة التعليم وتكيفه مع التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية بعد ٢٠٠٣، فضلا عن تكوين الفرد وتحسين سلوكه في بيئته الاجتماعية.

النصب الفنية: اصطلاحاً:

ويعرف: "النصب التذكاري أو النصب الفني أو التماثيل أو المنحوتات المقوسة هي نصبت لإحياء ذكرى شخص أو حدث تاريخي، في معظم الأحيان تكون على شكل مهر أو اعمدة أو مسلة أو مباني أو تلة اصطناعية أو الصخرة الطبيعية"[٢].

التعريف الاجرائي:

النصب الفنية: هي اعمال نحتية مجسمة وبارزة بخامات متعددة ذات فكرة معينة سواء اكانت تاريخية او اجتماعية او سياسية او تربوية وغيرها، تحمل رسالة بصرية تشكيلية تقدم الى افراد المجتمع، يتم تنصيبها في الاماكن العامة والشوارع والساحات والمؤسسات التربوية والسياحية، اما الدراسة الحالية فهي معنية بما ينصب في جامعة الكوفة من اعمال نحتية.

الفصل الثاني: الإطار النظري للبحث:

المبحث الأول: مفهوم النظام التربوي:

التربية ضرورة من ضروريات الحياة الانسانية، اذ منذ ان بدأ الانسان يعيش ضمن جماعات اصبح لكل تجمع اسلوب عيش يختلف عن غيره، يضم قيم ونظم ومعتقدات، فاكتسبت الجماعات نمط عيش تحاول الحفاظ عليه، ونتيجة لهذا الاختلاف في طريقة العلاقات الاجتماعية للمجتمعات تعددت الآراء حول مفهوم التربية وعملية التكيف مع الجماعة والمجتمعات المحيطة، وتشمل عناصر اجتماعية وطبيعية، والتراث المتراكم عبر الاجيال[٣]، فللتربية القدرة على التغيير لذلك فهي" عملية احداث تغيّر مرغوب فيه في سلوك الافراد وفي احوال المجتمع"[٤]، لذا تهدف التربية الى تقويم حياة الفرد ومساعدته على تحديد

وجهتها ومغزاها، وهناك نوعان من التربية: الاول هو التربية النظامية التي يخطط لها وتقدم في إطار مؤسسي، وخاصة في المعاهد والجامعات، أما التربية غير النظامية التي تكتسب على نحو عملي غير منظم في إطار الوسط الأسري والبيئة الاجتماعية والطبيعية، كما تسهم الممارسات الاجتماعية والاقتصادية والمدنية والدينية في تربية الفرد وفي تحديد مصيره[٥]، فيمثل المجتمع الوعاء الذي يتضمن التربية، اذ ان التربية تتأثر بالمجتمع، لذا من الضروري دراسة المجتمع ونظمه وقيمه وثقافته الخارجية، بمعنى ان التربية تعمل في ضوء نظام اجتماعي يختاره مجتمع معين لتحقيق اهداف محددة تعبر عن اتجاهات اجتماعية؛ لان التربية تستمد اهدافها ومناهجها من المجتمع[٦]، ويبين الشكل الاتي الاصول التي تتكون منها التربية:

اهداف المجتمع		الأصول الدينية
ظروف المجتمع		الأصول التاريخية
النظم الاجتماعية		الأصول الفلسفية
المعايير الاجتماعية	التربية	الأصول الاجتماعية
القيم		الأصول السياسية
الادوار الاجتماعية		الأصول الاقتصادية
الاتجاهات		الأصول الادارية
الرأي العام		الأصول النفسية
البيئة الجغرافية		الأصول الثقافية

الاصول المختلفة للتربية[٧] شكل (١)

ان النظم المكونة للمجتمع تنظم الحياة الاجتماعية، وتعمل على ضبط السلوك والعلاقات بين الجماعات، " فكل نظام اجتماعي يكتسب صفته من نوع النشاط، فنمط السلوك او المعايير التي ترتبط بالإنتاج او

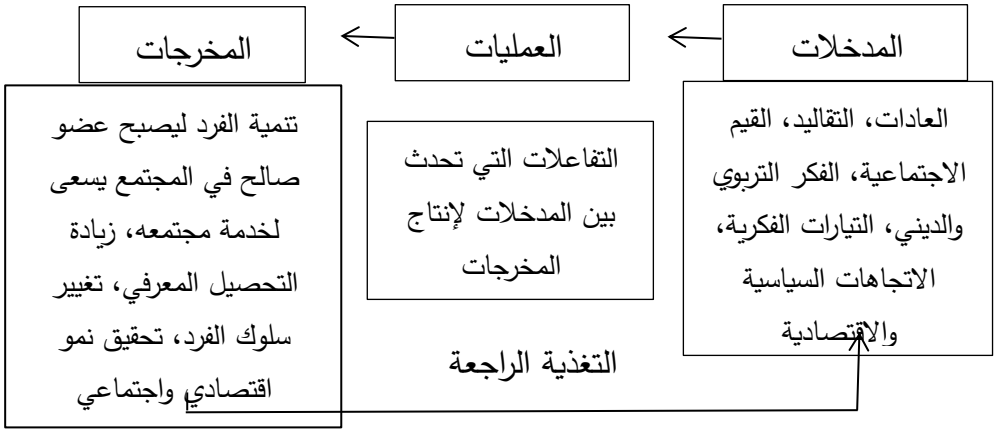
التوزيع والاستهلاك يطلق عليها النظام الاقتصادي، لأنها تنطلق من مرتكزات ثقافية مشتركة تجمعها قيم وتوجهات مشتركة في اطار المجتمع الواحد"[٨].

تؤثر النظم وتتأثر مع بعضها في الحياة الاجتماعية [٩]، فالنظام التربوي من الانظمة الاجتماعية الهامة التي يحتويها النظام الاجتماعي، وقد ارتفعت مكانة التربية حتى صارت من اهم مميزات هذا العصر لضرورتها الاجتماعية، وبما ان النظام التربوية اعم واشمل من ان يكون عملية تعليمية، لاتساع مضامينه ووسائله، وان التربية عملية مستمرة وعامة تسعى لإعداد فرد يتكيف داخل الوسط الاجتماعي تمده بالعناصر الثقافية وتزويده بإنجازات العلم والتكنولوجيا[١٠].

ان النظام التربوي يحتل مكانة مميزة بين النظم الاخرى، من خلال تنمية الانسان وثقافته وتطوير المجتمع وتزويده بالمعارف والخبرات التي تساعده من فهم الظواهر وتفسيرها، واكسابه القدرة على التفكير المنهجي، وتنمية قدراته العقلية والجسمية والانفعالية والاجتماعية، وذلك يساعد الانسان على التكيف مع المتغيرات ومواجهة المشكلات فلا بد ان يكون فاعلا ومبدعا ومؤثرا في المجتمع[١١]، ويتميز هذا النظام عن غيره من الانظمة بأنه يؤثر على افراد المجتمع وبمختلف مراحل حياتهم، كما ينشر افكار النظم الاجتماعية الاخرى وتأمين متطلبات الافراد واشباعها وتوفير الطاقات البشرية في المجتمع[١٢]، فالنظام التربوي ينتج من فلسفات تؤسس على اساسها المناهج التربوية، التي تحوي عملية التعليم مع كافة الجوانب التنظيمية، فهي مزودة بعدد من الاجراءات والعمليات متفاعلة فيما بينها، لتحقيق غايات محددة، تحددها فلسفة المجتمع والسياسة التربوية المعدة لهذه الغايات[١٣].

مكونات النظام التربوي:

يوجد في كل نظام مجموعة من المكونات هي عبارة عن مدخلات وعمليات معالجة، ومخرجات، وتغذية راجعة، وتختلف النظم في طبيعة مدخلاتها وعملياتها وطبيعة مخرجاتها ومدى الاستجابة التي تحققها النظم لهذه المدخلات[١٤]، والمخطط الاتي يبين مكونات النظام التربوي في المجتمع.



مكونات النظام التربوي/ شكل (٢)

وظائف النظام التربوي:

يساعد النظام التربوي على نقل التراث المعرفي من الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة، واكتساب الافراد منهجية تفكير واستخدام التقنيات التي من خلالها يتم انجاز الافعال بالدقة والكفاية المطلوبة[١٥]، وتزويد الافراد بالقيم والمواقف والاتجاهات والعادات وتثبيتها؛ لان التربية تعمل على تنشئة العادات مثل التفكير والعمل والعادات المرغوبة في المجتمع، وتعمل على تطوير النظم الاجتماعية الاخرى من خلال تنمية المعارف والخبرات التي تتطلبها الحياة الانسانية والتي تشترك في تشكيل النظم الاجتماعية العامة[١٦]، وخلق التكامل بين الثقافة العامة في المجتمع وبين الثقافات الفرعية داخل المجتمع، كما تساعد الفرد على انتقاء الادوار الاجتماعية والمساهمة في تعليمة كيفية ادائها، وتعد التربية مصدرا للتجديد الثقافي والاجتماعي، وحفاظ على الترابط الاجتماعي من خلال تنمية شعور الطلاب بالانتماء الاجتماعي[١٧].

المبحث الثاني: النصب الفنية:

بدأ الفن العراقي في القرن العشرين فناً ثقافياً معاصراً للفن الاوربي، واتضحت ملامحه بعد الحرب العالمية الاولى، وشهد الفن التشكيلي المعاصر موجات من التفاعل بدأت بأرسال الطلاب خارج العراق لدراسة

الفن[١٨]، مما جعل للفنانين اساليب متنوعة ورؤى فنية شخصية تتباين بين تقليدية وحديثة وغالبا ما كانت اعمالهم مستلهمة من التراث والمفردات الحضارية والبيئية العراقية [١٩]، والفنون التشكيلية العراقية غنية بالتنوع والابداع ذات مخرجات في المجالات الفنية كافة من رسم ونحت وخزف وكرافيك وفنون اسلامية وفنون تطبيقية[٢٠].

اذاً فالفنان يستلهم اعماله من بيئته المحيطة والحياة الاجتماعية، ليصبح عمله استمراراً للتقاليد الفكرية والجمالية في بلده التي تعاقبت فيه الحضارات[٢١]، وعليه اذا تفحصنا اهم النصب الفنية قبل (٢٠٠٣) سنتوقف عند اهم الافكار والفنانين، فظهرت فكرة بعث الموروث الحضاري والتأكيد على المفاهيم القومية بمعنى "ان تطور الفن في العراق لا ينفصل عن التاريخ العربي والحضارة العربية ، وان يرتبط هذا الفن ، بالواقع الذي يمتلك صلات غير محدودة بالماضي... ان تكون البداية من الواقع ، وان تكون واقعية الضمير المعبر عن الاستلاب، من اجل واقع انساني جديد"[٢٢]، كما وعبرت الاعمال الفنية عن مضمون شرقي بمعالجة حديثة ومحاولة في ايجاد التوازن بين التاريخ والموروث الحضاري وبين المعاصرة واشكالها المتنوعة[٢٣]، وعلى الرغم من المتغيرات التي رافقت المجتمع العراقي والفن التشكيلي العراقي فهناك بعض الفنانين لهم وقع كبير في حركة الفن التشكيلي قبل عام ٢٠٠٣ وبعده وخاصة في مجال النحت ومنهم محمد غني حكمت الذي كان له رصيد كبير من الاعمال الفنية وخاصة في مجال النصب الفنية ومنها: الفانوس السحري او مصباح علاء الدين سنة (٢٠١١)، ونصب بغداد، فضلا عن نصب أشعار بغداد سنة (٢٠١٢) ونصب انقاذ العراق الذي تم افتتاحه في عام (٢٠١٣) ويقع في منطقة المنصور على مقربة من ساحة الفارس العربي[٢٤].

إلا أن بعد عام (٢٠٠٣م) تراجعت الحركة الفنية مدة من الزمن لتدهور الاوضاع الامنية في عموم العراق، وهجرة بعض الفنانين خارج العراق، فأقتصر الفن على الفئة المثقفة فقط، لكن بعد ذلك مدة من الزمن انتعشت الفنون التشكيلية، لزيادة الوعي الفني والثقافي والتطور التكنولوجي الذي تعرض له الفن، فضلا عن الحرية في تناول المفردات واتساع مساحة الابداع، جعل الفنانين يستلهمون موضوعاتهم من

واقع الشعب، فبدأ الكثير منهم في تقديم الاعمال الى الجمهور مباشرةً من خلال انشاء معارض ونصب فنية في العديد من الحدائق والساحات العامة والشوارع الثقافية المشهورة، كل هذا اسهم في انتعاش الحركة الفنية في العراق، والفن في العراق عموما فهو وليد المعاناة والعنف فضلا عن القيم الدينية والاجتماعية، مما جعل الشكل الفني حامل ايديولوجي متأثر بالقيم الضاغطة شانه شان المجتمع ينمو ويتحول ويتطور ويتغير ومن اكبر الامور التي اثرت في بنى الفن التشكيلي دخول التكنولوجيا وتطور التقنيات الذي اثر اصلا على المجتمع قبل ان يؤثر على الفن[٢٥].

ما حدث بعد سنة (٢٠٠٣) لم يكن بسبب تحولات فكرية كبيرة وانقلابات اسلوبية ادت الى خلل كبير في انظمة العرض الفني والتقنيات المستعملة في ذلك، كما حدث في اوروبا بعد النهضة، بل على العكس فالأحداث الامنية والاجتماعية بعد (٢٠٠٣) ادت الى هجرة الكثير من التشكيليين خارج العراق لاسيما الاحباط الذي رافقهم اتجاه المجتمع الذي ليس لديه وعي فني، بينما فضل بعضهم البقاء ليعيش بين مسايرة التيارات الفكرية الاجتماعية حينا والتسامي على المجتمع حينا اخر، الى ان ارتقى الفن وتحدى الواقع الاجتماعي المتخلف فنيا ليقيم ثورة متحررة من كل الايديولوجيات وهيمنة الافكار الاجتماعية، ليصبح الفنان راصد ومسلط للضوء على المتغيرات الحاصلة في المجتمع، ليأخذ دور الاعلامي الناقل للحدث او المتغيرات[٢٦]. وان هذه التغيرات لها اسبابها الموضوعية المتدفقة من العلاقة الجدلية بين الفن والواقع الاجتماعي فضلا عن المؤثرات الاخرى التي لها دور بارز في هذا العصر.

يرافق تأثر الفن بالمجتمع في حالة نهوضه وفي حالة تدهوره وانحلاله، هذا اذا كان الفنّ صادقٌ؛ لان سيادة مناخ سياسي واجتماعي معين على المجتمع حتما سيؤثر على المناخ العام للفكر والفن[٢٧].

عناصر الاتصال في الاعمال الفنية:

يجب ان ينظر الى العمل الفني وخاصة النحتي بوصفه وسيلة اتصال وتعبير عن العلاقات التي ينتجها الفنان للمجتمع من خلال ادراك بعض المتغيرات التي قد لا يلاحظها الانسان العادي، فالنحات يحاول استلهام الحياة من المجتمع واعادة تشكيلها على شكل رموز او صور دالة يستقبلها المتلقي بإكمال عملية

التواصل لتحقيق الغاية التي انتجت لأجلها والتي تدعى بلغة التواصل التشكيلية[٢٨]، وان فن النحت من بين الفنون التشكيلية الذي له القدرة على نقل الافكار والاهداف والمعارف والمواقف السياسية والاجتماعية كما يؤثر على المتلقي في جميع الظروف[٢٩]، والمخطط الاتي يوضح عملية الاتصال:



مخطط (٣) تصميم الباحثتين

وظيفة النصب الفنية:

ان من اهم وظائف الفن بشكل عام والنصب الفنية بشكل خاص هو التعبير عن التحولات الحاصلة في البنية المجتمعية، والفن العراقي يعد من اكثر الميادين التي تواكب التحولات التي تحصل في البنية المجتمعية؛ لأنه اداة معبرة عن النشاطات الانسانية من خلال الفنون التي تنقل قصص الحضارات الانسانية، وتمجد السلالات التي سكنت العراق، اما في العصر الحديث ومع تأسيس الدولة العراقية اصبحت موضوعات الفنون من خلال النصب النحتية والتماثيل ترتبط بالأحداث السياسية والوطنية واحيانا نماذج تجسد القصص والاساطير لخلق المتعة والترفيه[٣٠]، والنصب الفنية تشابه في دلالتها المضامين الفكرية والجمالية التي تساهم في النهوض بالواقع الاجتماعي والانساني والقومي، اذ تتنوع مواضيعها بين اعمال فنية تفسيرية وتوضيحية وبين اعمال تأليفية واختزالية رمزية، جميعها ذات معان متنوعة ومتعددة، مما يعطيها وظائف متعددة، فتكمن اهمية النصب الفنية في حضورها وفعاليتها وتواصلها مع المتلقي، كما ان للمواد التي يتم صنع النصب منها اهمية بالغة فيجب ان تكون مواد قاسية وطويلة الديمومة، وتتمتع

بالتوازن والانسجام كما يجب ان تكون لها قواعد جيدة، تذكر بالقيم الروحية والبطولات الانسانية[٣١]، فتدور وظيفة النصب الفنية حول رمزية تحتوي دلالات متعددة، تركز على الهوية الاجتماعية يتم نقلها الى الاجيال على هيئة لغة تشكيلية يستحسنها افراد المجتمع على مر الزمن، والتي تبين الاثر الفكري للمجتمع من خلال هذه الاشكال الفنية، فالأعمال النصبية تتطلب وجود الفكرة، فضلا عن التشكيل المناسب الذي يعبر عن تلك الفكرة التي ترتبط بالمستقبل لاستمرارية بقائها، فالنصب الفنية ابداع تأريخي بإمكانها اختزال عامل الزمن من خلال قيمتها، وهذه الخصوصية التي تمتاز بها الأعمال النصبية، هي تترك نتائج بالغة الأهمية[٣٢].

اما النصب الفنية وعلاقتها بالبيئة والمحيط فان البيئة والانسان يعملان على تنظيم حياة المجتمعات، فلا بد ان نرى اثر الانسان وتفاعله مع بيئته ضمن الاساليب التي يبتكرها لترويض الطبيعة ويستغل الامكانيات التي تقدمها وتسخيرها لخدمة افراد المجتمع[٣٣]، ويرتبط ادراك السمات الفردية والاجتماعية للأعمال الفنية بنسيجها التاريخي، فان قيمة العمل الفني ليس نظاما ثابتا لا يتأثر بالتيارات المتغيرة، وانما يمكن تقديره من خلال مكانته وعدد المنتفعين به منذ نشأته الى زمنه المعاصر، ومن خلال الوضع الحاضر وبقدر ما نفكر في الافادة منه[٣٤]، وتمتاز الاعمال الفنية وخاصة النصبية بطابعها القومي والوطني والانساني، فهي تقدم الى كافة افراد المجتمع على اختلافهم من ناحية تقبل هذه الاعمال وفهمها مستواهم الثقافي ومن ناحية الذائقة الجمالية لديهم، فهي تحمل رموزاً ودلالاتٍ ذات مرجعيات تاريخية وحضارية[٣٥]، وترتبط الاعمال الفنية النصبية بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، كما انها لا تنفصل عن سلوكيات افراد المجتمع، اذ تحمل خصائص الوسط الذي تَنْشَأُ فيه، فتقترن بذائقته وتجربته الجمالية، والسياسة لها دور كبير في توجيه هذه الاعمال اعلاميا، فهي تسعى الى صياغتها حسب توجهات النظام السياسي للمجتمع، كما تؤثر الثورة الصناعية وعامل الاقتصاد في بنية هذه الاعمال[٣٦].

اما النصب الفنية وعلاقتها بالمكان "فالمكان تمثيل ضروري يشكل الاساس لجميع الادراكات الخارجية الحسية، اذ لا يمكننا تخيل انعدام المكان، ما دامت الاشياء موجودة، ولكن بالامكان تخيل مكان خال من الاشياء او الاجسام المرئية ، وهذا ما يطلق عليه بالخلاء النسبي، وعلى مستوى السياقات السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية للمكان...، فان مفهوم المكان يتباين من عصر تاريخي الى اخر"[٣٧]، وفي الفن وخاصة الاعمال النحتية يتم التركيز والكشف عن العلاقات المكانية لأدراك الصورة، فالمكان عامل جذب اذا اختير بطريقة مدروسة، لذا لا بد ان يؤخذ بنظر الاعتبار، ويجب ان يتفق مع موضوع العمل النحتي المراد نصبه والا سيفقد تأثيره؛ لانه من اساسيات نجاح العمل الفني ان يكون جزءاً من المكان والبيئة المحيطة به ويكون ذي تأثير متبادل بينهما[٣٨]، وتختلف التأثيرات المكانية للأعمال النحتية باختلاف الفضاءات سواء اكانت مفتوحة او مغلقة، فضلا عن اختلاف حجومها والوظائف والاهداف التي تؤديها والجمهور الذي تقدم له، اما البناء فيقدم جواً محيطاً بين التمثال ومحيطه المعماري نظرا لعلاقتهما الوثيقة[٣٩].

اما النصب الفنية وعلاقتها بالقاعدة والفضاء فان علاقة النصب الفنية بالقاعدة والخلفية علاقة وثيقة، فلا بد من وجود قاعدة وفضاء في الاعمال النحتية لان مثل هذه الاشياء تعطي طابعاً خاصاً للعمل النصبي وتميزه عن غيره، ولكي يحظى العمل النصبي بالنجاح والمقبولية من افراد المجتمع، لا بد من وجود علاقة تربط النصب بالقاعدة والموضوع والموقع والشكل وحتى المادة[٤٠]، اما الفضاء الذي يحيط بالنصب الفنية المعروضة في الاماكن المفتوحة يسمى بالفضاء الخارجي المفتوح، وان هذه الفضاءات تحدد الشكل العام للنصب، فالشكل والكتلة تعادل الخط الخارجي للفضاءات[٤١]، والنحات عليه ان يفكر في "حجم الاشكال وفي الفراغ وفي الضوء والظل في ارتباط وثيق ببعضها البعض . فهي جميعا جوانب من احساس الفنان بالفراغ. فالكتلة فراغ صلب، والضوء والظل هي تأثيرات الكتلة بالنسبة للفراغ وليس الفراغ الا عكس الكتلة. وهذا واضح بشكل خاص في فن البناء"[٤٢].

الدراسات السابقة ومناقشتها:

دراسة كربول (٢٠١٤) الموسومة: أثر النصب في السياق الحضري مدينة النجف الاشرف حالة دراسية.
هدفت الدراسة الى بناء اطار نظري شامل لمفهوم أبنية النصب المعاصرة، يتضمن تحديد خصائصها وأثرها في مفردات سياقها الحضري بصورة عامة، ومدى إمكانية تطبيق ذلك على مستوى المدينة المحلية (النجف الاشرف)، أما الحدود الزمانية والمكانية فكانت مدينة النجف الاشرف في الزمن المعاصر للدراسة، وقد استندت الدراسة في تحقيق هدفها الى فرضية رئيسية هي (تؤثر ابنية النصب المعاصرة في سياقها الحضري على مستوى الجزء والكل من خلال الخصائص البصرية والمعاني الدلالية والفعاليات الحضرية)، اما البحث الحالي فهدفه تعرف النظم التربوية للنصب الفنية في جامعة الكوفة بعد ٢٠٠٣.
ودراسة كربول في معالجة فرضية الهدف قسمها الى ثلاث فرضيات ثانوية، وتم اختيار مجموعة من الابنية في مدينة النجف الاشرف بعد اثبات طابعها النصبي، والتأكد من كون الابنية حديثة الانشاء ومعاصرة، تم اختيارها باستخدام اسلوب التحليل الظاهري للمفردات المستخدمة في الاطار النظري واسلوب استمارة الاستبيان التي وزعت على عينة قصدية، احتوت الدراسة في الفصل الأول على محورين: المحور الأول تناول مفهوم النصب وعلاقته بالمدينة أما المحور الثاني فتناول نظرة تاريخية في أبنية النصب، أما الفصل الثاني فأحتوى أيضاً على محورين: الأول تناول خصائص أبنية النصب المعاصرة، والمحور الثاني تناول أبنية النصب المعاصرة في السياق الحضري، اما الدراسة النظرية للبحث الحالي شملت مبحثين الاول مفهوم النظام التربوي، والمبحث الثاني النصب الفنية، اما الفصل الاجرائي ومعالجة المعلومات لدراسة كربول تم بالاعتماد على التحليل الرياضي والاحصائي من خلال استعمال برنامج المعالج الاحصائي (Microsoft Office Excel ٢٠١٠) في تحليل البيانات والحصول على النتائج الحسابية، اما الدراسة الحالية فاعتمدت ما اسفر عن الاطار النظري من منظومة مؤشرات تم اعتمادها في تحليل محتوى نماذج عينة البحث لاستخراج النتائج .
وتوصلت دراسة كربول الى عدد من النتائج اهمها: تحقيق الابنية المنتخبة صفة الطابع النصبي ضمن سياقها الحضري في المدينة لظهور حالة التطابق مع المفردات الاساسية لخصائص ابنية النصب

المعاصرة المعمارية بالإضافة الى سياقها الحضري، ووجود تشابه في خصائص السياقية لهذه الابنية بين المدينة المحلية والعالمية نتيجة اعتماد توقيعها ضمن السياق الحضري المعاصر المعتمد النظام الخطي والشبكي، ويظهر تباين عالي في الخصائص المعمارية نتيجة اختلاف المستوى الفكري والاجتماعي والامكانيات الاقتصادية للمدينتين التي تؤثر في درجة تقبل ثقافات العولمة المعاصرة المؤثرة على هذه الخصائص.

مؤشرات الإطار النظري:

١. التربية لها القدرة على احداث تغيير مرغوب في سلوك الافراد.

٢. التربية تعمل في ضوء نظام اجتماعي يختاره مجتمع معين لتحقيق اهداف محددة.

٣. تتحقق الاستمرارية في المجتمع من خلال نقل القيم والتراث الثقافي عبر مؤسساته عن طريق التربية.

٤. التربية ذات دلالة اجتماعية؛ لأنها تستمد الكثير من اهدافها ومناهجها ونظمها واساليبها واصولها من المجتمع ومن ثقافته ومشكلاته وقضاياه.

٥. فن النحت من بين الفنون التشكيلية الذي له القدرة على نقل الافكار والاهداف والمعارف والمواقف السياسية والاجتماعية بتأثيره على المتلقي والتفاعل عبر الحضارات.

٦. النصب الفنية ذات دلالات فكرية وجمالية وتواصلية.

٧. تؤثر البيئة والمحيط والفضاء في النصب الفنية.

٨. العلاقات المكانية والزمانية تحقق بتوافقها مفهوم الحركة للعمل النحتي.

٩. تنظيم عناصر التكوين الفني تحقق الرؤية الفنية لصياغة الخطاب البصري الجمالي.

١٠. المعرفة تساعد في تكوين نظام تربوي مرن يتفاعل مع البيئة المحيطة لضمان التجدد والديمومة.

١١. ان العمل الفني الكامل لا بد ان يجتمع فيه المادة والشكل والتعبير .

الفصل الثالث: إجراءات البحث:

مجتمع البحث: شمل مجتمع البحث النصب الفنية في جامعة الكوفة، للمدة ما بين ٢٠٠٣-٢٠١٩.

عينة البحث: تم اختارت الاعمال الفنية الموجودة في مجمع الكليات التابعة لجامعة الكوفة ومن خلال المسح الميداني تم تحديد مجتمع البحث كله وذلك لصغر حجم المجتمع والبالغة عدده (٢) أنموذج.

منهج الدراسة: استخدمت الباحثتان المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى لأنه الطريقة العلمية التي تحقق هدف البحث.

أداة البحث: اعتمدت الباحثتان على ما أسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات بوصفها أداة للبحث الحالي.

تحليل نماذج العينة:

أنموذج (١)

اسم العمل: نصب الطالب المتخرج

اسم الفنان: علي طالب(*)

الارتفاع: ١٩٠سم

المادة: الكونكريت

تاريخ الإنتاج: ٢٠١٥

الجامعة: الكوفة، كلية الهندسة



تم انشاء هذا النصب مقابل قسم الهندسة المدنية في كلية الهندسة، والتمثال مجسم لطالب يرتدي زي التخرج، ويحمل شهادة التخرج بيده اليسرى ا،ما حركة اليد اليمنى للطالب على الحرف الذي بجانبه فهو شبه قسم على الحفاظ على أخلاقيات مهنة الهندسة، اما الحرف C فيرمز الى الهندسة المدنية (Civil Enginerring) وسبب وجوده هنا؛ لأنه وضع امام قسم الهندسة المدنية وفي نهاية الحرف العليا توجد انابيب لتدفق المياه الى حوض النافورة التي تقع اسفل النصب في الوسط، وفي نهايته استند الى قاعدة مكعبة مكتوب عليها معلومات النصب.

شكل النموذج المجسم بكتلة واحدة بكل تفاصيله مع اظهار طيات الملابس باستعمال خطوط مرنة واستعمل الخطوط الافقية في القبعة وتظهر خطوط مقوسة في الحرف الموجود في الاسفل.



تفاصيل أنموذج (١)

عند النظر الى هذا النصب يترك تأثيرا على المتلقي من حيث شكله الخارجي ومضمونه على اهمية التفوق ومواصلة التعلم وخدمة المجتمع بأمانة من خلال قسمه، فهنا اعطى وظيفة اجتماعية تربوية تخدم المجتمع، كما يحقق هذا النصب من خلال طرحه موضوعة الاستمرار ومواصلة العمل بالعلم الذي اكتسبه فيظهر لديه حافز التغيير نحو الافضل مع اكساب الفرد سلوكيات قادرة على التطوير، ومن خلال تقديم احد القدمين يشير هنا الى الدلالة على الحركة والاقدام، كما يحمل نصب الطالب دلالة القسم على

خدمة الفرد والمجتمع، ويمثل هذا النصب حلقة تواصلية بين الطلاب المتلقين اذ يسعى الى التعريف بالمستقبل ونتاج اجتهادهم وتفوقهم.

بما ان العمل أنشئ في كلية الهندسة فهو يحمل رموزا هندسية مناسبة لبيئة المكان اذ وضع امام قسم الهندسة المدنية، اما الفضاء فيحظى بأهمية جمالية اذ يندمج مع الفضاءات العمرانية المتمثلة بكلية الهندسة وكونه موجودا في ساحاتها يمثل فضاءً مفتوحا، اما موضوعة الطالب لا تنتمي الى ثقافة معينة او تراث او حضارة معينة انما هي صفة يتصف بها كل طالب علم باختلاف اصوله و نظمه الاجتماعية والتربوية.

أنموذج (٢)

اسم العمل: مدونة البناء

اسم الفنان: علي طالب

الارتفاع: ٣٨٠سم

المادة: كونكريت

تاريخ الإنتاج: ٢٠١٧

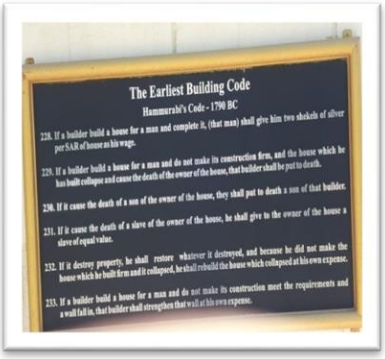
الجامعة: الكوفة/ كلية الهندسة



تم انشاء هذا النصب في ساحات كلية الهندسة، ويتألف هذا النصب من تمثال الملك حمورابي جالسا على كرسي حاملا بيده لوح طيني فيه قوانين البناء ويظهر قربه عامل وهو في وضعية البناء ينظر الى اللوح كانه يأخذ تعاليم منه، يستند الملك على قاعدة مكعبة، اما من الجهة الامامية فتتصل القاعدة مع حائط يتكئ عليه عامل البناء، اما قاعدة العامل فترتفع قليلا عن الارض وهي مستطيلة الشكل، علقت في منتصفها لوحة مكتوب عليها قوانين البناء في دولة حمورابي باللغة الانكليزية (*)، يعكس العمل محاكاة واقعية متماهية مع الموروث التاريخي، ولبيان عنصر الحركة استخدم الخطوط الحادة واللينة في الاشكال البشرية الخطوط اللينة التي تمثل طيات القماش، واستخدم الخطوط العمودية والافقية في البناء وقاعدة الشكلين في النصب(حمورابي والعامل) فاوحت الخطوط بالحركة في النصب، ارتفاع الملك حمورابي وهيمنته على المشهد وذلك لاهمية حمورابي وسلطته على الرعية التي من ضمنها العامل الذي يبدو راضخا للتنفيذ.







تفاصيل أنموذج (٢)

الرموز في النصب ذا دلالة للقوانين التي تحكم عملية هندسة البناء في الحضارة العراقية القديمة من خلال مرجعية قوانين حمورابي، فهنا يعكس العمل العادات التي تضبط سلوك الفرد، ونلاحظ من خلال ما ذكر من قوانين التغير الحاصل في النظام الاجتماعي الخاص في كل امور الحياة ومن بينها البناء، اي ان التطور في النظام الاجتماعي له تاثير في المجتمع، ومكان النصب مناسب لموضوعة العمل اذ وضع في ساحة كلية الهندسة التي تسمح بنشر رسالة العمل الى الفئة المعنية بهذه القوانين، وفيه طرح حلول للمشاكل التي من الممكن ان تحصل في المجتمع، من خلال ما يحمله هذا النصب من رسالة توجه سلوك الفرد نحو الخير، فهو يسعى الى جعل الحياة من خلال المضمون الذي يحمله اكثر تنظيما، وان حركة العامل تدعو الى البناء والعمل على وفق النظم الاجتماعية التي اقرها القانون، والذي يعكس تماهي العلاقات الفنية التكوينية مع الحدث التاريخي في صياغة العمل الفني.

الفصل الرابع: النتائج ومناقشتها:

١. تحقق بعض المنجزات الفنية تواصلا ثقافيا وناقلات للتراث عبر تناص مباشر وغير مباشر واستلهام للموروث الحضاري برؤى معاصرة من حيث تنظيم عناصر التكوين الفني لتحقق رؤية فنية في صياغة الخطاب البصري الجمالي (النموذج ٢).

٢. الفن له قدرة في اكساب الفرد سلوكيات مرغوبة وموجهة للخير وقادرة على تطوير(النموذج ١، ٢).

٣. تنوع وظائف النصب الفنية بين اجتماعية او تربوية او سياسية او القانونية لتداخل العلاقات وهيمنة نظم المجتمع(النموذج ١ ،٢).

٤. تعكس النماذج النحتية دلالات فكرية ترتبط بنظام اجتماعي في صورة القانون وهيمنته (النموذج ٢).

٥. الفضاء المعماري عنصر مهم في تشكيل هيئة النصب الفنية اذ يرتبط بالكتل والفراغات وتنظيمها عبر نسق ثلاثي الابعاد يرتكز على تنظيم واعي ومتجانس (النموذج ١ ،٢).

٦. الرسائل البصرية الموجهة في الاعمال الفنية مباشرة لا تحفز ذائقة المتلقي (النموذج١،٢).

٧. انعكس في بعض نماذج عينة البحث تناص مباشر من حضارة وادي الرافدين المتمثلة في قوانين حمورابي (النموذج ٢).

الاستنتاجات:

١. للنصب الفنية النحتية في جامعة الكوفة وظيفة ثقافية وتربوية.

٢. اغناء فضاء جامعة الكوفة بالنصب النحتية له دور في اكساب الفرد سلوك مرغوب.

٣. التأكيد على الهوية والمهارة الفنية لتنمية الذوق الفني والرؤية الجمالية لافراد المجتمع بطريقة علمية وتربوية من خلال توجيه حاسة البصر.

٤. حملت جميع النماذج رسائل مباشرة في الخطاب التربوي الاجتماعي.

٥. افتقار جامعة الكوفة الى دائرة فنية متخصصة تهتم بالجانب الجمالي والفني في المؤسسات التعليمية.

الهوامش:

(١) محمد محمود الخوالدة: مقدمة في التربية، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص١٣٠.

(٢)KRYSTYNA KUBALSKA-SULKIEWICZ (koordynator): SLOWNIK TERMINOLOGICZNY SZTUK PIEKNYCH, Wydanie Czwarte, MONIKA BIELSKA-ŁACH, ANNA MANTEUFFEL-SZAROT, Wydawnictwo Naukowe PWN, ٢٠٠٣, p٣٢٢.

(٣) نبيل عبد الهادي: علم الاجتماع التربوي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ٤٩.

(٤) ايوب دخل الله: علوم التربية تاريخها، فلسفتها، مناهجها، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥، ص١٠.

(٥) محمد معروف الدواليبي: الفرد والمجتمع في الإسلام، ط٢، مطبوعات اليونسكو(منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)، لبنان، ٢٠٠٠، ص١٣١.

(٦) رأفت عبد العزيز البوهي، واخرون: أصول التربية المعاصرة، ط١، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، ب ت، ص٨٥.

(٧) احمد علي الحاج: اصول التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٣، ص١٦.

(٨) عصام محمد منصور: المدخل الى علم الاجتماع، دار الخليج، عمان، ٢٠١٠، ص٢٠٧.

(٩) ابراهيم عيسى عثمان:مقدمة في علم الاجتماع، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان، ٢٠٠٨، ص٢٢٢.

(١٠) طلعت ابراهيم لطفي: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة المتنبي، الدمام، ٢٠١٠، ص ص١٨٤-١٨٥.

(١١) تيسير محمد الخوالدة، ماجد محمد الزيودي: النظام الاردني في الالفية الثالثة، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص١٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص١٦.

(١٣) ابراهيم هياق: اتجاهات اساتذة التعليم المتوسط نحو الاصلاح التربوي في الجزائر أساتذة متوسطات أولاد جلال وسيدي خالد نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، قسنطينة، ٢٠١١، ص٥٢.

(١٤) محمد صادق اسماعيل: ادارة الجودة الشاملة في التعليم، ط١، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ٢٠١٤، ص٨١.

(١٥) محمد محمود الخوالدة: المصدر السابق، ص١٣١.

(١٦) تيسير محمد الخوالدة، ماجد محمد الزيودي: المصدر السابق، ص٢٢.

(١٧) طلعت ابراهيم لطفي: المصدر السابق، ص١٩٠.

(١٨) رؤى علي جبر: تنوع الرؤية الاسلوبية في الرسم العراقي المعاصر، *مجلة جامعة بابل/ العلوم الانسانية*، المجلد ٢٤، العدد ٢، ٢٠١٦، (ص ص ٧٦٠-٧٨٣)، ص٧٦٨.

(١٩) شاكر حسن ال سعيد: فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق، ج١، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٣، ص ص١٥-٢٨.

(٢٠) صلاح عباس، فاطمة العبيدي التنوع والدلالة، دار الكتب والوثائق، بغداد، ٢٠١٦، ص٧.

(٢١) فتاح يوسف الخلف: مؤثرات العلاقات الهندسية في التكوين للنحت العراقي المعاصر، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٤، ص٧.

(٢٢) عادل كامل: الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق مرحلة الرواد، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٨٢.

(٢٣) شوكت الربيعي: الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ١٨٨٥-١٩٨٥، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ص٥٤- ٥٥.

(٢٤) خالد خضير الصالحي: النحت العراقي من الروح المحلية الى السلطة المادية، مجلة افكار، العدد:٣٦٥، حزيران، ٢٠١٩، عمان (ص ص ٨٧- ٩٤)، ص ص٩٠-٩١.

(٢٥) أريج سعد عدنان الهنداوي: نمذجة العنف في خطاب الابداع التصويري العراقي المعاصر(احداث العنف اثناء وبعد صيف٢٠١٤)*مجلة اكاديمي*، العدد٧٧، جامعة بغداد، ٢٠١٦،(ص ص٢١-٤٢)،ص ص٢٤-٢٥.

(٢٦) اريج سعد عدنان الهنداوي: الاحداث السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣ واثر الانتماء والوعي في التشكيل العراقي المعاصر، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٣، ص ص١٢-١٤.

(٢٧) رمضان الصباغ: جماليات الفن الاطار الاخلاقي والاجتماعي، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٣، ص١٨٥.

(٢٨) وليد عبدالله نوري البدري: الرؤى الجمالية لنصب فنية مقترحة في مدينة بغداد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٥، ص٣٠.

(٢٩) قاسم حسين علي الغريري: فن النحت بين التقليد والحداثة، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣، ص١٤٥.

(٣٠) علي عزيز محسن: التشويه البصري وانعكاساته على جمالية فضاءات النصب النحتية في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٨، ص٨٣.

(٣١) سلاف حبيب: النُصب " مفهومه- اهميته- وظيفته ومكانته كرمز وفن معماري انساني"، مجلة جامعة البعث، المجلد ٢٨، العدد٧،٢٠١٦،(ص ص ٢٣- ٥٣)، ص ص٢٩- ٣٠.

(٣٢) ريام رباح علي السعدي: حركة الكتلة ودلالاتها في النصب التذكارية الحديثة، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٣، ص١١٥.

(٣٣) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، دار الورّاق، بغداد، ٢٠١٢، ص١٩.

(٣٤) أمال حليم الصراف: موجز في علم الجمال، ط١، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص١١١.

(٣٥)علي شناوة آل وادي: النقد الفني والتنظير الجمالي،ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،٢٠١١، ص٣٠.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٢٩.

(٣٧) ريام رباح علي السعدي: المصدر السابق، ص١٢٥.

(٣٨) فتاح يوسف خلف: المصدر السابق، ص ص٦٤-٦٥.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٤٠) وليد عبدالله نوري البدري: المصدر السابق، ص ص٢٤-٢٥ .

(٤١) سامر جاسم الحلو: اساليب التعبير في نصب الجندي المجهول في العالم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٧، ص٢٤.

(٤٢) هربرت ريد: معنى الفن، تر: سامي خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص٢٩.

* – علي طالب ولد في النجف حاصل على شهادة البكالوريوس من جامعة البصرة في اختصاص الهندسة المدنية وشهادة الماجستير والدكتوراه من الجامعة التكنولوجية في اختصاص هندسة المواد والبناء، فصبَّ اهتمامه في تدريس الهندسة منذ سنة ٢٠٠٢ في قسم الهندسة المدنية في كلية الهندسة/ جامعة الكوفة، له ميول فنية في مجال النصب فامتلك هواية في مجال النحت الذي من خلاله أنشأ اعمالاً نصبيه واخرى في تصميم البناء فله عمل نصبي لكن غير منصوب نصب (الحشد الشعبي)، بارتفاع (٤م)٤٣.

(*)المادة (٢٢٨):اذا قام الباني ببناء منزل لرجل وأكمله،(ذلك الرجل)يعطيه قطعتين من الفضة للمنزل كأجر له.

المادة (٢٢٩): اذا بنّاء بني لسيد ولم يكن شغله قويا بحيث انهار ذلك البيت الذي بناه وقتل صاحب البيت فيجب ان يقتل ذلك البناء.

المادة(٢٣٠): فإن قتل ابن صاحب البيت فعليهم ان يقتلوا ابن هذا البناء.

المادة(٢٣١): فإن قتل رقيق صاحب البيت فعليه ان يعطي رقيقاً كمثل رقيق صاحب البيت.

المادة(٢٣٢): فإن قام البناء ببناء منزل ولم يجعل بناءه يفي بالمتطلبات او سقط الجدار فإن ذلك البناء يجب ان يقوي ذلك الجدار على نفقته الخاصة.

المادة(٢٣٣): فإن سبب تلف أمواله فعليه ان يعوض عن كل ما تسبب اتلافه وبما ان البيت الذي بناه لم يبنه قوياً بحيث أنهار فعليه ان يبني البيت الذي سقط من ماله الخاص. ينظر : شريعة حمورابي: ت: محمود الامين، ط١، دار الوراق

ROBERT FRANCIS HARPER: للنشر، لندن، دار الفرات للنشر والتوزيع بيروت، ٢٠٠٧، ص ص٦٢-٦٣، و: THE CODE OF HAMAMMURABI KING OF BABYLON ABOUT ٢٢٥٠ B.C., Chicago THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS, London, ١٩٠٤ ,p٨١-٨٣.

المراجع:

١. ابراهيم عيسى عثمان: مقدمة في علم الاجتماع، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨.

٢. احمد علي الحاج: اصول التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٣.

٣. أمال حليم الصراف: موجز في علم الجمال، ط١، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦.

٤. ايوب دخل الله: علوم التربية تاريخها، فلسفتها، مناهجها، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥.

٥. تيسير محمد الخوالدة، ماجد محمد الزيودي: النظام الاردني في الالفية الثالثة، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.

٦. رأفت عبد العزيز البوهي، واخرون: أصول التربية المعاصرة، ط١، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، ب ت.

٧. رمضان الصباغ: جماليات الفن الإطار الاخلاقي والاجتماعي، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٣.

٨. شاكر حسن ال سعيد: فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق، ج١، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٣.

٩. شريعة حمورابي: ت: محمود الامين، ط١، دار الوراق للنشر، لندن، دار الفرات للنشر والتوزيع بيروت، ٢٠٠٧.

١٠. شوكت الربيعي: الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ١٨٨٥-١٩٨٥، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

١١. صلاح عباس، فاطمة العبيدي التنوع والدلالة، دار الكتب والوثائق، بغداد، ٢٠١٦.

١٢. طلعت ابراهيم لطفي: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة المتنبي، الدمام، ٢٠١٠.

١٣. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، دار الورّاق، بغداد، ٢٠١٢.

١٤. عادل كامل: الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق مرحلة الرواد، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

١٥. عصام محمد منصور: المدخل الى علم الاجتماع، دار الخليج، عمان، ٢٠١٠.

١٦. علي شناوة آل وادي: النقد الفني والتنظير الجمالي، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١.

١٧. قاسم حسين علي الغريري: فن النحت بين التقليد والحداثة، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣.
١٨. محمد صادق اسماعيل: ادارة الجودة الشاملة في التعليم، ط١، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ٢٠١٤.
١٩. محمد محمود الخوالدة: مقدمة في التربية، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.
٢٠. محمد معروف الدواليبي: الفرد والمجتمع في الإسلام، ط٢، مطبوعات اليونسكو(منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)، لبنان، ٢٠٠٠.
٢١. نبيل عبد الهادي: علم الاجتماع التربوي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.
٢٢. هربرت ريد: معنى الفن، تر: سامي خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
٢٣. ابراهيم هياق: اتجاهات اساتذة التعليم المتوسط نحو الاصلاح التربوي في الجزائر أساتذة متوسطات أولاد جلال وسيدي خالد نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، قسنطينة، ٢٠١١.
٢٤. ريام رباح علي السعدي: حركة الكتلة ودلالاتها في النصب التذكارية الحديثة، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٣.
٢٥. سامر جاسم الحلو: اساليب التعبير في نصب الجندي المجهول في العالم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٧.
٢٦. علي عزيز محسن: التشويه البصري وانعكاساته على جمالية فضاءات النصب النحتية في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٨.
٢٧. فتاح يوسف الخلف: مؤثرات العلاقات الهندسية في التكوين للنحت العراقي المعاصر، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٤.
٢٨. وليد عبد الله نوري البدري: الرؤى الجمالية لنصب فنية مقترحة في مدينة بغداد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٥.
٢٩. اريج سعد عدنان الهنداوي: الاحداث السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣ وأثر الانتماء والوعي في التشكيل العراقي المعاصر، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٣.
٣٠. أريج سعد عدنان الهنداوي: نمذجة العنف في خطاب الابداع التصويري العراقي المعاصر (احداث العنف اثناء وبعد صيف ٢٠١٤)، مجلة اكاديمي، العدد ٧٧، جامعة بغداد، ٢٠١٦، (ص ص٢١-٤٢).

٣١. خالد خضير الصالحي: النحت العراقي من الروح المحلية الى السلطة المادية، مجلة افكار، العدد:٣٦٥، حزيران، ٢٠١٩، عمان (ص ص ٨٧- ٩٤).

٣٢. رؤى علي جبر: تنوع الرؤية الاسلوبية في الرسم العراقي المعاصر، *مجلة جامعة بابل/ العلوم الانسانية*، المجلد ٢٤، العدد ٢، ٢٠١٦، (ص ص ٧٦٠-٧٨٣).

٣٣. سلاف حبيب: النُصب " مفهومه- اهميته- وظيفته ومكانته كرمز وفن معماري انساني"، مجلة جامعة البعث، المجلد ٢٨، العدد٧،٢٠١٦،(ص ص ٢٣- ٥٣).

٣٤. KRYSTYNA KUBALSKA-SULKIEWICZ (koordynator): SLOWNIK TERMINOLOGICZNY SZTUK PIEKNYCH, Wydanie Czwarte, MONIKA BIELSKA-ŁACH, ANNA MANTEUFFEL-SZAROT, Wydawnictwo Naukowe PWN, ٢٠٠٣.

٣٥. ROBERT FRANCIS HARPER: THE CODE OF HAMAMMURABI KING OF BABYLON ABOUT ٢٢٥٠ B.C., Chicago THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS, London, ١٩٠٤ .

أسلوب التعبير عن المنتظر في العهد القديم

أ.د. المتمرس مناف مهدي الموسوي
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة
أ.م.د. فكري جواد عبد
كلية الدراسات العليا/ جامعة الكوفة
الباحثة زينة كاظم محسن

المقدمة:

تعرض العهد القديم إلى فكرة الانتظار والمنتظر وقد وردت نصوص كثيرة تشير إلى ذلك، وكان أسلوب الكناية هو المصطلح المعبر عن المنتظر كما سيتضح في المطالب اللاحقة، وتجدر الإشارة إلى أنّ التراث اليهودي قد عبّر عن هذه الفكرة وذكر للمنتظر صفات متعددة وحاول تطبيقها على شخصيات كثيرة كما تذكر المصادر التراثية والحديثة منها لكنها لم تنطبق تمام الانطباق فضلا عن عدم تحقق النبوءات التي وردت في الكتاب المقدّس، ومازالت هذه المواصفات إلى الآن غير متحققة فيما يصبو إليه اليهود على وفق المواصفات والأساليب المعبرة عن المنتظر في العهد القديم، ونهدف في هذا البحث إلى إبراز المعنى العبري للمنتظر في العهد القديم، والأساليب المعبرة عن صفاته في النصوص التوراتية وتحليلها بلاغيا ونحويا، وسيعرض هذا البحث المطالب الآتية:

أولا: المعنى العبري للمنتظر في اللغة العبرية.

ثانيا: الوعد بالمنتظر في العهد القديم والبشارة به.

ثالثا: أسلوب التعبير عن المنتظر في العهد القديم بذكر صفاته.

المطلب الأول: المعنى العبري للمنتظر :

إنّ دلالة المنتظر في العبرية يأتي بمعنى: "المنقذ أو المخلص ففي اللغة العبرية أصله الفعل (ישועה) بمعنى إنقاذ أو خلاص، وهي كلمة مشتقة من الفعل "**ישע**" بمعنى أنقذ أو خلص. وتعنى الخلاص بمفهوم

عام. والفعل الآخر هو(גאולה) بمعنى خلاص، من الفعل"גאל" بمعنى خلص أو أنقذ ومصدره (גאולה) تعنى خلاص اليهود"[١].

جاء في القاموس الجديد لابن شوشان وردت كلمة מָשִׁיחַ بمعنى[٢]:

١. (تسمية تطلق على الملك أو الكاهن الذي مسح بالزيت المقدس: "הכהן המשיח: الكاهن الممسوح" (ויקרא ד ג). "ויתן עז למלכו וירם קרן משיחו: وأعطي قوة لملكه ورفع كأس مخلصه" (שמואל א ב י). "אלו שני המשיחים: אחד משוח מלחמה، ואחד משוח למלך על ישראל: هؤلاء المخلصان: أحد ممسوح حرب، والآخر ممسوح لملك على إسرائيل" (פסיקתא רבתי ל.).

2. تسمية تطلق على المخلص المنتظر لبني إسرائيل الذي سيأتي في آخر الزمان : "אם ראית ספסלימלאין בבליים מנחים בארץ ישראל...אם ראית סוס פרסי קשור בארץ ישראל – צפה לרגליו של משיח: إذ رأيت مقاعد مليئة بابلية موضوعة في فلسطين... إذا رأيت حصانًا فارسيًا مربوطًا في فلسطين– انظر لرجلي المخلص"(איכה רבה א، ממרום).

٣. صفة ممسوح، معطر: "מגן שאול בלי משיח בשמן: درع شاؤول دون ممسوح بزيت"(שמואל ב א כא)).

ويذكر دافيد سغيف في قاموسه ، وكذلك ابن شوشان أنّ كلمة המשיח:

١. تعني المسيح، وممسوح بالزيت المقدّس (كالكاهن الأعظم أو ملك من ملوك إسرائيل)، وهذا المعنى يدلنا على ارتباط المفهوم الديني بالمسح مع الشخصيات المباركة كما يرى اليهود بملوكهم أو اعتقاد بعضهم الآخر بأنّ المخلص المنتظر سيكون هو المسيح أخذا على ما مسحه بالزيت المقدّس[٣].

٢. الممسوح بالزيت، المنقذ المنتظر، المخلص (الذي سيأتي يوم القيامة لينقذ العالم من شروره حسب التقاليد اليهودية يقابله المهدي عند المسلمين)، وهنا يُعترض على عبارة (سيأتي يوم القيامة!!) فإذا قامت القيامة لا حاجة لمخلص أو منتظر فقد انتهى أمر العالم ولا حاجة لهذه الشخصية! فلعله لبسٌ عند المصنف[٤].

وأشار قوجمان إلى دلالة الفعل على المسح بالزيت ومجازا مسح الأرض أو قياسها بالخيط، وأما الاسم (מָשִׁיחַ) فيدل على المسيح المنتظر، المهدي، الممسوح بالزيت تقديسًا[٥] .

ونلاحظ أنّ التركيز على كون المنتظر سيكون منطبقا على الشخص الممسوح، ويُستنتج من ذلك مسألتان[٦] :

أولهما: أنّ عملية المسح هذه ليست لأهداف دينية فقط وإنما تتعلق بأهداف تطبيبية.

ثانيهما: أنّ الدلالة العبرية للممسوح أو المسيح ليست مختصة بشخص معين، لأنّ النصوص في العهد القديم تشير إلى شخصيات متعددة قد مُسحت بأمر الله، كعلامة دالة عليهم كونهم سيؤدون وظيفة خاصة في المجتمع، شخصيات عليا كالأنبياء والملوك والأحبار.

المطلب الثاني: الوعد بالمنتظر بالعهد القديم والبشارة به:

البشارة بالمنتظر في العهد القديم:

نجد في النصوص التوراتية تبشر وتشير إلى المنتظر وخطاب الربّ له وأن يكون النسل منه مستمرا أبد الدهر بالملك والسيطرة : "וּבָא לְצִיּוֹן גּוֹאֵל, וּלְשָׁבֵי פֶּשַׁע בְּיַעֲקֹב–נְאֻם, יְהוָה : וַאֲנִי, זֹאת בְּרִיתִי אוֹתָם אָמַר יְהוָה–רוּחִי אֲשֶׁר עָלֶיךָ, וּדְבָרַי אֲשֶׁר–שַׂמְתִּי בְּפִיךָ: לֹא–יָמוּשׁוּ מִפִּיךָ וּמִפִּי זַרְעֲךָ וּמִפִּי זֶרַע זַרְעֲךָ, אָמַר יְהוָה, מֵעַתָּה ,וְעַד–עוֹלָם.. وَيَأْتِي الْفَادِي إِلَى صِهْيَوْنَ وَإِلَى التَّائِبِينَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فِي يَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ. أَمَّا أَنَا فَهذَا عَهْدِي مَعَهُمْ، قَالَ الرَّبُّ: رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ، وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِ نَسْلِكَ، قَالَ الرَّبُّ من الآن وإلى الأبد"[٧].

التركيب النحوي: ورد التكرار في سياق الجملة المنفية في العبارة: (וּדְבָרַי אֲשֶׁר–שַׂמְתִּי בְּפִיךָ: לֹא–יָמוּשׁוּ מִפִּיךָ וּמִפִּי זַרְעֲךָ וּמִפִּי זֶרַע זַרְעֲךָ, אָמַר יְהוָה, מֵעַתָּה ,וְעַד–עוֹלָם) بمعنى: (وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِ نَسْلِكَ قَالَ الرَّبُّ) فلفظتي (فم) و(نسل) تكررتا بإسنادهما لضمير الخطاب الكاف :(فمك–פִּיךָ) ، (نسلك– זַרְעֲךָ)، حيث أفادت كاف

الخطاب الاختصاص ببقاء الملك والحكم لهذا النسل من سلالة يعقوب وداود وصولا للمنتظر الذي سيحكم في آخر الزمان، ونلحظ ورود التعريف باسم الموصول (אֲשֶׁר) للأهمية وتخصيص المطلوب.

الأسلوب البلاغي: ورد الالتفات من الغيبة للحضور للتعبير عن المنتظر ووصفه النص هنا بالفادي وهو: (וּבָא לְצִיּוֹן גּוֹאֵל، וּלְשָׁבֵי פֶשַׁע בְּיַעֲקֹב–נְאֻם)، (الْفَادِي إِلَى صِهْيَوْنَ وَإِلَى التَّائِبِينَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ)، ثم تحول إلى خطاب المنتظر بالفعل الذي وردت فيه الكناية عن القوة والحكم والسيطرة في نسل المنتظر وألّا يزول من نسله أبد الدهر،(וּדְבָרַי אֲשֶׁר–שַׂמְתִּי בְּפִיךָ: לֹא–יָמוּשׁוּ מִפִּיךָ)، (وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ).

الوعد في العهد القديم بالمنتظر:

وردت نصوص كثيرة في العهد القديم بوعد الله لأنبيائه بإثبات النسل منهم وجعلهم أمما كثيرة واستمرار ذلك بهم إلى الأبد وهذا ما دلت عليه النصوص بما فيها من قرائن سياقية ولفظية وأساليب تعبيرية متنوعة فنجد وعد الله بإثبات نسل داود وتكررت في المزمور التاسع والثمانين إذ يقول:

" כִּי לַיהוָה, מָגִנֵּנוּ; וְלִקְדוֹשׁ יִשְׂרָאֵל מַלְכֵּנוּ : אָז דִּבַּרְתָּ בְחָזוֹן, לַחֲסִידֶיךָ--וַתֹּאמֶר, שִׁוִּיתִי עֵזֶר עַל–גִּבּוֹר; הֲרִימוֹתִי בָחוּר מֵעָם: מָצָאתִי, דָּוִד עַבְדִּי; בְּשֶׁמֶן קָדְשִׁי מְשַׁחְתִּיו : אֲשֶׁר יָדִי, תִּכּוֹן עִמּוֹ; אַף–זְרוֹעִי תְאַמְּצֶנּוּ : לֹא–יַשִּׁיא אוֹיֵב בּוֹ; וּבֶן–עַוְלָה, לֹא יְעַנֶּנּוּ : וְכַתּוֹתִי מִפָּנָיו צָרָיו; וּמְשַׂנְאָיו אֶגּוֹף : וֶאֱמוּנָתִי וְחַסְדִּי עִמּוֹ; וּבְשְׁמִי, תָּרוּם קַרְנוֹ : וְשַׂמְתִּי בַיָּם יָדוֹ; וּבַנְּהָרוֹת יְמִינוֹ : הוּא יִקְרָאֵנִי, אָבִי אָתָּה; אֵלִי, וְצוּר יְשׁוּעָתִי : אַף–אֲנִי, בְּכוֹר אֶתְּנֵהוּ; עֶלְיוֹן, לְמַלְכֵי–אָרֶץ : לְעוֹלָם, אשמור– (אֶשְׁמָר–) לוֹ חַסְדִּי; וּבְרִיתִי, נֶאֱמֶנֶת לוֹ :וְשַׂמְתִּי לָעַד זַרְעוֹ; וְכִסְאוֹ, כִּימֵי שָׁמָיִם : אִם–יַעַזְבוּ בָנָיו, תּוֹרָתִי; וּבְמִשְׁפָּטַי, לֹא יֵלֵכוּן :אִם–חֻקֹּתַי יְחַלֵּלוּ; וּמִצְוֹתַי, לֹא יִשְׁמֹרוּ : וּפָקַדְתִּי בְשֵׁבֶט פִּשְׁעָם; וּבִנְגָעִים עֲוֹנָם :וְחַסְדִּי, לֹא–אָפִיר מֵעִמּוֹ; וְלֹא–אֲשַׁקֶּר, בֶּאֱמוּנָתִי : לֹא–אֲחַלֵּל בְּרִיתִי; וּמוֹצָא שְׂפָתַי, לֹא אֲשַׁנֶּה : אַחַת, נִשְׁבַּעְתִּי בְקָדְשִׁי: אִם–לְדָוִד אֲכַזֵּב : זַרְעוֹ, לְעוֹלָם יִהְיֶה; וְכִסְאוֹ כַּשֶּׁמֶשׁ

נֶגְדִּי : כְּיָרֵחַ، יִכּוֹן עוֹלָם؛ וְעֵד בַּשַּׁחַק، נֶאֱמָן סֶלָה .. حِينَئِذٍ كَلَّمْتَ بِرُؤْيَا تَقِيَّكَ وَقُلْتَ: جَعَلْتُ عَوْنًا عَلَى قَوِيٍّ. رَفَعْتُ مُخْتَارًا مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ. وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ. الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ. أَيْضًا ذِرَاعِي تُشَدِّدُهُ. لاَ يُرْغِمُهُ عَدُوٌّ، وَابْنُ الإِثْمِ لاَ يُذَلِّلُهُ. وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ، وَأَضْرِبُ مُبْغِضِيهِ. أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ، وَبِاسْمِي يَنْتَصِبُ قَرْنُهُ. وَأَجْعَلُ عَلَى الْبَحْرِ يَدَهُ، وَعَلَى الأَنْهَارِ يَمِينَهُ. هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ. وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ، وَكُرْسِيَّهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَاوَاتِ. إِنْ تَرَكَ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي، إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ، أَفْتَقِدُ بِعَصًا مَعْصِيَتَهُمْ، وَبِضَرَبَاتٍ إِثْمَهُمْ. أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ، وَلاَ أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي. لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ. مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ: نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي. مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ" (٨).

نلمح في هذا النص إشارات تخص الوعد بالمنتظر منها:

١. اختيار الربّ له ورفع مكانته على الشعب.

٢. ذكر داود (ع) ونسبة الرب له بعبوديته وإعطائه الملك وهو ما تؤمن به اليهود بأن يكون المنتظر من نسله.

٣. إثبات قضية المسح والمباركة بالدهن وتقديس الممسوح.

٤. وردت في النص شروط للربّ على الناس في إتباع المنتظر وألا يخالفوا أوامر الربّ فيه حتى لا يحلّ عليهم غضب الربّ ويكشف زيفهم.

٥. الوعد بأن يكون النسل أبد الدهر للمنتظر، وأنّ هذا الأمر حتم تدلنا عليه سياق القرائن اللفظية الواردة في النص.

التركيب النحوي: كثُرت في النص الجمل الفعلية لتعطي معنى الحدوث والتجدد راسمة المعاني المستقبلية التي سيحققها الربّ بالمنتظر، كما نوعت التراكيب النحوية حيث ورد النفي المراد منه إثبات ما عداه، كما

يُلاحظ أنّ الجمل الاسمية جاءت بذكر توصيف المنتظر، وتكرر الفعل (ثبت) مرتين، (الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ– אֲשֶׁר יָדִי،תִּכּוֹן، مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ– כְּיָרֵחַ، יִכּוֹן עוֹלָם) فنجد السياقات تنوعت في دلالتها ففي الجملة الأولى ورد الفعل بصيغة المضارع للمخاطب المؤنث في حين كان للمخاطب المذكر في الجملة الثانية، والفاعل هو (القمر)، (יָרֵחַ) وقد جاء معناهما مجازا ، تكرر سياقات الجملة الشرطية وجوابها في النص (אִם–יַעַזְבוּ בָנָיו، תּוֹרָתִי؛ וּבְמִשְׁפָּטַי، לֹא יֵלֵכוּן : אִם–חֻקֹּתַי יְחַלֵּלוּ؛ וּמִצְוֹתַי، לֹא יִשְׁמֹרוּ : וּפָקַדְתִּי בְשֵׁבֶט פִּשְׁעָם؛ וּבִנְגָעִים עֲוֹנָם) وتعني: (إِنْ تَرَكَ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي، إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ، أَفْتَقِدُ بِعَصَا مَعْصِيَتَهُمْ، وَبِضَرَبَاتٍ إِثْمَهُمْ) .

الأسلوب البلاغي:

وردت الكناية عن القوة في العبارة (אֲשֶׁר יָדִי،תִּכּוֹן עִמּוֹ؛אַף–זְרוֹעִי תְאַמְּצֶנּוּ) بمعنى: (الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ. أَيْضًا ذِرَاعِي تُشَدِّدُهُ)، فالربّ سيجعل له قوة سيطرة تمكنه من الأعداء ودائما ما ترد الكناية عن القوة باليد وزاد التعبير على التمكُن بلفظة: (תִּכּוֹן) (تَثْبُتُ)، كما ورد التشبيهات في العبارات: (وَكُرْسِيَّهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَاوَاتِ– וְכִסְאוֹ، כִּימֵי שָׁמָיִם، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي. مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ– וְכִסְאוֹ כַּשֶּׁמֶשׁ נֶגְדִּי : כְּיָרֵחַ، יִכּוֹן עוֹלָם؛) وقد تكرر تشبيه الكرسي مرتين مرة بأيّام السموات، ومرة أخرى بالشمس، وكأنّ وجه الشبه هو السيطرة والتملك كما أنّ ضوء الشمس تمثل مسيرة الناس وواضحة المعالم لمن انتهج مسيرة المنتظر، وأمّا أيام السموات فهو يدل على سعة الملك وعظمته ورسم صورة لسطوة المنتظر وسيطرته.

المطلب الثالث: أسلوب التعبير عن المنتظر في العهد القديم بذكر صفاته:

لقد حفل العهد القديم بذكر صفات المنتظر، ومن الملاحظ أنّ النصوص أشارت إلى أوصاف كثيرة في شخصية منتظرة ستحقق العدل والسلام وترد النصوص بذكر المسيا أو الماشيح المنتظر وهو من أكثر الألقاب التي اشتهرت في العهد القديم خاصة وارتبط بدلالة المسح كما تقدّم الكلام عنه في المبحث السابق بمعنى المسح للمقدس والمبارك، وتنوعت الدلالات التي وردت للمسيا أو الماشيح، ويدل المسيا على الصيغة العربية للكلمة اليونانية "مسياس" وأصلها الآرامي "مشيحا" أي: (משיחא) التي تُترجم للمسيح[٩]. وتأتي

اللفظة مشكولة بالفتح البتاح تكون اسما خلاص، إنقاذ، عون، مساعدة، وإذا كانت اللفظة مشكولة بالقماص– فتحة طويلة– فدلالتها تأتي مبنية للمجهول: أُنقذ، خلُّص(١٠).

ومن الصفات التي سنعرض لها في هذا المبحث: (ابن الإنسان، ابن الملك، العادل والمنصور، الوارث للأرض، جذع يسي، القائم، البقية، المنتقم).

١. בַר אֱנָשׁ ابن الإنسان:

يأتي ذكر هذا اللفظ في العهدين القديم والجديد(١١)وأول ما ورد هذا اللقب في سفر دانيال، إذ جاء في الإصحاح السابع منه:

"חֲזֵה הֲוֵית، בְּחֶזְוֵי לֵילְיָא، וַאֲרוּ עִם–עֲנָנֵי שְׁמַיָּא، כְּבַר אֱנָשׁ אָתֵה הֲוָא؛ וְעַד–עַתִּיק יוֹמַיָּא מְטָה ,וּקְדָמוֹהִי הַקְרְבוּהִי : וְלֵהּ יְהֵב שָׁלְטָן، וִיקָר וּמַלְכוּ، וְכֹל עַמְמַיָּא אֻמַיָּא וְלִשָׁנַיָּא، לֵהּ יִפְלְחוּן؛ שָׁלְטָנֵהּ שָׁלְטָן עָלַם ,דִּי–לָא יֶעְדֵּה، וּמַלְכוּתֵהּ، דִּי–לָא תִתְחַבַּל .. كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ" (١٢).

الدلالة اللغوية: تدل لفظة (כְּבַר אֱנָשׁ) بمعنى (كابن الإنسان)، وتأتي بمعنى ابن آدم أو بشر(١٣)، ومن الملاحظ للتكوين الصوتي لنطق الكلمة(אֱנָשׁ) (إنوش) والتي تقابل إنس في العربية وكما هو معلوم أنّ الإبدال يقع بين العربية والعبرية بحرف السين إذ تلفظ شينا في العبرية، والمفرد من هذه اللفظة للمذكر (אִישׁ) ونتيجة التطور اللغوي أُبدلت الياء نونا وتعود نون المفرد عند الجمع فتكون(אֲנָשִׁים) ومنه في العربية أناسي كثيرا(١٤)، ويشير قوجمان أنّ هذه اللفظة تدل على من أضفي عليه صفة البشرية(١٥).

الأسلوب النحوي: (כְּבַר אֱנָשׁ) بمعنى (كابن إنسان) وقد جاءت هذه اللفظة مجرورة بالحرف، ومما يُلاحظ في النص ورود الصفة بلفظة (ابن) وهو أيضا صفة للموصوف ؛دلالة على اهتمام اللغات السامية بالنسب، فضلا عن اعتداد الشعوب بفكرة الأبوة(١٦)، ثمّ ورد النص بعده ضمير متصلا للغائب (וְלֵהּ) بمعنى: (وله)،

سبقه واو العطف، وجاء مجرورا بلام الجر وهو يدل على التخصيص والتمليك[١٧]، للمعرفة الواردة في الفقرة السابقة فعدل عن المعرف بالإضافة بالضمير الغائب، وجاء خبرا مقدما. والفعل (יְהֹב) ماضٍ مجرد معناه (وهب)، وهو فعل معتل الفاء جاء بصيغة الماضي.

أمّا التركيب (וֵאלֹהִ֣ים יְהֹ֣ב שִׁלְטָ֑ן، וְיִקַּ֥ר וּמַלְכ֗וּת) فقد جاء أسلوب التقديم والتأخير بشبه جملة أعقبها فعل فمبتدأ مؤخر، وهذه الجملة الاسمية جاءت واصفة لابن الإنسان ووردت الفقرات اللاحقة للتحدث عن ملكه وسلطانه، وتجدر الإشارة إلى أنّ العطف في اللغة العبرية جاء هنا بإشراك الاسمين في وظيفة المبتدأ المؤخر[١٨] (וְיִקַּ֥ר וּמַלְכ֗וּת) ووقار وملك.

الأسلوب البلاغي: هذا ما يدلنا عليه تعبير التشبيه لهذا اللقب، كما أنّه جاء مجهولاً أيضا إذ يأتي التشبيه دالا عن معنى مقارب للمشبه به ولم يتحقق هذا في النص، وورد أسلوب الالتفات بين التعبيرين(כְּבַר אֱנָ֗שׁ) و(וֵאלֹהִ֣ים) (ابن إنسان– وله)، وأمكن ذلك لدلالة السياق عليه، فضلا عن تخصيص الكلام عليه، كما ذكر تفسير الكتاب المقدس أنّ ابن الإنسان هو المسيا أو الماشيح[١٩] الذي يرد ذكره في العهد الجديد.

٢. בֶּן–מֶלֶךְ ابن الملك[٢٠]:

(אֱלֹהִים––מִשְׁפָּטֶיךָ، לְמֶלֶךְ תֵּן؛ וְצִדְקָתְךָ לְבֶן–מֶלֶךְ ב ְדִין עַמְּךָ בְצֶדֶק؛ וַעֲנִיֶּיךָ בְמִשְׁפָּט :

יִשְׂאוּ הָרִים שָׁלוֹם לָעָם؛ וּגְבָעוֹת، בִּצְדָקָה..اَللَّهُمَّ، أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرَّكَ لابْنِ الْمَلِكِ.يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ. تَحْمِلُ الْجِبَالُ سَلاَمًا لِلشَّعْبِ، وَالآكَامُ بِالْبِرِّ[٢١].

الدلالة اللغوية: (לְבֶן–מֶלֶךְ) وتعني (لابن ملك)، وهنا جاء التملك بمعنى الحكم والسيادة والسيطرة[٢٢]، وأُختلف في دلالة ابن الملك لتدل على شخصٍ بعينه– الملك وابن الملك– كونها تدل على شخصيتين معلومتين وهما: نبي الله داود (ع) وابنه الذي سيكون من نسله: ولا يمكن أن تكون دلالة النص عليهما من وجوه عدة[٢٣]:

أولا: ورد النص بأسلوب الدعاء والتذلل فلا يمكن أن يكون الداعي –داود– ويورد لفظتي الملك وابن الملك.

ثانيا: وردت في سياق الفقرات اللاحقة أن يكون ملك الأمم أبد الدهر وعلى مرِّ العصور والأجيال، وهذا لم يحصل ولم يتحقق.

ثالثا: ورد النص بصيغة ضمير الغائب ومشيرا إلى عصر المستقبل بعد تحقق وجود ذلك الملك المنتظر.

الأسلوب النحوي: (תֵּן) ورد الفعل الذي ينصب مفعولين أي: أعطِ، حيث جاء بصيغة الأمر، والماضي منه "(נתן) أعطى، سلّم، منح" [٢٤]، ويرى د.يحيى عبابنة أنّ الفعل أعطى ورد في النصوص التوراتية في العبرية يأخذ مفعولين أحدهما شكلي غير مباشر والآخر مفعولا مباشرا من حيث الشكل والحركة كونه؛ كان في أصله فاعلا وهذا المصطلح الذي تطلقه الدراسات الحديثة[٢٥].

الأسلوب البلاغي: بدأ النص بالنداء مع حذف أداة النداء في لفظ (אֱלֹהִים) ألوهيم وهو لفظ الجلالة، الذي يقابل في العربية (اللهمّ) وهي من المسائل الخلافية في اشتقاقها بين العربية والعبرية، وتدل هذه في ميمها المشددة على حذف حرف النداء الياء[٢٦].

كما ورد في النص أسلوب طلبي وهو الأمر وصيغة الفعل (תֵּן) وجاء على صيغة أفعل- أعطِ، إذ إنّ صياغته في العبرية مقاربة للعربية[٢٧]، ومن الملاحظ أنّ أسلوب الأمر هنا قد خرج لمعنى الدعاء وانحرف عن دلالته المباشرة بصدور الأمر ممن هو أقل رتبة إلى أعلى رتبة.

٣. العادل والمنصور:

"גִּילִי מְאֹד בַּת-צִיּוֹן, הָרִיעִי בַּת יְרוּשָׁלִַם, הִנֵּה מַלְכֵּךְ יָבוֹא לָךְ, צַדִּיק וְנוֹשָׁע

اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ " [٢٨].

الدلالة اللغوية: (בַּת-צִיּוֹן) (ابنة صهيون) : "هي مدينة أورشليم" [٢٩] جاء في المزمور التاسع: " لكي أحدّث بكلّ تسابيحك في أبواب ابنة صهيون، مبتهجًا بخلاصك"[٣٠].

(צַדִּיק) بارّ أو صادق، مشتق من الفعل (צדק)، يدل على معانٍ كثيرة منها: قويم، سديد، عادل، منصف، مستقيم، بريء، تقي، ورع، صدّيق، شريف...الخ[٣١]، والذي ناسب السياق صفة العدل كون الكلام يذكر ملك. (נוֹשָׁע) مخلِّص اسم فاعل مشتق من الفعل (ישע)، ومن المعلوم أنّ اسم الفاعل دلالته على المبالغة.

الأسلوب النحوي: (גִּילִי) فعل أمر بمعنى (ابتهجي)، والفعل (הָרִיעִי) بمعنى اهتفي بصيغة الأمر أيضا. وجاءا مسندين لياء المخاطبة (י).

(מַלְכֵּךְ יָבוֹא לָךְ) : (مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ) التوكيد بالضمير المخاطب الكاف(ךָ) للعناية والتخصيص والتأكيد، كما ورد التوكيد بلفظة (מְאֹד) وتعني (جدا).

الأسلوب البلاغي: وردت أداة النداء مرتين لكنها محذوفة دلّ عليها السياق في النص فضلا عن تصدر الكلام بفعل طلبي، (בַּת־צִיּוֹן) يا ابنة صهيون، (בַּת) يا بنت، والحذف هو الوجه الغالب في أداة النداء في اللغة العبرية. كما نلاحظ تكرار النداء مرتين لنفس المنادى المضاف باسمين دالين على منادى واحد وهذا التكرار حصل للتوكيد اللفظي[٣٢].

٤. الوارث للأرض:

" צַדִּיקִים יִירְשׁוּ־אָרֶץ; וְיִשְׁכְּנוּ לָעַד עָלֶיהָ ל –צַדִּיק, יֶהְגֶּה חָכְמָה; וּלְשׁוֹנוֹ, תְּדַבֵּר מִשְׁפָּט ..صِدِّيقُونَ يَرِثُونَ أرضا وَيَسْكُنُونَ إِلَى الأَبَد عليها. فَمُ صِدِّيق يَلْهَجُ حِكْمَةِ، وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ قضاء" [٣٣].

الدلالة اللغوية: (צַדִּיקִים) الصديقون، وقد جاءت هذه اللفظة بصيغة الجمع بإضافة لاحقة (ים)، والفعل (יִירְשׁוּ) : (يرثون)، جاء بصيغة الحاضر مشتق من الفعل (יָרַשׁ) بمعنى ورث، امتلك، خلف[٣٤]، وهذه الوراثة جاءت بمعنى الحكم والسيطرة والسيادة، كما نجد في سياق الفقرات أن الوارث سيكون مخصصا مباركا ومعه صديقون بدلالة الفقرات التي تشير لمن بيده ستكون وراثة الأرض" الرَّبُّ لاَ يَتْرُكُهُ فِي يَدِهِ، وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهِ عِنْدَ مُحَاكَمَتِهِ. انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاحْفَظْ طَرِيقَهُ، فَيَرْفَعَكَ لِتَرِثَ الأَرْضَ. إِلَى انْقِرَاضِ الأَشْرَارِ تَنْظُرُ " ويدللنا على هذه الدلالة سياق الفقرات الواردة في المزامير بخصوص وراثة الأرض (כִּי־מְרֵעִים, יִכָּרֵתוּן; וְקֹוֵי יְהוָה, הֵמָּה יִירְשׁוּ־אָרֶץ : עוֹד מְעַט, וְאֵין רָשָׁע; וְהִתְבּוֹנַנְתָּ עַל־מְקוֹמוֹ וְאֵינֶנּוּ : וַעֲנָוִים יִירְשׁוּ־אָרֶץ; וְהִתְעַנְּגוּ, עַל־רֹב שָׁלוֹם ..وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. بَعْدَ قَلِيل يَكُونُ الشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلاَ يَكُونُ. أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ)"[٣٥]، وفي

الإصحاح نفسه ترد "כִּי מְבֹרָכָיו, יִירְשׁוּ אֶרֶץ; וּמְקֻלָּלָיו, יִכָּרֵתוּ ..لأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الأَرْضَ، وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ" (٣٦).

الأسلوب النحوي: (צַדִּיקִים יִירְשׁוּ–אֶרֶץ): (صِدِّيقُونَ يَرِثُونَ أرضا) جملة اسمية من المبتدأ والخبر جاء المبتدأ نكرة موصوفة، وهو من مسوغات الابتداء بالنكرة، كما وردت المطابقة بين المبتدأ وخبره بالجمع والتذكير، والخبر (יִירְשׁוּ) جملة الفعلية نصب مفعول به وهو(אֶרֶץ)، كما نلاحظ أنّ الألفاظ جاءت نكرة لعدم تعيين هؤلاء الوارثين من جهة، ويحتمل أن تكون هذه الإشارة إلى كونهم سيكونون في زمان متأخر ومستقبلي، فضلا عن الصفات الحميدة التي يحملونها.

الأسلوب البلاغي: أفادت الجملة الاسمية دلالة الثبات، كما جاء التعبير المجازي في العبارة: (יֶהְגֶּה חָכְמָה؛) بمعنى (فَمُ صِدِّيق يَلْهَجُ حِكْمَةٍ) حيث جعل الصدق والحكمة من الفم بعلاقة الجزء والكل، ثمّ كرر الأسلوب نفسه في العبارة : (וּלְשׁוֹנוֹ، תְּדַבֵּר מִשְׁפָּט) بمعنى: (وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ قضاء)، ويدللنا هذا التعبير على الحكم والسيطرة التي سيتمتع بها المنتظر، فضلا عن الترتيب في العرض المختصر في هذا النص حيث جاء الايجاز بأقصر عبارة وأدى أكبر فائدة من طرح الخبر، حيث تسلسلت الجملة في الذكر من وراثة الأرض والسيطرة بحكمة ثمّ القضاء بالعدل بين الجميع.

٥. جذع يسي: יִשַׁי والقائم: עֹמֵד

"וְהָיָה، בַּיּוֹם הַהוּא، שֹׁרֶשׁ יִשַׁי אֲשֶׁר עֹמֵד לְנֵס עַמִּים، אֵלָיו גּוֹיִם יִדְרֹשׁוּ؛ וְהָיְתָה מְנֻחָתוֹ، כָּבוֹד.وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا" (٣٧).

(הָיָה): (يكون)، فعل ماضٍ، مسبوق بواو القلب التي تدخل على الفعل الماضي فتقلب معناه الى المستقبل " يقابل الفعل العربي هوى يهوى وهذا يتفق مع الفعل العبري المرادف הָיָה" (٣٨).

(חֹטֶר): له معانٍ كثيرة في المعجم العبري، ومن التدقيق في اللفظة المناسبة أجد معنى سليل أو نجل(٣٩) هو المناسب للسياق، وإن كانت الاستعارة مقبولة باختيار لفظة فرع وهي من إحدى معانيه.

(יִשַׁי) هذه اللفظة اُختلف في دلالتها الاسمية أم الفعلية فنجد من يعدّه فعلا مضارعا بصيغة المستقبل بمعنى سيرفع، والذي أجده في أعلام الكتاب المقدس أن يسى هو اسم وهي لفظة عبرية تعني "الرجل، وهو ابن عوبيد وأبو داود وحفيد بوعز من زوجته راعوت الموآبية، ومعناه عطية الله" [٤٠]، ومما يدلل على كون (יִשַׁי) اسمًا لا فعلًا ما ورد في سفر صموئيل الثاني: "וְשָׁם נִקְרָא אִישׁ בְּלִיַּעַל، וּשְׁמוֹ שְׁבַע בֶּן-בִּכְרִי--אִישׁ יְמִינִי; וַיִּתְקַע בַּשּׁפָר، וַיֹּאמֶר אֵין-לָנוּ חֵלֶק בְּדָוִד וְלֹא נַחֲלָה-לָנוּ בְּבֶן-יִשַׁי--אִישׁ לְאֹהָלָיו، יִשְׂרָאֵל.. וַיִּתְּפֹשׂ הָהוּא רַגְלֵי לַנִּיִם اسْمُهُ شَبَعُ بْنُ بِكْرِي رَجُلٌ بَنْيَامِينِيٌّ، فَضَرَبَ بِالْبُوقِ وَقَالَ: لَيْسَ لَنَا قِسْمٌ فِي دَاوُدَ وَلاَ لَنَا نَصِيبٌ فِي ابْنِ يَسَّى. كُلُّ رَجُل إِلَى خَيْمَتِهِ يَا إِسْرَائِيلُ" [٤١].

وعبارة (בֶּן-יִשַׁי) بمعنى: (في ابن يسى)، كما أنّه جاء مجرورا دلالة على اسميته[٤٢]، كما أنّ هذا النص يمثل حادثة تاريخية في فشل ثورة أسباط الشمال في الخروج عن طاعة يهوه[٤٣]، وقد وردت لفظة (ابن يسي) في نص آخر من العهد جاء فيه: "וְיֵצֵא חֹטֶר، מִגֵּזַע יִשָׁי; וְנֵצֶר، מִשָּׁרָשָׁיו יִפְרֶה. ב וְנָחָה עָלָיו، רוּחַ יְהוָה--רוּחַ חָכְמָה וּבִינָה، רוּחַ עֵצָה וּגְבוּרָה، רוּחַ דַּעַת، וְיִרְאַת יְהוָה.. وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ".[٤٤] .

(אֲשֶׁר) يأتي بصيغة اسم موصول بمعنى الذي وهو عام يدل على المذكر والمؤنث والجمع والمفردة، إلا أنّ دلالتها في العبرية تدل على من وما الموصولتين، والذي للمفرد المذكر، ويأتي مختصرا بحرف الشين المشددة فقط (שֶׁ)، ويبدو أنّ العهد القديم قد احتفظ بصيغة الموصول الاسمي لـ (אֲשֶׁר)، كما تأتي هذه اللفظة بمعنى حيث وتدل على الظرفية إذا كانت مسبوقة بحرف الجر الباء [٤٥].

(עֹמֵד) وهو اسم فاعل بمعنى (واقف أو موقف أو موقع)، ويرى د.محمد توفيق أنه "يقابل الفعل العربي (عمد) بمعنى قصد ويتضح التشابه بين اللغتين في كلمة العمود والتي تعني النصب الواقف، وأصل الفعل بفتحة قصيرة" [٤٦] (قماص) تحت فاء الفعل، و(بتاح) تحت عينه.

٦. بقية: (שְׁאֵרִית)

(כִּי מִירוּשָׁלַם תֵּצֵא שְׁאֵרִית, וּפְלֵיטָה מֵהַר צִיּוֹן; קִנְאַת יְהוָה צְבָאוֹת, תַּעֲשֶׂה-זֹּאת ..لأَنَّهُ مِنْ أُورُشَلِيمَ تَخْرُجُ بَقِيَّةٌ، وَنَاجُونَ مِنْ جَبَلِ صِهْيَوْنَ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا) [٤٧].

الدلالة اللغوية: (שְׁאֵרִית) بقية، أصلها من الفعل الماضي(שְׁאַר): بقيَ، أو ظلَّ، وعلامة المؤنث (ית)[٤٨].

الأسلوب النحوي: (כִּי) أداة تعليل بمعنى (لأنّ)، و(תֵּצֵא) فعل بمعنى (تخرج) وفيه دلالة مستقبلية و (שְׁאֵרִית): (بقية) وهذه اللفظة إشارة إلى المنتظر؛ فالقرينة اللفظية في سياق النص تذكر (פְּלֵיטָה) : (ناجون)، وهذا بعد أحداث تكون قبل ظهور المنتظر ستكون هناك بقية يرسلها الربّ لتكون المخلصة لتلك الجماعات.

٧. المنتقم:

" וַיִּלְבַּשׁ צְדָקָה כַּשִּׁרְיָן، וְכוֹבַע יְשׁוּעָה בְּרֹאשׁוֹ; וַיִּלְבַּשׁ בִּגְדֵי נָקָם، תִּלְבֹּשֶׁת، וַיַּעַט כַּמְעִיל، קִנְאָה יח כְּעַל גְּמֻלוֹת، כְּעַל יְשַׁלֵּם-חֵמָה לְצָרָיו، גְּמוּל לְאֹיְבָיו؛.. فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ، وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ. وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ. حَسَبَ الأَعْمَالِ هكَذَا يُجَازِي مُبْغِضِيهِ سَخَطًا، وَأَعْدَاءَهُ عِقَابًا" [٤٩].

نلاحظ من هذا النص إشارات وهي على النحو الآتي:

١. ذكر النص شخصية سيكون الخلاص على يدها وموصوفة بصفات.

٢. في العبارة וַיִּלְבַּשׁ צְדָקָה כַּשִּׁרְיָן) : (فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ) تعبيرًا مجازيًا أن يكون الصدق هو الثوب والدرع الذي سيتحصن به ملك المنتظر، ومن النصوص السابقة يتبين لنا أنّ أكثر النصوص تركز على لفظة (צְדָקָה) بمعنى (البرّ والصدق)؛ كونها صفة مهمة في الحاكم من جهة، ويحتمل أن تكون هذه الصفة مفقودة في كثير من الشخصيات التي كانت من المؤمل أن تكون هي المنتظر نفسه ولم تحقق آمال اليهود بها، فضلا عن طول انتظار المنتظر يجعل سياق النص ينبئ بانتظار شخصية تتوافر فيها الصفات الحميدة التي تحظى بمقبولية لدى الجميع.

٣. في العبارات (וְכוֹבַע יְשׁוּעָה בְּרֹאשׁוֹ וַיִּלְבַּשׁ בִּגְדֵי נָקָם، תִּלְבֹּשֶׁת، וַיַּעַט כַּמְעִיל، קִנְאָה):

(وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ. وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ)، من هذه التعبيرات التي تصف المنتظر نلمح الكنايات البلاغية في وصفه، فخوذة الخلاص على رأسه لتحكمه في الأمر ويحتمل أن تكون له علامة دالة أو يكون تعبير مجازي في حكمته في التصرف والحكم، ثمّ انتقل النص بتكرار اللفظة (לְבַשׁ) بصيغتين الفعلية والاسمية في (וַיִּלְבַּשׁ בִּגְדֵי נָקָם، תִּלְבֹּשֶׁת)، (יִלְבַּשׁ- لبس)، (וַיִּלְבַּשׁ- لباسا) لتأكيد مسألة الانتقام الذي سيكون على يد المنتظر ونجد تفصيل الانتقال في سياق الكلام اللاحق بالقرينة اللفظية في العبارة (כְּעַל יְשַׁלֵּם-חֵמָה לְצָרָיו، גְּמוּל לְאֹיְבָיו): (حَسَبَ الأَعْمَالِ هكَذَا يُجَازِي مُبْغِضِيهِ سَخَطًا، وَأَعْدَاءَهُ عِقَابًا) وبذلك يكون الانتقال للأعداء ومدروسا بدقّة وفق ما قدموه هؤلاء الجماعات من أعمال حسنة كانت أو سيئة.

وهناك ألقاب وصفات كثيرة تشير إليها بعض المصادر: جاء في تفسير الكتاب المقدس لذكر بعض أوصاف المنتظر في سفر أشعياء، المشير كونه يقدم المشورة، وأب أبدي، ورئيس السلام حكمه حكم العدل والسلام(٥٠).

نتائج البحث:

لقد وردت نصوص كثيرة في أسفار العهد القديم تُشير إلى المنتظر تحوي تعبيرات كثيرة ومتنوعة، ومن الأمور التي لاحظنا في العهد القديم ما يأتي:

١. جاءت لفظة (מָשִׁיחַ) في العبرية دالة على معنى المسح، وتعددت التعليلات الدالة على هذا المعنى، إلا أنّها محصورة في معنى التقديس والمباركة لذلك الممسوح.

٢. كثرة النصوص التي تذكر المنتظر وبنصوص واضحة البيان بل نجدها تذكر المنتظر وعصره وولادته وما يفعله في زمانه عند ظهوره من أحداث، وتارة نجد النصوص تلمح بذكر المنتظر الموعود.

٣. تعتمد نصوص العهد القديم على ذكر المنتظر من دون الإشارة إلى هويته الأخيرة بعد عدم ظهور للمنتظر الموعود به في نصوص العهد القديم.

٤. كثرة التفاصيل التي تذكر المنتظر بخصوص ما يقوم به عند ظهوره.

٥. وردت الإشارة كون المنتظر سيكون ممسوحا حيث تضفي هذه الصفة لشخصية المنتظر دلالات خاصة في اللغة العبرية وأنها مختصة بالشخصيات العليا التي تمثل الأنبياء والرموز الدينية الكبيرة.

٦. تعدد ذكر الشخصية المنتظرة في العهد القديم والتي أشارت النصوص إليها .

٧. تشير النصوص إلى وقت الظهور وبتعبيرات مختلفة وتنبه على زمان المنتظر والتعبير عنه بـ "آخر الزمان" و "الأيام" و "يوم الربّ" .

الهوامش:

(١) الفكر اليهودي عقائد وأساطير، د.فكري جواد، الطبعة الأولى، دار تموز، سوريا، ٢٠١٦م: ٧٤.

(٢)אבן שושן، אברהם. המילון החדש. כרך שביעי. ירושלים. ישראל. 1971 עמ' 1555 ו1556.

(٣)שגיב، דוד. מילון עברי ערבי לשפה עברית בת זמננו. כרך ראשון. 1985. ירושלים. עמ' 1090.

٤()אברהם، אבן-שושן، המלון החדש، הוצאת קרית-ספר، ירושלים 1974، כרך רביעי، עמ' 1555

(٥) ينظر: י، קוגמן، מלון עברי- ערבי، ירדן: ٥٠٦-٥٠٧.

(٦) المعنى الصحيح لإنجيل المسيح، الهادي جطلاوي وآخرون، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨م: ٣٤، רשתו שנתלה، המשיח בתנך، הוצאת קרן، ירושלים 2000، עמ' 77

(٧)ישעיה : ٥٩/ ٢٠-٢١.

(٨)תהלים: ٨٩/ ١٩-٣٨.

(٩) قاموس الكتاب المقدس: موقع الأنبا تكلا هيما نوت، الشبكة العالمية للمعلومات على الرابط:-https://st takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-٠٠٢-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/٢٤_M/M_١٥٠.html.

(١٠) ينظر: قوجمان: ٣٢٣.

(١١) إنّ الإشارة إلى ابن الإنسان من الألقاب المشهورة التي يوردها مفسرو العهد الجديد كونها تدل على المسيح عيسى بن مريم(ع)، إلا أنّ الفكرة التي يعتمدونها مأخوذة من العهد القديم في سفر دانيال في النص أعلاه. للمزيد ينظر: פרד، מלדו، המשיח בשתי הבריתות، קרן، ירושלים 1998، עמ' 44

(١٢) דניאל: 7 / 13-14.

(١٣) قاموس عبري-عربي للّغة العبرية المعاصرة، دافيد سغيف، د.ط، د.ت: ٩٣/١، وينظر معجم ألفاظ الكتاب المقدس، نجيب وهبة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م: ٢٨.

(١٤) عبرية العهد القديم نصوص ومقارنات: محمد صالح توفيق، د.ط، د.ت: ١١٢.

(١٥) قوجمان، قاموس عبري عربي، د.ط، مكتبة المحتسب، بيروت، ١٩٧٠م: ٤١.

(١٦) النحو المقارن في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة، د.يحيى عطية عبابنة، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، إربد، ٢٠١٨م :٢٨٧.

(١٧) المصدر نفسه: ٣٣١.

(١٨) نظام الجملة في اللغات السامية الأكدية والأوغارتية والعبرية، سحر لطيف عقاد، أطروحة، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٢م: ١٩٤.

(١٩) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا د.ط، القاهرة. د.ت:١٧٠٠، לי، נצר، לפני בוא המשיח، ספרית פועלים، ירושלים 1990، עמ' 129.

(٢٠) ورد في تفسير الكتاب القدس: "في هذا المزمور يطلب الملك من الله أن يساعد ابنه ليحكم الأمة بالعدل والحكمة، ويتطلع المزمور إلى حكم المخلص المنتظر الذي لانهاية له": ١٢٠٨.

(٢١)תהלים: 1/72-3.

(٢٢) ينظر: دافيد سغيف: ٩٦٨/١، وقوجمان: ٤٣٤.

(٢٣) ينظر: بشائر الأسفار بمحمد وآله الأطهار، تامر مير مصطفى، الطبعة الأولى، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م : ١٣٢-١٣٤، الإمام االمهدي في الأديان، مهدي خليل جعفر، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٨م : ٧٥-٧٨.

(٢٤) قوجمان: ٥٧٣.

(٢٥) النحو العربي المقارن: ٢٣١.

(٢٦) انظر تفصيل ذلك في: البسملة بين الرسم الكتابي والاشتقاق الصرفي الموازن (بحث)، زينة كاظم محسن، وقائع مؤتمر اللغة العربية الدولي الثاني، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٦م: ٢٩٠/١.

(٢٧) ينظر: أسلوب الطلب باستخدام صيغ فعل الأمر في اللغات السامية دراسة لغوية مقارنة (بحث)، علاء عبد الدائم

وآخرون، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج/٦،ع/٤، ٢٠١٦م: ٣٢٧.

(٢٨)זכריה: 9/9.

(٢٩) معجم ألفاظ الكتاب المقدس:٢٩٢.

(٣٠) المزامير: ١٤/٩.

(٣١) قوجمان: ٧٥٦.

(٣٢) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية: ٢٣٧-٢٣٨.

(٣٣)תהלים : 37/ ٢٩-٣٠.

(٣٤) قوجمان: ٣٢١.

(٣٥) תהלים: 37/ ٩-١١.

(٣٦) תהלים : 37/ 22.

(٣٧)ישעיה: 11/10.

(٣٨) عبرية العهد القديم نصوص ومقارنات: ١٧٤.

(٣٩) قوجمان: ٥٤٧.

(٤٠) معجم ألفاظ الكتاب المقدس، نجيب وهبة:٦٤٣.

(٤١)שמואל: 1/20.

(٤٢) يمتاز الاسم عن الفعل بكونه يقبل:(الجر والتنوين ودخول ال التعريف عليه والإسناد): ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت٧٦٩هـ)، تح/ محمد ححيي الدين عبد الحميد، الطبعة العشرون، دار التراث- دار مصر- القاهر، ١٩٨٠م : ١٧/١ .

(٤٣) راجع تفصيل المسألة في : الشعر في العهد القديم السمات والأغراض الفنية، سعيد عطية علي مطاوع: ٨٤، الثورات في أسفار العهد القديم بين الحقيقة والإدعاء، (رسالة ماجستير)، حمدي قمر الدولة السيد خطاب، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، ٢٠١٦م: ١٢٣ فما بعدها.

(٤٤)ישעיה: 11/ 1-2.

(٤٥) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية: ١٣٢.

(٤٦) عبرية العهد القديم نصوص ومقارنات: ١٤٣.

(٤٧)ישעיה : 32/37.

(٤٨) ساكيف: ١٧٢٤-١٧٢٥.

(٤٩)ישעיה: 17/59-18.

(٥٠) تفسير الكتاب المقدس: ١٣٩٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس.

١. الإمام االمهدي في الأديان، مهدي خليل جعفر، ط١، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٨م.

٢. بشائر الأسفار بمحمد وآله الأطهار، تامر مير مصطفى، ط١، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت٧٦٩هـ)، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث- دار مصر- القاهرة، ١٩٨٠م.

٤. الشعر في العهد القديم السمات والأغراض الفنية، سعيد عطية علي مطاوع، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.

٥. عبرية العهد القديم نصوص ومقارنات، محمد صالح توفيق، د.ط، د.ت.

٦. الفكر اليهودي عقائد وأساطير، د.فكري جواد، دار تموز، سوريا، ٢٠١٦م.

٧. قاموس الأفعال العبرية عبري-عربي مع مسرد بالأفعال العربية، م.ضباعي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

٨. قاموس عبري- عربي، يحزقيل قوجمان، د.ط، مكتبة المحتسب، الأردن، د.ت.

٩. قاموس عبري-عربي للّغة العبرية المعاصرة، دافيد سغيف، د.ط، د.ت.

١٠. معجم ألفاظ الكتاب المقدس، نجيب وهبة، ط١، ٢٠١٠م.

١١. النحو المقارن بين العربية والعبرية، سيد سلمان عليان د ط، دار الثقافية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

١٢. النحو المقارن في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة، د.يحيى عطية عبابنة، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، إربد، ٢٠١٨م.

الرسائل والأطاريح:

١. الثورات في أسفار العهد القديم بين الحقيقة والادعاء، رسالة ماجستير، حمدي قمر الدولة السيد خطاب، جامعة

الأزهر، كلية الأصول الدين ٢٠١٦م.

٢. نظام الجملة في اللغات السامية الأكدية والأوغارتية والعبرية، سحر لطيف عقاد، أطروحة، جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٢م .

البحوث:

٣. أسلوب الطلب باستخدام صيغ فعل الأمر في اللغات السامية ، دراسة لغوية مقارنه(بحث) علاء عبد الدائم وآخرون، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ٢٠١٦م.

٤. البسملة بين الرسم الكتابي والاشتقاق الصرفي الموزان (بحث)، زينة كاظم محسن، وقائع مؤتمر اللغة العربية الدولي الثاني ،كليه التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٦م.

المعاجم العبرية:

٥. שגיב، דוד. מילון עברי ערבי לשפה עברית בת זמננו. כרך ראשון. 1985. ירושלים. עמ' 1090.

٦. קוגמן، מלון עברי– ערבי، ירדן.

٧. אברהם، אבן–שושן، המלון החדש، הוצאת קרית–ספר، ירושלים 1974.

المصادر والمراجع العبرية:

٨. רשתו שנתלה، המשיח בתנך، הוצאת קרן، ירושלים 2000.

٩. לי، נצר، לפני בוא המשיח، ספרית פועלים، ירושלים 1990.

١٠. פרד، מלדו، המשיח בשתי הבריתות، קרן، ירושלים 1998.

– מנחים، שנרסון، שערי גאולי، הבד ירושלים 1991.

١١. אברהם، גרליצקי، ימות המשיח בהלכה، עם עובד، ירושלים 2005.

رثاء الحسين "ع" بين الجواهري وعبد الرزاق عبد الواحد
دراسة من حيث الأسلوب والصورة الشعرية

أ.م.د. حسين سيدي

الباحث محمد عاد حسن

المقدمة:

أقبلنا على دراسة الموازنة بين الشاعرين ،الجواهري وعبد الواحد ،في الموازنة بين قصائدهما في الامام الحسين (ع) لنبين الفروقات الاسلوبية بينهما نظرا لأهمية الموضوع الذي سارا عليه هذان الشاعران من حيث دقة الوصف وجمالية الأسلوب، فبدأ البحث بنبذةٍ مختصرة عن حياة الشاعرين، بعدها تناول البحث جانبين ،الأول الجانب الأسلوبي الذي احتوى بعض المواضيع الهامة وهي (البحر ، القافية، العنوان، المطلع، ظاهرة التكرار بنوعيه الأفقي والعمودي، التماثل الموقعي أو الموازنات الصوتية وتنوع الخطاب واستدعاء الشخصيات). والثاني الجانب اللغوي الذي احتوى على أبرز الأسماء والأفعال والمشتقات والحروف التي استخدمها الشاعران، ودلالاتها، وهي بمثابة إحصائية بسيطة تبين كيفية توظيف هذه العوامل لخدمة الغرض الشعري المنشود. ثم تشكل في ذيل البحث ملحق احتوى على القصيدتين. ويشير الباحث إلى أن هذا البحث مضغوط بشدة إذ لا يمكن أن يفي بحقه أو أن يستوعب العنوان بشكل يستحقه، وأن يحيط به من جميع جهاته، لهذا ركز البحث على بعض المفاصل الهامّة وهو محاولة لتسليط الضوء على جوانب مهمة أو أساسية من القصيدتين. ووقف الباحث على شواهدها نقداً وتحليلاً وبيان دلالتها وصورها بأسلوب بسيط.

نبذة عن حياة الشاعرين:

محمد مهدي الجواهري وهو ابن الشيخ عبد الحسين، وجدة الأعلى محمد حسن (صاحب الجواهر) ولشهرة كتابه الفقهي هذا صارت الأسرة تُعرف بهذا اللقب (الجواهري). وُلد الجواهري في النجف الأشرف عام ١٩٠٠م. انخرط الشاعر في سلك الحوزة العلمية منذ صغرة فتعلم علوم اللغة العربية وفنون البلاغة والصرف والفقه، تناول دواوين الشعراء نهلاً وحفظا. وأعجب كثيراً بالبحتري، فانفتقت شاعريته قبل بلوغه حيث نشر

أول قصيدة له عام ١٩٢١م. بعد ذلك رحل إلى بغداد عام ١٩٢٧م وعُيِّن معلماً ثم عمل في الصحافة ثم في البلاط الملكي وبعدها عاد إلى سلك الصحافة فانشأ جريدة (الفرات). شغل مناصب عديدة منها نائب للبرلمان العراقي في العهد الملكي، ونقيب الصحفيين ورئيس اتحاد الأدباء. سافر كثيراً إلى براغ ولندن وفرنسا وسوريا ومصر وإيران، حتى استقر المقام به في دمشق. وشارك في مؤتمرات دولية وعربية عديدة، وحصل على جوائز كثيرة منها جائزة "لوتس" وجائزة "سلطان العويس". كما لُقب بـ "شاعر العرب الأكبر" و "آخر الفحول"، وله دواوين ومجموعات شعرية عديدة. توفي في سوريا عام ١٩٧٩م ودُفن فيها[١].

عبد الرزاق عبدالواحد فياض المراني (صابئي) وهو من مواليد في بغداد عام ١٩٣٠م، انتقلت عائلته إلى ميسان جنوب العراق بعد ولادته بسنتين أو ثلاث، فعاش طفولته في ريف العراق حيث الأنهار والأهوار والطبيعة الجميلة، أكمل دراسته الابتدائية في منطقة العمارة ثم عاد إلى بغداد وأكمل دراسته المتوسطة والإعدادية، دخل دار المعلمين العالية (كلية التربية حالياً) وتخرج منها مدرساً في اللغة العربية، حفظ ديوان المتنبي الذي أعجب به منذ صغره. كان زميلاً لرواد الشعر الحر في العراق (بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وشاذل طاقم) وكتب في الشعر الحر فأبدع فيه لكنه يميل إلى الشعر العمودي، وبرزت شاعريته حتى ذاع صيته في الوطن العربي، لُقب بشاعر القرنين والمتنبي الأخير. كما شارك في العديد من المهرجانات وحصل على وسام "بوشكين" في مهرجان الشعر العالمي عام ١٩٧٦م ودرع جامعة كامبريدج وميدالية القصيدة الذهبية ووسام "الآس" ودرع دمشق. بعد عمله مدرساً في اللغة العربية، نُقلت خدماته من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة الثقافة والإعلام، ثم عمل سكرتيراً في مجلة أقلام وبعد فترة صار رئيس تحريرها. كما اختير عميدا في معهد الدراسات النغمية، فعميداً للوثائقيين العرب، فمديراً عاماً للمكتبة الوطنية العراقية. هاجر إلى الأردن وتنقل بين سوريا ومصر وفرنسا. كما أن له دواوين عديدة تصل إلى الخمسين أو أكثر كمجموعات شعرية، وخص الأطفال بواحدة منها، وللمراثي ديوان، وللمسرحيات الشعرية وأشهرها مسرحية الحر الرياحي. تُرجمت بعض قصائده وأشعاره إلى اللغات الإنجليزية والروسية والرومانية والفرنسية والفنلندية

واليوغسلافية. أخيراً لابد للفارس أن يترجل، وافته المنية في مستشفى بفرنسا عام ٢٠١٥م، ونقل جثمانه إلى الأردن ودفن فيها بوصية منه[٢].

الجانب الأسلوبي:

الوزن الشعري (البحر):

البحر واحد وهو المتقارب ، وهذا البحر (ذو موسيقى قوية ورنانة ،وهو من أكثر بحور الشعر إحداثا للرنين والقرع والتأثير النغمي الحاد)[٣].

وتفعيلته تكرار (فعولن) ثمان مرات ،في كل شطر اربع ،لذا فإن هذه التفعيلة (احدثت طرقاً في آذان مستمعيه، مشعراً إياهم وكأنه في موكب حثيث الخطر ،وافادت تفعيلته التي تبدأ بخفوت (فعو) ثم بحدة (لن) في ان يصلح للتعبير عن الحزن والاسى والجزع بصخب وعناد وقوة . ايقاعاته لا تسمح بالهزيمة امام حزن المعاني التي ركبت بها ولا الخذلان ،بحرٌ جنائزيته مهيبة ، تمتد المعاني في سعة دون ان تلتفت او تقف)[٤].

وجاءت القصيدتان على وزن بحر المتقارب التام المحذوف، فالقافية على وزن (فعو) إيغالا بالصدمة واعلالاً لنبرة الخطاب ، لان هذا البحر (يصلح للعنف أكثر منه للرفق)[٥].

حرف الروي:

هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال: قصيدة دالية نسبة إلى حرف الدال، أو تائية نسبة إلى حرف التاء، وهكذا.

عند الجواهري: حرف الروي هو (العين المكسورة).

اهتم الشاعر بموسيقى شعره، والملائمة بين انفعالاته وبين ايقاع القصيدة وخاصة القافية لما تحملة من نغم وموسيقى تشكل الدعامة الصوتية الهامة التي تستند الى التكرار الصوتي مما يخلق نغمة موحدة على مدار القصيدة لان القافية: (وقفة موسيقية لابد منها ليرتاح فيها القارىء ويجد متعة في تأملاته للصور البيانية التي يعرضها الشاعر متعاقبة متسلسلة)[٦].

اختار الشاعر حرف (العين) وهو من الاصوات المجهورة* وهي (التي تتذبذب الاوتار حال النطق بها[٧]) وللعين صفة صوتية تنشأ من مخرجه ،كما له قرعٌ خاصٌ ناشيء من درجته وشدته ، والقرع والشدة (يتلائمان وانفعالات الوجع والحزن والجزع حين تأتي رويّاً لإحدى المراثي[٨]). فربما عمق مخرج العين يتناسب مع عمق المشاعر الهائمة داخل الشاعر، وكأن التوجه الى اعمق نقطة مخرجية في الحلق يعكس مدى الم الشاعر وحسرته العميقة.

حرف الروي عند عبد الرزاق عبد الواحد:

وهي ميمية ،والميم :(صوت مجهور متوسط شفوي أغن[٩])

فجهارة هذا الصوت المنتج للغنة يتناسب مع هواجس الشاعر وحزنه وتحسره ، والجهر يتوافق تماما مع موضوع الرثاء واظهار الشكوى، اذ كيف يستطيع المرء ان يبث آهاته عن طريق الهمس لا الجهر ؟!

فالرثاء موضوع شجي مؤلم فيه تحسر وأسى لذا كان الصوت للقافيتين حاضراً، خصوصاً اذا رأينا حركة الكسر (عِ و مِ) شعرنا بحالة الانكسار التي يعانيها الشاعران نتيجة وقع فاجعة الحسين عليهما.

العنوان:

صياغة علمية باستخدام كلمات مفتاحية، محددة بوضوح، ومنتقاة بعناية من قبل الباحث؛ للدلالة على مشكلة البحث ومضمونه، والإجراءات المتبعة لتنفيذه.

١. (آمنت بالحسين) للجواهري:

مارست عبارة آمنت بالحسين دوراً مكثفاً في التعبير عن الدلالة الرئيسة في النص وفي استدعاء الشخصية ،الايمان دلالة مركزية محورية ،والحسين هو الشخصية المحركة لهذه الدلالة[١٠].

فعن طريق العنوان تتجلى جوانب اساسية او مجموعة من الدلالات المركزية للنص ،ويبدو ان الدلالة المركزية للنص قائمة على الصراع بين الشك واليقين . والشعار على الطريقة الديكارتية جعل الشك اساس العلم والمحرك الذي يوصل الى اليقين بعد اقامة الدليل العقلي والمنطقي ،فأقضى في نهاية الامر بالشاعر الى دلالة التصديق والتوثيق والايمان. والذي يتطابق بالتالي مع العنوان المبني على فعل، و(ثريا النص "أي

العنوان" أتى محمّلاً بطاقة استفزازية تثير التساؤل والشكوك في ذهن المتلقي، خاصة انه انبثق من مركز التشيع مما يضعنا أمام رؤية ذاتية تخرق القدسية المتجذّرة في الخيال الجمعي الموالي وتحاول ان تصدع الاجماع الروحي الذي تواضعت عليه الامة الاسلامية، وتنزع قدسية الحدث الذي امتلك الوجدان ،فما الذي اضمره العنوان من صراع مرير جعل الشاعر يؤمن في النهاية بمن لا يعوزه الايمان؟![11]) يحيل العنوان الى سياق الجدل الفكري والصراع بين الشك واليقين جراء كثرة التزيّد والمغالاة في قضية الحسين وما وضعه الرواة وأرباب المقاتل وخطباء المنبر من مبالغات ووضع ورياء ،إلّا انّ ذلك لم يحجب بصيرة الشاعر عن رؤية الحق فاتخذ من عقله مرجعاً اجتاز به الشكوك ووصل الى الحقيقة ، وهذا ماعزز ترابط الجدل الفكري بين العنوان وبين العناصر المكونة للنص .

٢. (في رحاب الحسين) لعبد الرزاق عبد الواحد:

لم نجد ذلك الشك والصراع في ما يوحيه العنوان ، فالشاعر مؤمن بهذه الشخصية من الطفولة، وللبيئة التي عاش فيها الشاعر طفولته أثر في ذلك الايمان خاصة على غير المسلم ، اذ يعود الشاعر الى طفولته(في بداية القصيدة) والتي كانت تعجُ بذكر الحسين ،واحياء ذكراه وتأثير تلك الاجواء ،والشاعر يشاهد تلك الصور الشاخصة امام عينيه ورسخت في مخيلته وتجذرت في اعماقه فيصورها شعراَ. فدلالة العنوان توحي بإضفاء اجواء الحرمة والقداسة وهو يحرم في رحابه وكلمة(رحاب) محملة بالدلالات الروحية التي تشع من ضريح هذا الرمز الخالد فيتأثر بها المحب ،كما ان العنوان منسجم ومتطابق مع مضمون القصيدة ومفاصلها.

المطلع:

١.الجواهري: استفتح قصيدته بجملة اسمية (فداءٌ لمثواك) ولا يخفى ان الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام وقد جاء بها الشاعر محذوفة المبتدأ والاسناد (فالاسم يقتضي ثبوت الصفة وحصولها من غير ان يكون هنالك مزاولة[12]) كما في الفعل ، ففداء :خبر لمبتدأ محذوف ربما يكون تقديره(أنا، نحن، عمري، روحي، كلنا...) ليبقى الحذف يثير المتلقي من الوهلة الاولى ،مما ترك المجال مفتوحا في التفكير بالمحذوف وتقديره ،ويبقى الفداء مفتوحا على كل المعاني . والمطلع هذا يتناغم مع العنوان اذ لايكون الفداء الابعد الايمان .

٢. عبد الرزاق عبد الواحد: استهل قصيدته بجملة فعلية (قدمتُ) ودلالة الجملة الفعلية على الحدوث والتجدد والاستمرار مادام الفعل قائماً،فالفعل حدث مقترن بزمن (فموضوعه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء، والفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت[١٣]). فالشاعر يصور دخوله الى حضرة الامام تصويراً حيا حافلا بالحركة ، باحثاً عن الإضاءات والصور المشرفة ، مستلهما من تلك الشخصية الفذة ما يغذي به روحه. والمطلع يتناسب ايضاً مع العنوان الذي كان بحاجة الى صور حسية حركية فاتت الجملة الفعلية لتكمل ذلك وتنصهر معه.

ظاهرة التكرار:

يعد التكرار بأشكاله البنائية عامل اثراء للمنظومة الشعرية اذ يحقق تناغماً موسيقياً وخطابا متجانساً ،كجناس الالفاظ واعادتها ،فضلا عما فيه من نغم موسيقي يتقصده الناظم[١٤].

ويبدو انه الحاح مركز على جهة هامة يُعنى بها الشاعر اكثر من عنايته بسواها، ربما يكون (التكرار) مفتاحا للفكرة المتسلطة على المنشئ ، يبرز للمتلقي جانبا من اعماقه وما فيها من انفعالات لا يخفف من وطأتها الا من خلال التكرار ، لتساعد في الكشف عن المشاعر المكبوتة التي لا تجد سبيلاً للظهور الا عبر التكرار . فضلا عن الانتفاع منه في زيادة النغم وتقوية الجرس .

١-التكرار الافقي: يعتمد المجاورة أو المقاربة وقد يعمل اللفظ المكرر الثاني على توكيد اللفظ الأول او للإفصاح عن المراد من اللفظ الأول ، ومثاله عند الجواهري:

١. شممتُ ثراك فهبّ النسيم نسيمُ الكرامة من بلقعِ
٢. وعفّرت خدي بحيث استراح خدٌ تفرى ولم يضرعِ
٣. وطفتُ بقبرك طوف الخيال بصومعة الملهم المبدعِ

سعى التكرار لإحداث جمال اسلوبي تجلى في الابهام الكائن في معنى (النسيم) والاظهار الحاصل في كلمة (نسيم) . التي اوضحت المعنى وزادته بيانا فكان التكامل بينهما سمة مميزة حققه التكرار لإنتاج الدلالة.

وفي البيت الثاني حقق التكرار هدفه الدلالي في قاعدة ثنائية تجمع بين خد الشاعر وخد الحسين على صعيد التقابل ،مما جعل ذات الشاعر هي المستلهمة للروح الثورية ،والمستمدة عنفوانها من عنفوان صاحب الذكرى.

وفي البيت الثالث يتعامل الشاعر مع الشخصية بتعبير طيفي وخيالي وذهني ، فجعل الحسين حُلماً يأمل عودتهُ فاستحضر عناصر الخيال ليبتعد بنا عن العالم الواقعي ،فأنتقل الى عالم اسمى وارفع لايمكن الا ان يتخيله .(فما كان امام الشاعر مع الحسين سوى الطيف كوسيلة لاختراق عالمه المثالي ليصنع منه رمزاً فكان الفعل (طفتُ) يأخذ مع ذات الشاعر دلالة حركية هادئة تلتحم مع قوله (طوف الخيال) للتأمل في صومعة الالهام والابداع في جو مليء بالقدسية والروحانية[١٥]).

وقد حصل التكرار الافقي في البيت ٢٢(ولم تُبذّر ...ولم تزرع)

كذلك في البيت ٢٣و ٢٤ و٢٩ و٣٠ و٣٥ و٥٣ ، (يا ابن البطين ..يا ابن الفتى) و٥١. (وخيرُ بني الامِ من هاشمٍ وخير بني الاب من تبع)

و٥٨ الشك و٦٢ (آمنت....ايمان)

٢. مثال التكرار الافقي عند عبد الرزاق عبد الواحد:

قدمتُ وعفوكَ عن مقدمِي حسيراً أسيراً كسيرا ظمي

يصور الشاعر قدومه ومثوله في رحاب الحسين طالباً العفو عن ذلك المقدم ببيئة تكرارية زادت من جرس البيت وموسيقاه ونغمه ويبدو ان تكرار حرف السين في العجز قد تعمده الشاعر ، وتكرار هذا الحرف بالذات يظهر رغبته في اضفاء حركة موسيقية ملائمة للغرض الذي ينشده ، فهو يحاول توظيف كل مالديه من ادوات لإبراز الاطار الموسيقي المراد (فصفير صوت السين يشكل قمة موسيقية يحس بها المتلقي، مما أوحى إلى تمركز نمط إيقاع من خلال ذلك الانسجام الواضح، وبذلك كان لتكرار السين وقع مميز وصدى مؤثر في نفس السامع أو المتلقي[١٦]) كما أن صوت السين منح البيت سلاسة وعذوبة وموسيقى. وقد ورد التكرار الأفقي أيضاً في قصيدة عبدالواحد في البيت رقم (٦) (سلام...السلام) ورقم (١٠) (ظفر...ظفراً) ورقم (١٦) (برعمه...وبرعم) ورقم (١٩) (لم) و رقم (٢٢) (الصدور...صدرك) ورقم (٢٦) (ترتقي...مرتقى)

ورقم (٣١) (مقحمه....ومقحم) ورقم (٣٣) (عتبٌ...وعتب) ورقم (٤٠) (الأقدم...الأقدم) ورقم (٤١) (الصوت...صوت) ورقم (٤٣) (جثت...المجثم) ورقم (٤٤) (ياء النداء تكررت ثلاث مرات) ورقم (٤٧) (زعم...ومزعم) ورقم (٤٩) (علي...وعلي) ورقم (٥٢) (فدى...وفداء) ورقم (٥٣) (قدمت مقدمي) ورقم (٦٢) (خانك...خاننا).

٢. التكرار العمودي:

أ. وكأنموذج جاء في قصيدة (آمنت بالحسين) قوله:

فيابن البتول وحسبي بها ضمانا على كل ما أدعي

ويابن التي لم يَضَعْ مثلُها كمثلكَ حملاً ولم تُرْضِعِ

ويابن البطين بلا بِطنةٍ ويابن الفتى الحاسرِ الأنزعِ

تكرار حرف النداء ومد الصوت فيه يكشف عن حال الشاعر وكأنه يستصرخ شعوره ويصيح بلغة الثائر الذي يمقت الخوف والخنوع لأفجر بهذه الصيحة آذان الخاملين وهو يغذي روحه من إحياء أمجاد الثائرين العظام، وهذا ما يفصح عن نفس طامحة كامنة في نفس الشاعر، متمردة على الواقع السياسي الذي يعيشه. (ودلالة تكرار ضمائر المخاطبة وانفعال الشاعر بالحدث المفجع إلى الحد الذي يجعله طرفا في خطابه ويعقد حواراً معه، معززاً حضور الإمام الحسين عبر مناداته بأدوات النداء المعروفة[١٧])

والتكرار هنا يحمل معنيين الأول: القيمة الإيقاعية التي تستميل النفس وتلفت الذهن وتنبه المشاعر، والثاني: التنوع بمنابع الشرف النسبي فقرن ياء النداء مع (ابن) بمفاصل متصلة بعلائق وشيجة أكد عليها الشاعر بمقاطع منغمة خلقها التماثل الصوتي المكثف. وحدث مثل هذا التكرار في البيتين (٧،٦) (فيا، يا) وكذلك في البيت (٣١،٣٠)، والأبيات (٢٥،٢٤،٢٣) (لم) وفي البيتين (٥٢،٥١) (خير وخيراً).

ب. ومثال هذا النوع من التكرار في قصيدة (في رحاب الحسين):

فمذ كنت طفلاً رأيت الحسين

ومذ كنت طفلاً وجدت الحسين

ومذ كنت طفلاً عرفت الحسين

يعود الشاعر إلى طفولته حيث كانت البيئة تعج بذكر الحسين وإحياء ذكراه ومراسيمه والشاعر يشاهد هذه المشاهد الشاخصة أمام عينيه فتبهره هذه الصور، فيصورها شعراً، وهذا التكرار يكرس العلاقة بين الذات الشاعرة وبين شخصية الحسين بمثل هذه الصورة المكتنزة بأدوات تخييلية لفاعلية الذكريات المتسربة بهدوء إلى حنين الشاعر، كما أن تكرار حرف الواو (ومذ، ومذ) أفاد الربط، مما أتاح للشاعر الانفعال والتحكم بحرية الانشاد والابتعاد عن الرتابة، إذ أن للواو قوة إسماع عالية. لقد كشف التكرار عما كان يدور في نفس الشاعر من قيم شعورية متوثقة في أعماقه، ولو نظرنا إلى الأفعال التي توسطت التكرار (رأيت/وجدت/وعرفت) التي نصبت مفعولين لعرفنا أن دلالتها تجعل الخبر يقيناً.

التوازن الصوتي :

هو ظاهرة تعمل على استدعاء الطاقات الانفعالية والتأثيرية لدى المتلقّي؛ من حيث شحن بنية النص الداخلية بطاقات متجددة تمنحه فاعلية فنية وإيقاعية تترجمها عواطف الشعراء وأحاسيسهم. وعبر هذا الطرح تهدف الدراسة إلى الكشف عن مدى الاحتكام في الشعر .

تشكل الموازنات الصوتية بين المواقع المتوازنة في القصيدة تأثيرات كبيرة لما تقدمه من إلحاق تعزيزات ضرورية تكون بمثابة الفاعل في إثراء دلالات الصور، وقد تكون (أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر بحيث نطلع عليها) وينشأ هذا النوع من التوازن الصوتي ، من التجانس الصوتي وهو (أمر ضروري في تركيب الشعر ينشأ نتيجة الوزن كما ينشأ نتيجة وعي ظاهر بالقيمة الموسيقية للتكرار[١٨]).

أ. عند الجواهري:

فداءٌ لمثواك من مَضْجعِ تنوّر بالأبلج الأروع

بأعبق من نفحات الجنا نِ رَوحاً ومِن مسكها أضوع

وقع التشابه الصوتي في الكلمات (أبلج، أروع، أعبق، أضوع) وتحتشد القصيدة بهذا النوع من التماثل (أرفع، أمنع، أوضع، أوسع، أنزع، أروع...) وهذا التماثل يؤسس لمفاهيم جديدة يفرضها عليه الباحث النفسي ليربط بين التماثل وإيحائه، وليحقق رغبته الجامحة بتحريك جوانب النص الدلالية وإبراز ما آل إليه قبر الحسين من ضياء وشذى من روائح الجنان. ومن التماثل الموقعي والنحوي والإيقاعي قوله:

ورعياً ليومك يوم الطفوف وسقياً لأرضك من مصرع

رعياً.....ليومك

سعياً.....لأرضك

مصدر يفيد الدعاء **جار ومجرور**

حقق الشاعر من خلال هذه المماثلات الصوتية وحدة نغمية بارزة أدت إلى تأسيس علاقات تدفع بالصورة إلى مديات أرحب في التأثير.

ب. عند عبد الرزاق عبد الواحد:

..... حسيراً أسيراً كسيراً

.....مناراً

.....ملاذاً

.....رضاعاً

..... الضياء ..... الدعاء

(متوجة بالجلال مخضبةً بالدم) (لخشوعك– لجوعك)

الصورة الأدبية مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ وبجرسها الموسيقي ومعانيها المجازية وحسن تأليفها، فالتماثل الصوتي وتشابه الأوزان حقق التأثير من خلال الموسيقى والإيقاع ليتولد من ذلك عمق دلالي شكّل مكوناً من مكونات الإبداع الفني والتنوع السردي[١٩].

تنوع الخطاب واستدعاء الشخصيات:

١. عند الجواهري:

افتخر بشرفية نسب الحسين أماً وأباً وعشيرةً واكتفى بذلك في الكنية دون ذكر الاسم الصريح والكنية أبلغ من التصريح، فذكر الشاعر بمنابع الشرف والفضيلة إذ كنّى بشخصيات لها وقع وأثر في نفوس المتلقين، فافتخر بالأم ثم بالأب وهما قمتا المجد وعلما الفخر ثم انتقل بصورة تصاعدية من الفخر بالأبوين إلى الفخر بالعشيرة، إذ قال:

فيابن البتول وحسبي بها ضماناً على كل ما أدعي
ويابن التي لم يضع مثلها كمثلك حملا ولم ترضع
ويابن البطين بلا بطنة ويابن الفتى الحاسر الأنزع
ويا غصن هاشم لم ينفتح بأزهر منك ولم يُفرعِ

الافتخار بالأم (فاطمة الزهراء) ⇦ الافتخار بالأب (علي بن ابي طالب) ⇦ الافتخار بالعشيرة (بنو هاشم)

الاستدعاء الكلي لشخصية الحسين واضحاً فهو الرمز التراثي الذي هيمنت دلالته على مفاصل القصيدة بمعنى أن القصيدة قامت على محور شخصية واحدة، فكان مجيء الرمز فيها شاملاً جوهرياً محملاً بالدلالات.

وقد ساوى الشاعر في المقاطع بين شرف الأم وشرف الأب:

أ. الفخر بالأم:

– يا ابن البتول، يا ابن التي.

ب. الفخر بالأب:

– يا ابن البطين، يا ابن الفتى الحاسر.

فشرف الأم يساوي شرف الأب.

٢. عند عبد الرزاق عبد الواحد:

تنوع في الخطاب وتشعب في استدعاء الشخصيات، لقد افتخر بالحسين بأنه غصن النبي وحامل صفاته فقال:

سلام عليك حبيب النبي وبرعمه طِبتَ من برعمِ
حملت أعز صفات النبي وفزت بمعياره الأقـوم

كنّى الشاعر عن الحسين دون ذكر اسمه، واستدعى شخصية النبي الأكرم (ص) وعقد مقارنةَ تشبيهيه مستنده على واقعة تاريخية معروفة وبيّن وجه الشبه بينه وبين جدة في موقف مماثل وهو الإصرار على الرسالة والعقيدة والاستعداد للتضحية في سبيلها فقال:

دلالة أنهم خيروك كما خيروه فلم تثلمِ
بل اخترت صلت الجبين ولم تتلفت ولم تندمِ

واستدعى بخطابه آل الحسين وبين تضحياتهم وهم يدفعون عنه (بعُري الصدور)، واستدعى شخصية العباس بن علي وذكر أبرز صفةٍ جسدية للتعريف به وهو (قطيع الكفّين).

سلام عليهم على راحتين كشمس على فلك أقتمِ
تشعّ بطونهما بالضياء وتجري الدماء من المعصمِ

وكذلك استدعى شخصية مريم العذراء وشبّه زينب بنت علي بها وبيّن وجه الشبه بينهما وهو الفصاحة والعفّة والوقوف بشجاعة أمام الأعداء وبالطُّهر والنور الممتزج بالحزن والتفجّع فقال :

سلام على هالةٍ ترتقي بلألائها مرتقى مريمِ
طهور متوجةٍ بالجلال مخضّبةً بالدم العندمِ
تهاوت فصاحة كل الرجال أمام تفجعها الملهمِ
فراحت تزعزع عرش الضلال بصوتٍ بأوجاعه منعّمِ

زينب بنت علي هالة ترتقي ← طهور متوجه بالجلال ← الفصاحة ← مخضبة بالدم
مريم بنت عمران مرتقى مريم ← طهور ← متوّجة بالجلال ← الفصاحة

فامتازت زينب عن مريم بعد مساواتها بالصفات، بصفة الخضاب بالدم العندم لأنها قدمت أهل بيتها أضاحي على مذابح الحرية.

كما استدعى شخصية الحر الرياحي وأطنب في مخاطبته بـ١٢بيتا، واستدعى شخصية الامام علي واشاد بدوره الجهادي، واصفا زهده وورعه وشجاعته وسيفه بـ٨ أبيات.

الاستطراد: يعرف بأنه الخروج عن وحدة الموضوع والانتقال الى مواضيع اخرى غير الموضوع الرئيس.

أ. عند عبد الواحد: حيث استطرد الشاعر في قصيدته وانتقل من وحدة الموضوع وصلبه، فذكر العراق بـ٧ أبيات، والعراقيين وصبرهم على الشدائد والحروب وتكالب الاعداء، وخيانة العرب، ثم عاد الى صلب الموضوع.

ب. عند الجواهري: لم نجد كل تلك الاستدعاءات ولا هذا الاستطراد حيث انه ظل محافظا على الوحدة الموضوعية للقصيدة ومركزا على الشخصية، قطب رحى القصيدة. وحاول ايصال الرسالة التي أراد الحسين ايصالها الى البشرية جمعاء عبر استشهاده، وهي الثبات على المبادىء والانتصار للحق.

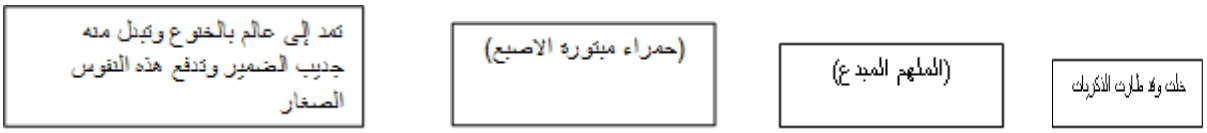
ففجر في الشخصية كل طاقاتها المخزونة في ضمائر الناس باعتباره نموذجا متعاليا في الشهادة، وكأن الجواهري قد اصطف مع الحسين بطرف واحد في مقارعة الطغاة، فعالج الحسين لا بوصفه ميتا بل حيا مؤججا للصراع بنهجه ويومه ومثواه وقبره ويده المصبوغة بدماء الشهادة[٢٠].

كأن يدًا من وراء الضريحِ حمراء مبتورة الإصبعِ
تَمُدُ الى عالمٍ بالخنوعِ والضيم ذي شرقٍ مُترعِ

فكأن تلك اليد تمتد من خلف الضريح لتصل الى عالمٍ خانع مضطهد فاسد الضمير لتمده بضمير جديد حي يسكب عليه الأمن ويطرد عنه الخوف والذل.

الحسين ← اليد ← الواقع

حلم الشاعر



الصورة الشعرية في القصيدتين:

التشبيه لغة: ذكر ابن منظور أن الشِبْهَ، والشَبَهَ ،والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله وأشبهتُ فلاناً وشابهته وأشتبه عليّ، وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد منهما صاحبه، وشبّهه إياه وشبّهه به مثّلهُ، والتشبيه: التمثيل[٢١] وجاء في خطبة الإمام علي (ع) السابعة والعشرين من نهج البلاغة يقول: (يا أشباه الرجال ولا رجال. حلوم الأطفال. وعقول ربات الحجال) [٢٢] وأشْباهٌ في اللغة هي مفرد شبيه.

التشبيه اصطلاحا: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قُصِد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة؛ لغرض يقصده المتكلم، أي مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى بأدوات معلومة كقولك: العلم كالنور في الهداية.. فالعلم مشبه والنور مشبه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه[٢٣]، ويتجلى هذا التأثير في إن تعريفاتهم لكلمة التشبيه اصطلاحاً متفقة في مدلولاتها وأن اختلفت طرائق تعبيرهم باختلاف اختصاصاتهم الأساسية وتباين مشاربهم، ولعل المبرّد أقدم اللغوين الذين عرفوا التشبيه اصطلاحاً ،قال: (واعلم أن للتشبيه حدّاً ،لأن الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه فإنما ينظر الى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر، فإنما يراد به الضياء والرونق ولا يراد به العِظم والإحراق ،قال الله تعالى (كَانهنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) الصافات٤٩ والعرب تشبه النساء بيض النُعام، تريد نقاءه ورقة لونه) [٢٤] وفي هذا النص يظهر أن المبرد العالم اللغوي يعتمد منهج استقراء شواهد اللغة العربية والذوق العربي ويستضيء بأحد المعاني اللغوية لكلمة التشبيه، وهو تفارق شيئين في وجه واختلافهما في وجه آخر، فيرى أن هذه الكلمة اصطلاحاً تدل على جمع أمرين من صفة دون الصفات الأخرى التي تغلبت عليها كلمة المشبّه والمشبه به.

ومن أمثلة التشبيه في شعر عبد الرزاق عبد الواحد:

فَمُذْ كنتُ طفلاً رأيتُ الحسين مَناراً إلى ضوئهِ أنتَمي

فالتشبيه هنا في البيت تشبيه بليغ حذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه.

كما هو القول في البيت الذي يليه:

مُذْ كنتُ طفلاً وجَدتُ الحسين مَلاذاً بأسوارِهِ أحتَمي

ونوع التشبيه أيضاً تشبيه بليغ.

سلامٌ عليهم.. على راحَتَين كَشَمسَين في فَلَكٍ أقْتَمِ

ونوع التشبيه هو التشبيه التمثيلي لأنه قد ربط صورتين في أداة التشبيه.

وفي قوله:

فَمَسَّكَ من دونِ قَصدٍ فَمات وأبقاكَ نجماً من الأنْجُمِ!

والتشبيه بليغ حيث حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه .

أما التشبيه في قصيدة الجواهري قوله:

وطُفْتُ بقبرِكَ طَوْفَ الخَيَالِ بصومعةِ المُلْهَمِ المُبْدِعِ

ونوع التشبيه في هذا البيت هو التشبيه التمثيلي

وفي قوله :

ويابنَ التي لم يَضَعْ مِثْلُها كمِثْلِكِ حَمْلاً ولم تُرْضِعِ

ونوع التشبيه في هذا البيت التشبيه المقلوب

الاستعارة لغةً: جاء في لسان العرب: "والعارِيةُ و العارةُ: ما تدا ولوه بينهم، وقد أعاره الشيءَ وأعاره منه و عاوره إيّاه، والمعاورة والتَّعاور: شبه المداولة والتّدا ول في الشيء يكون بين اثنين"[٢٥]

أما اصطلاحاً فهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منهُ[٢٦].

أما الاستعارة في قصيدة عبد الرزاق عبد الواحد فنجدها في قوله:

قدمت وعفوك عن مقدمي . اسيرا كسيرا حسيرا ضمي

والاستعارة تصريحية حُذف فيه المشبه.

وفي قوله :

ومذ كنت طفلا وجدت الحسين . ملاذا بأسواره احتمي

ونوع الاستعارة مكنية حيث حذف فيها المشبه به

وفي قوله:

وخضت وقد ضفر الموت ضفرا فما فيه للروح من مخرم

ونوع الاستعارة في هذا البيت مكنية خذف فيها المشبه به .

وفي قوله :

تشع بطونهما بالضياء. وتجري الدماء من المعصم

ونوع الاستعارة في هذا البيت استعارة مكنية.

والاستعارة في شعر الجواهري في قوله :

تعاليتَ من مُفْزِعٍ للحُتوفِ وبُورِكَ قبرُكَ من مَفْزَعِ

تلوذُ الدُّهورُ فَمِنْ سُجَّدٍ على جانبيه ومن رُكَّعِ

والاستعارة في كلا البيتين مكنية فقد صرح بالمشبه وحذف المشبه به ففي الاول فقد وصف الامام الحسين بأنه مفزع للحتوف ومهيب لها وان شجاعته لا مثيل لها .

أما البيت الثاني فقد وصف الدهور كالهاربة من الموت التي تلوذ وتستنجد بمنقذها .

وفي قوله :

قُلْتُ: لعلَّ دَوِيَّ السنين بأصداءِ حادثِكَ المُفْجِعِ

وفي هذا البيت استعارة تصريحية صرخ بالمشبه به وحذف المشبه فقد شبه السنين بالصاعقة ودويها وصداها

وفي قوله:

وأن تُطْعِمَ الموتَ خيرَ البنينَ مِنَ "الأَكْهَلِينَ" إلى الرُّضَّعِ

فنوع الاستعارة مكنية حيث شبه الموت بالوحش الذي يطعمه البنين .

وفي قوله:

وَرَانَ سَحَابٌ صَفِيقُ الحِجَاب عَلَيَّ مِنَ القَلَقِ المُفْزِعِ

وفي هذا البيت استعارة مكنية حيث شبه السحاب بصفيق الحجاب والصفيق من لا حياء له.

نتائج البحث:

١. توصل الباحث أن الشاعر عبد الرزاق عبدالواحد كان يحاكي ويجاري الشاعر محمد مهدي الجواهري لسببين، الأول لأن قصيدة عبد الرزاق متأخرة زمانياً عن قصيدة الجواهري، وهذا ما نستنتجه من فارق الزمان وبالتالي فالمتأخر هو الذي يتأثر بالمتقدم وليس العكس. أما السبب الثاني فلأنه اختار وزن وبحر وغرض القصيدة الأولى، بل وشاركه في شطر العنوان.

٢. تمتع النص بخصائص تعبيرية وجمالية تتحكم في الدلالة وفي التأويل بوصفه اختزالاً لأبعاد النص وهو الذي يحدد هوية القصيدة، ومن هنا نلحظ أن عبارة (آمنت بالحسين للجواهري) تحيل إلى سياق الجدل الفكري المتمثل في الصراع بين الشك واليقين والذي أصبح البؤرة الفكرية التي انبثق منها النص فصار الشك الإضاءة الاولى على طريق البحث عن الحقيقة فآمن بعد إقامة الدليل، ولم نجد هذا الشك والصراع عند عبد الرزاق عبد الواحد على الرغم من أنه صابئي.

٣. ابتدأ الجواهري بجملة أسمية تدل على الثبوت والدوام ليوائم بذلك عنوان القصيدة وختمها باسم فخدم بذلك الغرض العام للفكرة الرئيسة وأحاط بها وطوقها من جميع الجوانب، بينما ابتدأ عبد الواحد بجملة فعلية (قدمت) وهي تفيد التجدد والحدوث شيئاً فشيئاً وجاءت متوافقة مع العنوان الذي يحمل معنى الظرفية (في رحاب الحسين).

٤. شخصية الحسين في قصيدة الجواهري شخصية محورية شغلت جميع مساحة النص ابتداءً من العنوان إلى مطلع المتن وقد ترتب على ذلك تماسك النص، على العكس من الشاعر عبد الرزاق فأنه استطرد في قصيدته وابتعد عن الموضوع الرئيس ،حيث انتقل الى ذكر العراق خارجا عن وحدة الموضوع.

٥. الشهادة في منظور الجواهري هي القطب الآخر لديمومة الحياة، ومعادلاً للحرية ولازمة وجودية من لوازم تحقيق الحياة الكريمة، وتوظيف الشهادة في شعره أحد مولدات الابداع في الخطاب الشعري لديه،وكذلك يرى عبد الواحد ان الشهادة هي السبيل لسلامة النفس وان الحسين هو الذي دار حول الموت فأعماه برفضه وكبريائه العظيمة وظل نجماً لم يطفئه الموت .

٦. ابتعد نص الجواهري عن الأفعال التي تحمل معنى الدعاء وتقصد استعمال المصادر لطاقتها على الثبوت والاستمرارية بما يتناسب وابعاد الشخصية (فداء–رعيا–سعيا)، كذلك عند عبد الرزاق عبد الواحد.

٧. انتقال الجواهري من عالم الواقع الى عالم الخيال والطيف، حيث انتقلت روحه من عالم المحسوسات وارتقت إلى آفاق من الرفعة والسمو بما يتناسب مع قداسة المشهد في استبطان ما يوحي به (الطواف) من استلهام الحقيقة التي ينشدها خاصة إذا ركزنا على الفعل (طاف) نجده محملاً بالدلالات يفوح منه شذى القدسية لاقترانه بشعيرة مقدسة وهي (الطواف حول الكعبة في موسم الحج) بينما لم نجد عبد الرزاق عبدالواحد يرتقي إلى العالم الأرفع والأسمى وهو عالم الخيال الطيفي.

٨. ذُكرت الصورة الشعرية من التشبيه والاستعارة لكل من الشاعرين الجواهري وعبد الرزاق عبد الواحد ولا تفاوت بينمها فيما ذكروا من الصور .

٩. استعمل الجواهري التكرار سواء بالحرف أو بالكلمة أو بالضمائر، وخاصة ضمير المتكلم القار في الأفعال (شممتُ، عفرتُ، خِلتُ، طِفتُ، رددتُ) وضمير المخاطب الكاف في (مثواك، يومك، قبرك، صوتك، أمرك، حادثك، أعطاك، وجدتك، مجدك، ثراك، ضميرك، ذكراك....) أو تاء الحسين في الأفعال (تعاليتَ من مفزع) (تعاليتَ من صاعق) (تعاليتَ من فلك) (نورتَ، قومتَ) فضلاً عن الضمائر المستترة العائدة على الحسين ضمن سياق متجانس ، ومن هنا انطلقت بنية التكرار لتحقق أهدافها الدلالية من قاعدة ثنائية تجمع بين الذات والموضوع على صعيد التقابل داخل السياق الشعري، في حين لم نر ذلك الكم الهائل من التكرار الهادف إلى تكريس الفكرة عند عبدالواحد.

١٠.تنوع الخطاب عند الجواهري واكتفى باستدعاء شخصية الام (الزهراء) والاب (الامام علي) والعشيرة، اي فقط اهل بيته، اما عبد الواحد فلم يكتف بذلك ، فقد تنوع وتشعب باستدعاء الشخصيات حيث ذكر الامام العباس ، وزينب الحوراء ، والحر الرياحي ، ومريم العذراء .

الهوامش:

١ ينظر في ترجمة الجواهري: (ماضي النجف وحاضرها: جعفر محبوبة، ١٣٧:٢)، (شعراء الغري: علي الخاقاني، ١٣٩-٢١٦)، (معجم البابطين: جمع هيئة المعجم، ٥،١٢٢)، (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين: حميد المطبعي، ١٩٦:١)، (الشعر والشعراء في العراق: احمد ابو السعد،١١١).

٢ ينظر في ترجمة عبد الرزاق عبد الواحد: (معجم البابطين: جمع هيئة المعجم،٣-١٦٢)، (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين: حميد المطبعي، ١٢٦:٦)، (شعراء العراق المعاصرون، غازي عبدالحميد ٤٦).

٣ (تطور الشعر العربي في العراق، د. علي العباس العلوان، ٣٠٠).

٤ (البنية الإيقاعية في شعر الجواهري، عبد نور داوود، ٨٥).

٥ (فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، ٨٩).

٦ (فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، ٨٩).

٧ (فن الكلام، د.كمال بشر ٢٠١).

٨ (أسلوبية البناء الشعري، د. سامي عبد الجبار ٣٤).

٩ (المدخل إلى علم الأصوات العربية، د.غانم قدوري ٢٧).

١٠ (بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ٨٤).

*الاصوات المجهورة (ب،ح،د،ذ،ر،ز،ظ،ض،ع،غ،ل،م،ن،و،ي) وما عداها فهي مهموسة .

١١ (التناص في شعر الجواهري، د.مهدي عيدان الوائلي، ٣١٣).

١٢ (التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د.محمود عكاشة، ٦٤).

١٣ المصدر نفسه.

١٤ (ينظر دلالة الألفاظ، ابراهيم أنس، ٧٧).

١٥ (شعرية النص عند الجواهري، علي الزهيري،١٢٠).

١٦ (الشعر والنغم، د. رجاء عبيد،٢٢٥).

١٧ (جدليات الجواهري، علي الخالدي، ٢٧).

١٨ (البنية الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، د. مصطفى السعدي ٢٧).

١٩ (ينظر بنية الإيقاع في الخطاب الشعري، د. يوسف إسماعيل، ٩٥).

٢٠ (ينظر لغة شعر الجواهري، صبا المعموري).

٢١ ابن منظور: لسان العرب، مادة (شبه).

٢٢ نهج البلاغة للإمام علي (ع)، جمعه الشريف الرضي و وحققه ٣_محمد عبده، مؤسسة المعارف بيروت،ط١، ١٩٩٠م،الخطبة ٢٧،ص١٤٢.

٢٣ سيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة،ص٢١٩.

٢٤ المبرّد: الكامل،ج٣،ص٥٢.وينظر :أحمد مطلوب: البلاغة والتطبيق،ص٢٦٢.

٢٥ ابن منظور: لسان العرب، مادة (سعر).

٢٦ ظ: الخلاصة في علوم البلاغة:١/٤٣

المصادر والمراجع:

١. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، محمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ،بيروت _لبنان ١٩٩٩م.

٢. أحمد مطلوب: البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العملي _العراق،١٩٩٩.

٣. اسلوبية البناء الشعري /د. غانم قدوري ، ط١ ،دار عمار، الاردن ٢٠٠٤.

٤. بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، طبع المجلس الوطني للثقافة والنشر، الكويت ١٩٩٢م.

٥. البنية الاسلوبية في لغة الشعر الحديث/ مصطفى السعدي ، دار المعارف الاسكندرية.

٦. بنية الايقاع في الخطاب الشعري / د.يوسف اسماعيل /منشورات وزارة الثقافة السورية ،دمشق ٢٠٠٤م.

٧. البنية الايقاعية في شعر الجواهري/عبد نور داوود، رسالة دكتوراه ،كلية الاداب جامعة الكوفة ،٢٠٠٨.

٨. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة /د. محمود عكاش ،ط ١ دار النشر للجامعات ، مصر ٢٠٠٥م.

٩. تطور الشعر العربي في العراق /د.علي عباس علوان ،ط١ ،مطبعة الاندلس، بغداد ١٩٨٥م.

١٠. التناص في شعر الجواهري ،دراسة في لسانيات الخطاب / د. مهدي عيدان الوائلي ،ط١،دار عدنان للطباعة،بغداد ٢٠١٧م.
١١. جدليات الجواهري ، علي الخالدي /رسالة دكتوراه جامعة الكوفة ٢٠٠٧م.
١٢. دلالة الالفاظ / د. ابراهيم انس ،ط٣ مطبعة الانجلو، القاهرة ١٩٧٦م.
١٣. الشعر والشعراء في العراق /احمد ابو السعد،دار المعارف بيروت،١٩٩٥م.
١٤. الشعر والنغم /د. رجاء عبيد،ط١ م،طبعة دار الكتب العربية مصر ٢٠٠٢م.
١٥. شعراء العراق المعاصرون /غازي عبد الحميد ،ط١ ،مطبعة الشباب بغداد .
١٦. شعراء الغري /علي الخاقاني ،ط٢ مطبعة بهمن،قم المقدسة ١٤٠٨هـ.
١٧. شعرية النص عند الجواهري :علي الزهيري، رسالة دكتوراه جامعة بغداد٢٠٠٧م.
١٨. فن التقطيع الشعري والقافية /د. صفاء خلوصي، ط٥ مكتبة المتنبي بغداد ١٩٧٧م.
١٩. فن الكلام / د. كمال بشر ،دار غريب للطباعة والنشر، مصر ٢٠٠٣م.
٢٠. لغة شعر الجواهري/ صبا المعموري، رسالة ماجستير جامعة بابل ٢٠٠٥م.
٢١. ماضي النجف وحاضرها ،جعفر محبوبة ،ط١،مطبعة العلمية ،النجف ١٩٥٥م.
٢٢. معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين /جمع هيءة المعجم/ط١، ١٩٩٥م.
٢٣. موسوعة أعلام العرق في القرن العشرين /حميد المطبعي ،ط١ دار الشؤون الثقافية بغداد،١٩٩٥م.

التحليل المكاني للسكن العشوائي في مدينة بغداد

أ.م.د. مهيب كامل فليح

مركز التخطيط الحضري والاقليمي/ جامعة بغداد

المقدمة:

لقد رافقت ظاهرة السكن العشوائي تطور المدينة منذ القرن التاسع عشر، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، بسبب الزيادة الكبيرة في الدخل واستمرار تزايد المساكن الجديدة لتوفير الاحتياجات السكنية من أجل الاسر الجديدة، الذين تركوا الحياة التقليدية بالسكن مع عوائلهم. فقد ظهرت هذه الحالات بشكل واضح في المدن الغربية خلال وبعد الثورة الصناعية، ولكن هذه المشكلة استفحلت حتى وصلت إلى دول العالم الثالث في الخمسينات من القرن الماضي، فأصبحت بذلك مشكلة عالمية، ولاقت اهتمام من قبل الباحثين على كافة اختصاصاتهم. ففي منتصف الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي ازدادت هجرة السكان في دول العالم الثالث من الريف إلى المدنية بشكل كبير جدا، مما أدى إلى التضخم الكبير للمدن واتساع رقعة المخالفات العشوائية فيها.

ولعل مشكلة السكن العشوائي من أكبر المشاكل التي تعاني منها مدينة بغداد كون ان هذه المشكلة تمس بالدرجة الاولى الحاجة الاولوية للإنسان، ألا وهي السكن المريح والصحي، كما أن السكن العشوائي يشكل عائقا كبيرا ومحددا أمام تنفيذ العديد من الخطط الاستراتيجية للمدينة.

- مشكلة البحث:

نظرا للمكانة المهمة التي تحتلها مدينة بغداد باعتبارها عاصمة العراق وهي المدينة المهيمنة، لذا فان التعرف على طبيعة التوزيع المكاني للسكن العشوائي في المدينة من خلال التعرف على مواقع وطبيعة التركز وما هي الاسباب التي كانت السبب في وجودها.

– فرضية البحث:

تعد العشوائيات على الاراضي المخصصة لاستعمالات محددة ضمن التصميم الاساس ذات أثر سلبي على طبيعة الاستعمالات وكمية الخدمات المقدمة وفق المعايير التخطيطية .

- هدف البحث:

- التعرف على طبيعة التوزيع المكاني للعشوائيات في مدينة بغداد، والاسباب التي تقف خلف هذه العشوائيات، واهم السلبيات التي تخلفها العشوائيات، للوصول الى تحليل مكاني والوقوف على طبيعة هذه المشكلة واهم الاستنتاجات والتوصيات التي قد تكون مناسبة لحل هذه المشكلة .

المبحث الأول: أزمة السكن في مدينة بغداد:

لقد بدأ السكن في المدينة العربية بالبيت العربي القديم، الذي يشكل وحدة سكنية مستقلة، تضم عائلة واحدة، تتناهى في الكبر غالباً بحيث تضم الجد والأبناء والأحفاد وذويهم وأزواجهم، أي تضم الأصول والفروع كافة، حيث يهيمن على المجتمع نظام السيطرة الأبوية، فكانت المنازل تبعاً لهذا لنظام واسعة وكبيرة تتيح إيواء عدد كبير من الأفراد، ثم بدأ التطور الاجتماعي، وتحللت العائلة الكبيرة إلى عدة عائلات صغيرة، تنشد كل منها داراً مفردة تتمتع فيها بالاستقلال، وكان من نتيجة ذلك ضائقة السكن، التي أخلت بالتوازن بين عدد العائلات وعدد المساكن الموجودة فعلاً.

بدأت الحكومات العراقية المتعاقبة منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي في البحث عن اساليب توفر من خلالها السكن الصحي للمواطنين ، الا ان النقص في اعداد الوحدات السكنية يبدو واضح ، اذ تعكس مؤشرات الفجوة الخاصة بطلب السكان على الوحدات السكنية ، حيث تؤكد نتائج المسح الاقتصادي والاجتماعي لعام ٢٠٠٨ ان عدد الاسر التي تسكن في وحدات سكنية مستقلة بلغ ٨١,٣% من اجمالي عدد الاسر العراقية ، وان ١١% منهم يسكنون في وحدات سكنية فيها اسرتان ، وان ما نسبته ٧% فقط هي الوحدات السكنية التي تسكنها ثلاث اسر او اكثر[١] إن نسبة العجز في عدد الوحدات السكنية كانت قليلة في الستينيات القرن الماضي وخصوصا في القطاع الحضري ، حيث بلغ نصيب القطاع الحضري من العجز السكني في عام ١٩٦٥ في عموم البلاد(٢٩٤٤٤٢) وحدة سكنية ، لتبدأ بالزيادة لتصل الى (٤٢٨٢٧٩) في عام ١٩٧٧ ، و (٣١٢٠٢٦) عام ١٩٨٧ ، و (٥٤٧٢٣٢) عام ١٩٩٧[٢].

ويمكن ايعاز هذه الزيادة بسبب ازدياد عدد الأسر ورغبة الأسر الجديدة بالانفصال عن ذويهم في وحدات سكنية مستقلة مما ساهم في ارتفاع نسبة العجز وكذلك ارتفاع أسعار المساكن ملكاً وإيجاراً مما أدى هذا إلى زيادة في عدد المساكن الخالية وبالتالي نستطيع القول إن المشكلة هنا هي مشكلة أزمة إسكان وذلك لحاجة عدد كبير من الأسر إلى مسكن رغم توفر المساكن الفارغة.

لقد بدأت الهجرة الواسعة إلى مدينة بغداد في مطلع الحرب العالمية الثانية وارتفع مستوى المعيشة، فأدى ذلك إلى إضافة عامل جديد على الضائقة المذكورة يزيد في تأزمها واستشرائها، وأصبح من الصعب جداً تأمين السكن للجميع بأسلوب الوحدة السكنية المنفصلة، وكان لا بد من إنشا الأبنية السكنية الجماعية، والتي كانت في البداية تتألف من ثلاثة أو أربعة طوابق . وطبق هذا الاسلوب في عدد من المجمعات السكنية مثل ، مجمع حي السلام والرسالة في البياع ومجمع السيدية ومجمع الصالحية وغيرها

وإذا ما أضفنا إلى ارتفاع اسعار الأراضي اصلا ورغبة مالكيها في جني الأرباح الكبيرة، فإننا نجد في النتيجة أن أسعار أراضي البناء وصلت في المدينة إلى أرقام كبيرة جداً، قلما نجد لها شبيه في بلدان الأخرى.

ونتيجة لذلك اصحاب الدخل الواطئ وبحكم وضعهم المادي، يلجؤون إلى الاراضي الزاعية المحاذية لحدود المدينة، حيث يقوم اغلب اصحاب هذه الاراضي بتقسيم الارض الى قطع صغيرة يتم شراؤها من قبل الفقراء يشيدون عليها بيوتهم بشكل غير قانوني ، وكانت الجهات المختصة، برغم مكافحتها لتشييد هذه البيوت غير الرسمية، تجد نفسها، نتيجة الأمر الواقع، غير قادرة على إغفال احتياجاتها الخدمية لتقف في النهاية محدد امام المخططات الاساسية الجديدة. ولا شك في أن العامل الرئيسي لهذه الأزمة هو ارتفاع اسعار الاراضي والمساكن وكذلك الايجارات ، وهذا يعود اساسا الى كمية الوحدات السكنية المعروضة والطلب المتزايد عليها والذي لايكاد يسد الحاجة السكنية ، فالنتائج التي وردت في الدراسة المقدمة من قبل وزارة الاعمار والاسكان لحساب الحاجة السكنية لغاية عام ٢٠٣٠ ذكرت ان هنالك حجة كبيرة تستوجب تشييد ما لا يقل عن ٥٠٠ الف وحدة سكنية سنوياً ، في حين ان المجموع الكلي للوحدات السكنية المنجزة مع المشاريع قيد التنفيذ لغاية عام ٢٠١٣ بغلت فقط ١٥٧٨٦ وحدة سكنية .

- اسباب أزمة السكن في مدينة بغداد:

هنالك عدد من الاسباب التي زادت من مشكلة السكن في مدينة بغداد دون غيرها من مدن العراق ومن أهمها :

أولاً: زيادة الطلب: وهذا نتجية عن:

– ارتفاع عدد السكان مدينة بغداد من ٢٦٩٠٥٦٤ نسمة عام ١٩٧٧ إلى ٥٥٩٨٧٥٥ نسمة عام٢٠٠٨.

– الهيمنة التي تمثلها مدينة بغداد من خلال التمركز الاقتصادي والتجاري والثقافي والسياسي في المدينة مما أدى إلى جذبه السكان اليها.

– أدت الحروب المتتالية منذ عام ١٩٨٠ – ٢٠٠٣ ، إلى هجرة السكان من أراضيهم وخصوصاً المناطق الحدودية فقامو بانشاء وحدات سكنية صغيرة و بسيطة بصورة غير القانونية.

– قيام تجار العقارات باحتكار الأبنية القديمة أو ذات الوضع الصحي السئ ثم هدمها بهدف تحديثها أو استثمارها التجاري.

– التطور الاجتماعي والثقافي الذي أدى إلى انقسام العائلة الكبيرة إلى عائلات صغيرة مما زاد الطلب على المساكن الجديدة.

– احتكار بعض التجار للأراضي ضمن مخطط مدينة بغداد، وخضوع استعمال هذه الأراضي والمنازل لقوانين البيع التجاري وللإيجار مما أدى إلى ارتفاع أثمانها الذي فاق في بعض المناطق الأسعار الدولية وبالتالي لجوء المواطنين ببناء الوحدات السكنية غير الرسمية في حواف المدينة وداخل الاراضي الشاغرة.

– إن الوحدات السكنية غير القانونية تعتبر اقل سعراً بما لا يقل عن ٥٠% من البناء القانوني والمخطط في مدينة بغداد مما زاد من انتشار البناء غير القانوني.

ثانياً: قصور القطاع العام والخاص في حل مشكلة السكن:

١- برز اول اهتمام للدولة بالواقع السكني عن طريق اصدار قانون الجمعيات التعاونية رقم (٢٧) لعام ١٩٤٤ ، والذي مثل نقطة الانطلاق لحركة القطاع التعاوني ومساهمته في قطاع الاسكان ، ومن ثم جاء بعده قرار تأسيس المصرف العقاري رقم (٢٨) عام ١٩٤٨[٣]. وتلت هذه الفترة القيام بالعديد من المشاريع الاسكانية وما لبثت ان تغيرت الاوضاع كليا مع حلول عقد الثمانينيات بسبب الحرب العراقية – الايرانية و توجيه اهتمام الدولة في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية نحو المشاريع الحربية ، حيث لم يحظ قطاع الإسكان من هذه الخطط بالعناية المطلوبة.

٢- ضعف جهاز الدولة والبلديات في مجابهة الطلبات المتزايدة على السكن وذلك بسبب النزيف المستمر للعناصر الفنية والإدارية ذات الكفاءة من دوائر ومؤسسات الدولة إلى خارج القطاع العام وحتى خارج البلاد، أدى هذا إلى فقدان مبادرة الدولة وفعاليتها في مجابهة الطلبات المتزايدة على السكن، وبالمقابل فإن ضعف مؤسسات القطاع العام المهتمة بالبناء جعلتها في موقف المقصر[٤]. مما أعطى الفرصة الكبيرة للقطاع الخاص في استثمار هذا النقص ليحوله لصالحه في سبيل زيادة استغلاله لتلك الأزمة في تكديس الإرباح، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا القطاع لم يحل هذه المشكلة بل ساهم في تكريسها لان في بقاء وجودها تكمن مصلحته ويستمر استغلاله للحاجة إلى المساكن جنية للأرباح الكبيرة حسب قانون العرض والطلب فكلما قل العرض ازداد الطلب وبالتالي ارتفعت الأسعار بالنسبة للمساكن وكذلك الأمر بالنسبة لإيجارها.

٣- عدم دعم هذا القطاع التعاوني والاشراف عليه ووضعه في وضع المقصر ، وكذلك النظر بريبة وشك نحو القطاع الخاص وعدم تشجيعة جعل القطاع الخاص مقصراً ايضاً بتأمين المساكن وتزايد العجز السنوي في المساكن حتى بلغ في عام ١٩٩٧ (١٦٤٦٢١) وحدة سكنية بعد ان كانت (١٠٣٠٠٠) وحدة سكنية عام ١٩٧٧[٥].

ثالثاً: انخفاض الدخل :

ارتفاع كلفة انشاء المسكن بمستوى اعلى من دخل الافراد نتيجة الارتفاع الفاحش في كلف بناء الوحدة السكنية بشكل متسارع ومضاعف ، لذلك فان الاسر ذات الدخل المنخفض لا يمكنها الحصول على وحدة سكنية مناسبة ، وهذا ما تعانيه اغلب الدول في العالم الثالث ، وتشير تقديرات الامم المتحدة ان انفاق الاسر على السكن يجب ان لا تزيد عن ٢٥% من دخلها ، بينما اشارت دراسات اخرى الى ان النسبة التي تدفعها الاسر ذات الدخل المنخفض بحدود ٥-١٥% من الدخل .

تطور كلفة بناء الوحدة السكنية ، حيث ان متوسط كلفة تكلفة المتر المربع من البناء دون إدخال ثمن الأرض بلغ ٣٧دينار عراقي لعام ١٩٧٧ وارتفع إلى ٤٥٠٠٠٠ دينار عراقي لعام ٢٠٠٦[٦].

لم يتطور الدخل بنسبة للفرد مقارنة مع تطور الأسعار نفسها بما في ذلك كلفة البناء والمساكن، حيث بلغ الدخل السنوي بالاسعار الثابتة ٢٢١٠٠٠ دينار عام ٢٠٠٤ ، ثم ازداد معدل الدخل الى٢٣١٠٠٠ دينار عام ٢٠٠٨. وارتفعت كلفة المسكن من ٣٩,٩ مليون عام ٢٠٠٤ إلى ٦١ مليون عام ٢٠٠٨[٧].

المبحث الثاني: نتائج أزمة السكن في مدينة بغداد:

١ . انتشار البناء غير القانوني:

انتشار البناء غير القانوني في اغلب مناطق المدينة وعلى أطرافها، ولم تحاول الجهات ذات العلاقة الحد من هذه المخالفات بالشدة المعهودة نظراً لتقديرها للأوضاع السكنية، إذ تقدر عدد الوحدات السكنية غير الرسمية و الخاضعة للهدم ولم تنفذ بها قرارات الهدم حوالي ٣٨٥٢٨ في عام٢٠١١[٨]. وكان لانتشار هذه العشوائيات الأثر الكبير في تشويه المدينة، فهذه المناطق بحاجة إلى المرافق العامة الأساسية والخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية، فضلا عن كونها تفتقد الشروط البيئية الملائمة للسكن الصحي للإنسان.

٢ . الآثار الاجتماعية والاقتصادية:

أغلب أسر المناطق غير الرسمية هي من مجموعة الدخل المنخفض ، يعملون إما باجور يومية او في مؤسسات القطاع غير الرسمي المختلفة، وبصورة سائدة هم من المهاجرين سواء ريف أم حضر.ومن الخصائص الاجتماعية الاقتصادية الاخرى الكثافة السكانية العالية في اغلب هذه المناطق وارتفاع نسبة الاشغال، فقد تصل الى ٥-٦ اشخاص في الغرفة الواحدة ، في حين ان معدل الاشغال المعياري لا يتجاوز ١,٢ -١,٥ شخص في الغرفة [٩]، وتتميز هذه المناطق بتدهور الحالة الصحية لسكانها نسبياً بسبب النقص الواضح في الخدمات الصحية والنظافة العامة ،كما تشكل الكثير من هذه المناطق بؤراً للتوتر الاجتماعي لمجتمع المدينة، كما تنعدم الخصوصية الاجتماعية في كثير من هذه المناطق التي تعد من المطالب المهمة في حياة الانسان ، كما وانها تعد احد الأسباب الرئيسية للهجرة الفنية من خلال هجرة العقول إلى خارج البلاد لغرض العمل لتأمين ثمن المسكن ، فضلاً عن العزوف عن الزواج أو تأخير سن الزواج، ولا توجد إحصائيات حول هذه الناحية وإنما من البديهي أن تكون من نتائج عدم تأمين المسكن ولا توجد احصائيات حول هذه الناحية وانما من البديهي ان تكون من نتائج عدم تأمين المسكن . وتتركز في هذه المناطق فئات الدخل المنخفض او المعدومة وتزداد الكثافة السكانية وتتكدس اكثر من اسرة في مسكن واحد ، وكذلك يساعد النمو العشوائي على ظهور اوكار للجريمة ويساعد على نمو العنف وانتشار التقاليد غير الصحية.

٣- زيادة الكثافة:

ان طبيعة التركز وارتفاع الكثافة تاتي من خلال زحف بعض الاستعمالات بشكل تدريجي نحو المناطق المخصصة لاستعمالات محددة ضمن التصميم الاساس لتوسعها اي نحو مسارات التوسع وخاصة القريبة (اي القريبة من المناطق العشوائية) والخالية من المعقوقات والتي ترتبط بطرق مواصالت وبعض منها تسير من خلالها ، وتكون مناطق جديدة وذات كثافة سكانية قليلة في بدايتها. حيث ان زيادة التركز في رقعة مساحية يفوق ما هو متعارف عليه وفق المعايير التخطيطية المعمول بها والتي تشير الى ان اقل عدد دور في اصغر وحدة تخطيطية وهي المحلة السكنية ذات نمط السكن المنفرد المتصل المشابه للسكن غير الرسمي هو ٣٠٠-٢٠٠ وحدة سكنية باعتبار ان الكثافة السكنية لها هي ٤٢-٢٤ وحدة في الهكتار[١٠].

المبحث الثالث: التوزيع المكاني لمناطق السكن العشوائي في بغداد:

أصبحت ظاهرة السكن غير الرسمي في مدينة بغداد اليوم بارزه للعيان ، مما استدعى اهتمام الدولة والجهات ذات العلاقة بوضع الحلول والمعالجات المناسبة للحد من الظاهرة، والتخلص من اثارها السلبية نهائيا ، ولغرض الالمام بظاهرة السكن غير الرسمي في بغداد اليوم لابد من التطرق الى تأريخ نشوء الظاهرة ومواقعها والإجراءات التي اتخذت لمواجهته ، حيث تعود ظاهرة تكوين العشوائيات من خلال الهجرات الريفية في بداية الخمسينات، وبشكل مترافق مع إقامة الصناعات وتعزيز الدور الاقتصادي والإداري لمدينة بغداد، واستمرت هذه الظاهرة وأخذت في الانتشار والتوسع في المناطق الزراعية المجاورة للمدينة.

اظهرت نتائج تفريغ الاستمارات التي اعدتها الدوائر البلدية في محافظة بغداد ان عدد التجمعات للمتجاوزين في المدينة بحدود (٣٤٤) تجمع ، وان اكثر عدد من التجمعات يتركز في بلدية الرشيد (٦٣) تجمع ، ثم بلدية الشعب (٥٥) تجمع ، ثم بلدية الغدير (٤٦) تجمع ، ثم بلدية الدورة (٣٢) تجمع في حين بلغ عدد الدور السكنية غير الرسمية في هذه البلديات حوالي ٣٨٥٢٨ وحدة سكنية غير رسمية ، وتشغل مساحة قدرت بـ(١٤٦٨٠) دونم ، وان اكبر مساحة متجاوز عليها تقع في بلدية الشعب (٣٤٩١) دونم ، تليها بلدية الغدير (٣١٤٦) دونم ، ثم بلدية بغداد الجديدة (١٩٠٥) دونم[١١].

- مراحل السكن العشوائي في بغداد :

شهدت مدينة بغداد عدد التجاوزات على الاراضي بدون مسوغ قانوني، وهذه التجاوزات مرت بمراحل يمكن ترتيبها حسب السنوات :

– المرحلة الاولى : ان اغلب سكان هذه المرحلة هم سكنة الصرائف وهم من المهاجرين ، ٥٠ % منهم استقرت في بغداد منذ عام ١٩٦٤ وان الـ ٥٠ % الاخرين استقرت بعد ذلك التاريخ[١٢]، اذ بين الاستشاري دوكسياديس ان عدد سكان الصرائف في عام ١٩٥٨ كان حوالي ١٨٤٠٠٠ الف نسمة كانوا يمثلون ١٨,٤% من سكان بغداد ، وتوزعت هذه التجاوزات على المناطق (٢١) موقع في المدينة.

– المرحلة الثانية: نتيجة الحرب العراقية – الايرانية في مطلع الثمانينات من القرن الماضي ، ما لبثت ان عادت ظاهرة السكن العشوائي الى الانتشار من جديد في بغداد ، أذ من البديهي ان تعود مناطق السكن العشوائي الى الظهور والانتشار في الاراضي المفتوحة و الشاغرة داخل المدينة او على اطرافها أذ بلغ عدد سكان المناطق العشوائية في بغداد بموجب احصاء السكان لعام ١٩٨٧ بحدود (١٥٦٧٥٣) نسمة موزعين على اكثر من ١١٧ منطقة عشوائية بعد ان كان عددهم في عام ١٩٧٧ بحدود ٣٠٧٩٠٠ نسمة بعد حرب الخليج عام ١٩٩٠ والحصار الاقتصادي ، وبسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ظهرت

المناطق غير الرسمية مجددا في مواقع مختلفة من مدينة بغداد ، اذ بلغ عددها في عام ١٩٩٨، ٢٥ منطقة غير رسمية ، وبلغ عدد الوحدات السكنية فيها تقريباً ١٢٥٠٠ وحدة سكنية[١٣] .

– المرحلة الثالثة : وهي المرحلة التي تلت احتلال العراق في ٢٠٠٣ ، وما تلاه من انفلات امني وضعف مؤسسات الدولة الذي طغى على اغلب مناطق العراق ، وخصوصاً العاصمة بغداد لتعود ظاهرة السكن العشوائي بأبشع صورها ، حيث لم تقتصر على الاراضي المفتوحة والشاغرة بل اتخذت من الابنية الحكومية والاراضي المجاورة لها والعائدة الى الدولة موقعا لها وبعد ان كانت تأخذ من اطراف المدينة مقرا لوجودها اصبحت تحتل مواقع متميزة في وسط مدينة بغداد وبين الاحياء الحديثة والمخططة وكانت لهذه الظاهرة اثارها السلبية التي ترتبت بشكل واضح على البيئة العمرانية لمدينة بغداد والجانب الامني[١٤].

ان استفحال هذه الظاهرة في هذه المرحلة تحديدا قد افرز بشكل واضح وجود شريحة كبيرة من المواطنين عجزت عن امكانية تامين سكن لعوائلها وهذا مؤشر واضح لطبيعة النقص الحاصل في الوحدات السكنية في بغداد وعموم البلاد ويجرنا الحديث الى الحاجة السكنية.

إذ قدرت الحاجة السكنية على اساس الزيادة السكانية لسكان بغداد من عام ٢٠٠٠ الى عام ٢٠١٥ وقدرت بحوالي ١٨٠٠٠٠٠ نسمة ، وعليه فالحاجة السكنية الكلية لغاية عام ٢٠١٥ تتراوح ٢٧٧٥٠٠و٤٨٢٩٥٠ وحدة سكنية من خلال افتراض نسب اشغال سكنية مختلفة وهي محصلة الزيادة السكانية مضافا لها التعويض عن الوحدات السكنية المؤقتة (الاكواخ والصرائف والكرفانات) والوحدات السكنية القديمة ، والمندثرة وايضا التراكم وفق الحاجة السكنية حتى عام ٢٠٠٠ وعليه فان عدد الوحدات السكنية المقدرة لغاية عام ٢٠١٥ ، والتي لا يمكن للتصميم الاساس الحالي استيعابها تتراوح بين ٨٧٥٠٠ و٢٩٢٩٥٠ وحدة سكنية ومن هنا يتضح لنا حجم المشكلة السكنية والقصور في تلبية الحاجة السكنية في مدينة بغداد .تشكل ظاهرة السكن العشوائي سمة مشتركة بين معظم مدن البلاد ، ويشكل سكان المناطق المخالفة جزءاً ملحوظاً من اجمالي السكان ، اذ يبلغ في مدينة بغداد نحو ٣٦% من اجمالي سكان المناطق المخالفة في البلاد. لقد ساهمت المساكن المخالفة في تأمين المسكن للسكان، اذ بلغت نحو ٥٠٪ في البلاد ونحو ٦٥٪ في بغداد. حيث بلغ عدد الوحدات السكنية غير الرسمية في عام ١٩٧٧ ، ٩٠١٦ وحدة سكنية غير رسمية ، بينما في عام ١٩٨٧ ، ١٨٠٦٢ وحدة سكنية غير رسمية ، في حين بلغ العدد عام ٢٠١١ ، ٣٨٥٢٨، وحدة سكنية غير رسمية ، بينما بلغ عدد سكان هذه الوحدات ٢٦٩٦٩٦ نسمة بينما بلغت مساحة هذه المناطق ١٤٦٨٠,٠٢ دونم ، وعليه فالكثافة السكانية المتوسطية لهذه المناطق بلغت ٤٠٠ ن/هـ حيث وتوزعت هذه الوحدات السكنية على المناطق، وكانت مخالفات منطقة الشعب٢٣,٧٧% ، والغدير ٢١,٤٣% ، تشكل المخالفات العمرانية معظم مساحتها وفيها اكبر كثافة سكانية، ثم تأتي منطقة بغداد الجديدة في المرتبة الثالثة بنسبة ١٢,٩٨٪ من المساحة الإجمالية للمنطقة وعدد السكان. وتأتي الكرادة في المرتبة الرابعة حيث تحتل مساحة المناطق المخالفة ٨,٥٦٪ من المساحة الإجمالية ، بينما تحتل منطقة مخالفات الرصافة أدنى نسبة ٠,١٦٪ من المساحة الإجمالية[١٥].

- الجوانب السلبية للسكن العشوائي:

ان امتداد المناطق السكنية في هذه المناطق جوانب سلبية يمكن حصرها بالآتي:

الخصائص التخطيطية لتلك المناطق متدهورة ولا تتطابق مع التشريعات والقوانين التخطيطية التي كان يمكن اتباعها لجعل هذه المناطق توفر الاحتياجات الفعلية لقاطنيها.

انحسار الاراضي الزراعية في محيط المدينة ، وهذا يؤدي الى تقليص مساحات الاراضي التي تمد المدينة بالمنتجات الزراعية اليومية .

التعرج والضيق في الطرق والشوارع الداخلية مما يسبب صعوبة حركة المرور وصعوبة تصميم شبكات البنى التحتية ، وكذلك مواجهة المشاكل الطارئة .

انهيار الوضع الصحي والبيئي في هذه المناطق وانتشار الامراض والاوبئة لانعدام المؤسسات الصحية فيها.

الكثافة السكنية العالية، والاكتظاظ وكذلك خلق فوضى عمرانية في هذه المناطق.

الهوامش:

١ – وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي وبيت الحكمة ، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية ٢٠٠٨، العراق ، ص٥٤–٥٥ .

٢ – القريشي ، انتصار قدوري،"التخطيط الإسكاني في العراق وفق الكلفة والمنفعة الاجتماعية "، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي ، جامعة بغداد ٢٠٠٦، ص١٢٥ .

٣ – القريشي ، انتصار قدوري ، مصدر سابق، ص١٢٥.

٤ – الزايد ، ايمان ،العمران العشوائي ،المؤتمر العلمي السابع ، جامعة دمشق ، سوريا ،٢٠٠٧، ص ٧.

٥ – الجهاز المركزي للإحصاء تعداد ١٩٧٧–١٩٩٧.

٦ – الحميدي ، ابتسام محمد علي ، دراسة أثر التمويل والتشريع الاسكاني على مشكلة السكن في العراق ، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة التكنولوجية / قسم هندسة البناء ، سنة ٢٠٠٠ ، ص٤٨–٤٩.

٧ – عبد الجبار ، فاتن سعد الله ، ٢٠٠٩ ، ص ١٤٦.

٨ – امانة بغداد ،دائرة التصاميم ،"تقرير لجنة ايجاد الحلول الجذرية للتجاو ا زت السكنية" ،بغداد، ٢٠١١، ص٧–٩.

٩ – الهيئة العامة للاسكان،شعبة الدراسات "كراس معايير الاسكان الحضري"،وزارة الاعمار والاسكان،العراق ، ٢٠١٠ ،ص١ .

١٠ – الهيئة العامة للاسكان ،"كراس ا معايير الاسكان الحضري في العراق ،و ا زرة الاعمار والاسكان ،العراق ، ٢٠١٠،ص٩.

١١ – امانة بغداد ،دائرة التصاميم ،"تقرير لجنة ايجاد الحلول الجذرية للتجاوزات السكنية" ،بغداد ، ٢٠١١ ، ،ص ٩–٧

١٢ – البد راوي ، عدنان مكي ، "ظاهرة سكن الصرائف حول بغداد (١٩٤٠– ١٩٧٧) دراسة اجتماعية اقتصادية عمرانية " ، معهد التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا ، جامعة بغداد، ١٩٨٥ ، ص٧–٨ .

١٣ – الانصاري ، باسم رؤوف ،" التقييم الاجتماعي والاقتصادي للبيئة الحضرية في المستوطنات اللاقانونية بمنطقة بغداد "، وزارة الاسكان ، الهيئة العامة للاسكان ، بغداد ١٩٩٨، ص٨–١٥.

١٤ – السراي ، احسان صباح ، التنمية الحضرية للمدن القائمة في العراق ، اطروحة دكتوراه ، معهد التخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، ٢٠١٣، ص١٦٠

١٥ – امانة بغداد ،دائرة التصاميم ،"تقرير لجنة ايجاد الحلول الجذرية للتجاوزات السكنية" ،بغداد ، ٢٠١١ ، ،ص ٩ .

المراجع:

١– القريشي ، انتصار قدوري،"التخطيط الإسكاني في العراق وفق الكلفة والمنفعة الاجتماعية "، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي ، جامعة بغداد، ٢٠٠٦

٢– الحميدي ، ابتسام محمد علي ، دراسة أثر التمويل والتشريع الاسكاني على مشكلة السكن في العراق ، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة التكنولوجية / قسم هندسة البناء ، سنة ٢٠٠٠ .

٣– الزايد ، ايمان ،العمران العشوائي في مدينة دمشق ،المؤتمر العلمي السابع ، جامعة دمشق ، سوريا ،٢٠٠٧.

٤- أبو الهيجاء، أحمد حسين ،" نحو استراتيجية شمولية لمعالجة السكن العشوائي، الأردن : حالة دراسية، مجلة الجامعة الإسلامية المجلد التاسع – العدد الأول، ٢٠٠١ ..

٥- السراي ، احسان صباح ، التنمية الحضرية للمدن القائمة في العراق ، اطروحة دكتوراه ، معهد التخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، ٢٠١٣.

٦- شاكر ناصر حيدر،شرح احكام الاراضي العثماني،بغداد،١٩٤٢ .

٧- وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي لاحصاء ، الاحصاءات ١٩٧٧ و ١٩٩٧ .

٨- وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي وبيت الحكمة ، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية ٢٠٠٨، العراق.

٩- امانة بغداد ،دائرة التصاميم ،"تقرير لجنة ايجاد الحلول الجذرية للتجاو ا زت السكنية "،بغداد، ٢٠١١.

١٠- الهيئة العامة للاسكان،شعبة الدراسات "كراس معايير الاسكان الحضري"،وزارة الاعمار والاسكان،العراق، ٢٠١٠.

التركيب الفضائي للبنية الحضرية والسلوك الفضائي
حالة دراسية شارع المنصور الرئيسي

أ.م.د. عامر شاكر الكناني
الباحثة تماره عبد الرزاق محمد

المقدمة:

يعاني شارع المنصور الرئيسي في الوقت الحالي من تغيرات وتحولات غير منظمة للبنية الحضرية اذ ان في الآونة الاخيرة حصلت عدة تغيرات لهذا الشارع من (توسع حضري، ازدياد ارتفاع الابنية، اقحام مراكز تجارية كبيرة، تجاوزات على المعايير التخطيطية) ادت الى ضعف في التركيب الفضائي للبنية الحضرية وذلك لكون هذه التغيرات لا تعتمد على اسس علمية واضحة مما ادى تغير السلوك الفضائي خلال حركة المتلقي بين مكونات البنية الحضرية من شوارع ومباني.

مشكلة البحث: لا يوجد تصور يوضح العلاقة بين التركيب الفضائي للبنية الحضرية مع السلوك الفضائي للمتلقي.

فرضية البحث: السلوك الفضائي للمتلقي يتأثر بتغير الخصائص التركيبية الفضائية للبنية الحضرية.

هدف البحث: ايجاد اهم الخصائص التركيبية للبنية الحضرية التي تعتبر كمؤشرات قابلة لقياس السلوك الفضائي للمتلقي.

١- مفهوم البنية الحضرية:

البنية في اللغة تأتي من البناء، بنى، يبني، وجمعها مباني او ابنية او بنايات ويقال ايضاً (بناءً عليه) بمعنى استند اليه ومثال بنية التربة وانتظام الذرات الغروية للتربة لئلا تكون لها اشكال وابعاد معينة وهي الكتل التي تحتفظ بأشكالها (العلايلي، ١٩٧٤، ص ١١٩). والبنية الحضرية هي عبارة عن كيان مادي معنوي مميز بخصائصه الشكلية، وتتجسد فيها معاني مختلفة تعكس فهم الانسان للبيئة الطبيعية والاجتماعية داخل النسيج

الحضري (البياتي، ٢٠٠٠ ، ص ٢٣) ، وان البنية الحضرية عبارة عن تكوين شامل يتكون من تفاعل ثلاثة بنى اساسية وهي : (Canter,١٩٧٧, p ١٥٨)

١- بنية فضائية (Spatial structure) : تعتبر الحدود المادية المكونة للمحيط البيئي

٢- بنية الفعاليات (السلوكية) (Activity structure) : الاحداث التي ترتبط بمكان معين والسلوكيات التي من المتوقع ان تحدث فيه

٣- البنية المفاهيمية (Conceptual structure) : وتعني القيم والمفاهيم التي يحملوها الاشخاص الذين يستعملون المكان عن المكان نفسه.

وتتفاعل هذه البنيات الثلاثة مع بعضها البعض من خلال متغير مشترك وهو المجتمع والانسان بقدرته الادراكية والاستيعابية.

حلل (Alexander) (مهندس ومنظر معماري) البنية الحضرية لعديد من المدن وعليه توصل الى ان البنية الحضرية للمدن الحديثة طريقة نمو هذه المدن تكون مصممة وتعتمد على ثقافة المصمم الذاتية، سيطرة الذات الشخصية للمصممين او المخططين على التصميم وأصبح يلبي متطلباتهم المتضاربة، تميل الى العزل الاجتماعي وفقدان الخصوصية، تمتلك بنية حضرية ذات تكاملات موضعية أكثر مما تكن شمولية .(Alexander, ١٩٨٧, p ٤-٥٣)

٢-١ العلاقات البنيوية الحسية:

هي العلاقات المتعلقة بالجانب المعنوي (الحسي) للمتلقي أكثر من الجانب الشكلي، وتعني هذه العلاقة علاقة الجزء بالكل كما يتحسسها المتلقي إذا يمثل الفضاء الجانب اللامادي اي غير مرئي وملموس هو الكل اما المبنى المتمثل بالجانب المادي الملموس فهو الجزء، وتتباين هذه العلاقات من زمن الى آخر ومن حضارة لأخرى.

٢-٢ التحول في البنية الحضرية:

التحول في اللغة يعني تغير او تغيير بالشكل اي تحول الشكل من حال الى اخر من خصائص البنية هي التحولات حيث تم مناقشة التحولات التي تحدث للبنية من خلال عوامل داخلية وهذا يوضح ديناميكية البنية الذاتية، والتي تحدث عن طريق سلسلة من التغيرات داخل المنظومة التي تكون محكومة بقانون البنية الداخلي (كلارك ، ٢٠١٥، ص ٢٧٦)

ان التحولات التي تحدث في البنية الحضرية تأخذ جانبين وهما:

١- الجانب الاول هو ان يكون تحول ذاتي والذي يحدث داخل منظومة البنية الحضرية محكوما بقوانين البنية نفسها حيث تعمل هذه القوانين على استيعاب هذا التحول ولا تظهر اي تغيرات شكلية جوهرية وبذلك فانه يعتبر تحول يصيب الشكل (المظهر الخارجي) ، ويتميز هذا التحول بالمحافظة على تماسك البنية الحضرية

٢- الجانب الثاني هو التحول القسري ويعمل هذا التحول على تغيير في شكل البنية الحضرية من خلال اقحام عناصر جديدة او تغيير في العلاقات البنيوية لتحقيق اغراض اجتماعية او اقتصادية او سياسية وهذا التحول في الغالب يصيب الجوهر وفي بعض الاحيان يصل هذا التحول الى مرحلة الانقطاع.

٣- التركيب الفضائي (Space Syntax):

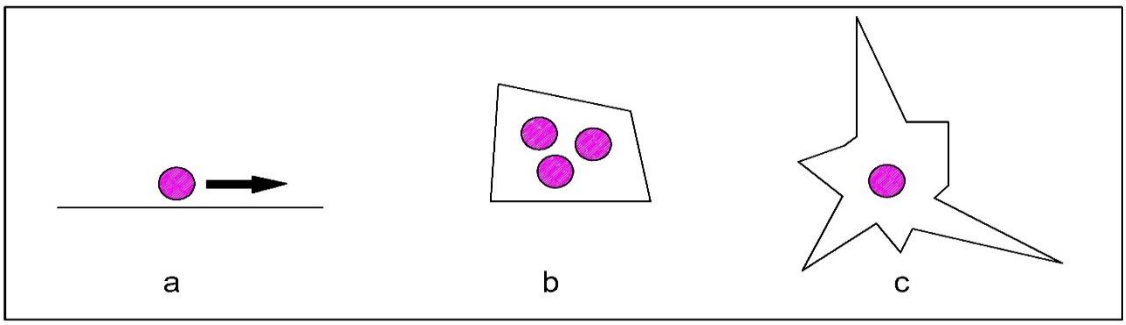
في اللغة تعني كلمة تركيب مجموعة من القواعد والمبادئ التي تتحكم في علاقة الكلمات مع بعضها لتتشكل العبارة ، فالبنية التركيبية تنتظم بالقواعد والمبادئ، اما في التصميم والتخطيط الحضري تطلق كلمة (Syntax) وتعني العلاقات ما بين الفضاءات او العلاقة بين الفضاء والمجتمع وهذا يؤكد فكرة ان البنية المكانية تؤثر على فعاليات الانسان، وان تركيب الفضاء يقترح لغة برمجة حاسوبية وصفيه لأنماط المدينة المكانية (Hillier, ١٩٨٤, p١٦٠).

اذ ان الفضاء يعتبر الوعاء الشامل الحاوي للكتل العمرانية وما بينها من فضاءات (شوارع او ساحات وغيرها) والتي تعتبر المجال الذي يتم به الحركة والنشاطات التفاعلية المجتمعية وهذا يمكن ان نمثله على اساس نظام فراغي الذي يتكون من مجموعة من الفضاءات المستقرة معلوماتيا نسبة لإدراك المستخدمين.

٣-١ قواعد تركيب الفضاء لـ (Bill Hillier) :

عرف (Hillier) نظرية تركيب الفضاء على انها علاقة بين تولد اشكال البنية الحضرية مع القوى الاجتماعية، وضمت دراسة قواعد تركيب الفضاء ل (Hillier) مجموعة من البحوث التي اجريت في وحدة (Bartlett) للدراسات المعمارية من قبله وعدد من الباحثين حيث تضمنت هذه الدراسات ايجاد العلاقة بين المتغيرات الاجتماعية والانماط الفضائية المختلفة، وكان الهدف من الدراسة هو تطوير طريقة لوصف وتحليل الانماط الفضائية المختلفة ومن خلالها يمكن الربط بين المتغيرات الاجتماعية والاشكال الحضرية (زيدان، ١٩٩٢، ص٣٢)

لقد تم تحليل الفضاء وفق هذه القواعد حيث تم اعتبار ان من الضروري ان نفهم الفضاء من منظور وظيفي من حيث ما يفعل الجانب الجوهري للناس فيه اذ ان هناك ثلاث انشطة يقوم بها الناس في الفضاءات هي: التحرك عبر الفضاء، التفاعل الاجتماعي مع الاشخاص الموجودين في الفضاء ، رؤية الفضاء المحيط بالإنسان من نقطة محددة، حيث يمكن وصف الفضاء على اساس انشطة الناس فيه في ثلاثة افكار هندسية وهي : فضاء خطي (محوري) عندما يتحرك الناس فيه ويتكون من محاور مستقيمة تستوعب حركة الناس ، فضاء تحدبي (حيث يمكن كل نقطة ان ترى النقاط الاخرى) عندما يتفاعلون داخل الفضاء، واخيرا فضاء المجال البصري الذي يرى الفضاء من اي مكان شكلا متغيرا حسب مجال رؤية العين، شكل (١)



شكل رقم (١) وصف الفضاء تركيبيا وفق انشطة الناس / (a) فضاء خطي (محوري) (b) فضاء تحدبي (c) فضاء المجال البصري //المصدر (Tencer, ٢٠١٨, p٤)

وضح (Hillier) ان الفضاء هو المكان الذي يحدث فيه جميع الانشطة البشرية حيث انه يعتبر انعكاس للفعاليات الاجتماعية والثقافية التي تحدث في المدينة، حيث يتطلب فهم تأثير الفضاء على الناس وكيف يستخدمونه ويتفاعلون فيه مع بعضهم البعض، حيث يذكر (Hillier) عند تمثيل منظومة الفضاء يمكن تحليلها بوصفها منظومة من العلاقات التركيبية (Hillier , ١٩٩٦, p٩٣) ، ويتم تحليل هذه العلاقات التركيبية وفق خاصيتين اساسيتين:

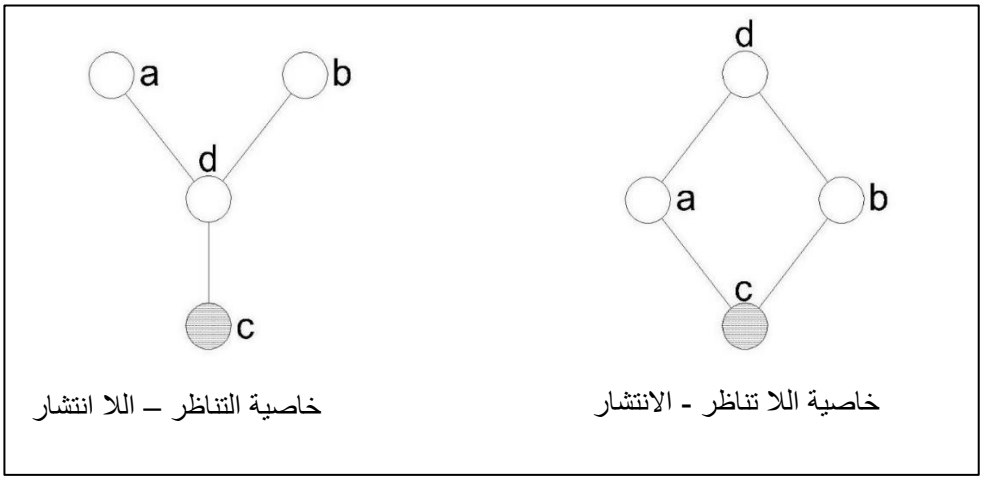
اولا : التناظر واللاتناظر (Symmetry – asymmetry) :

تعبر هذه الخاصية عن الخصائص التنظيمية للفضاءات حيث تعبر عن العمق في العلاقة من حيث العمق البصري والحركي للفضاءات نسبة للفضاء الاساسي، فيكون الفضاء متناظرا عندما يرتبط مباشرة مع الفضاءات الاخرى كافة، اي انه اقل عمقا نسبة الى كافة الفضاءات الاخرى، ويكون غير متناظر عندما يفصله عن الفضاءات الاخرى فضاءات تسيطر على الطريق اليه (Hillier, ١٩٨٤, p. ٩٣)

ثانيا : الانتشار واللاانتشار (Distributed – non distributed) :

ايضا تعتبر هذه الخاصية من الخصائص التنظيمية للفضاءات فتعبر عن الخيارات في الطرق المتوفرة في النظام للوصول الى كافة الفضاءات، حيث ان الفضاء يعتبر منتشرا في علاقاته عندما يوجد أكثر من طريق

للوصول اليه واعتبر هذا الفضاء هو فضاء عام، ويكون غير منتشر عندما يوجد طريق واحد فقط يصل اليه واعتبر هذا الفضاء هو فضاء خاص، ولا ترتبط خاصية الانتشار بخاصية التناظر فالفضاء ممكن ان يكون منتشر بعلاقاته وغير متناظر او ان يكون متناظر وغير منتشر (Hillier, ١٩٨٤, p٩٤)



شكل رقم (٢) خاصية التناظر–اللا تناظر و الانتشار–اللا انتشار // المصدر (Hillier, ١٩٨٤, p١٤٨)

تعد هاتان الخاصيتين هما الخاصيتين الرئيسيتين التي تتميز بها قواعد التركيب الفضائي للبنية الحضرية وتعتبر هي الاساس لباقي الخصائص الاخرى

٣-٢ الخصائص التركيبية للبنية الحضرية:

وضح (Hillier) ان البنية الحضرية عبارة عن تنظيم ثنائي الطرف بين الكتلة البنائية والمحيط الخارجي لها والذي أطلق عليه ايضا (العالم الخارجي) ويمكن ان يتمثل بحدود، وبين ان البنية الفضائية بين هذين الطرفين تعتبر سطوح التقاء لنوعين من العلاقات وهي:(Hillier , ١٩٩٦, p ٤٠)

١- العلاقة الاولى: بين الساكنين، وأطلق عليها خصائص النظام الموضعية، التي تعمل على توجيه حركة الساكن داخل البنية الحضرية التي تحتوي على تفاعلاتهم الاجتماعية.

٢- العلاقة الثانية: بين ساكني النظام والغرباء عنه، وأطلق عليها خصائص النظام الشمولية، مبين ان هذه الخصائص تعمل على تنظيم حركة الغرباء وتقاطعهم مع حركة الساكنين والتي تعتمد على توجيه حركة الغرباء داخل البنية الحضرية.

اولا: الخصائص الشمولية:

١- خاصية معدل العمق النسبي (Mean – depth)

يعتبر معدل عمق الفضاء في النظام مؤشر لقياس عدم تناظره النسبي، حيث يهدف معدل العمق الى تحديد عدد الخطوات الحركية والبصرية التي يبعد بها فضاء معين نسبة الى الفضاءات الاخرى، وان اقل عمق يتحقق عندما تكون جميع الفضاءات مرتبطة بتسلسل خطي نسبة الى الفضاء الاصلي، ويتحقق أكبر عمق عندما تكون جميع الفضاءات مرتبطة بتسلسل لا خطي بعيدا عن الفضاء الاصلي، وان كل فضاء اضافي يضيف مستوى اخر للعمق. (Hillier, ١٩٩٦, p١٠٨)

٢- خاصية درجة التكامل الشمولية او خاصية التناظر النسبي:

تشير درجة التكامل الشمولية التي يرمز لها (Rn) الى امكانية الاتصال او الوصول لكل الفضاءات ضمن الإطار المكاني والفضاء الذي يمكن الوصول اليه اكثر من الفضاءات الاخرى يكون هو الفضاء الاكثر تكاملا، ويكون الافضل للتجمعات وللتفاعل الاجتماعي.

٣- خاصية الخيار الشمولية (Global choice) :

درجة الخيار تشير الى درجة السيطرة التي يحققها الفضاء على نفاذية الفضاءات المجاورة له، وتعتبر الفضاءات الاكثر خيارا هي أقصر الطرق التي تربط اجزاء النظام مع بعضها ومع المحيط الخارجي بغض النظر عن عدد الخطوات المحورية التي تتضمنها (Hillier, ١٩٨٨, p٤٥).

ثانيا: الخصائص الموضعية:

هذه المقاييس تحدد طبيعة الخصائص الموضعية اي طبيعة الفضاء الواحد مع الفضاءات المجاورة له بشكل مباشر، وتشمل هذه الخصائص ما يلي:

١- خاصية الاتصالية (Connectivity) :

تعتبر هذه الخاصية اوضح الخصائص التركيبية الموضعية كما تشير الى درجة انتشار النظام نسبة لفضاءات النظام الاخرى، وتحسب قيم الاتصالية للفضاء من مجموع الفضاءات المتصلة به بصورة مباشرة، اي التي تبعد عنه خطوة بصرية – حركية واحدة (Hillier, ١٩٨٤, p١٠٣)، وتشير القيم العالية الى درجة تماسك عالية للنظام اما القيم المتدنية فتشير الى التفكك والعزلة (Hillier, ١٩٨٤, p٢٣٧)

٢- خاصية التكامل الموضعي (Local Integration):

ويشير الى امكانية الوصول او الاتصال لفضاء معين ضمن جزء من النظام المكاني، وتحتسب هذه القيمة لعدد خطوات بحدود (٣) خطوات ليكون العمق (R٣)، ويفسر التكامل المحلي الى التسلسل الهرمي للحركة المحلية للمشاة وامكانية وصولهم للفضاء

٣- السلوك الحركي (Agent):

تعد هذه الخاصية من الخصائص المهمة في تحليل حركة المشاة في الفضاء وتوقع الازدحام الحاصل نتيجة للتجمع الحركي في المكان، تحلل هذه الخاصية سلوك الفرد المتنقل في المكان وماهي وجهته وهذا يعتمد على الخصائص الفضائية، وهذا يرتبط بمجال الرؤية للمتلقي (Turner, ٢٠٠١, p٤)

ثالثا: الوضوحية التركيبية للبنية الحضرية (Intelligibility)

بين (Hillier) ان البنية الحضرية التي تتميز بالوضوحية الشمولية تمتلك تنوع عالي في اجزاءها الموضعية ويمكن الحصول على الوضوحية من خلال توافق التكامل الشمولي مع الاتصالية الموضعية، وان وضوحية البنية الحضرية تعتمد على حركة المتلقي بين اجزاءها، وبذلك يتم التميز بين الفضاءات التي يرتادها الساكن من الفضاءات التي يرتادها الغريب حيث ان الساكن يتحرك وفق مخططاته الذهنية بين اجزاء المدينة الموضعية التي تتميز بها بيئتهم، اما الغريب فيحاول ان يتحرك في اجزاء البنية الحضرية الواضحة ذات الامتداد البصري بالحركة

٤-الادراك:

يشمل كل العمليات الفكرية من معرفة او فهم تضاف للناتج المعرفي، وهو يعتمد على خزن وتنظيم المعلومات المكتسبة من البيئة المدركة والتي تعرضت للتذكر او التعلم او التفكير او اي تطوير ذهني ولا يهتم بالقضايا الظاهراتية التي يركز عليها الادراك الحسي. (Rapoport, ١٩٧٧, p.١٩٠) يتفسر الادراك الذهني عند المتلقي على شكل سلوك فضائي (Spatial Behavior) يتخذه في الفضاء ويمكن وصفه، او عن طريق سلوك مخفي (Covert Behavior) يتمثل بالمخططات الذهنية. يرتبط الادراك الحسي بالإدراك الذهني من حيث المعلومات الحسية الموجودة في الذاكرة، فهذه المعلومات قد مرت بعملية الادراك الحسي او كانت عبارة عن معلومات حسية وهذا ما يربط الادراك الحسي بالذهني، اما الفرق بينهما فهو ان الادراك الحسي يحدث بصورة انيه عندما تتأثر الاعضاء الحسية بالمنبهات بصورة مباشرة اما الادراك الذهني فهو يعتمد على المعلومات المخزونة في الذاكرة، وبذلك يعتبر الادراك الحسي هو الذي يزود الادراك الذهني بالمعلومات ويعمل على معالجتها. (العلوان، ٢٠٠١، ص٤٨) يعتمد الادراك الذهني على المخططات الذهنية التي هي رمز الشكل المخزون في الذاكرة، اي ان ما يخزن هو رمز فقط وليس الشكل ككل، يتم الانتباه الى الاشكال التي لها نفس المخططات وكذلك الاشكال المشابهة لمحاولة اكتشاف عناصر التشابه فيها، وتعتبر تمثيلات داخلية في الذهن لخصائص الاشياء الموجودة في البيئة المحيطة للمتلقي وكذلك موقعها اي انها تعتبر انطباع الناس لبيئته

٤- استخلاص مؤشرات البحث

المؤشرات	المفاهيم	نوع القياس
البنية الفضائية والمفاهيمية والسلوكية للشارع التجاري ذات خصائص تركيبية تحفز الادراك الذهني وتحدد السلوك الفضائي	البنية الفضائية	وصفي + كمي وفق البرنامج
	البنية المفاهيمية	وصفي
	البنية السلوكية	وصفي
	السلوك الفضائي	وصفي + كمي وفق البرنامج

٥- منطقة الدراسة : شارع المنصور الرئيسي:

يعد شارع المنصور الرئيسي من اهم شوارع بغداد التجارية أنشأ في ستينات القرن الماضي ويقع في مدينة بغداد جانب الكرخ بلدية المنصور في حي المتنبي، يمتد من تقاطع مرطبات الرواد الى "ساحة ابو جعفر المنصور" ويبلغ طوله (٩٥٠ م) والشارع باتجاهين كل اتجاه بعرض (١٠,٥م) تتوسطهما جزرة وسطية بعرض (٤ م)، وكما هو شائع يسمى شارع الرواد ويعتبر من أشهر شوارع بغداد التجارية، والتسمية الصحيحة في امانة بغداد هو شارع احمد عرابي.

-تحليل الشارع وفق المؤشرات:

البنية الفضائية: يتم تحليل البنية الفضائية بشكل وصفي ووفق برنامج ال Depthmap١٠ تتألف البنية الفضائية للشارع من الاتي:

١- المراكز التجارية: توجد العديد من المراكز التجارية في الشارع وهي:

أ- اسواق المنصور المركزية سابقا- مول خليفة حاليا

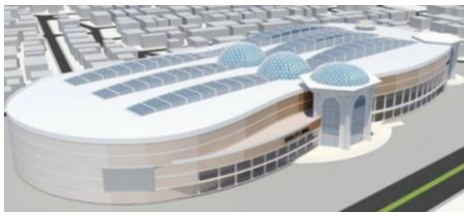
ب- مول المنصور

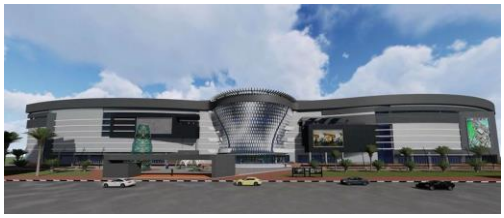
ت- مول التاون سنتر



الشكل يوضح اسواق المنصور المركزية قبل عام ٢٠٠٣

المصدر: Google earth و http://wikimapia.org/٥٢١٦٢٠٣/ar/





الشكل يوضح مول خليفة المزمع تنفيذه بموقع الاسواق المركزية
المصدر: الصفحة الرسمية لمول خليفة على الفيس بوك





الشكل يوضح مول التاون سنتر
المصدر: الباحثة

الشكل يوضح مول المنصور
المصدر: الباحثة

٢- المباني التجارية: تنتشر على جانبي الشارع العديد من المباني التجارية التي تتراوح ارتفاعاتها من ٢-٨ طوابق وفي الغالب الاستعمال للطابق الارضي تجاري اما الطوابق الاخرى فتختلف فيها الفعاليات منها تجاريه، مكتبية، سكنية وغيرها

٣- محطة تعبة وقود الرسالة

٤- المركز الثقافي للطفل العراقي (سينما الفانوس السحري)

٥- العقد: يوجد عقدتين في شارع المنصور الرئيسي في بداية الشارع وفي نهايته وهي:

أ- عقدة تقاطع الرواد

ب- عقدة "ابو جعفر المنصور"



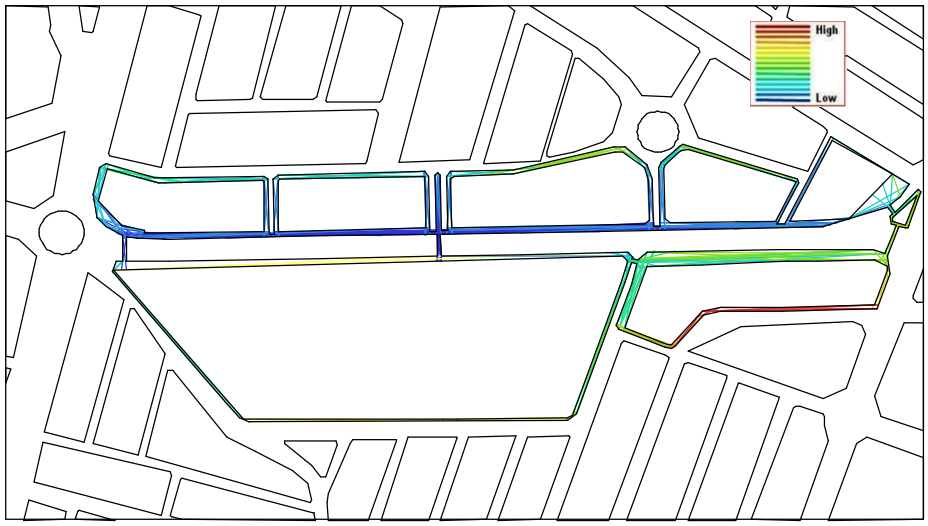
الشكل يوضح البنية الفضائية لشارع المنصور الرئيسي

المصدر: الباحثة

الخصائص التركيبية للبنية الفضائية وتشمل

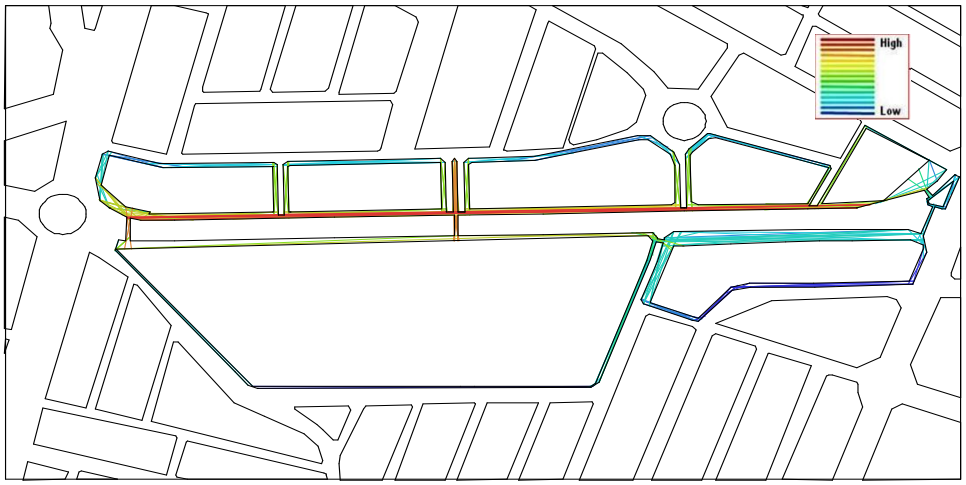
١- خصائص شمولية:

- خاصية معدل العمق النسبي (Mean – depth): اظهر التحليل ان معدل العمق النسبي لجهة المراكز التجارية أكثر من الجهة المقابلة من الشارع



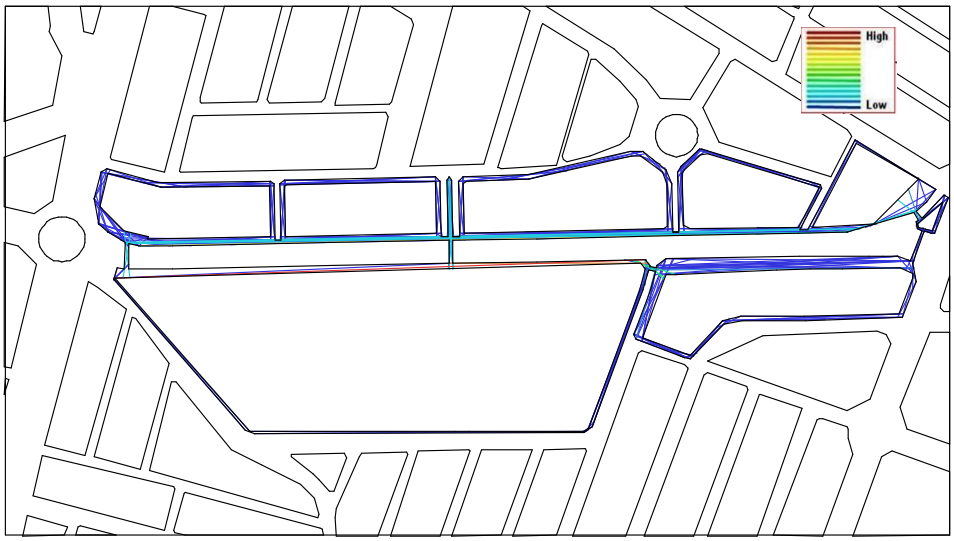
الشكل يوضح العمق النسبي للشارع// المصدر: الباحثة

- خاصية درجة التكامل الشمولية: اظهر التحليل ان درجة التكامل الشمولية للجهة المقابلة للمراكز التجارية أكثر من جهة المراكز التجارية



الشكل يوضح درجة التكامل الشمولية للشارع// المصدر: الباحثة

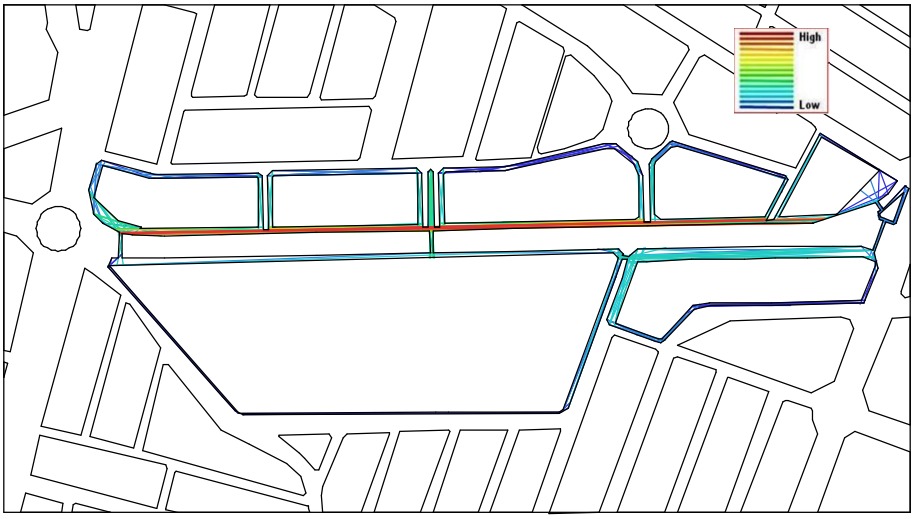
- خاصية الخيار الشمولية (Global choice): اظهر التحليل ان درجة الخيار الشمولية لجهة المراكز التجارية أكثر من جهة المقابلة من الشارع



الشكل يوضح درجة الخيار الشمولية للشارع// المصدر: الباحثة

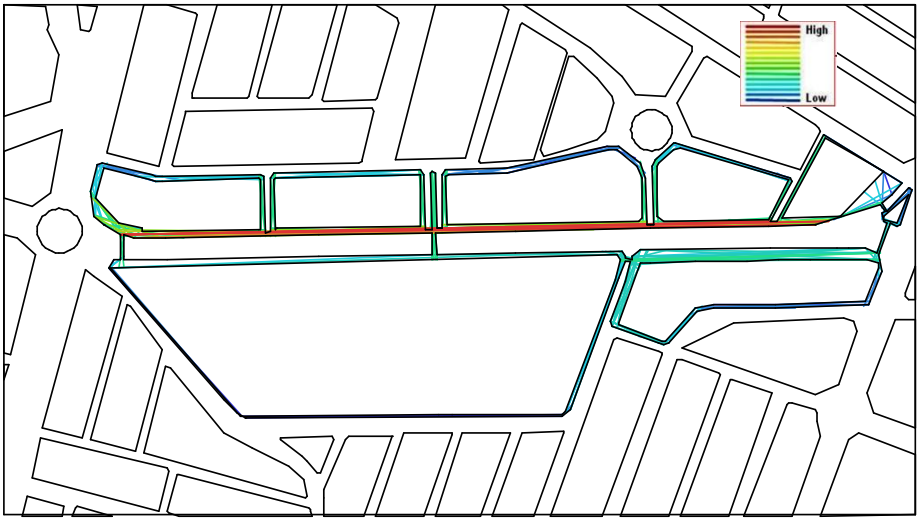
٢- الخصائص الموضعية:

- خاصية الاتصالية (Connectivity): اظهر التحليل ان درجة الاتصالية الموضعية للجهة المقابلة للمراكز التجارية أكثر من جهة المراكز التجارية



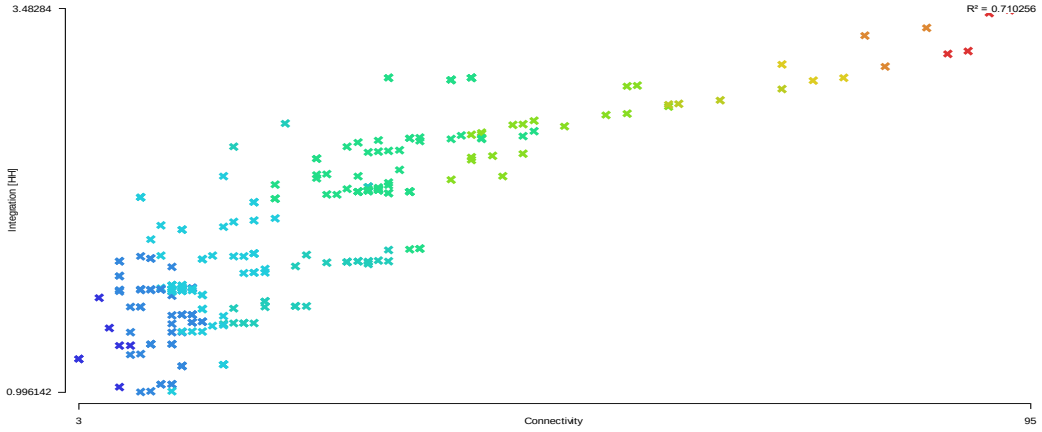
الشكل يوضح خاصية الاتصالية الموضعية للشارع// المصدر: الباحثة

- خاصية التكامل الموضعي (Local Integration): اظهر التحليل ان درجة التكامل الموضعي للجهة المقابلة للمراكز التجارية أكثر من جهة المراكز التجارية



الشكل يوضح خاصية التكامل الموضعي للشارع// المصدر: الباحثة

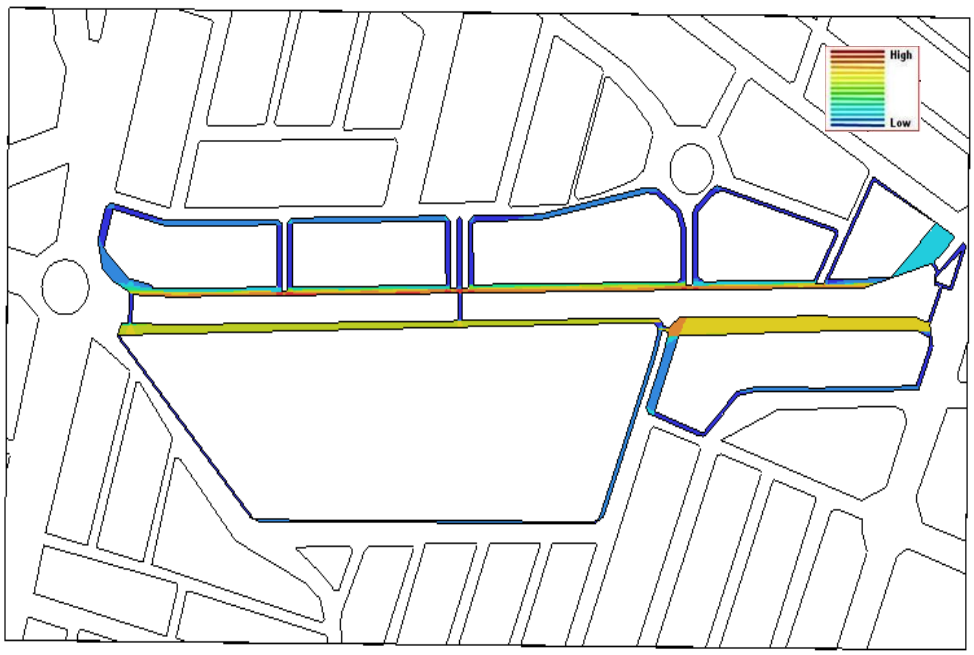
٣- الوضوحية التركيبية للشارع التجاري: الوضوحية في الشارع التجاري بنسبة ٠,٧ وبهذه النسبة يعتبر الشارع ذا درجة وضوحية جيدة



الشكل يوضح درجة الوضوحية للشارع// المصدر: الباحثة

البنية السلوكية (الفعاليات): تتركز الفعاليات التجارية بالدرجة الاساسية والفعاليات الثقافية والتواصل الاجتماعي ايضا في مناطق المجمعات التجارية حيث يعتبر مكان لقاء للسكان أكثر من الجهة المقابلة للشارع.

السلوك الحركي الفضائي: يتضح ان السلوك الحركي وفق البرنامج يتركز في جهة المراكز التجارية أكثر من الجهة المقابلة لها في الشارع ومن خلال المراقبة والتفحص ايضا يتضح تركز الحركة في جانب المراكز التجارية أكثر من الجانب المقابل



الشكل يوضح خاصية السلوك الحركي للشارع// المصدر: الباحثة

الاستنتاجات:

١- ان الجهة المقابلة للمراكز التجارية تكون ذات درجة عالية في معدل درجة التكامل الشمولية والاتصالية الموضعية والتكامل الموضعي وهذا يدل على تماسك البنية الحضرية في هذه الجهة أكثر من الجهة الاخرى ولا يوجد انقطاع او تفكك في البنية اما الجهة المقابلة فيوجد انقطاع في بنيتها في منطقة الشارع الفرعي الذي يفصل موقع المراكز التجارية عن الابنية التجارية في بداية الشارع بالقرب من تقاطع الرواد.

٢- جهة المراكز التجارية تتمتع بدرجة عالية من معدل العمق النسبي وخاصية الخيار الشمولية وهذا يدل على انها المسارات الاكثر استخداما من قبل المرتادين من الجهة المقابلة.

٣- وضوحية الشارع التجاري تعتبر جيدة بحيث لا تؤثر على السلوك الفضائي للمرتادين او الغرباء بالنسبة للشارع.

٤- السلوك الفضائي للمتلقي يتركز في جهة المراكز التجارية التي كانت نسبة السلوك الحركي التركيبي فيها عالية وكذلك نسبة الخيار الموضعي التي تكون خصائص مميزة للفضاء لتحفز إدراك المتلقي فيه وبالتالي سلوكه الفضائي.

المراجع:

١- البياتي، طلال عباس ابراهيم، "التلوث البصري في الشوارع التجارية"، رسالة ماجستير مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي ، ٢٠٠٠

٢- العلايلي، عبد الله، "الصحاح في اللغة والعلوم – المجلد الاول"، دار الحضارة العربية، لبنان – بيروت ، ١٩٧٤

٣- العلوان، هدى عبد الصاحب، "وضوحية البيئة المعمارية"، اطروحة دكتوراه مقدمة الى قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠١

٤- زيدان، دينا اميل، "الفضاءات السالبة في العمارة / تأثير خصائص التنظيم الفضائي على اشغال الفضاءات المفتوحة" ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم الهندسة المعمارية ، الجامعة التكنولوجية، بغداد، ١٩٩٢

٥- كلارك، سايمون، ترجمة سعيد العليمي، "اسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية" ، دار بدائل ، الجيزة – مصر، ٢٠١٥

٦- Alexander, Christopher, " Anew Theory of Urban Design ", Oxford University Press; N.Y., USA, ١٩٨٧

٧- Canter, David V. , "The psychology of place" , the architectural press, London, ١٩٧٧

٨- Hillier, Bill & Hanson, "The Social logic of Space" , Cambridge University Press, Cambridge, ١٩٨٤

٩- Hillier, Bill, "Space is the machine" , Cambridge university press, Cambridge, ١٩٩٦

١٠- Hillier, Bill, "The main ideas behind the space syntax method of spatial analysis and the historical pattern of architectural and planning" , United Kingdom, ١٩٨٨

١١- Turner, Alasdair and Alan Penn, " Space Syntax Based Agent Simulation", UK, .٢٠٠١

١٢- Rapoport, Amos, "Human aspect of urban form" , Towards Aman –environment approach to urban form and design , pergamon press, Oxford, U.K, ١٩٧٧

سياسة إيران المائية تجاه العراق وانعكاساتها على النشاط الاقتصادي
دراسة في الجغرافية السياسية

م.م. خالد جاسم الحچيمي
المديرية العامة للتربية/ محافظة القادسية

المقدمة:

لما كانت منابع نهري دجلة والفرات تقع خارج حدود العراق الاقليمية فهذا يعني عدم قدرة العراق في التحكم بمصادر المياه وبالمشاريع المقامة عليهما خارج حدوده، وبما إن وضع العراق الجغرافي كدولة مصب يضعه في موقف صعب، لأنه يتأثر سلبا بإجراءات الدول الواقعة في أعلى مجرى النهرين (تركيا وإيران) حيث تؤثر تلك السياسات بدرجة كبيرة في كمية الايرادات المائية الوراد إلى العراق ونوعية تلك المياه من خلال اعاده المياه الراجعة جراء البزل والصرف الصحي إلى النهر مما يؤثر على البيئية في العراق.

مارست إيران سياسة مائية تمثلت بخفض مناسيب المياه الواصلة إلى العراق، لكي تبسط نفوذا سياسيا واقتصاديا، مما انعكس سلبا على طبيعة النشاط الاقتصادي وبالتالي ظهور اثار التلوث واضحة في المياه من خلال إطلاق كميات من المياه الآسنة والمخلفات الكيمياوية للمصانع والمعامل الإيرانية اتجاه العراق، فضلاً عن ارتفاع اللسان الملحي في مياه شط العرب مما أثر سلبا على الحياة البيئة البحرية والبرية. ومن هنا جاء بحثنا الموسوم (سياسة إيران المائية اتجاه العراق وانعكاساتها على النشاط الاقتصادي – دراسة في الجغرافية السياسية).

قسم البحث على أربع مباحث: بيّن المبحث الأول المياه السطحية في العراق في حين ركز المبحث الثاني: على طبيعة المياه المشتركة بين إيران والعراق، فيما تناول المبحث الثالث: سياسة إيران المائية اتجاه العراق، بينما وضح المبحث الرابع انعكاسات السياسة المائية الإيرانية على النشاط الاقتصادي في العراق.

تمثلت مشكلة البحث بالسؤال الآتي: كيف أثرت سياسة إيران المائية على النمو الاقتصادي في العراق؟، وما هي الآثار السلبية التي خلفتها تلك السياسة. فكانت الفرضية: تراجع النمو الاقتصادي بشكل كبير من جراء سياسة إيران المائية، مما جعل العراق في تبعية اقتصادية لإيران. هدف البحث: تسليط الضوء على السياسة المائية المتبعة من قبل إيران لغرض اضعاف العراق اقتصاديا خاصة في قطاعي الزراعة والصناعة.

المبحث الأول: المياه السطحية في العراق:

تلعب المياه السطحية دوراً فعالاً في حياه الكائن الحي وهي العامل الأكثر تأثيرا في عملية الإنتاج الزراعي وأحد السبل لتحقيق الرفاهية والتطور الاقتصادي للسكان والدولة، إذ تساهم المياه في النقل وتوليد الطاقة الكهربائية، وهي بالأساس عنصراً هام في قيام الصناعة وتطورها والزراعة الحديثة التي توفير غذاء الإنسان من مصدره النباتي والحيواني. المياه مفتاح للتنمية المستدامة القابلة للاستمرار وضمان بقاء السكان في مناطقهم، وانعكست هذه الأهمية للمياه على عدة تسميات للعراق فكلما ذكر أسم العراق تذكر مرادفاته (بلاد الرافدين) و (أرض الجزيرة وبلاد النهرين) و (أرض دجلة والفرات) لتوضح أن العراق هو عطايا الماء وهبة النهرين كما ذكر قديما هيرو دوتس أن موارد العراق المائية هي أساس قوته الاقتصادية [١] .

تعد الأنهار من الموارد الطبيعية والحيوية للإنسان التي يعتمد عليها كمصدر لتوفير مياه الشرب وتأمينها للأغراض الزراعية والصناعية، فضلاً عن ما تضفيه للطبيعة من جمال ومناظر خلابة لكي يتمتع بها السكان، ومع ذلك يجب أتخاذ كل التدابير التي من شأنها أن تمنع المساس بالتحكم في كمية المياه ونوعيتها ومنع وتجريم طرح النفايات من مصادرها المختلفة التي تؤدي إلى حدوث كارثة بيئية يصعب السيطرة عليه [٢] .

إن المياه السطحية من أهم موارد العراق المائية وتتمثل بشكل أساس في نهري دجلة والفرات وروافدهما، حيث تقدر مساحة حوض الرافدين بـ (٧٨٢٠٠٠) كم٢، أذ ينشأ قسم كبير من مياه العراق السطحية خارج

حدوده، حيث يساهم العراق بنسبة (٢٣%) في تغذية ثروته المائية، في حين تساهم تركيا وإيران بمقدار (٧٧%) . سوف نركز في بحثنا على نهر دجلة وروافد بقدر ما يتعلق بموضوع الدراسة [٣] .

نهر دجلة:

يبلغ طولة نهر دجلة ١٧١٨كم، حيث تقسم مسافته (٢٥٠) كم في أراضي تركيا و(٤٩)كم في الأراضي السورية وما تبقى ١٤١٩ كم في العراق ينظر جدول (١)[٤]، يصب في نهر دجلة مجموعة كبيرة من الروافد المتوزعة في أراضي (تركيا ، إيران، العراق) أهمها رافد الخابور، الزاب الأعلى، الزاب الأسفل، العظيم نهر ديالى . يعد نهر دجلة من أبرز مصادر المياه السطحية في العراق، بفعل ضخامة إيراده السنوي ولأن (٣٣,٥%) من إيراده السنوي يزود من داخل العراق بمقدار ١٦مليارم٣/ سنويا، وهذه كمية مضمونه للاستهلاك البشرية، إلَّا إن تهديد الظروف المناخية التي تشهد تغيرات كبيرة بين الحين والأخر تجعل من العراق مهدد بخطر نقص المياه، وإن المصادر الخارجية لمياه نهر دجلة تشهد تهديدين الأول: طبيعي مناخي والثاني: سياسي جيوبولتيكي يرتبط بالظروف والمتغيرات السياسية والاقتصادية والتنموية للدول [٥].

إن البعض من روافد نهر دجلة تتحكم في منابعها إيران، حيث قامت بقطع عدد من الأنهر العابرة للحدود العراقية مثل نهري (الوند والكارون)، مما نتج عنه أضرراً بالغة في عملية إدارة الموارد المائية لدى العراق حيث انساب مجرى النهر إلى داخل الأراضي الإيرانية مما ترك نسبة ملوحة عالية في شط العرب، كما تعددت التجاوزات من قبل الجانب الإيراني أتجاه مياه شط العرب من خلال طرح النفايات الكيمياوية ومياه البزل المالح، فضلاً عن النفايات السامة والقاتلة للأحياء المائية القادمة من مصفى عبادان باتجاه شط العرب مما أدى إلى خسارة كبيرة للثروة السمكية في محافظة البصرة جنوب العراق [٦] .

ما يميز نهر دجلة وروافده بأنهما المصدر أساسي للنمو الاقتصادي في العراق، فالمياه إلى جانب المناخ والسطح ذات دور كبير في تطور أو تدهور سكان العراق، مما يؤثر في توزيع الأنشطة الاقتصادية المختلفة، وبهذا يتميز نهر دجلة وروافده بأنه ذات كثافة سكانية عالية وله أثر فعال في المقومات

الاقتصادية، فإلى جانب الكثافة السكانية العالية وجود مساحات سهلية واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة يستطيع العراق سد متطلباته الاساسية وتقليل الفجوة الغذائية وتوفير متطلبات الصناعة من المواد الأولية وولوج الفائض عن ذلك في تبادلاته التجارية الخارجية، وبالتالي يصبح العراق بذلك سلة غذاء لأغلب الدول العربية والاقليمية [٧] وهذا ما ادركته إيران وأبدت تخوفها من بروز العراق كقوة اقتصادية تقدم سلة الغذاء للدول المجاورة والاقليمية، مما يؤثر سلبا على اقتصاد إيران وهي تمر بظروف اقتصادية صعبة، بفعل العقوبات الاقتصادية من قبل المجتمع الدولي حيث تعد العراق طوق النجاة من ازمتها الاقتصادية .

جدول (١) طول ومساحة حوض نهر دجلة

ت	الدولة	الطول/ كم	مساحة الحوض الكلية /كم٢	مساحة الحوض الفعلية/كم٢	مساحة العراق من الحوض الكلي %
١	تركيا	٢٥٠	٥٧٦١٤	٥٧٦١٤	٦٤,٢
٢	سوريا	٤٩	٨٣٤	٨٣٤	
٣	العراق	١٤١٩	١٨٥,٥٥٠	٨٣٢٣٧	
٤	إيران	ـــ	٤٥٠٠٠	٢٤٤٠٠	
-	المجموع الكلي	١٧١٨	٢٨٩٠٠٠		

المصدر: بشرى رمضان ياسين، التحديات البيئية لإدارة الموارد المائية السطحية في العراق، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد (١٢)، ٢٠١٣، ص١٩٨.

المبحث الثاني: طبيعة المياه المشتركة بين العراق وإيران:

تبرز أهمية كبيرة للأنهار الحدودية المشتركة لدى سكان العراق في المناطق المتاخمة لإيران وخاصة المناطق الواقعة ضمن محافظات (السليمانية، ديالى، واسط، ميسان، البصرة) وبعض المدن الحدودية (مندلي، خانقين، بدرة وجصان، زرباطية) وتكمن أهمية هذه الأنهار في تغذية نهر دجلة عن طريق روافده الرئيسية والتي تخترق الحدود الشرقية للعراق مع إيران حتى مصب شط العرب في الخليج العربي[٨]، يرتبط العراق بإيران بمجموعة من الأنهار دائميه الجريان وأخرى موسمية، حيث شكلت جزءٍ من الحدود المشتركة بين الدولتين ينظر خريطة (١)، وبالتالي جزءاً من مشكلة الحدود العراقية – الإيرانية، وتفاقمت هذه المشكلة بممارسة إيران سياسة مائية تمثلت بقطع معظم هذه الأنهار حيث خلفت أضررا كبير بأراضي وقرى المزارعين والفلاحين العراقيين، نتج عنها هجرة واسعة لسكان تلك المناطق تاركين مصدر رزقهم ومهنتهم حيث تحولت أغلب مناطقهم للتصحر، ولم يتوصل العراق لأي حل أو اتفاق مع إيران بخصوص سياستها المائية، بسبب تهرب السلطات الإيرانية من الاجتماع مع الحكومة العراقية أو عقد أي اتفاقية بخصوص هذا الشأن، بل استمرت بقطع وتغيير مجرى بعض الأنهار العابرة للعراق بين الحين والأخر [٩]، ومن هنا نبين أهم الأنهار والروافد المشتركة التي تنبع من إيران وتغذي نهر دجلة وروافده من شمال العراق حتى جنوبه :

أولاً: محافظة السليمانية: رافد بناوه سوته أحد روافد نهر الزاب الصغير .

ثانيا: محافظة ديالى: ١- رافد قره تو ٢- رافد الوند . ٣- مجموعة الوديان والمجاري القصيرة في قضاء مندلي . ٤- نهر كنكير .

ثالثا: محافظة واسط: ١- نهر كنجان جم ويطلق عليه في العراق كلال بدرة ٢- نهر جنكيلات ويطلق عليه في العراق نهر الشهابي .

رابعاً: محافظة ميسان:١- نهر الطيب ٢- نهر دويريج (خرخيرة) ٣- شط الأعمى ٤- نهر الكرخة .

خامساً: محافظة البصرة: ١- نهر الكارون ٢- شط العرب .

وفيما يأتي تفصيل عن طبيعة جريان المياه المشتركة بين الدولتين .

١- نهر بناوه سوته: ينبع من المرتفعات الإيرانية ويمتد مع الحدود العراقية – الايرانية لمسافة (٥) كم تقريبا، ثم يدخل الأراضي العراقية عند منطقة (ماوت) التابعة لمحافظة السليمانية ومن بعدها يغذي نهير قزملة أحد روافد الزاب الصغير .

٢- نهر قره تو: ينبع من مرتفعات زاكروس المتاخمة للحدود العراقية – الايرانية، ومن ثم يجري في الأراضي العراقية عند قرية (تنجي حمام) في محافظة ديالى، وبعد ذلك يصب في رافد ديالى ويجري لمسافة نسبتها (٦٧,٢%) من النهر في الأراضي الإيرانية ولمسافة نسبتها (٣٢,٨%) في الأراضي العراق، تستثمر مياه النهر لسقي مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والمراعي لتربية الحيوان وتوفير الغذاء من الحشائش في ناحية قره تو في قضاء خانقين[١٠] .

٣- رافد الزاب الصغير: تقع منابعه في جبال إيران الواقعة جنوب بحيرة اورومية، ومن ثم يجري جنوباً في الأراضي الإيرانية مخترقا جبال (آرومان) ومن ثم ينساب في الأراضي العراقية مخترقا مرتفعات عديدة في محافظة السليمانية ويكون الحدود الطبيعية بين محافظتي كركوك وأربيل تاركا وراءه قصبة كري سنجق عايمينة، ومن ثم يمر بمنطقة التون كوبري (جسر الذهب) وبعدها يصب بنهر دجلة .

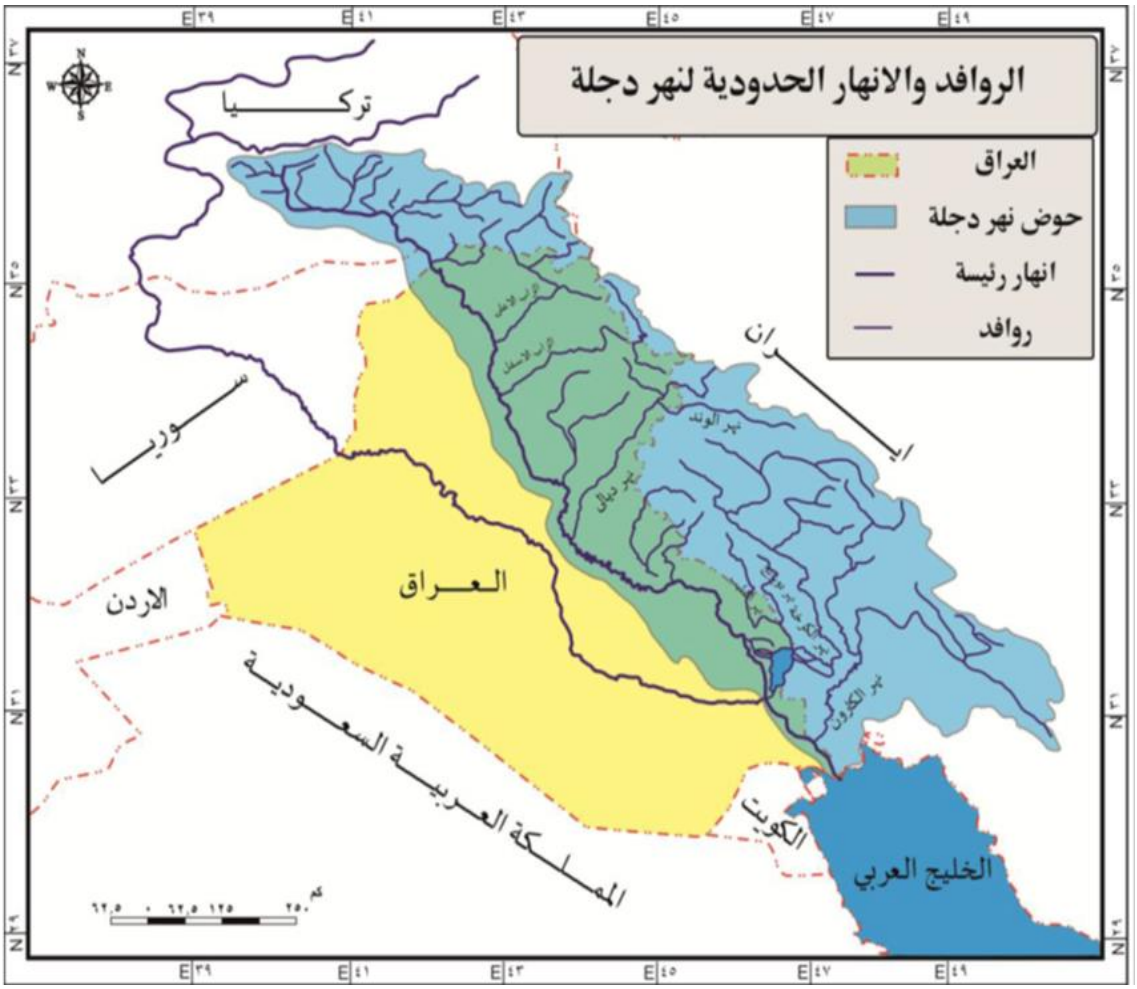
٤- نهر الوند: ينبع من أعالي الجبال الإيرانية الواقعة في جبهة (كرند)، ومن ثم يدخل العراق عند قضاء خانقين وبعدها يصب بنهر ديالى في منطقة المخلط، حيث يروي مساحات زراعية وبساتين تقدر مساحتها بـ (٥٠) ألف دونم . قامت إيران بأنشاء مشاريع وقنوات مائية عليه بهدف خفض منسوب مياه النهر لألحاق الضرر بالعراق .

٥- نهرا مندلي وترساق: ينبعان هذان النهرين من المرتفعات الغربية لجبال إيران المتاخمة للعراق، حيث يدخل الأراضي العراقية عند مدينة مندلي من قصبتي (مندلي وقزانية) فيسقي أراضيهما وبعد ذلك ينصب في هور الشويجية، أما نهر ترساق فيمر بقضاء مندلي ويسقي أراضيه الزراعية، ويتميز ماءه بأنه مالح ومر[١١] .

٦- نهر ديالى: يأتي بالمرتبة الثالثة بعد نهري الفرات ودجلة من حيث مساحة حوضه البالغة (٣٢٨٧٤)كم٢، وبالمرتبة الثالثة كنهر دولي في العراق أذ يبلغ طوله (٤٤٠) كم، كما أنه خامس نهر دولي ينبع من خارج الحدود من حيث كمية التصريف [١٢]، ينبع نهر ديالى من المرتفعات الإيرانية المتاخمة للحدود العراقية عند جبال (آرومان)، حيث يتكون النهر من رافدي (سيروان وحلوان) فضلاً عن بعض المنابع الصغيرة التي تغذي، وبعد أن يجري قريبا من الحدود العراقية – الإيرانية وبشكل موازي لها يداخل الأراضي العراقية في محافظة ديالى ماراً بأراضي قضاء (حلبجة) بواداً غائر بين المرتفعات الجبلية من جهة الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، ومن ثم يخترق تلال حمرين، وبعد ذلك تتفرع منه قناتان (خراسان في الجنوب والخالص في الشمال) وبعدها يمر بقصبة بعقوبة. يبلغ طول نهر ديالى من منبع ماء سيروان إلى أن يلتقي بدجلة حوالي (٣٣٣) ميلا، (١١٥) ميلا منها في الأراضي الإيران، و (٦٨) ميلا في العراق، وموازيا للحدود بطول (١٥٠) ميلاً، يعقب النهر استقامته من جهة الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي في محافظتي ديالى وبغداد، أن اغلب مياه هذا النهر تسقي أراضي ديالى وقسما قليلاً من أراضي بغداد، حيث تتفرع منه فروع تكون دلتوات كبيراً .

٧- نهرا كلال وكاوي: ينبعان من جبال بشتي كوه الإيرانية ويمران بأراضي السيد حسن والبسقاوية ذات التربة الخصبة حيث ينحرف نهر كاوي باتجاه الغرب فيروي مساحات من الأراضي والبساتين التي في جوار بدرة. أما نهر كلال فبعد أن يمر بأراضي السيد حسن ينحرف بتجاه الغرب الجنوبي ماراً بقصبة بدرة، ويمر فرع منه بقرب منطقة جصان ليسقي أراضيه، ومن ثم ينحرف النهر الأصلي باتجاه الجنوب الغربي ليصب في بحيرة (الشويجيه) ومن هذه البحيرة يخرج فينساب حتى يصب في نهر دجلة الرئيسي في جنوب قصبة مدينة الكوت .

خريطة (١) الروافد والأنهار المشتركة بين العراق و إيران



المصدر: سعدية عاكول منخي وأنفال سعيد داود، الواقع المائي للأنهار الحدودية بين العراق وإيران وآثارها البيئية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد (١٢٧)، ٢٠١٨، ص٢٧٤.

٨- نهر الطيب: ينبع من مرتفعات زاكروس ويدخل الأراضي العراقية عند مخفر الطيب شمالي مدينة العمارة لمسافة (٨٠) كم، ويتجه بعد ذلك إلى جهة الجنوب حتى يصب عند هور السناف في ناحية المشرح التابعة لمحافظة ميسان [١٣] ، حيث قامت إيران بقطع مياهه كليا عن العراق .

٩- نهر دويريج: ينبع من جبال بشتي كوه الإيرانية المحايدة لمحافظة ميسان من جهة الشرق ومن ثم يدخل الأراضي العراقية وبعدها ينتهي بمصبه في الأهوار المقابلة لمدينة العمارة .

١٠- نهر الكرخة: تقع منابعه في الجبال الإيرانية ومن ثم تنساب مياهه إلى هور الحويزة خاصة في موسم الفيضانات، نفذت إيران عليه مجموعة من المشاريع والسدود بهدف توليد الطاقة الكهربائية [١٤].

١١- نهر كارون: يعد هذا النهر من الأنهر الكبيرة في إيران يجري في أراضيها ليسقي كثيراً من الأراضي الزراعية، كما أنه يمر بإيالة عربستان التي تقطنها قبيلتا (كعب وعامر) العربيتان، وبعد أن يمر بالمحمرة عاصمة الايالة المذكورة يلتقي بشط العرب، وتدخل السفن الشراعية الصغيرة إلى مسافة (٢٥٠) كم من منصبه [١٥] .

المبحث الثالث: سياسة إيران المائية تجاه العراق:

في ظل التغيرات المناخية العالمية التي يشهدها العالم اليوم يواجه العراق اخطاراً حقيقية في موارده المائية، كون أغلب مصادر مياهه تقع خارج حدوده، فهو يعتمد كلياً على مياه نهري دجلة والفرات وروافدهما، ولما كانت منابع هذان النهرين تقع خارج حدود العراق الاقليمية، فهذا يعني عدم قدرته على التحكم بمنابعهما والمشاريع المقامة عليهما من قبل دول المنبع [١٦].

تشكل الأنهار الحدودية المشتركة حالة عدم استقرار سياسي واقتصادي لسكان العراق، وتتفاقم مشكلة المياه الحدودية بين الحين والأخر، بفعل سعي إيران لتنفيذ مشروعات مائية في أحواض الأنهار المشتركة دون استشارة العراق مما يبقي المشكلة معلقة ومثيرة للجدل في كل وقت، لقد استخدمت ايران المياه اداة لابتزاز العراق سلاحا لتهجير المواطنين من المناطق الحدودية بواسطة قطع المياه عنهم بطرق ووسائل مختلفة، ونجد هناك اوجه التقاء بين التوجهات المائية (الايرانية – التركية)، فالسياسة المائية الايرانية

تحاول التنسيق مع سياسة تركيا عند التفاوض مع العراق على فكرة الحوض الواحد لربط حوضي نهري دجلة والفرات وعدهما حوضا واحدا، وهذا المبدأ يرفضه العراق جملةً وتفصيلا، لعدم وجود أي سند قانوني يجيز ذلك [١٧] .

لإيران سياسة مائية قائمة على أساس استغلال مياه الأراضي الحدودية ضد العراق، وذلك بإنشاء عدد من السدود والخزانات ينظر جدول (٢) وكان هدف هذه السياسة لحق أضرار كبيرة وقاسية على العراق، حيث استغلت ايران منابع مياهها العابرة للعراق وحرمته من أي استفادة منها، لقد استخدمت مياه نهر بناوه سوته على اساس مبدأ المساواة بين الطرفين لكن إيران خلقت مشكلات بعد عام (١٩٥٤) بحجة اقامة العراق ساقية إضافية، فيما توضحت الصورة بعدم صحة ادعاء ايران وانما العكس صحيح مما اثر على حصة العراق المائية، في حين اخترقت ايران اتفاقية المياه بالتناوب لنهر (قره تو) بخمس ايام للعراقيين ومثلها للإيرانيين، لكن حصلت تجاوزات من الجانب الإيراني بإقامة سدود مؤقته لغلق النهر عن العراق ولا سيما في ذروة الجفاف مما أثر سلبا على المحاصيل الزراعية الصيفية في العراق[١٨]، كما أقدمت إيران بتشييد سد على نهر (كلال بدرة) الذي يروي كل من أراضي وبساتين (زرباطية وبدرة وجصان) في محافظة واسط وقطع مياهه عن العراق، حيث يشكل مجراه كلال بدرة قبل دخوله الأراضي العراقية خطا للحدود بين العراق وايران لمسافة أربع كيلو متر [١٩]. أما فيما يخص نهر (الوند) أقامت إيران مجموعة من السدود مما أدى إلى انخفاض كمية المياه بشكل كبير اتجاه العراق، وبالتالي أثر سلبا على الأراضي الزراعية، وتم تحويل مياه نهر سيروان باتجاه الأراضي الإيرانية مما خفض من الإيرادات المائية للعراق، ولم يسلم نهر الكرخة هو الأخر والذي يعد أحد المصادر الرئيسية لتجهيز هور الحويزة حيث أقدمت ايران بأنشاء العديد من السدود والمشاريع الأروائية في اعالي النهر[٢٠]، ونهر الطيب هو الأخر حيث شيدت ايران عدد من السدود والنواظم على مجرى النهر بهدف تحويل مياهه إلى داخل أراضيها، مما أثر سلباً على الحصة المائية الثابتة للمزارعين العراقيين، وبالتالي تعرض الكثير من المحاصيل الزراعية للتلف[٢١].

ومن الأسباب الرئيسة لزيادة اللسان الملحي في مياه شط العرب قله الإطلاقات المائية جراء سياسات

أعالي الحوض (إيران) حيث تم أنشاء عدد من السدود ابرزها سد وخزان الدز على نهر الكارون، هذه السدود المنجزة أدت إلى خفض كمية الواردات المائية والتصريف الواصل لشط العرب[٢٢] بشكل كبير .

هناك أهداف لا بد من الإشارة اليها من جراء تشييد إيران لعدد من السدود الكبيرة على نهر الكارون وروافده عام ١٩٦٠:

١- خزن المياه بكميات كبيرة، وبالتالي انخفاض منسوب مياه شط العرب، بهدف عدم صلاحية النهر للملاحة البحرية حيث يعد شط العرب شريان الاقتصاد العراقي .

٢- إنشاء سدود أخرى لتغيير المياه عن المجرى الطبيعي لها ، بهدف رفع نسبة اللسان الملحي في شط العرب [٢٣].

٣- بناء مشاريع خزن لغرض توليد الطاقة الكهربائية وري الأراضي الزراعية، مما ولد أضراراً كبيرة بالأراضي المروية في العراق .

الأثار السلبية لسياسة إيران المائية تجاه العراق:

يواجه العراق مشاكل جمه في موارده المائية أخذت تتسارع خلال السنوات القليلة الماضية، بفعل تطاول الجوار العراقي على حقوقه المائية، إن هذه الأفعال والسياسات اللامسؤولة كانت السبب الرئيس في شحة المياه في نهر دجلة وروافده . وفيما يأتي توضيح تلك الأثار [٢٤] :

١- تراجع كمية الوارد المائي للعراق بنسبة تتراوح بين (٦٠-٧٠%)، حيث شهدت المناطق الحدودية للجهة الشرقية من العراق جفافاً لا سابق له، بفعل إجراءات الحرب المائية غير المعلنة وغير القانونية التي تعد انتهاكاً صارما للقانون الدولي الخاص بالأنهار المشتركة .

٢- انخفاض كبير للتدفق المائي لروافد نهر دجلة التي تقع أحوضها في الأراضي الإيرانية، مما أثر سلباً على المشاريع التنموية والاقتصادية في العراق .

٣- تقلص المساحات المزروعة والأراضي الصالحة للزراعة في حوض نهر دجلة يرافقه توقف تام لتوليد الطاقة الكهرومائية التي تعتمد على سدي دوكان ودربندخان، بفعل نقص منسوب المياه.

٤- إن مياه روافد نهر دجلة التي تنبع من إيران لا تغدو سوى تصاريف مائية ذات تراكيز عالية من الأملاح والمياه الآسنة، تسيء لإجمالي مياه نهر دجلة وتسبب تملح الترب الزراعية نتيجة ريها بمياه مالحة، وتوقف لبعض المعامل والمصانع التي تستخدم المياه النقية كمادة أولية في الصناعة حيث تعرضت التوربينات والمراجل في المكائن والآلات للتلف مما ولد خسائر اقتصادية كبيرة للقطاع الخاص والعام الصناعي .

٥- إن التركيز العالي للأملاح في مياه نهر دجلة أدى إلى توقف أداء تقنيات الري الحديثة خاصة أجهزة الرش والتنقيط نتيجة انسداد انابيبها بالأملاح .

٦- تحويل مياه روافد نهر دجلة على طول الحدود بين الدولتين، وبالتالي انعكس سلباً على تدفق المياه باتجاه الأهوار في جنوب العراق تحديداً (هور الحويزة)، لاختلال المناخ المناطقي وهبوب عواصف رملية وترابية أضرت بالمساحات الزراعية والبيئة بشكل عام .

٧- نقص حاد في الإيرادات المائية باتجاه شط العرب، أدى لاختلال العلامات الحدودية للمياه الإقليمية العراقية (خط الثالوك – خط العمق)، مما أثر سلباً على حركة التجارة الدولية للعراق والموانئ ومراسي السفن، وتوسع مساحة المياه الإقليمية لصالح إيران على حساب العراق، فضلاً عن الأضرار البيئية البالغة التي لحقت بالأحياء المائية في منطقة شط العرب .

جدول (٢) المشاريع والسدود الإيرانية المقامة على الأنهار العابرة من إيران إلى العراق

ت	الأنهار المشتركة بين العراق وإيران	أقامه المشاريع والسدود	الآثار المترتبة على العراق
١	نهر بناوه سوته وفزلجة	انشاء سد	حجب المياه عن رافد الزاب الصغير
٢	نهر هوشياري	انشاء سد وخزان	انقطاع المياه عن ألاف الدونمات الزراعية في قضاء بنجوين في محافظة (السليمانية)
٣	نهر الوند	أنشاء قناه	التأثير على تدفق المياه لنهر ديالى
٤	نهر قردة تو	أنشاء عدد من السدود الصغيرة	أنقطاع مياه النهر بالكامل التي تغذي نهر ديالى
٥	نهر كنكير	أنشاء مشروع تحويل المياه للإراضي الإيرانية	حرمان قضاء مندلي من مياه النهر
٦	مشروع الأفق الأزرق الإيراني	تنفيذ مشاريع زراعية ضخمة	حجب مياه أنهار (سيروان، الوند، الكرخة، الكارون) عن العراق وتقليل منسوب المياه اتجاه العراق
٧	نهر كنجان جم ونهر جنكيلان	شق قناه من النهرين وتحوليها لمحافظة مهران وإلى قناه غلام شاه	قطع المياه كلياً عن ناحية بدرة وزرباطية في محافظة واسط، مما أدى إلى جفاف نهر جنكلان الذي يغذي ناحية زرباطية التي أصابها الجفاف من جراء المشروع
٨	نهر الطيب	أنشاء سد على النهر عند منطقة	خلف أضرار بالغة بالمزروعات في

		(دهلون)، ومؤخراً تم قطع مياه النهر وتغيير مجراه نهائيا عن العراق	محافظة ميسان
٩	نهر دوبريج	أنشاء سد على مجراه في منطقة (كبة هشلا)	تم قطع المياه نهائياً اتجاه العراق
١٠	نهر الكرخة	أنشاء سد بسعة تخزين (٦ مليارم٣) سنة وانتاج الكهرباء بطاقة (٢٥٠) ميجا واط	انخفاض منسوب المياه للعراق
١١	نهر الكارون	أنشاء سدود وخزانات (كارون١، كارون٣، سد فيروزي	توقف تدفق المياه لشط العرب وزيادة نسبة الملوحة

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على:

(١) نوري رشيد نوري، أحكام المياه الدولية في الشريعة الإسلامية والأنهار المشتركة مع إيران، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد (٣٦)، النجف، ٢٠١٥، ص٣٢١-٣٢٤ .

(٢) عبد الأمير أحمد عبد الله، الأنهار الحدودية المشتركة بين العراق وإيران وآثرها على الأراضي الزراعية والأمن المائي، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العدد (١)، جامعة تكريت، ٢٠١٢، ص٣٦٩-٣٧٥.

لقد مارست إيران سياساتها المائية بهدف أضعاف العراق اقتصاديا، وجعلهُ منطقة سوق مفتوحة لتصدير منتجاتها الزراعية والصناعية وتقوية العلاقات التجارية بين الدولتين لصالحها وهذا ما حصل فعلا بل تحققت هذه الأهداف، فالعراق اليوم يواجه تذبذب في منتجاته الزراعية، وتدهور في القطاع الصناعي، والاعتماد الكبير على منتجات إيران في الغذاء والمنتجات الزراعية والصناعية وانتاج الطاقة الكهربائية والغاز.

المبحث الرابع: انعكاسات السياسة المائية الإيرانية على النشاط الاقتصادي في العراق:

إن اعتبار المياه من قبل دول المنبع سلعة اقتصادية وفقاً لاقتصاديات السوق، له أهداف خطيرة، تتنافى مع القيمة الاجتماعية والإنسانية، وإن قضية التسعير تستغل لتوجيه المياه للأنشطة التي تنتج خدمات كثير باستخدام كميات مياه قليلة، وبالتالي قد يتم توجيه المياه إلى الصناعة التي تستهلك حالياً ما يقارب (١١,٥%) من موارد المياه بدلاً من قطاع الزراعة الذي يستهلك أكثر من (٨٠%) من هذه الموارد، وقد تجسد البعد الاقتصادي للصراع على المياه في توجه دول المنبع بإقامة المشروعات المائية لأغراض الري وتوليد الطاقة الكهربائية لكي يتم تصديرها للخارج [٢٥] وبالتالي مورد اقتصادي مهم لدول المنبع ويعد التوجه الإيراني نموذجا لهذا التوجه بحيث يتحول الفائض من انتاج السلع الغذائية والصناعية وانتاج الطاقة وخاصة الطاقة الكهربائية من صادراتها إلى العراق .

يؤدي النشاط الاقتصادي دور بارزا في رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية منها وعلى تطوير أدوات تنفيذها في الدول، فصناع القرار السياسي جل ما يعتمدون على المؤشر الاقتصادي كدعامة أساسية في اتخاذ القرار السياسي، وذلك لعلاقته بقوة الدولة لإظهار مكانتها الاقليمية والدولية، فأن القوة الاقتصادية هاما معضدا للقوة السياسية والاستراتيجية والعسكرية [٢٦].

أولاً: القطاع الزراعي:

تساهم الزراعة في مد قطاعي الصناعة والتجارة بما تحتاج إليه من مقومات لإدامة نشاطاتها، فالمنتجات الزراعية تدخل كمادة أولية للكثير من الصناعات الغذائية وغيرها بدرجة عالية، وينموا التبادل التجاري بين الدول بواسطة الإنتاج الزراعي، أذ يأخذ حيزا كبيرا منها [٢٧]. تعد الزراعة القاعدة الاساسية لتحقيق الأمن الغذائي، بفعل أهميتها الانتاجية في سد حاجة ومتطلبات السكان، وبما إن المياه المصدر الرئيس الذي يتحدد على ضوء مقدرات مساحة الأرض القابلة للزراعة والمزروعة فعلا [٢٨]، فلا بد من تأمين الاحتياجات المائية للزراعة .

إن سياسة تشييد السدود ومشاريع الخزن المائي التي تمارسها إيران لها تأثير مباشر على النمو الاقتصادي في العراق، ولا تقتصر هذه السياسة على تناقص كميات المياه المنسابة في نهر دجلة وروافده فحسب، بل لها تأثيرات كبيرة على مجمل قطاعات العراق الاقتصادية سواء (الزراعية ام الصناعية ام في مجال التجارة)، وكما هو معروف عن العراق فهو من اقدم الدول التي تزاول مهنة الزراعة في منطقة الشرق الاوسط، ان غالبية سكانه تمارس حرفة الزراعة وتربية الحيوان وهناك نسبة كبيرة من الفلاحين والمزارعين يعتمدون في تأمين احتياجاتها المائية على نهر دجلة وروافده، وكما هو معروف عن الزراعة بأنها المستهلك الأكبر للمياه بنسبة (٩٢-٩٧%) من مجموع المياه الكلي المستعملة في العراق، فهي القطاع الأكثر تأثرا بالسياسة المائية حيث تقدر مساحة الاراضي القابلة للزراعة بـ حوالي (٤٨) مليون دونم، منها (٣٢) مليون دونم في المناطق الأروائية [٢٩]، وهذا يدعي الحاجة الضروري لإنشاء مشاريع الري من قبل الحكومة العراقية لتأمين كمية المياه التي تطلقها دول المنبع إلى نهر دجلة وروافده، وبالعكس من ذلك سيؤدي إلى انخفاض كبير في كمية الإنتاج الزراعي، وهذا القطاع يساهم في الانتاج المحلي الإجمالي وبالتالي انعكاسه على مدخولات الفلاحين المزارعين، مما يدفع بهم إلى ترك مهنة الزراعة والهجرة إلى المدن [٣٠] فضلاً عن تحول مساحات واسعة من الأراضي لمناطق صحراوية قاحلة .

إن من العناصر الأساسية لقوة الدولة الأمن الغذائي، حيث عرفت منظمة الأغذية والزراعة الدولية (F.A.O) الأمن الغذائي: بأنه قدرة الدولة على تأمين انتاج أكبر قدر ممكن من المواد الغذائية وامكانية رصانة منتجاتها في القدرة على التنافس مع منتجات دول صناعية، ولها القدرة على توفير صادرات زراعية وصناعية، فضلاً عن توفر الغذاء اللازم بالكمية والنوعية لكل فرد من أفراد المجتمع مع تأمين مخزون غذائي يكفيها لفترة لا تقل عن (٣ أشهر) بهدف تأمين ما هو مطلوب من الغذاء خلال فترة السلم والحرب [٣١] .

أن أي نقص في الموارد المائية يعني صعوبة الاستصلاح الزراعي لمساحات واسعة وهذا بحد ذاتها يعد تهديدا للأمن الغذائي، لقد عانت الاراضي الزراعية من نقص واضح في كمية المياه ونوعيتها، بفعل سياسة إيران المستمرة جراء تحكمها في منابع الأنهار المشتركة العابرة للحدود العراقية [٣٢].

إن استمرار ايران بتنفيذ سياستها المائية من شأنه ان ينهي ثلث مساحة الاراضي الزراعية في العراق، فقد بينت الحسابات الفنية التي أخرجتها وزارة الموارد المائية العراقية انه في حال نقص (١) مليار م٣ /سنويا من واردات نهر دجلة وروافده سيؤدي إلى تدمير مساحات زراعية تقدر بحوالي (٦٢٥٠٠) هكتار[٣٣].

إن اثار تلك السياسة تؤدي إلى انخفاض كبير في الانتاج الزراعي المحلي وفي مدخولات المزارعين كما ستزيد من اتساع وزحف مساحات التصحر في العراق وانتشار الكثبان الرملية المتحركة، لقد تعرض قطاع الزراعة في العراق إلى الانهيار، بسبب عزوف الفلاحين من ممارسة مهنة الزراعة، وأن معظم المشتغلين فيه قد اتجهوا للعمل في مهن أخر تدر ارباحا اكثر ومورد مستقر دائم لهم . يتضح لنا مما سبق إن أحد أهدف إيران في سياستها المائية بقاء القطاع الزراعي في العراق متخلف غير قادر على تلبية طلبات المستهلكين وتأمين السلع الزراعية والغذائية، مما يدفع بالمستهلكين إلى زيادة الطلب إلى السلع والأغذية المستوردة من إيران في الوقت الذي لا توجد معالجات حقيقية للواقع الزراعي في العراق .

ثانيا: القطاع الصناعي:

لكمية المياه ونوعيتها أهمية كبيرة في توطن الصناعة وقيامها، حيث تدخل المياه مادة خام لكثير من الصناعات، كما هو الحال في الصناعات الغذائية وصناعة المشروبات، وتستخدم أيضاً للتبريد في صناعة الحديد والصلب والفولاذ، وتستعمل للغسيل كما في صناعة الصوف والقطن وكذلك الصناعات الجلدية .

المياه عنصر أساسي لاختيار الموقع والمنطقة الصناعية موضعا لإقامة المشروع الصناعي فيها، ومن الضروري توفير المياه ونوعيتها بالقدر الكافي لاستمرار الصناعات وديمومتها التي تستخدم المياه بكميات كبيرة، ومن أبرز مصادر المياه (الأنهار والقنوات والجداول) [٣٤].

إن البحث في قيام الصناعات وتوطنها في بيئة معينة لا يهتم فقط بالظروف البيئية الطبيعية بل يستند إلى دراسة عناصر أخرى لها ترتبط بدراسة المنطقة الصناعية مثل توفر المياه وتأثير سياسة الدولة [٣٥].

إن انخفاض مناسيب المياه لها آثارا واضحة على قطاع الصناعة، إذ أغلب مصانع التعليب والمواد الغذائية تحتاج إلى نوعية جيدة من المياه نقية خالية من التلوث، فضلا عن كميات كبيرة من المياه العادية .

تستفيد وزارة الكهرباء العراقية من ارتفاع مناسيب المياه، وذلك لنصب محطات لتوليد الطاقة الكهربائية خاصة في المدن التي تتوفر فيها المياه، إلأ إن انخفاض نسبة التصاريف مؤخرا في نهر دجلة وروافده بحدود (٣٠%) حال دون تشييد تلك المحطات، حيث تقدر الحاجة لكميات المياه وخاصة المحطات البخارية يصل طلب المياه فيها بين (١٨٠-٢٥٠) م٣/ساعة لإنتاج ميكا واط واحد، بمعنى محطة بخارية سعة (١٠٠٠) ميكا واط تتطلب توفير كميات بمعدل (٥٠م/ثا٣)، وهذه الكمية عالية نسبة إلى التصاريف الحالية لنهر دجلة وروافده [٣٦] .

أما الصناعة التحويلية فقد أصابه هذا القطاع الحيوي والمهم حالة شديدة من الاندثار وتراجع دور الانتاج إلى مرحلة الركود، حيث بلغت أقل نسبة بين عامي (٢٠٠٣-٢٠٠٥) (١,٠١% و١,٣١%) على التوالي، إن هذا الهبوط الشديد في انتاج الصناعة التحويلية واستمرار ركوده سببه ضعف تجهيز الطاقة الكهربائية الذي يرتبط انتاجها بارتفاع منسوب المياه، حيث توقف عمل الطاقة الكهرومائية في سدي دوكان ودربندخان، أذ اقيمت على اعالي رافد الزاب الصغير سد دوكان وعلى أعالي نهر ديالى سد دربندخان بحيرتين سميتي باسم السدين اللذان يقعان في محافظة السليمانية وقد تم استثمارهما لأغراض انتاج الطاقة الكهرومائية عن طرق رفع منسوب المياه في البحيرة التي تقع امام السد المرتفع ليترك وادي النهر خلفه بعمق واضح ليسمح للمياه بالسقوط على شكل شلالات بحيث تكون قادر على إدارة التوربينات المخصصة لتوليد الطاقة، أذ يعتمد انتاج الطاقة الكهرومائية على قوة وكمية المياه النازلة ويبقى انتاج هذه الطاقة محدود، لارتباطه بمسافة السقوط من ناحية وكمية المياه من ناحية اخرى، وبفعل سياسة ايران

المائية توقف انتاج الطاقة الكهرومائية في هذان السدين، بهدف استيراد الطاقة الكهربائية من إيران وهذا ما حصل فعلا حيث اغرق العراق بمديونية لإيران، فيما تحول العراق إلى أكبر مستثمر في عمليات الانتاج من بداية السبعينات من القرن المنصرم [٣٧].

إن تراجع دور الانتاج الصناعي في العراق كان أحد استراتيجيات السياسة الايرانية اتجاه العراق، بهدف نموا اقتصادها على حساب العراق، في الوقت الذي تعاني فيه إيران من عزلة دولية تمثلت بالعقوبات الاقتصادية فهي لا تجد من سبيل لنجاتها الا من خلال العراق المنفذ الوحيد لتدارك أزمتها الاقتصادية وتصريف منتجاتها الصناعية بمختلف انواعها، وما نلاحظه اغراق السوق العراقي بالسلع والمنتجات الايرانية، وبالمقابل ركود واندثار للصناعة الوطنية العراقية. يتضح لنا مما سبق انتعاش عجلة الصناعة في إيران من خلال ما يجري من تدويرها في العراق حيث نموا سريع في تتعدد أصناف الصناعات في إيران، تبعاً لزيادة الطلب العراقي عليها، وبالتالي إبقاء وضع الصناعة في العراق على ما هو عليه الآن غير قادر على المنافسة مع إيران، نظراً لما تعانيه من صعوبات حقيقية تسببت بضعف قدرتها التنافسية وابقاء العراق بعيدا عن التنمية الصناعية كان أحد أهداف سياسة إيران المائية مع العراق .

ثالثاً: قطاع التجارة :

لا يمكن للدول العيش بمعزل عن غيرها لفترة طويلة من الزمن مهما كانت أسباب العزل، فزيادة متطلبات الافراد والرغبة الحقيقية في اشباعها وتباين توزيع المواد والمنتجات الزراعية والصناعية على مستوى العالم اوجب قيام التبادل التجاري بين جميع الدول، كما أوجب الارتقاء بالتجارة الدولية [*] من عصر إلى أخر في استجابة لمتطلبات جغرافية (الانتاج، الاستهلاك، النقل، العلاقات الاقتصادية) [٣٨].

تحتل التجارة الدولية مكانه خاصة في اقتصاديات وسياسات الدول، بفعل ارتباطها بالاقتصاد العالمي[٣٩].

وبما إن التجارة الدولية هي القناة التي تربط أي دولة بالاقتصاد العالمي وهمزة الوصل بين الدول على اختلاف أنظمتها وسياساتها وقوانينها وايديولوجياتها، فلا يمكن استغناء دولة عن الأخرى إلاّ في حدود

ضيقة جداً، وتبرز أهمية التجارة الدولية من الدور الذي تؤدي فيما يعرف بالعلاقات الاقتصادية الدولية التي أصبح تأثيرها يطغى على غيرها من أشكال العلاقات الدولية الأخرى [٤٠] .

شهدت العلاقات التجارية بين العراق وإيران مستويات غير متكافئة بين الطرفين ينظر جدول (٣) ، أذ تشكل السلع والخدمات الإيرانية أهمية نسبية كبيرة من أجمالي الاستيرادات العراقية فقد أصبح العراق سوقا استهلاكياً لها، في الوقت التي لم تشكل الصادرات السلعية العراقية إلى إيران أي أهمية نسبية تذكر، مما يجعل العلاقة التجارية بين الدولتين غير متكافئة وتميل للتبعية الاقتصادية [٤١]. لقد عانى الاقتصاد العراقي من العجز في الميزان التجاري، نتيجة اتساع الفجوة بين الصادرات والواردات بين العراق وإيران، حيث تبرز هما دور العلاقة التجارية بين الدولتين إيران والعراق والتي افرزت ارتفاع معدلات البطالة في العراق وهذا ما حقق أهداف السياسة المائية الإيرانية.

إن اتجاهات التجارة السلعية العراقية مع ايران تشهد نموا متصاعدا قياسا بالدول المجاور والاقليمية والتي تعكس زيادة في الاعتماد على السوق الايراني لتلبية احتياجات الطلب المحلي العراقي في ظل عدم وجود التنافس السلعي بينهما مما يزيد من المخاطر على الاقتصاد العراقي وسيما إلى احتمالات تعرضه للإغراق بالسلع ذات المواصفات الرديئة وغير المطابقة لمواصفات الجودة العالمية [٤٢]، اصبح العراق يعتمد كليا على مختلف أنواع المنتجات الايرانية، بفعل السياسة التي رسمتها إيران لتصريف منتجاتها في السوق العراقي حتى وصل الحال إلى استيراد الخضروات والصناعات اليدوية البسيطة، وبتأثير ذلك اتسم الاقتصاد العراق باختلال هيكل الناتج المحلي الاجمالي، حيث يلاحظ مساهمة القطاع الزراعي في الناتج المحلي الاجمالي بقيت منخفضة وفي تناقص مستمر بعد التحول السياسي في العراق عام ٢٠٠٣ لتصل إلى (٦,٦%) عام ٢٠١٣ بعد أن كانت تبلغ ذروتها النسبية عام ٢٠٠٣ نحو (١٤%)، في حين بلغت مساهمة القطاع الصناعي عدا النفط في تكوين الناتج المحلي عام ٢٠٠٣ نحو (٤,٧%) إلا أنها انخفضت بعد ذلك لتتراوح بين (٢-٤%) خلال الاعوام (٢٠٠٤- ٢٠٠٨) على التوالي[٤٣] .

لقد استغلت إيران العوامل المشتركة مع العراق (الدينية والعقائدية والاجتماعية والجغرافية) من خلال توثيق العلاقة بين الدولتين الأمر الذي أدى إلى تعدد قطاعات التجارة من سلع وخدمات مرورا بمجال الوقود والطاقة الكهربائية [٤٤] .

إن هذا التراجع في كمية الانتاج المحلي العراقي بعد ٢٠٠٣، هدفه ربط العراق اقتصاديا بإيران وهذا ما حصل فعلا توقف واندثار كامل للمعامل والمصانع العراقية، وتدهور في قطاعي الصناعة والزراعة وتحول أغلب الاراضي الصالحة للزراعة إلى أراضي صحراوية جرداء، وتجارة خارجية ذات قطب واحد مع إيران .

إن ما قامت به إيران من استراتيجية وتخطيط لاستثمار منابع المياه العابرة للعراق بالسدود والخزانات وتغيير مجاري الأنهار وقطع البعض منها والاستثمار الأمثل من الناحية الاقتصادية والسياسية قد زاد من المشكلة بالنسبة للعراق، فانخفاض مناسيب الأنهار العراقية واندثار بعظها بالكامل انعكس على النمو الاقتصادي في العراق وظهرت آثاره واضحة، فضلا عن محاولات النظام الإيراني لعقد اتفاقيات مع دول الجوار وخاصة دول الخليج لغرض إنشاء مشاريع مائية استراتيجية الغاية منه تحجيم دور الاقتصاد العراقي . يتبين لنا مما سبق إن العلاقات التجارية الإيرانية – العراقية سوف تسير باتجاه أحادي فقط، وهو صادرات إيرانية متنوعة يقابلها استيرادات عراقية واختفاء الاتجاه الثاني لتلك العلاقات التجارية وهو صادرات عراقية يقابلها استيرادات ايرانية .

جدول (٣) حجم التبادل التجاري بين العراق وإيران للمدة (٢٠٠١-٢٠١٦)

ت	السنة	الصادرات مليون دولار	نسبة الصادرات إلى إيران من الصادرات العراقية %	الاستيرادات مليون دولار	نسبة الاستيرادات من إيران إلى الاستيرادات العراقية %
١	٢٠٠١	٢٣	٠,١٨٥٩	١٤٥,٠	١,٣٠٠٢

٢	٢٠٠٢	١٨	٠,١٧٥٨	٢١٨,٠	٢,٨١٥٦
٣	٢٠٠٣	٩٦	٠,٩٨٨٥	٥٨٨,٤	٥,٩٢٣٣
٤	٢٠٠٤	٢٥	٠,١٤٠٣	٣٦٩,٠	١,٧٣٢٢
٥	٢٠٠٥	١٣٤	٠,٥٦٥٤	١,٢٣٣,٧	٦,١٦٧٨
٦	٢٠٠٦	٣٥	٠,١١٤	١,٧١٨,٤	٩,١٨٥٣
٧	٢٠٠٧	٩٢	٠,٢٣٢٣	١,٨٤١,٩	١٠,٠٧١٠
٨	٢٠٠٨	٦٧	٠,١٠٥١	٤,١١٨,٨	١٣,٦٥١٥
٩	٢٠٠٩	٦٣	٠,١٥٣	٤,٥٥٩,٩	١٣,٩٥١
١٠	٢٠١٠	٤٦	٠,٠٨٨٨	٤,٥٣٨,٦	١٢,١٥٨٧
١١	٢٠١١	١٢٤	٠,١٥٥٦	٤,٧٣٥,٠	١١,٦٥٣٠
١٢	٢٠١٢	٨٣	٠,٠٨٨١	٥,٦٧٨,٤	١١,٣٢١٧
١٣	٢٠١٣	٦٨	٠,٠٧٥٧	٥,٢٥٧,٠	١٠,٥١٨٨
١٤	٢٠١٤	٦٠	٠,٠٧١٤	٦,١٨٢,٠	١٣,٦٧٦٩
١٥	٢٠١٥	٥٠	٠,٠٩٧٤	٦,٢٠٦,٠	١٥,٢٠٧٤
١٦	٢٠١٦	٥٥	٠,١٣٤٩	٥,٩٥٩,٠	٢٠,٤٥٠٩

المصدر: ناظم عبد الله وآخرون، ، قياس وتحليل العوامل المؤثرة في تجارة العراق الخارجية مع إيران في أطار نموذج الجاذبية للمدة (٢٠٠١-٢٠١٦)، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد (٢٤)، ٢٠١٩، ص٤١١.

الاستنتاجات:

١- تتصف الموارد المائية المتاحة للعراق بكونها متذبذبة من سنة إلى أخرى، وإن تحكم دول المنبع (تركيا وإيران) بكمية المياه المتدفقة للعراق أدت إلى الاضرار الكبير بحصة العراق المائية وبالتالي تأثيرها المباشر على النشاط الاقتصادي.

٢- رغم امتلاك العراق موارد واسعة من الأراضي القابلة للزراعة والمقومات الطبيعية اللازمة لتحقيق التنمية الزراعية والصناعية، إلأ أنها تأثرت سلباً نتيجة السياسات المائية التي تتبعها دول حوض نهري دجلة والفرات .

٣- تعتقد إيران إن الأنهار التي تنبع من أراضيها مياه إيرانية لا يحق للعراق إن ينتفع منها رغم أنها تمر في أراضيه، وبذلك تخالف مبدأ الشراكة في مياه الأنهر الدولية.

٤- سيطرة ايران كلياً على نهر الكارون والكرخة حد من دور شط العرب في اتصال العراق بواجهته البحرية ، المنفذ المائي الوحيد للعراق الذي يصله بالعالم الخارجي عن طريق البحر .

٥- ان استمرار إيران في إنشاء مشاريع الري و تشييد السدود والخزانات على الأنهار العابرة للعراق هدفه الحد من تطوير خطط التجهيزات المائية للزراعة وتنمية قطاع الصناعة وتوليد الطاقة الكهرومائية .

٦- إن العلاقات التجارية بين إيران والعراق في تزايد مستمر بعد عام ٢٠٠٣، حتى أصبحت العلاقة غير متكافئة بين الدولتين، حيث أصبحت الزراعة والصناعة في العراق متعثرة بفعل النقص الحاد للمياه، مما يوفر لإيران خدمات مالية وتسهيلات اقتصادية من العراق تعجز أي دولة أخرى تقديمها لها لكونها محاصرة اقتصادياً .

الهوامش والمراجع:

(١) عباس فاضل السعدي، جغرافية العراق، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص١٠٣.

(٢) نعيم محمد علي الأنصاري، التلوث البيئي، ط١، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٨،ص١٣٥.

(٣) محمد أزهر السماك وآخرون، العراق دراسة إقليمية، ج١، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص٤٧-٤٩.

(٤) بشرى رمضان ياسين، التحديات البيئية لإدارة الموارد المائية السطحية في العراق، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد (١٢)، ٢٠١٣، ص١٩٨.

(٥) بدر جدوع المعموري، جغرافية الموارد المائية في العراق، ط١، بلا مكان طبع، ٢٠١٨، ص١٠٧.

(٦) أنعام سالم ناجي، مشكلة المياه في العراق بحث في الجغرافية السياسية، مجلة الاستاذ، العدد (١٠٨)، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص٣٩٢.

(٧) محمد كشيش خشان الموسوي، أثر موقع العراق الجغرافي السياسي في مستقبل علاقاته مع دول المجال الأسيوي الجديد (دراسة في الجغرافية السياسية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١١، ص٧٧.

(٨) ضلال جواد كاظم، الأهمية الجيوستراتيجية لموقع العراق الجغرافي في ضوء المتغيرات الدولية الجديدة (دراسة في الجغرافية السياسية)، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥، ص١٠٧.

(٩) بيداء محمود أحمد، الحدود العراقية الإيرانية (دراسة تأريخية – سياسية) ، مجلة مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، العدد (٢٠) ، ص٩٨-٩٩.

(١٠) سعدية عاكول منخي وانفال سعيد داود، الواقع المائي للأنهار الحدودية بين العراق وإيران وآثارها البيئية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد (١٢٧)، ٢٠١٨، ص٢٧٤.

(١١) أنعام سالم ناجي، المصدر السابق، ص٣٩٢ .

(١٢) رشيد سعدون محمد العابدي، إدارة الموارد المائية في حوض ديالى وتنميتها – (دراسة في جغرافية الموارد المائية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص١١.

(١٣) سعدية عاكول منخي وأنفال سعيد داود، الواقع المائي للأنهار الحدودية بين العراق وإيران وآثارها البيئية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد (١٢٧)، ٢٠١٨، ص٢٧٥.

(١٤) بدر جدوع المعموري، المصدر السابق، ص١٤٣-١٤٤.

(١٥) هاشم السعدي، جغرافية العراق الحديثة، مطبعة دار السلام، ط١، بغداد، ١٩٢٤، ص٢١-٢٤.

(١٦) حامد عبيد حداد، دور تركيا في أزمة المياه في الشرق الأوسط (العراق إنموذجا)، سلسله دراسات استراتيجية، العدد (١١٧)، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠١١، ص٤٤.

(١٧) ضلال جواد كاظم، المصدر السابق ، ص ١٠٨.

(١٨) سعدية عاكول منخي وانفال سعيد داود، المصدر السابق، ص٢٧٤-٢٧٦.

(١٩) بيداء محمود احمد، المصدر السابق، ص٩٨-٩٩.

(٢٠) بشرى رمضان ياسين، أثر السدود والمشاريع الأروائية في اعالي نهري دجلة والفرات على البيئة الزراعية العراقية، مجلة آداب البصرة، العدد (٦٧)، جامعة البصرة، ٢٠١٣، ص١٢٥.

(٢١) سعدية عاكول منخي وانفال سعيد داود، المصدر السابق، ص٢٧٥ .

(٢٢) سهاد جمال جهاد، التحليل الجغرافي السياسي للأمن البيئي في العراق واستراتيجيات تحقيقه، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠١٩، ص٦٨.

(٢٣) كفاح الأسدي ووسن هادي ، كفاح صالح الأسدي ووسن هادي، الأمن المائي في العراق (المشكلات والمعالجات)، (محافظة البصر أنموذجاً)، مجلة آداب الكوفة، العدد (١٥)، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٣، ص٩٤-٩٦.

(٢٤) بدر جدوع المعموري ، المصدر السابق، ص٢٩٥-٢٩٧.

(٢٥) حامد عبيد حداد، دور تركيا في أزمة المياه في الشرق الأوسط، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد (١١٧)، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠١١، ص٢٥.

(٢٦) سلام مجهول الزيادي، الآثار المترتبة على العراق من الصراع الجيوبولتيكي في منطقة الخليج العربي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٤، ص٤٧.

(٢٧) نوري خليل البرازي وابراهيم عبد الجبار المشهداني، الجغرافية الزراعية، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص٢٥.

(٢٨) عبد الأمير أحمد عبدالله، الأنهار الحدودية المشتركة بين العراق وإيران وأثرها على الأراضي الزراعية والأمن المائي العراقي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد (١)، كلية التربية، ٢٠١٣، ص٢٨١.

(٢٩) بشرى رمضان ياسين، أثر السدود على اعالي نهر الفرات ، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٣٠) هناء عبد الغفار السامرائي وأنور عبد الزهرة شلش، الآثار الاقتصادية لأزمة المياه في العراق ومرتكزات الاستراتيجية، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد (١٠٥)، الجامعة المستنصرية، كلية الإدارة والاقتصاد ٢٠١٥، ص١٦.

(٣١) سهاد جمال جهاد، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٣٢) صبري فارس الهيتي وأنور مهدي صالح، جغرافية الخليج العربي، وزارة التعليم العالي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص١٧٨.

(٣٣) بشرى رمضان ياسين، أثر السدود على اعالي نهر الفرات ، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٣٤) عبد خليل فضيل، دراسات في الجغرافية الصناعية، مديرية مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٩، ص٦٨.

(٣٥)المصدر نفسه، ص١٦.

(٣٦) هناء عبد الغفار السامرائي وأنور عبد الزهرة شلش، المصدر السابق، ص١٦.

(٣٧) ناظم عبدالله عبد وآخرون، قياس وتحليل العوامل المؤثرة في تجارة العراق الخارجية مع إيران في أطار نموذج الجاذبية للمدة (٢٠٠١-٢٠١٦)، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد (٢٤)، جامعة الأنبار، كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠١٩، ص٤١٠-٤١١.

(*) التجارة الدولية: جميع عمليات التبادل التجاري التي تحصل ما بين الدول باعتبارها وحدات سياسية مستقلة، أو هي المبادلات الخارجية التي تتم ما بين دولة واخرى عن طريق تعامل المقيمين فوق اراضيها، المصدر: يوسف طعمة طعماس وعبد العزيز محمد حبيب العابدي، جغرافية النقل والتجارة الدولية، مديرية دار الكتب، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص٣٥٧.

(٣٨) يوسف طعمة طعماس وعبد العزيز محمد حبيب العابدي، جغرافية النقل والتجارة الدولية، مديرية دار الكتب، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص٣٤١.

(٣٩) صبري فارس الهيتي وأنور مهدي صالح، جغرافية الخليج العربي، وزارة التعليم العالي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص٢٥٦.

(٤٠) ناظم عبد الله عبد وآخرون، المصدر السابق، ص٤٠٠.

(٤١) مظفر حسني على وقاسم محمد لعيبي، العلاقات التجارية بين العراق وإيران بعد عام ٢٠٠٣- التحديات وسبل التطوير، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد (١١٠)، ٢٠١٧، ص١٩.

(٤٢) المصدر السابق، ص٢٨.

(٤٣) المصدر نفسه، ص٢١.

(٤٤) ناظم عبد الله عبد وآخرون، المصدر السابق، ص٤١.

أثر التدقيق المشترك على استقلالية مراقبي الحسابات
دراسة ميدانية لعيُنة من مكاتب مراقبي الحسابات في العراق

م.م. بكر أيوب صالح
الجامعة التقنية الشمالية

المقدمة:

أصبح تدقيق القوائم المالية ومدى عدالة ومصداقية البيانات التي تحتويها هاجسا يقض مضاجع الاطراف المختلفة سواء داخل الوحدة الاقتصادية او خارجها، لكونه يعد تصريحا قانونيا لتلك الأطراف في اعتماد المحتوى المعلوماتي كمرشد لاتخاذ القرارات وسبيل لدرء الشبهات. وعليه فان التدقيق المشترك للقوائم المالية من قبل أكثر من مراقب حسابات يتمتعون بالكفاءة والنزاهة في الأداء والاستقلالية قد يقلل من تلك الهواجس. وتكمن مشكلة البحث في مدى وجود علاقة وتأثير للتدقيق المشترك على استقلالية مراقب الحسابات من حيث تخطيط وتنفيذ عملية التدقيق وبالتالي تقديم الرأي الفني المحايد المشترك لمحتوى وجوهر القوائم المالية محل الفحص والتدقيق. وتأتي أهمية البحث من أهمية التدقيق في التصديق على محتوى القوائم المالية باستخدام التدقيق المشترك من قبل كل طرف من أطراف العملية من خلال المسؤولية التضامنية للمدققين واهمية استقلاليتهم عن بعضهم عند تنفيذ المهمة الموكلة إليهم.

ومن اجل تحقيق اهداف البحث وفرضيته فقد تم تقسيمه الى ثلاث مباحث تضمن المبحث الأول منهجية البحث في حين تناول المبحث الثاني الجانب النظري بينما تضمن المبحث الثالث الدراسة الاستطلاعية وأخيرا الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: منهجية البحث:

مشكلة البحث: أصبح تدقيق القوائم المالية ومدى عدالة ومصداقية البيانات التي تحتويها هاجسا يقض مضاجع الاطراف المختلفة سواء داخل الوحدة الاقتصادية او خارجها، لكونه يعد تصريحا قانونيا لتلك الأطراف في اعتماد المحتوى المعلوماتي كمرشد لاتخاذ القرارات وسبيل لدرء الشبهات. وعليه فان التدقيق

المشترك للقوائم المالية من قبل أكثر من مراقب حسابات يتمتعون بالكفاءة والنزاهة في الأداء والاستقلالية قد يقلل من تلك الهواجس.

وتكمن مشكلة البحث في مدى وجود علاقة وتأثير للتدقيق المشترك على استقلالية مراقب الحسابات من حيث تخطيط وتنفيذ عملية التدقيق وبالتالي تقديم الرأي الفني المحايد المشترك لمحتوى وجوهر القوائم المالية محل الفحص والتدقيق.

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من أهمية التدقيق في التصديق على محتوى القوائم المالية باستخدام التدقيق المشترك من قبل كل طرف من أطراف العملية من خلال المسؤولية التضامنية للمدققين واهمية استقلاليتهم عن بعضهم عند تنفيذ المهمة الموكلة إليهم.

اهداف البحث: يهدف البحث الى بيان أثر التدقيق المشترك على استقلالية مراقب الحسابات عند تنفيذ مهام التدقيق المشترك من خلال تحديد مفهوم التدقيق المشترك واهميته واهدافه فضلا عن بيان مفهوم الاستقلالية بشكل عام واستقلالية المدقق بشكل خاص.

فرضية البحث: يقوم البحث على أساس الفرضية الاتية:

هناك علاقة وتأثير للتدقيق المشترك على استقلالية مراقبي الحسابات.

خطة البحث: من اجل تحقيق اهداف البحث وفرضياه فقد تم تقسيمه الى ثلاث مباحث تضمن المبحث الأول منهجية البحث في حين تناول المبحث الثاني الجانب النظري بينما تضمن المبحث الثالث الدراسة الاستطلاعية وأخيرا الاستنتاجات والتوصيات.

أسلوب جمع البيانات: اعتمد البحث في الجانب النظري على المراجع العلمية من خلال الكتب والمقالات فضلا عن الرسائل الجامعية والاطاريح الجامعية وكذلك شبكة المعلومات الدولة (الانترنيت) اما الجانب العملي فمن خلال توزيع استمارة الاستبانة على مجتمع البحث وعينته المتمثلة بعينة من مكاتب مراقبي الحسابات التي تمارس التدقيق لمشترك.

المبحث الثاني: الجانب النظري:

يتناول هذا المبحث مفهوم التدقيق بشكل عام واهدافه لمكاتب التدقيق ولمستخدمي القوائم المالية على اختلاف توجهاتهم وكذلك التدقيق المشترك من حيث المفهوم والاهمية والمبادئ، فضلا عن بيان مفهوم الاستقلالية والعوامل المؤثرة على استقلالية مراقبي الحسابات والمعوقات التي تحول دون تحقيق المستوى المقبول منها عند القيام بمهام تنفيذ التدقيق المشترك.

أولا التدقيق: يهدف التدقيق بشكل أساسي الى بيان سلامة البيانات المالية من الناحية الجوهرية وإمكانية الاعتماد عليها من قبل الأطراف ذات العلاقة وبالتالي تقديم راي فني ومحايد من قبل القائم بمهام العملية لإخلاء مسؤوليته قانونيا واخلاقيا وتنظيميا.

ويمكن بيان مفهوم التدقيق على انه" يعني فحص انظمة الرقابة الداخلية والبيانات والمستندات والحسابات والدفاتر الخاصة بالمشروع تحت التدقيق فحصاً انتقادياً منظماً بقصد الخروج برأي فني محايد عن مدى دلالة القوائم المالية عن الوضع المالي لذلك المشروع في نهاية مدة زمنية معلومة ومدى تصويرها لنتائج اعمال المشروع من ربح وخسارة عن تلك المدة، فعملية التدقيق إذا تشمل الفحص والتحقيق والتقرير"(الاسدي:٢٠١٨: ص١)، " عرفت الجمعية المحاسبية الأمريكية المراجعة على انها عملية منتظمة للحصول على القرائن المرتبطة بالعناصر الدالة على الأحداث الاقتصادية وتقييمها بطريقة موضوعية لغرض التأكد من درجة مسايرة هذه العناصر للمعايير الموضوعية ثم توصيل النتائج إلى الأطراف المعنية" (عبد الله: ٢٠٠٠:ص٥).

ثانيا اهداف التدقيق: وعليه نستنتج من مفهوم التدقيق اهم أهدافه والتي يمكن تلخيصها بالآتي (ابو لاوي: ٢٠١٨: ص٢):

١- الحصول على رأي فني محايد حول مطابقة القوائم المالية لما هو مقيد في الدفاتر والسجلات.

٢- تقليل فرص الأخطاء والغش عن طريق الزيارات المفاجئة.

٣- التأكد من دقة البيانات المحاسبية وصحتها المثبتة في الدفاتر.

٤- مراقبة الخطط الموضوعة ومتابعة تنفيذها.

٥- تقيم نتائج إعمال المشروع بالنسبة إلى الأهداف المرسومة.

أولا التدقيق المشترك: القت الاحداث الاقتصادية على الساحة الدولية ولاسيما الازمات المالية بظلالها على الواقع التي تعيشه مكاتب تدقيق الحسابات مما جعلها تتجه في أكثر من منحى لتشكيل تحالفات مع بعضها البعض لتحقيق مستوى عال من الجودة في التدقيق من جانب، واكتساب مزيد من ثقة العملاء من جانب آخر.

١. مفهوم التدقيق المشترك: يقصد به "قيام مدققين يمثلون مكتبين مختلفين لمراقبي الحسابات بتدقيق حسابات وحدة اقتصادية معينة ويشتركون في تقديم تقرير يوقعان عليه معا ويتحملان المسؤولية بشكل مشترك، اذ يقومان بالتخطيط والتنفيذ لعملية التدقيق من خلال توزيع المهام فيما بينهما" (الديسطي: ٢٠١٤: ص٢٠). ويعرِّفه اخرون على انها" عملية فحص وتدقيق التقارير المالية لوحدة اقتصادية معينة بواسطة اثنين او أكثر من مكتبين مستقلين عن بعضهما يشتركان بالجهد المبذول والمسؤولية التضامنية في اعداد وتنفيذ برنامج التدقيق" (أبو العلا: ٢٠١٧: ص١٨١). ويود الباحث التذكير بان التدقيق المشترك يختلف كثيرا عن التدقيق المزدوج، ويعني الأخير قيام مدققين منفصلين تماما عن بعضهما، بإجراء عملية تدقيق لوحدة اقتصادية معينة، على ان يقدم كل منهما تقريره بشكل مستقل عن زميله الاخر.

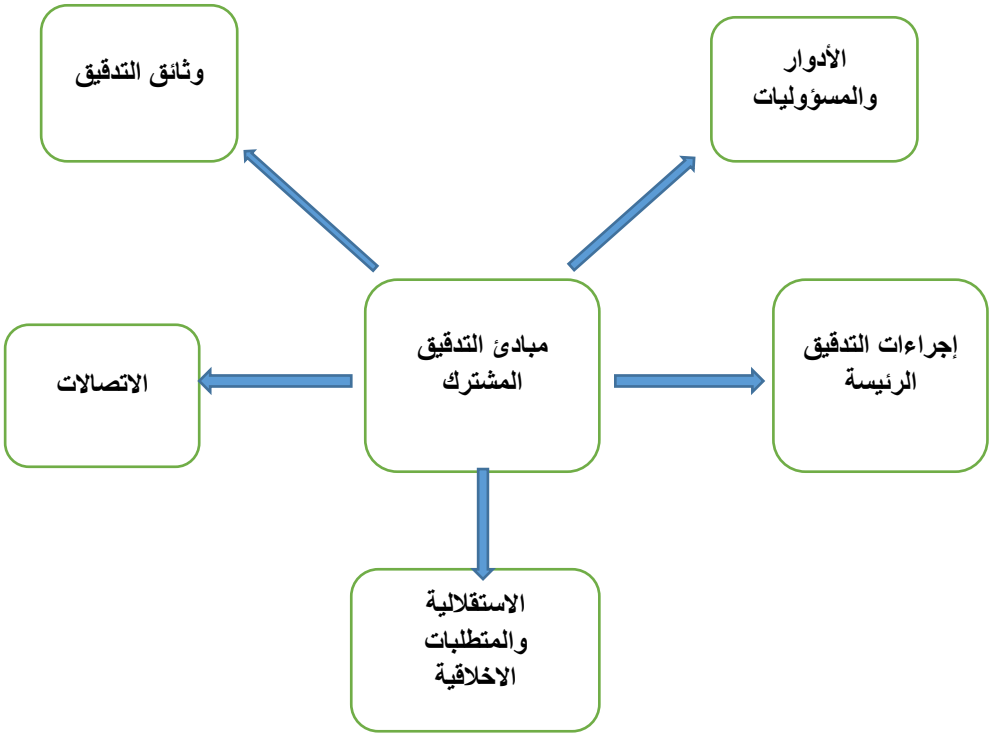
٢. اهمية التدقيق المشترك: يمكن توضيح أهمية التدقيق المشترك بالآتي (نشوان:٢٠١٧: ٥٧٦):

أ. زيادة كفاءة وفاعلية عملية التدقيق وذلك للمساعدة في عملية الكشف عن الأخطاء والغش.

ب. تحسين جودة التدقيق من خلال تخفيض المخاطر التي قد تنشأ عند القيام بعملية التدقيق الفردي.

ت. معالجة أوجه القصور في عملية التدقيق عن طريق منع الغش والتلاعب في القوائم المالية.

٣. المبادئ الأساسية للتدقيق المشترك: يقوم التدقيق المشترك على العديد من المبادئ والتي يمكن تمثيلها بالشكل بالآتي:



الشكل رقم (١) من اعداد الباحث بالاعتماد على (قريط واخرون: ٢٠١٨: ١٠٧):

أ. الأدوار والمسؤوليات: وتعني تقسيم العمل والمهام بين المدققين "على ان يتحمل كل طرف المسؤولية تجاه الدور المناط به، وبالتالي لا يمكن لمدقق انكار العمل المنجز من قبل مدقق مشترك اخر".

ب. إجراءات التدقيق الرئيسة: وتعني الموافقة على "استراتيجية عامة للتدقيق وتطويرها بالاتفاق مع المدقق المشترك الاخر، وتوزيع المهام خطيا بينهم لتحديد المسؤولية لاحقا".

ت. الاستقلالية والمتطلبات الأخلاقية: يجب على المدقق المشترك اعداد "سياسات وإجراءات للتعامل وتسوية الخلافات مع المدقق المشترك الاخر، وحل الخلافات" قبل اعداد الصيغة النهائية للتقرير وتقديمها للعميل.

ث. الاتصالات: لا بد من وجود "قنوات اتصال مفتوحة طيلة فترة علمية التدقيق مع المدقق المشترك الاخر لتحديد الأخطاء الجوهرية، حالات الغش او التلاعب، احتمالية تحيز الإدارة، ونتائج التدقيق والاستنتاجات" التي قد تؤدي الى تعديلات في الرأي المشترك.

ج. وثائق التدقيق: اذ يجب ان تتضمن وثائق التدقيق" رسالة التكليف من الإدارة، الموافقة على تقسيم العمل مع المدقق المشترك، اللقاءات والمداولات مع الإدارة بشأن البنود المعرضة لأخطار كبيرة مع مكوناتها، تخطيط عمليات التدقيق والاهمية النسبية للعناصر، إجراءات تدقيق إضافية قد يؤديها المدقق ان استدعت الحاجة والضرورة".

٤. عوامل نجاح التدقيق المشترك: عند القيام بتكليف أكثر من مكتب تدقيق في عمليات التدقيق المشترك لأول مرة فان المشتركين يواجهون صعوبة ومشاكل تفرضها طبيعة العملية نفسها، ولضمان نجاح المشتركين فيها وتحقيق اقصى درجات المنفعة منها توجد عدة عوامل يمكن اتباعها وهي كالاتي (مجموعة طلال أبو غزالة: ٢٠١٤):

أ. التوافق في القدرات المستخدمة في التدقيق: ويعني ذلك "ضرورة المقاربة بين الإمكانيات المتوفرة لكل مكتب مشترك في عملية التدقيق من حيث فلسفة العمل وحجم وإمكانية كل مكتب على أداء المهام، اذ ان التوافق بين القدرات والامكانيات سينعكس إيجابا على الكفاءة في الأداء والفاعلية في تحقيق الأهداف".

ب. تقسيم العمل: من الضروري تقسيم العمل قبل البدء بعملية التدقيق بغرض تحديد الواجبات والمسؤوليات لكل طرف عن أوجه القصور او الإهمال التي يمكن ان تحدث خلال التنفيذ، وقد يكون من المفيد التوزيع على أساس (مجموعة طلال أبو غزالة:٢٠١١):

- ✓ تقسيم العمل على أساس عناصر الحسابات، أي "اناطة مهمة أحد طرفي العملية بتدقيق عناصر الميزانية، بينما تناط مهمة تدقيق كشف الدخل بالطرف الاخر".
- ✓ التقسيم حسب مساحة العمل اعتمادا على المدة الزمنية وتقديم التقرير عنها.

✓ التقسيم على أساس نشاط الوحدة الاقتصادية (العمليات الداخلية او الخارجية)، مع مراعاة عامل المهارة والخبرة لكل طرف.

ت. التنسيق والاتصال بين الأطراف: ان عملية التنسيق بين أطراف عملية التدقيق المشترك مهمة للغاية بهدف "التبادل المستمر للمعلومات ومناقشتها بغية التوصل الى تفاهمات، اذ قد يواجهون مسائل او تعقيدات تستوجب اتخاذ القرار مما يعني وجود قنوات اتصال مفتوحة تسهِّل من انسيابية المعلومات والتي يفضل ان تكون موثقة لغرض تحديد المسؤولية والبت بالخلافات ان حصلت لاحقا".

ث. توزيع المسؤولية: بما ان عملية التدقيق المشترك "تتطلب مسؤولية تضامنية بين الاطراف ذات العلاقة اذ يتحمل كل طرف المسؤولية عن العمل المنجز من قبله بعد تقديم تقرير بذلك والذي يتم مناقشته مع بقية الأطراف الأخرى بهدف التوصل الى اتفاق بشأن جميع الملاحظات الواردة فيه وبالتالي تقويمها وتأثيرها النهائي في الرأي الواجب التصريح به بشأن عدالة ومصداقية البيانات المالية للشركة محل الفحص والتدقيق".

وبالتالي يمكن تحديد هذه المسؤوليات بالآتي (العنقري: ٢٠٠٦):

✓ كافة الأطراف مسؤولة عن العمل غير المنجز لسبب او لأخر، اذ ان عدم تدقيق جانب معين لا ينفي المسؤولية عن تلك الأطراف.

✓ كافة الأطراف مسؤولة وبشكل مشترك عن القرارات المتخذة من قبلهم التي تتعلق بطبيعة وتوقيت ونطاق إجراءات التدقيق المتفق عليها.

✓ كافة الأطراف مسؤولة وبشكل مشترك عن عملية اعداد التقرير النهائي على أساس معايير التدقيق المتعارف عليها الصادرة عن الجهات المهتمة بمهنة التدقيق.

ج. حالات الاختلاف في الرأي: من الطبيعي ان تحصل خلافات في الرأي بين أطراف التدقيق المشترك في تنفيذ عملية التدقيق، الا انه من الضروري حصر تلك الخلافات في محيط العمل وان لا تصل الى علم الزبون، مع التأكيد على عدم التفرد او التمسك بالرأي من قبل أي طرف، ولحل الخلافات بينهم يفضل اتباع الاتي (لطفي: ٢٠٠٥):

- ✓ اللجوء الى مكتب اخر للحكم في القضية موضع الخلاف.
- ✓ في حالة الإخفاق بالخطوة الأولى يتم اللجوء الى الجهات المنظمة للمهنة، او أية جهة يكون قرارها ملزما لطرفين.

٥. أهداف التدقيق المشترك: يسعى التدقيق المشترك الى تحقيق العديد من الاهداف (ابراهيم: ٢٠١٨: ٥١):

أ. الاستفادة من المهارات المتراكمة وتنوع خبرات أعضاء فريق التدقيق المشترك واستخدام نقاط القوة لدى كل منهما لتعزيز كفاءة وفاعلية عملية التدقيق.

ب. الحد من ظاهرة تركز سوق التدقيق واقتصارها على مكاتب حسابات معينة والاستفادة من مكاتب التدقيق المحلية في القيام بمهام التدقيق.

ت. دعم وتعزيز استقلالية مراقب الحسابات وضمان مستوى جودة أعلى لعملية التدقيق.

ث. قيام كل مراقب حسابات "بالتحقق من الاجراءات والأعمال التي قام بها المراقب الآخر وبالتالي تقديم تقرير تدقيق واحد مشترك يحمل توقيعهما والذين يتحملون مسئولية قانونية واخلاقية مشتركة عن نتائج علمية التدقيق".

٦. أسباب اللجوء الى التدقيق المشترك: يمكن توضيح أسباب اللجوء الى التدقيق المشترك بالآتي (الجبر والسعدون: ٢٠١٤: ٢٨٥):

أ. استكمال النقص في الخبرة لدى أحد الأطراف المشتركة في عملية التدقيق المشترك..

ب. تغطية أوجه القصور لدى بعضمهما البعض مما يسهم في تخفيض المخاطر المتعلقة بالمعلومات والحد من الانحرافات في النظام المحاسبي للعميل.

ت. تعزيز ادلة التدقيق التي يتم الحصول عليها وبالتالي تحقيق تدقيق ذات جودة اعلى.

ثانيا استقلالية مراقب الحسابات: غالباً ما يقع مراقبي الحسابات في صراع حاد بين مصالحهم الخاصة لتوفير عائد مناسب وبين التزاماتهم المهنية تجاه تقديم نصائح وخدمات استشارية، الامر الذي يؤثر وبشكل

كبير على استقلاليتهم، وبالتالي انحيازهم لصالح الوحدات الاقتصادية عند كتابة التقرير النهائي بخصوص التقارير والقوائم المالية لتلك الوحدات، إذا لم يقرروا بان الأمانة والموضوعية هي التي تحكم توجهاتهم الذاتية خلافا لكل المغريات التي تؤثر على نزاهتهم وسمعتهم المهنية.

١. مفهوم الاستقلالية: وتعني قيام المدقق بعمله في جميع مراحل التدقيق بأمانة واستقامة وموضوعية وبدون تحيز لجهة معينة وبدون الخضوع لأية ضغوطات يمكن ان تتعارض مع النزاهة والموضوعية (الذنيبات: ٢٠٠٩: ١٠٩)، وقد قامت هيئة الأوراق المالية الامريكية بوضع مفهومين لاستقلال مراقب الحسابات وكالاتي (الطائي والكعبي: ٢٠١٦: ٤٧١):

أ. الاستقلال الذهني: ويعني ان ينأى مراقب الحسابات بنفسه عن أية مصالح خاصة تربطه بالعميل او اية ضغوط نفسية عند ابداء رأيه الفني المحايد، وهو ما يتفق مع النظرية الذاتية الشخصية، التي ترى ان الاستقلالية هي حالة ذهنية لا يمكن وضع مقاييس محددة او معايير واضحة لها، لان تلك المعايير او المقاييس يمكن ان تتغير، بعكس الاستقلال الذهني الذي لا يتغير مفهومه وانما يجب على مراقب الحسابات ان يكون امينا ونزيها ويلتزم الصدق بشهادته ويكشف عن الحقيقة في تقريره.

ب. الاستقلال الظاهري: ويقصد به الالتزام بالأعراف وقواعد السلوك المهني التي تضمن عدم السيطرة من قبل الوحدة الاقتصادية على مراقب الحسابات، وعدم وجود أي ارتباط لمصالحه المالية او الشخصية مع تلك الوحدة، وهذا ما تذهب اليه النظرية الموضوعية على انها مسالة بعيدة عن شخصية مراقب الحسابات وتفكيره، وانما يجب النظر اليها على انها مسالة موضوعية محددة بقواعد ومعايير لا يمكن تجاوزها.

٢. متطلبات الاستقلالية: قام ماوتز (mautz) بتقسيم الاستقلالية من حيث الباطن أي (الاستقلالية الذهنية) الى ثلاثة محاور هي (أبو القمصان: ٢٠٠٧:٢٤):

أ. استقلالية التخطيط: وتعني قيام مراقب الحسابات بالتخطيط لأعمال التدقيق في ظل شعوره بالاستقلالية الكاملة للمهمة التي ينوي تنفيذها بهدف اعطاء الرأي الفني المحايد في القوام المالية للوحدة الاقتصادية محل الفحص والتدقيق.

ب. استقلالية الأداء: اي ابتعاد مراقب الحسابات عن كافة الضغوط والتأثيرات التي من شأنها تحييده عن مهام عمله وفق الخطة التي وضعت لذلك المسار والتي ان نفذت بشكل مستقل ان تضمن ابداء رأي مستقل ومحايد.

ت. استقلالية اعداد التقرير: ويعد الجانب الأهم من استقلالية مراقب الحسابات، ويقصد بها ان الرأي الذي سيخرج به مراقب الحسابات هو حصيلة اعمال التدقيق التي مورست بشكل مستقل وفق الخطة المعدة مسبقا والتي يجب ان تؤدي الى النتيجة المنطقية في تقديم الرأي المستقل والمحايد دون اية ضغوطات او تأثيرات قد تؤدي الى المساس باستقلاليته ومهنيته المتوقعة منه.

٣. العوامل المؤثرة على استقلالية مراقب الحسابات: هناك العديد من العوامل التي تؤثر على استقلالية مراقب الحسابات والتي من شانها التأثير في رأيه الفني المحايد عند تقديم التقرير الى الجهة المكلفة له بشأن مدى عدالة وصدق البيانات التي تحتويها القوائم المالية محل الفحص والتدقيق (الرشيدي: ٢٠١٢: ص١٨ – ص١٩):

أ. هيمنة الإدارة على قرار تعيين مراقب الحسابات: ان قرار تعيين مراقب الحسابات يكون من حق أعضاء الجمعية العامة للمساهمين كونه يمثل وكيلا عنهم في تدقيق القوائم المالية للشركة التي لديهم أسهم فيها، الا ان تنازل او عدم اكتراث العديد منهم لهذا الحق القانوني قد اعطى للإدارة الحرية في تعيين مراقب الحسابات، والتي تقوم أصلا بأعداد تلك القوائم، ما قد يعده مراقب الحسابات إطراءً له وبالتالي التأثير على استقلاليته من قبل الادارة.

ب. قرار اقصاء المدقق: كما تقوم الإدارة باتخاذ قرار تعيين المدقق فأنها تقوم بإقصائه او عزله عن المهمة المكلف بها عندما ترى الإدارة بان تصرفاته لا تتماشى مع رغباتها لأسباب منها اكتشافه لمخالفات جوهرية في البيانات المالية للشركة او عدم امتثال الإدارة للقوانين، علما بان هذا القرار هو من مسؤولية الجمعية العامة والتي يفترض اخطار المراقب به قبل إعلانه بهدف توضيح موقفه، وبالتالي فان عزل مراقب الحسابات تعسفيا يمنحه الحق بمقاضاة الإدارة عن اتعابه واية تأثيرات او اضرار ناتجة قد تؤثر على سمعته في سوق

العمل، ويستوجب من مراقب الحسابات التالي لعملية الاقصاء الاستفسار من زميله السابق عن الأسباب الحقيقية لذلك القرار.

ت. الارتباط المالي مع العميل: ويقصد به قيام علاقة مالية ما بين مراقب الحسابات او أحد افراد اسرته من جهة وبين إدارة الوحدة الاقتصادية (العميل) من جهة أخرى، ويتخذ هذا النوع من العلاقات أحد الاشكال الاتية:

✓ ارتباط مالي مباشر: أي ان تكون العلاقة ثنائية بين مراقب الحسابات وإدارة وموظفي الوحدة لاقتصادية محل التدقيق، كان تكون علاقة تجارية مشتركة او ان يقوم بإقراض تلك الوحدة او يقترض منها او قد يكون على شكل وعد بالحصول على منفعة او مصلحة مالية مشتركة. الا ان حصول مراقب الحسابات على قرض من جهة معينة لا يؤثر على استقلاليته بشرط معاملته كزبون حاله حال بقية الزبائن الا ان ذلك قد لا يبدو عمليا مما قد يثير الشكوك حول مراقب الحسابات ولذا ينصح بعدم اللجوء الى هذا النوع من الاقتراض.

✓ ارتباط مالي غير مباشر: أي ان تكون هناك علاقة مالية بين أحد أقارب مراقب الحسابات من الدرجة الأولى (زوجته مثلا) وبين الإدارة او موظفيها من خلال علاقة تجارية مباشرة او الاقتراض منها او اقراضها، وتتأثر استقلالية مراقب الحسابات فقط عند ارتباطه بعلاقة مالية او تجارية مباشرة مع العميل او أحد افراد اسرته الذين يعيلهم قانونا.

المبحث الثالث: الدراسة الاستطلاعية:

في سبيل تحقيق الغاية المتوخاة من البحث فقد قام الباحث بإعداد استمارة الاستبانة وتوزيعها الكترونيا على مجتمع البحث وعينته المتمثل بعدد من مكاتب مراقبي الحسابات في العراق والوطن العربي نتيجة لجائحة كورونا وما ترتب عليها من صعوبة الاتصال المباشر مع المبحوثين، بهدف استطلاع أراء أفراد العينة حول الأسئلة التي تضمنتها الاستبانة وقد كانت نتائج الدراسة وتحليلها كالاتي:

أولا: تحديد مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث بعينة مختارة من مكاتب مراقبي الحسابات، إذ تم توزيع ٤٠ استمارة استبانة على الأفراد المعنيين استرد منها (٣٧) استمارة حيث تم استبعاد (٧) استمارات لكونها غير صالحة للتحليل فيما استخدمت (٣٠) استمارة والتي تمثل نسبة ٧٥ % من مجموع الاستمارات الموزعة.

ثانيا: تحليل نتائج الدراسة الاستطلاعية واختبار الفرضية:

١. إجابات أفراد عينة الدراسة عن أسئلة الجزء الأول من المحور الأول " هناك علاقة وتأثير للتدقيق المشترك على استقلالية مراقبي الحسابات، تم تفريغ إجابات أفراد عينة الدراسة على الأسئلة التي يتضمنها الجزء الاول من المحور الأول من استمارة الاستبانة. والجدول الاتي يوضح تحليل نتائج فرضية البحث أعلاه.

الجدول (١)

رقم السؤال	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	نسبة الاستجابة	معامل الاختلاف
١	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	%١٠٠	% ٠,٠٠
٢	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	% ١٠٠	% ٠,٠٠
٣	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	% ١٠٠	% ٠,٠٠
٤	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	% ١٠٠	% ٠,٠٠
٥	٢,٦٠٠٠	٠,٦٢٣٩٧	% ٨٦,٦٧	% ٢٤,٠٠
٦	٢,٩٣٣٣	٠,٢٥٣٧١	٩٧,٧٨	% ٨,٦٥
٧	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	% ١٠٠	% ٠,٠٠
٨	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	% ١٠٠	% ٠,٠٠
٩	٢,٧٣٣٣	٠,٦٨٤٠٩	% ٩١,١١	% ٢٥,٠٣
١٠	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	% ١٠٠	% ٠,٠٠
١١	٢,٩٣٣٣	٠,٢٥٣٧١	% ٩٧,٧٨	% ٨,٦٥

١٢	٢,٥٠٠٠	٠,٦٤٦٩٠	% ٨٣,٣٣	% ٢٥,٨٨
١٣	٢,٩٣٣٣	٠,٢٥٣٧١	% ٩٧,٧٨	% ٨,٦٥
١٤	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	% ١٠٠	% ٠,٠٠
المعدل العام	٢,٩٠٢٤	٠,١٩٤٠١	% ٩٦,٧٥	% ٦,٦٨

يلاحظ من الجدول (١) الذي يتضمن تحليل نتائج إجابات أفراد عينة الدراسة بخصوص " وجود علاقة وتأثير للتدقيق المشترك على استقلالية مراقبي الحسابات، إذ بلغ المعدل العام لقوة إجابات أفراد العينة (٩٦,٧٥ %) بوسط حسابي مقداره (٢,٩٠٢ %) وهي بدرجة جيدة جدا وتجاوزت أداة القياس المقبولة(٢)[١] وبانحراف معياري (٠,١٩٤) مقابل معامل الاختلاف (٦,٦٨ %) مما يدل على أن إجابات أفراد العينة كانت ايجابية نحو أسئلة الجزء الاول.

٢. إجابات أفراد عينة الدراسة عن أسئلة الجزء الثاني من المحور الأول، وقد تم تفريغ إجابات أفراد عينة الدراسة عن الأسئلة التي تضمنها الجزء الثاني من المحور الأول من استمارة الاستبانة والتي يوضحها الجدول الآتي:

الجدول (٢)

رقم السؤال	الوسط الحسابي	انحراف معياري	نسبة الاستجابة	معامل الاختلاف
١	٣,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠٠	%١٠٠	٪٠,٠٠
٢	٢,٩٣٣٣	٠,٢٥٣٧١	٪٩٧,٧٨	٪٨,٦٥
٣	٢,٨٦٦٧	٠,٥٠٧٤٢	٪٩٥,٥٦	٪١٧,٧٠
٤	٢,٧٣٣٣	٠,٦٩١٤٩	٪٩١,١١	٪٢٥,٣٠
٥	٢,٥٣٣٣	٠,٥٠٧٤٢	٪٨٤,٤٤	٪٢٠,٠٣
٦	٢,٨٦٦٧	٠,٥٠٧٤٢	٪٩٥,٥٦	٪١٧,٧٠

٧	٢,٨٠٠٠	٠,٤٠٦٨٤	٪٩٣,٣٣	٪١٤,٥٣
٨	٢,٦٠٠٠	٠,٤٩٨٢٧	٪٨٦,٦٧	٪١٩,١٦
٩	٢,٧٠٠٠	٠,٦٩٦٥٥	٪٩٠,٠٠	٪٢٥,٨٠
١٠	٢,٦٦٦٧	٠,٥٦٨٣٤	٪٨٨,٨٩	٪٢١,٣١
المعدل العام	٢,٧٧٠٠	٠,٤٦٣٧٥	٪٩٢,٣٣	٪١٦,٧٤

يلاحظ من الجدول (٢) الذي يتضمن (١٠) أسئلة، بأن المعدل العام لقوة إجابات أفراد عينة البحث بلغ (٩٢,٣٣ %) وبوسط حسابي مقداره (٢,٧٧) وهي بدرجة جيدة جدا وتجاوزت أداة القياس المقبولة (٢) وبانحراف معياري (٠,٤٦) مقابل معامل الاختلاف (١٦,٧٤ %)، مما يدل على أن إجابات أفراد عينة الدراسة كانت ايجابية نحو جميع أسئلة الجزء الثاني.

٣. تحليل العلاقة والاثر بين التدقيق المشترك واستقلالية مراقبي الحسابات، والجدول رقم (٣) يوضح ذلك وبالتفصيل وكما يلي:

الجدول رقم (٣)

استقلالية مراقبي الحسابات / التدقيق المشترك	معامل الارتباط	التأثير		R^2	F		مستوى المعنوية
		β٠	β١		المحسوبة	الجدولية	
	٠,٦٣٢ (٤,٣١٥)	١٩,١٥١ (٧,٣٨٣)*	١,١٥١ (٣,٣٢١)*	٠,٣٩٩	١١,٠٣١	٤,٢٠	٠,٠٠٣

$P \leq$ ٠,٠٥, N =٣٠, df = (٢٨): t (٢,٠٤٨)

$P \leq$ ٠,٠٥, N =٣٠, df = (١, ٢٨): F (٤,٢٠)

أ. معامل الارتباط البسيط: ويوضح لنا الجدول رقم (٤) معامل الارتباط البسيط بين المتغيرين:

الجدول (٤)

Y استقلالية مراقبي الحسابات	قيمة معامل الارتباط البسيط
X التدقيق المشترك	٠,٦٣٢

مستوى دلالة إحصائية (٠,٠٥)[٢]

وتأسيسا على نتائج الجدول (٤) يتضح وجود علاقة ارتباط ايجابية ودًالة معنوية بين التدقيق المشترك واستقلالية مراقبي الحسابات إذ بلغ معامل الارتباط البسيط بينهما (٠,٦٣٢) وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥). وكذلك يلاحظ وجود دلالة إحصائية بين التدقيق المشترك واستقلالية مراقبي الحسابات. إذ بلغت قيمة *T* المحسوبة (٢,٠٤٨)، والتي تعززها قيمة معامل التحديد (R^2) والبالغة (٣٩,٩%)، والتي تشير الى قدرة عناصر المتغير المستقل (التدقيق المشترك) على تفسير (٣٦,٩%) من التباين الحاصل في المتغير التابع (استقلالية مراقبي الحسابات)، واما النسبة المتبقية فتعود لعوامل اخرى.

٤. ولتعزيز النتيجة السابقة فقد تم تحليل العلاقة لمعرفة مدى وجود فروق دًالة احصائية بين التدقيق المشترك واستقلالية مراقبي الحسابات، من خلال تحليل التباين من اجل الوصول إلى اختبار الفرضية وكما في الجدول (٥):

الجدول (٥)

تحليل التباين *ANOVA* لأنموذج العلاقة بين التدقيق المشترك

القيمة الفائية *F*	
المحسوبة	الجدولية
١١,٣١	٤,٢٠

الدلالة الإحصائية (٠,٠٥) درجة الحرية (١,٢٨)

ويتضح من الجدول (٥) إن قيمة *F* المحسوبة (١٥,٤٦٩) أكبر من قيمة *F* الجدولية (٤,٢٠) وذلك يدل على وجود فروق دًالة إحصائية بين التدقيق المشترك واستقلالية مراقبي الحسابات عند مستوى الدلالة الإحصائية (٠,٠٥) وبدرجة الحرية (١,٢٨)، لذلك تقبل الفرضية التي مفادها" هناك علاقة وتأثير للتدقيق المشترك على استقلالية مراقب الحسابات ".

الهوامش:

١ أداة القياس المقبولة يقصد بها معدل الوسط الحسابي لمقياس ليكرت الثلاثي المستخدم في تحليل إجابات أفراد العينة.

٢ بقصد بمستوى الدلالة الاحصائية (٠,٠٥) نسبة الفشل في الاجابة على الاسئلة الموجهة للمبحوثين من مجموع النسبة المئوية (١٠٠ %) وعليه كلما كان معامل الارتباط البسيط عاليا، اي أقرب الى الواحد الموجب فهذا يعني وجود علاقة ايجابية بين المتغيرين تدعم الفرضية موضوعة البحث.

المراجع:

١. الاسدي، يوسف، ٢٠١٨، تدقيق الحسابات من الناحية النظرية، مقالة منشورة على الانترنيت بعنوان" التدقيق مفهومه وأهدافه، موقع المرجع الالكترونية للمعلوماتية، تاريخ الزيارة ٢٥ / ١٢ / ٢٠٢٠ الساعة التاسعة ليلا. https://almerja.com/reading.php?idm=٩٨٩٥.

٢. خالد أمين عبد الله، علم تدقيق الحسابات، دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ص٥.

٣. أبو لاوي، احمد إسماعيل، ٢٠٠٤، أهمية التدقيق في ضبط عمل المحاسبين في الشركات، مقالة منشورة على شبكة الانترنيت (موقع جريدة المحاسبين الالكتروني)، تاريخ الزيارة بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ٢٠٢٠ الساعة العاشرة ليلا، https://almohasben.com.

٤. الديسطي، محمد عبد القادر، ٢٠١٤، المراجعة المشتركة في مقابل المراجعة الفردية، دراسة تطبيقية عن مدى تقييد مكاتب المراجعة المصرية لممارسات إدارة الأرباح في الشركات المساهمة– المجلة المصرية للدراسات التجارية كلية التجارة جامعة المنصورة العدد الأول ص ص –١٩ – ٣٩.

٥. أبو العلا، أسامة مجدي فؤاد، ٢٠١٧، أثر تبني مدخل المراجعة الخارجية المشتركة على رأي مراقب الحسابات وانعكاس ذلك على عدم تماثل المعلومات: دراسة تطبيقية على الشركات المدرجة في سوق الأوراق المالية المصري.

٦. نشوان، إسكندر محمود حسين، ٢٠١٧، الاتجاه نحو التدقيق المشترك كمدخل لتحسين جودة التقارير المالية، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ١٠٠، المجلد ٢٣، ص ص، ٥٦٧ – ٦٠٥.

٧. قريط، عصام وحميدان، عدنان وصافي، هاشم، ٢٠١٨، دور التدقيق المشترك في رفع كفاءة استخدام المعاينة الاحصائية في تدقيق الحسابات – دراسة ميدانية في بيئة الاعمال السورية– مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد (٤٠) – العدد الأول / ٢٠١٨.

٨. مجموعة طلال أبو غزالة، ٢٠١١، مقالة بعنوان "رسالة المؤسسة" منشورة على الموقع الالكتروني للمجموعة، https://www.tagorg.com/?lang=ar

٩. مجموعة طلال أبو غزالة، ٢٠١٤، مقالة بعنوان " من نحن" منشورة على الموقع الالكتروني للمجموعة، https://www.tagorg.com/?lang=ar

١٠. العنقري، حسام عبد المحسن، ٢٠٠٦، من يحاسب المحاسب القانوني، مطابع السروات، جدة، المملكة العربية السعودية

١١. لطفي، امين السيد، ٢٠٠٥، مراجعة لأغراض مختلفة، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية

١٢. إبراهيم، نبيلة سامي، ٢٠١٨، أثر تطبيق المراجعة المشتركة على جودة الأرباح المحاسبية وقيمة المنشأة – دراسة تطبيقية – رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، جامعة القاهرة.

١٣. الجبر، يحيى بن علي والسعدون، ناصر بن محمد، ٢٠١٤، أثر المراجعة المشتركة على جودة الأرباح المحاسبية للشركات المسجلة في سوق الأوراق السعودي، دورية الإدارة العامة، المجلد (٥٤)، العدد الثاني، ص ص، ٢٨٣ – ٣٠٣. الرياض، السعودية.

١٤. الذنيبات، علي عبد القادر، ٢٠٠٩، تدقيق الحسابات في ضوء المعايير الدولية، نظرية وتطبيق، دار وائل للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، الأردن.